الدكتورة: آسيا جريوي

السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة

- دراسة في ثلاثية "حكاية بحار" لحنا مينة -

المثقف للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

الطبعه الاولى 1441 هـ - 2020 م

المثقف للنشر والتوزيع / الجزائر
الإيداع القانوني: 2020/03
ردمك: ISBN (978-9947-79-668-9)
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666
الموقع الالكتروني:www.elmouthakaf2@gmail.com
المدير العام / سميرة منصوري

ببلومانيا للنشر والتوزيع / مصر
الإيداع القانوني: (2020/7371)
ردمك: ISBN (978 977-6808-16-4)
هاتف: 00201065534541 / 00201208868826
الموقع الالكتروني:www.ebibliomania.com
المدير العام / جمال سليمان

اسم العمل: السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة- دراسة في ثلاثية "حكاية بحار" لحنا مينة -.
اسم المؤلف: الدكتورة: آسيا جريوي
تصميم الغلاف: ل. سيف الدين

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشرين وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشرين

إنّ الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي النّاشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة:

عرفت النّظريّة السّيميائيّة مع بداية السّتينيات تطوّرا ملحوظا مع ميلاد السّيميائيّة السّرديّة لمدرسة باريس (L'Ecole de Paris) التي يتزعّمها غريماس (Greimas)، ومعه عرفت النّظريّة تحوّلا ابستيمولوجيا، حيث تأسّست السّيميائيّة السّرديّة على جملة من القواعد والمفاهيم التي تسهم في تفكيك الخطاب السّردي وتحليل مختلف النّصوص. وإن الكشف عن القواعد والمفاهيم يقتضي منّا البحث عن الخلفيّة الابستيمولوجيّة لنظريّة غريماس، وضبط التّحول المعرفي للسّيميائيّة السّرديّة، والغوص في روافد النّظريّة المختلفة ثم تحديد المفاهيم الإجرائيّة من مرحلة المكاسب (سيميائيّة العمل) إلى مرحلة المشاريع (سيميائيّة الأهواء). ولقد كان هذا الغوص في الجهاز المعرفي للنّظريّة مساعدا للكشف عن مفاتيح السيّميائيّة التي نتّخذها كأداة إجرائيّة لدراسة مدوّنة عربيّة ولقد انبثق من لقاء النّظريّة بالتّطبيق مجموعة إشكاليات نطرحها في شكل أسئلة كالآتي:

- هل يمكن استخلاص سيميائيّة الأهواء من خلال دراسة سيميائية العمل؟.
- هل هناك مفاهيم في سيميائيّة الأهواء تقابل سيميائية العمل؟.
- هل يمكن استخلاص الدّور الاستهوائي للممثل إلى جانب الدّور العاملي والدّور التّيماتيكي؟.
- هل يمكن تطبيق سيميائيّة الأهواء في المستويات الثّلاثة: (الخطابي والسّردي، والمنطقي الدّلالي)؟.

وسعيّا منّا للبحث عن مجال تطبيقي يصلح أن يكون مختبرا لدراسة هذه الاشكاليّات وغيرها وقع اختيّارنا على مدوّنة عربيّة متمثّلة في أحد أعمال الرّوائي السّوري "حنا مينة" والمتمثّلة في ثلاثيّة "حكاية بحّار" محاولين قدر الإمكان دراسة مفاهيم السّيميائيّة السّرديّة بين سيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء في المستويات الثّلاثة (السّردي والخطابي، والدّلالي المنطقي) والبحث عن الدّلالة من البنية السّرديّة للثلاثيّة. وعليه كانت الدّراسة موسومة بـ: "**السيميائية السردية من البنية إلى الدلالة**" –**دراسة في ثلاثية** "**حكاية بحار**" **لحنا مينة**–. ويندرج البحث تحت خطة آثرنا تشكيلها وتقسيمها كالآتي:

الفصل الأوّل: ورد بعنوان (روافد السيميائية السردية بحث في المفاهيم)، ويحتوي على دراسة الرّوافد المرجعيّة لنظريّة "غريماس" من الرّافد الفلسفي، والرّافد اللّساني إلى الرّافد المعرفي مع تحديد مفاهيم السّيميائيّة السّرديّة من مرحلة المكاسب وسيميائيّة العمل إلى مرحلة المشاريع وسيميائيّة الأهواء.

الفصل الثّاني: ويحمل عنوان (المسار العاملي والاستهوائي–دراسة في التّركيبة السردية لثلاثية "حكاية بحار"–)، ويحتوي على دراسة البرنامج السّردي والبرنامج الاستهوائي والخطاطة السرديّة والخطاطة الاستهوائيّة.

الفصل الثّالث: وكان بعنوان (أدوار الممثل وثنائية "التفضية" و"التزمين" – دراسة في التركيبة الخطابية للثلاثية –)، وتقوم الدّراسة بضبط الأدوار العامليّة والاستهوائيّة والتّيماتيكيّة للممثّل، وثنائيّة: (التفضيّة، والتّزمين).

الفصل الرّابع: ويحمل عنوان (البنية والوحدات الدّلالية – دراسة في التركيبة المنطقية الدلالية للثلاثية –)، ويضمّ دراسة الوحدات المعنويّة الصغرى في الدّلالة والوحدات الدّلاليّة والباتيميّة ودراسة البنية والقيّم الدّلاليّة المنطقيّة.

خاتمة: وجاءت عرضا لأهم النّتائج التي توصّلنا إليها في هذه الدّراسة.

وتجدر الإشارة إلى وجود دراسات سابقة تناولت أعمال حنّا مينة من زوايا مختلفة نذكر منها:

– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشّخصيّة السّرديّة (رواية "الشّراع والعاصفة "لحنا مينة نموذجا)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2001 حيث درس النّسق الإيديولوجي والبناء العاملي للشّخصيّات في الرّواية. وللمؤلّف دراسة للرّواية نفسها في كتاب آخر موسوم بـ: النّص السّردي نحو سيميائيّات للإيديولوجيا، دار الأمان الرباط، ط1، 1996، حيث قدّم قراءة حول بناء الرّواية مشيرا إلى الرّحلة أو زمن الاستئناس في الرّواية.

– عدنان بن ذريل، النّص والأسلوبيّة بين النّظريّة والتّطبيق (دراسة) منشورات اتحاد كتاب العرب، دط، 2000، حيث درس ثلاثيّة "حكاية بحار" في الفصل الرّابع من الكتاب مستخلصا المرجعيّة التّاريخيّة والمنظور السّردي والحداثة الروائيّة والأسلوبيّة من الثّلاثيّة.

– زهرة إدريس، ثلاثيّة حنا مينة بين السّيرة الذّاتيّة والخلق الروائي مجلة حوليات، جامعة الجزائر، ج2، ع16، 2006، حيث أشارت إلى العالم

المتخيّل والتّجربة الرّوائيّة الذّاتيّة في ثلاثيّة لحنا مينة: (رواية "بقايا صور" ورواية "المستنقع"، ورواية "القطاف").

– جريوي آسيا، سيميولوجيّة الشّخصيّة الحكائيّة دراسة في رواية "الذئب الأسود" لحنا مينة، مجلة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، ع6، 2010، حيث قمت بدراسة الشّخصيّة الحكائيّة من منظور فليب هامون في الرّواية.

عالجت هذه الدّراسات أعمال حنا مينة من زوايا متباينة وتوّجهات مختلفة باختلاف الدّراسة (السّيميائيّة والأسلوبيّة والبنيويّة). فاختلفت القراءة بطبيعة الإجراء في الكشف عن إيديولوجيّة الكاتب والتّجربة الرّوائيّة.

ومن الدّراسات السّابقة لأعمال حنا مينة حاولنا التّركيز على التّوجه السّيميائي كإجراء نقدي وتحديد مفاهيم نظريّة غريماس من مرحلة المكاسب (سيميائيّة العمل) إلى مرحلة المشاريع (سيميائيّة الأهواء) بالاعتماد على المسار التّحليلي في الدّراسة من البنية السّطحيّة (المستوى الخطابي والمستوى السّردي) إلى البنية العميقة (المستوى المنطقي الدّلالي) في ثلاثيّة "حكاية بحار".

وإذا كانت الدّراسة قد حقّقت جزءً من الأهداف المسطّرة لها فالفضل يعود إلى توجيهات الأستاذ الدكتور "بن غنيسة نصر الدين" الذي تابع مراحل هذه الدّراسة من الجانب النّظري إلى الجانب التّطبيقي بعناية، فله خير الجزاء والشّكر، وكما لا ننسى أن نتوجّه بالشّكر إلى كل من قدّم لنا يد العون.

الفصل الأول:

"روافد السيميائية السردية بحث في المفاهيم"

أولا: الروافد المرجعية لنظرية غريماس السيميائية:

1- الرافد الفلسفي.

2- الرافد اللساني.

3- الرافد المعرفي.

ثانيا: نحو تحديد مفاهيم السيميائية السردية:

1- مرحلة المكاسب وسيميائية العمل.

2- مرحلة المشاريع وسيميائية الأهواء.

عرفت النّظريّة السّيميائيّة تطورا ملحوظا مع ميلاد السّيميائيّة السّرديّة لمدرسة باريس (L'Ecole de Paris) بزعامة "غريماس" (Greimas) حيث كانت فترة السّتينيّات نقطة تحوّل في مسار السّيميائيّات من دراسة الجملة نحو الخطاب إلى الأشكال السّرديّة كما تأسّست السّيميائيّة السّرديّة على جملة من القواعد والمفاهيم التي تسهم في تحليل الخطاب السّردي ومختلف النّصوص وبذلك كان محور الاهتمام في السّيميائيّة هو دراسة النّص الأدبي.

وبذلك سنحاول في هذا الموقع الكشف عن روافد النّظريّة السّيميائيّة في دراسة العمل السّردي، والوقوف على المشارب المختلفة التي استقت منها النّظريّة مفاهيمها حيث قامت على موارد متباينة هي: (الرّافد الفلسفي والرّافد اللّساني، والرّافد المعرفي) وهي كالآتي:

1- الرّافد الفلسفي:

كان التّفكير الفلسفي ممهّدا لظهور التّيار السّيميائي والبحث في الدّلالة، حيث اهتّم الفلاسفة بمسائل مهمّة كانت مهد الدّراسات اللّغويّة ثمّ السّيميّائيّة «وربّما كان ارتباط علم الدّلالة بالفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطه بأيّ فرع آخر من فروع المعرفة حتّى قال بعضهم: (إنّك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي السّيمانتيك (Sémantique)، وما إذا كان يجب

اعتبـــار الفلســـفة داخـــل السّـــيمانتيك (Sémantique) أو السّـــيمانتيك (Sémantique) داخل الفلسفة»[1].

فهنـاك علاقـة بـين الفلسـفة والسّـيمياء، هـذا إذا لـم نقـل إنّ السّـيمياء هـي الفلسـفة والمنطـق الجديـد، وهـذا لوجـود الكثيـر مـن المفـاهيم والقضـايا السّيميائيّة التي تستمد جوهرها من مرجعيّات فلسفيّة، ومن ذلك اهتمام الفلاسفة بالعلامـة إذ «بـات الارتبـاط متينـا إلـى حدّ التّطـابق بـين السّـيميائيّات والمنطـق ونظريـة المعرفـة وإن كـان التّأويـل السّـيميائي للخطـاب الفلسـفي ذا طبيعـة أكثر خصوصيّة وأكثر تعقيدا ذلك لأنّ التّفكير بالعلامات وحول العلامة في آن واحد ظـلّ يشـغل بـال الفلاسـفة منـذ العصـور القديمـة ومـرورا بالعصـور الوسـطى والحديثـة إلـى أيامنـا هذه فـلا يمكـن أن نشـكّ فـي الدّعوى القائلـة بأنّـه لا يمكـن دراسـة ظـواهر الـوعي بمعـزل عـن العلامـات مـن حيـث إنّ السّـيميائيّة تضـطلع بعمليّـة إضـفاء الخاصـيّة البنيويّـة علـى صـور المعرفـة وأشـكال نظريّـة التّعبير...»[2].

وهو ما حدا بالسّيميائيّات المحايثة لـ: "غريماس" أن تنظر إلـى المنطـق مـن زاويـة دلاليّـة فـي معالجتهـا لإشـكاليّة المعنـى إذ قـال "غريمـاس": «(يمكـن تعريـف المنطـق فـي اصـطلاحنا بأنّـه شـكل المحتـوى المسـتعمل للتّحقّـق

---

[1]– ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة القاهرة، ط6، 2006، ص15.

[2]– أحمـد يوسـف، الـدلالات المفتوحـة مقاربـة سـيميائية فـي فلسـفة العلامـة، منشـورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص09.

من الصّياغات اللّسانيّة للشّكل العلمي للكون باعتباره تعبيرا (يسمي المناطقة هذا الشّكل العلمي علم الدّلالة)، إنّ هذا المنطق الجديد هو شكل من أشكال الفلسفة الجديد (...) وتغدو إشكاليّة المعنى بؤرة التّفكير السّيميائي التي كلّت أفهام الفلاسفة وأعيت أذهان علماء اللّغة...»[1].

وللتّفصيل أكثر في الصّلة أو العلاقة بين الفلسفة والسّيمياء خاصّة نظريّة "غريماس" السّيميائيّة التي نهلت من الرّافد الفلسفي يقودنا الحديث إلى زمن تطوّر الفلسفة وظهور النظريّات الفكريّة، إذ يعدّ القرنان الرّابع والخامس قبل الميلاد هما زمن تطوّر الفلسفة اليونانيّة تطوّرا سريعا، وزمن نشوء النّظم الأساسيّة في الفلسفة القديمة ففي هذا الزّمن وضع "ديموقريط" فلسفته الماديّة، و"أفلاطون" فلسفته المثاليّة، وفيه صاغ "أرسطو" نظامه المتأرجح بين المثاليّة والماديّة ناهيك عن الكثير من غير هؤلاء من الفلاسفة والمفكّرين الأقل شأنا وفي هذه الفترة نشأ الشّكل الفني المتخصّص في عرض القضايا الفلسفيّة- الحوار- وفيه يعرض الفيلسوف أفكاره على شكل مناقشة مع حكيم ما يناقضه أو مع تلاميذه»[2]، فكانت النّظريّات الفكريّة مهدا للكثير من العلوم المختلفة ومنها السّيميائيّة، وعليه نتساءل كيف استفاد "غريماس" من الفكر الفلسفي ومن هذه النّظريّات الفكريّة؟.

---

[1]- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، ص11،12.

[2]- ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة عالم الفكر في الأدب والنقد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 25، العدد 03، 1997 ص194.

استفاد "غريماس" من بعض النّظريّات الفكريّة كالفلسفة الذرائعيّة والظّاهراتيّة ومن أفكار بعض الفلاسفة خاصّة "أرسطو" و"نيتشه" وذلك في بلورة نظريّته السّيميائيّة، حيث استفاد من بعض القضايا والمفاهيم التي اهتمّ بها الفلاسفة كدراسة المعنى، واللّفظ والعلامة، والمنطق، والوجود واللاّوجود والكينونة، ومبدأ التّناقض والمربّع الدّلالي عند "أرسطو" حتّى في الجانب النّفسي ورؤية الفلسفة للفكر والشّعور ومظاهر فاعلية النّفس الإنسانيّة وهو ما دعانا إلى الوقوف على هذه النّظريّات الفلسفيّة التي ساهمت في ضبط مفاهيم النّظريّة السّيميائيّة "لغريماس".

1-1- أفلاطون: (427-347 ق.م): كان "أفلاطون" من بين تلامذة "أسقراط"[1] ولقد اهتمّ باللّفظ ومعناه كما «وظّف "أفلاطون" لفظ (Sémiotique) للدّلالة على فن الإقناع، وأكدّ أنّ للأشياء جوهرا ثابتا وأنّ الكلمة ومعناها تلاؤم طبيعي بين الدّال والمدلول[2]، فالأشياء جوهر وعرض بمعنى وجود بنيّة سطحيّة وبنية عميقة ثابتة، وهذا ما يطبّق على الكلمة، وهذه مسألة قد أشار إليها "سوسير" و"هيلمسليف" فيما بعد واستفادت منها السّيميائيّة عند "غريماس" في دراسة النّصوص السّردية.

1-2- أرسطو: أمّا "أرسطو" فقد «تجاوز فلسفة "أفلاطون" بمحاولة تقديم تعريفات للأفكار الرّياضيّة والأخلاقيّة فكان يطابق بين الفكرة والمعنى أو بين

---

[1]- ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، ص194.

[2]- عبيدة صبطي ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2009، ص09.

الفكرة والجوهر، وعليه فقد أحدث تحوّلا كبيرا في مسار التّفكير الفلسفي عندما استبدل فكرة المثل العليا "لأفلاطون" بفكرة المفهوم»[1]، كما بحث في جوهر الأشياء إذ نظر إلى الكون باحثا عن جوهر الأشياء في قلب مادّتها نفسها ودرس من هذا المنطلق كلّ شيء بوصفه جسما (حيّا) يحمل في ذاته القدرة على الاكتمال وبنى لأوّل مرّة في التّاريخ نظريّة لفنّ الكلمة لا تقترح عادة فكريّة مفروضة عليه من خارجه، كما فعل البلاغيّون، وأفلاطون بل مستقاة من تجربة الأدب اليوناني المتراكمة عبر عدّة قرون من التّطور فاستند في أسلوبه الجديد في تقويم الأدب، إلى تفسير ذهني جديد للمتعة الجمالية يربط بين جمال الكلام وبين المعرفة التي ينقلها معلنا أنّ الكلام الممتع هو الذي يعلّم وينقل المعرفة[2]، أو الأثر الجمالي الذي تتركه الكلمة في أذن المتلقي أو القارئ.

ويعتبر "أرسطو طاليس" في كتابه "العبارة" (باري أمرينياس) أنّ «ما يخرج بالصوّت دال على الآثار التي في النّفس، وما يكتب دال على ما يخرج بالصوّت، فاللّغة سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة فإنّ ما تتكوّن منه هو عبارة عن دلائل (Signes)، ويبقى أن نعرف كيف تدّل هذه الدّلائل

---

[1]– ينظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي جبر العلامات الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2005، ص21.

[2]– ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، ص212.

على ما تدّل عليه»[1]، فإذا كان الصّوت يعبر عمّا في النّفس فإنّ ما يكتب يعبّر عن الصوّت. ولعلّ مسألة الصّوت والمعنى قد دقّق فيها "أرسطو" محدّدا الفرق بينهما، فقد تكلّم "أرسطو" عن الفرق بين الصوّت والمعنى وذكر أنّ المعنى مطابق مع التّصور الموجود في العقل المفكّر، وميّز أرسطو بين ثلاثة أمور هيّ:

- الأشياء في العالم الخارجي.
- التّصورات: المعاني.
- الأصوات: الرّموز أو الكلمات.

وكان تمييزه بين الكلام الخارجي والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريّات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى[2] وبذلك فقد اهتمّ "أرسطو" بالاسم والفعل ومفهوم العلامة «حيث فرّق بين (الاسم) بوصفه علامة بسيطة تدّل بالمواضعة على شيء معيّن و(الفعل) الذي تكتسي به العلامة طابع الإحالة الزّمنيّة (...) وقد اتبّع "أرسطو" خطوّات "ديمقريطس" الذي قال إنّ الحكم يتألّف من "اسم" و"فعل"، ويدّل الأوّل (الاسم) على جزء الحكم المتعلّق بالموضوع الذي تدور حوله المسألة، ويدّل الثاني (الفعل) على كلّ ما يقال عن الموضوع»[3]، فالاسم يعادل صفة للفعل مثل موضوع (الأخلاق). فالعلاقات التي تتحكّم في عناصر الحكم هي قائمة على علاقات

---

[1]– طائع الحداوي، سيميائيات التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص67.

[2]– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص17.

[3]– أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي، ص22.

وجوديّة متضايفة بين المتّصل بوصفه حكما إثباتا (Conjonction) والمنفصل بوصفه حكما منفيّا (Disjonction) والتي يكون فيها لهذه العلاقات حضور متميّز في النظريّة العامليّة لـ: "غريماس"»[1].

إذ يستثمر "غريماس" هذه العلاقات في دراسة البرنامج السّردي وذلك أثناء ضبط العلاقة بين الذّات والموضوع في حالة اتّصال أو انفصال ومنه يحدّد شكلين للتّحول هما: التّحول الاتّصالي والتّحول الانفصالي ويمكن التّفصيل في هذه المسألة أكثر في دراسة المركبة السّرديّة.

لقد استفادت السّيميائيّة من المسائل الفلسفيّة وخاصّة المنطق الأرسطي «ومنطق "أرسطو" عام وخاص: العام ما تشتمل عليه كلّ محتويات النّسق (Organon)، والخاص هو ما ينصرف إليه الذّهن عند الحديث عن المنطق وهو يحتوي على المقولات، وأنواع الدّلالة والقضايا، وأصنافها ومعاييرها والقيّاس، وأشكاله، ومنطق الجهات، وطرق بناء المعرفة وتحصيلها بـ: (الموضوعات) و(التّحديدات)، و(الافتراضات)، والاستقراء والاستنباط»[2].

ويحدّد "أبو الوليد بن رشد" في مخطوطته (تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل) من المنطق الأرسطي نظريتين متداخلتين هما: (نظريّة التّقابلات ونظريّة منطق الجهات)، ويمكن توضيحهما كالآتي:

---

[1]– أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة– مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ص20.

[2]– محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر السيميائيات، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3 مجلد35، 2007، ص135.

1- **نظريــة التّقـابلات:** (قد تكلّـم "أرسـطو" عـن موضـع التّقـابلات الأربعـة فقـال: «أن ننظـر فـي المتقـابلات الأربعـة أعنـي الموجبـة والسّـالبة والضّـدين والمضــافين والعــدم والملكــة ونتأمّــل وجــه اللّــزوم فيهــا وذلــك أنّ اللّــزوم في المتقابلات ضدّ اللّزوم في المتلازمات لأنّ المتلازمات إنّما يلزم فيها الوجود الوجود أو الارتفاع الارتفاع وأمّا في المتقابلات فإنّها يلزم فيها الارتفاع الوجود أو الوجود الارتفاع»[1].

فهنــاك تبــاين بــين المتلازمــات والمتقــابلات وتتــألّف بِنيــة التّقــابلات عند "أرسطو" من حدّين متناقضين: (موجود/ لا موجود) أو من ثلاثة حدود اثنـان متضـادّان بينهمـا واسـطة: (أبـيض/ رمـادي/ أسـود) أو مـن أربعـة حـدود تحكمها علائق (التّناقض، والتّضاد، وشبه التّضـاد والعموم، والخصـوص، إثباتا أو نفيّا)، وقد انتشرت هذه البنية ذات الحدود الأربعة فجسّمت في مربّع منطقي بعد "أرسطو" دُعي بمربّع "أبو ليوس" (125 بعد الميلاد)، و"مارسيانوس كابيلا" (القـرن الخـامس بعـد المـيلاد)، وبيـوثيس (470- 524) والمربّـع المنطقـي كالآتي[2]:

---

[1]- أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق وتعليق: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتاب، 1980، ص113.

[2]- محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ص136.

التّضاد

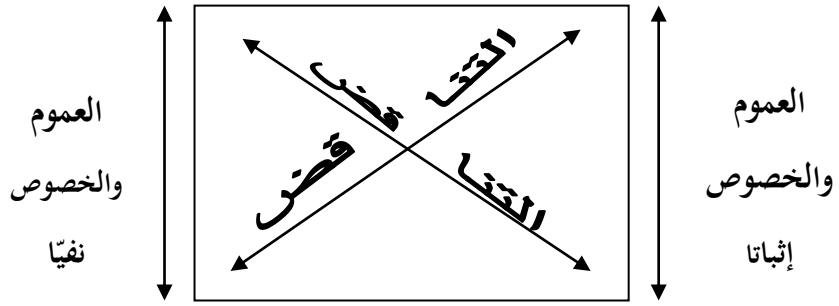

شبه التّضاد

فالمربّع مبني على مبدأ التّناقض القائم على ثنائيّة (الثّبات والنّفي) عند "أرسطو" الذي استثمره "غريماس" محدّدا ثلاث علاقات هي: (التّضاد والتّناقض، والتّضمن)، ويحدّده "غريماس" مع تلميذه "كورتيس" في المعجم (Sémiotique Dictionnaire raisonné de théorie du Langage) بوجود علاقتين الأولى من نوع (أ/أَ) حيث نلاحظ التّناقض النّاتج عن حضور وغيّاب سمة محدّدة تعرف الآخر من نوع (أ/لا أ) تتمظهر في السّمة نفسها (...) وحدود المقولات لهذا الجزء في التّناقض (أ/لا- أ)[1]، وباعتبار منطق العلامة لهذه العلاقة اللامنتاهيّة تُسمّى محورا سيميائيّا من خلال إدراكنا لأحد الحدّين في ذلك المحور الفاصل في العلاقة الجديدة شكل (أ/ أَ) تعرض جملة من العلاقات تشتغل في الشّكل الآتي[2]:

---

[1]- Voir, A. J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, 1979, p: 30.

[2]- Voir, Idem.

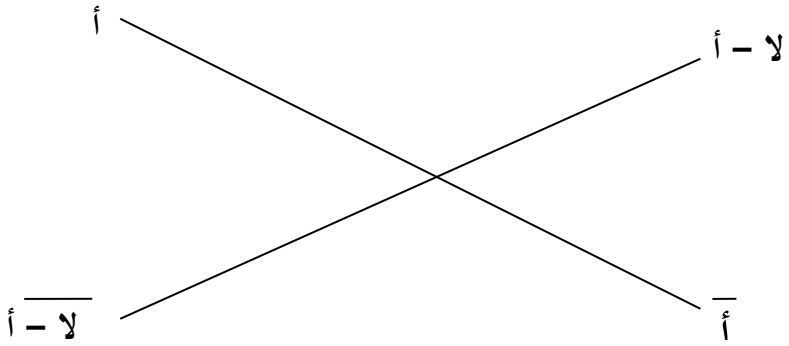

ولنا عودة لضبط المربع السيميائي عند "غريماس" بأطرافه في البنية العميقة والمنطقيّة في هذا الفصل.

أمّا نظريّة التّقابلات المستمدة من الأوليّات الرّياضيّة والمنطقيّة ابتدأت بالتّقابل الثّنائي، الضّرورة/ الاستحالة، الصّدق/ الكذب ثم إلى الثّلاثي الضرورة/ الاستحالة/ الإمكان، الصّدق/ الكذب المخلوط بالصّدق والكذب ثمّ إلى التّقابل الرّباعي: الضّرورة الاحتمال/ الإمكان/ الاستحالة، ثمّ الصّدق الظّن/ الشّك/ الاحتمال بل تجرأ بعض المناطقة فاقتراح ستّ جهات بالدّمج بين الجهات المنطقيّة الأربع واقتصر عليها وهكذا بقي عدد أربعة بخلفيته الريّاضيّة المنطقيّة مهيمنا[1].

2- منطق الجهات: ولعلّ الجهات التي اهتمّت بها النّظريّة هي: (الجهة المنطقيّة، والجهة المعرفيّة، والجهة المعياريّة، وجهة الحقيقة) من دون النّظر في جهات أخرى مثل الجهة الزّمنيّة وجهة الرّغبات وهي[2]:

---

[1]- محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ص137.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص157، 158.

أ- **الجهـة المنطقيّـة:** اهتمّ بها "أرسطو" في منطقه وتتكوّن عنده من ثلاث جهات: (جهة الضّرورة، وجهة الإمكان، وجهة الاستحالة)، وقد أفرد لها المعجميان "غريماس" و"كورتيس" حيث بلورا هذه الجهات لتحديد ملفوظ الحالة، وإعادة صياغتها في المربّع السّيميائي وهي جهات: (الضّرورة والإمكان، والاحتمال والاستحالة).

ب-**الجهـة المعرفيّـة:** وهي اليقين والاحتمال والاستحالة والوهم كلّ جهة من هذه الجهات تحتمل موقعا في المربّع السّيميائي تتحكّم فيها العلائق المعروفة (التّناقض والتّضاد، وشبه التّضاد، وعلاقة العموم بالخصوص إثباتا ونفيّا)[1].

ومن ثنائيّة الإثبات والنّفي تنتظم الأحكام وترتكز على التّقابل الذي من خلاله ينبثق مبدأ التناقض، إذ لا وجود لتناقض ما لم يكن هناك تطابق بين الإثبات والنّفي، ومن هنا تتبيّن لنا الأصول المنطقيّة للمربّع السيّميائي أو المرّبع الدّلالي الذي يعدّ من أبرز معالم التّفكير السّيميائي لدى "غريماس" الذي يقيمه على ثلاث علاقات هيّ: (التّناقض، والتّضمن والتّضاد)[2]، ويمكن تمثيل هذه العلاقات للمربّع السّيميائي كما في المعجم كالآتي[3]:

---

[1]- ينظر: أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، ص21.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[3]- Voire, A.J. Grimas; j courtés; sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage paris; 1979, p 31.

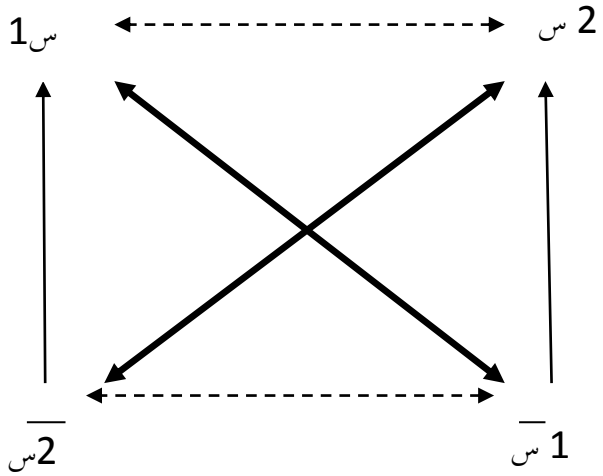

علاقة تناقض/ معارضة (Contradiction).

علاقة تضاد (Contrariété).

علاقة مكمل/ تكامل/ تضمن (Complémentarité).

ج- الجهة المعياريّة: ومحوّل منطق الجهات المعياريّة هو فعل (وجب) أو أيّ تعبير يؤدّي معناه، وهو يحدّد قول الفعل وقد انطلق المؤلّفان من جهتين متقابلتين هما: وجوب الفعل/ عدم وجوب الفعل[1].

د- جهة الحقيقة القوليّة: لقد اقترحت درجات من المعرفة وتبعا لذلك درجات من الاعتقاد وهي الحقيقة المطابقة أو العلم الصّادق والحقيقة النّسبيّة نظريّا وعمليّا والباطل والكذب (...) وعليه فإنّ الحديث عن كينونة الكينونة له الدّرجات الآتيّة[2]: (الكينونة، والظّهور، واللاّظهور، واللاّكينونة)

---

[1]- ينظر: محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ص157، 158.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص،ن.

وهو ما استثمره "غريماس" في تشكيل المربّع التّصديقي وهو كما ورد في معجم يحدّد علاقتي التّضاد بين علاقة التّناقض وعلاقة التّضمن ويتمثّل في الشّكل الآتي[1]:

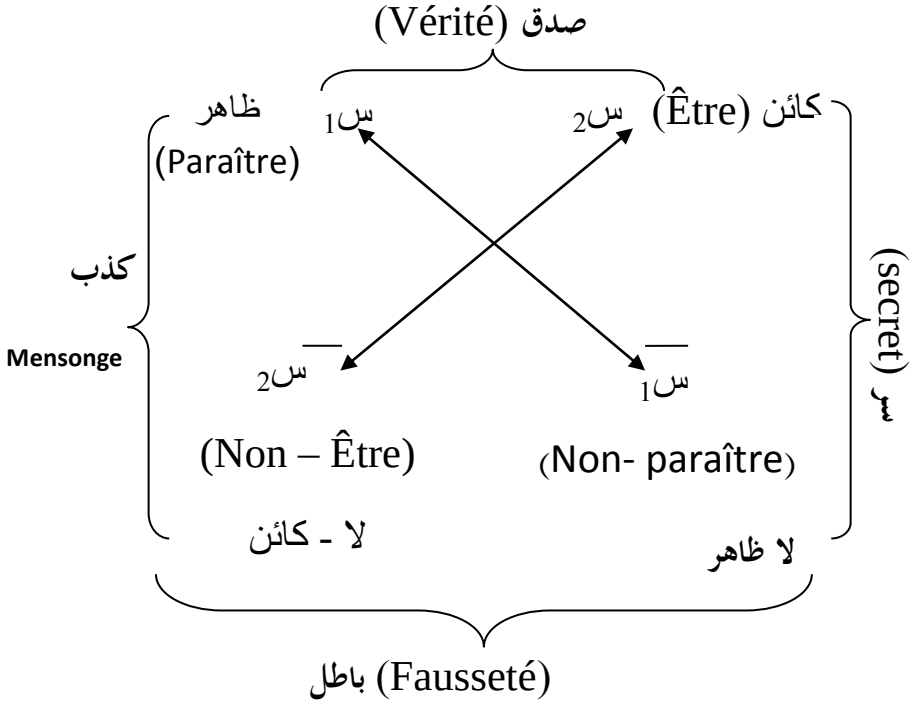

وعلى هذا الأساس نلاحظ أنّ السّيميائيّات المحايثة قد استفادت من المنطق الأرسطي في تحديد الكثير من المسائل كالعلامة، والدّلائل المنطقيّة، وتحديد المتقابلات باستخلاص مربّع التّقابل أو المربّع المنطقي

(1)– Voir, A. J. Greimas, J, courtés, sémiotique diconnaire raisonné de la théorie du langage, paris, 1979, p: 32.

الأرسطي والذي تبلور فيما بعد مع السّيميائيّة السّرديّة ليصبح المربّع السّيميائي.

وعلى العموم فإنّ مسألة الاهتمام بالمعنى والبحث عن الدّلالة لها جذور فلسفيّة ورياضيّة، فالشّكل أو الرّمز يحمل معنى ودلالة متعارف ومتواضع عليها، وبذلك تحدّد القيمة، والدّلالة المنطقيّة للرّموز والأشكال والكلمات، وحتّى الأصوات، وكما استفاد "غريماس" من فكر "أرسطو" واستفاد أيضا من فكر "نيتشه".

1-3- نيتشه: لقد استفاد "غريماس" من الفكر الفلسفي للفيلسوف "نيتشه" من بعض المسائل كفكرة (الإرادة في الفعل، والتّحول، والذّات والذّات المضادّة وفكرة الوجود) إذ أنّ "نيتشه" قد تكلّم في كتابه "إرادة القوّة" عن نظريته حول إرادة القوّة للفعل والفعل المضاد، وصراع الذّوات والقوى، وللبحث عن مدى استثمار "غريماس" لبعض المفاهيم لنيتشه نقف على المسائل الفلسفيّة الآتيّة:

1- **فكرة الإرادة في الفعل:** يقول "نيتشه" عن الإرادة مخالفا طريقة الفلاسفة: «إنّه يوجد في كلّ إرادة أولا عدد كبير من الإحساسات وأعني بها الإحساس بالظّرف (الذي نبتعد عنه)، والإحساس بالظّرف (الذي نتجه إليه) وهذا الإحساس يصاحبه إحساس عضلي مصاحب له يبدأ عمله حتّى ولو لم نتحرّك بمجرّد أن (نريد) شيئا وعلى ذلك فكما الإحساسات ينبغي أن ينظر إليها على أنّها مكوّنات للإرادة، فمن الواجب أن ينظر إلى التّفكير ثانيّا على هذا النّحو ذاته (...) إنّ في كلّ فعل للإرادة فكرة غالبة وعليه لا يمكن فصل الفكر عن الإرادة هذا وليست الإرادة ثالثا ظاهرة

مركّبة»[1]. تتألّف من إحساسات وتفكير فحسب بل إنّها وقبل كلّ شيء انفعال بل هي انفعال للأمر والسّيطرة، فما يسمّى (بحريّة الإرادة) هو في أساس أفعال الغلبة على من يتعيّن عليه أن يطيع (أنا حرّ وعليه هو أن يطيع)[2].

لقد تكلّم "نيتشه" في هذا النّص عن ثلاث زوايا للإرادة هي: (الإحساس، والفكرة، والانفعال)، فالإرادة بذلك شيء معقّد حسب النّص تتألّف من ثلاثة عناصر: (إحساسات، وأفكار، وانفعالات) فالإحساسات هي الاستعدادات للفعل أو التهيّؤ له، وقد تكوّنت بفعل العادة والأفكار هيّ ما يسيطر على الإرادة ويوجّهها، والانفعالات هي إحساسات الإرغام والضّغط والمقاومة والحركة، إنّ العنصر الأخير الذي يرتبط بفعل الإرادة هو أغرب هذه العناصر لأنّه سلسلة من الاستنتاجات المخطئة، وبالتّالي من الأحكام الباطلة عن الإرادة (...) على نحو ما فيعزو نجاح عمليّة الإرادة والقدرة على تنفيذها إلى الإرادة ذاتها، وبذلك يتمتّع بمزيد من الشّعور بالقوّة المصاحب لكلّ نجاح (فحريّة الإرادة) هي التّعبير عن الحالة المعقّدة لارتباط الشّخص الذي يمارس عمليّة الإرادة ويأمر ويرى في نفسه منفذّا للأمر في آن واحد، أي يتمتّع أيضا بالانتصار على العقبات ولكي يعتقد فيما بينه، وبين نفسه أن إرادته الخاصّة هي التي تغلب على هذه العقبات بالفعل[3].

---

[1]– ينظر: بيرمونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرج، منشورات الاختلاف، الجزائر الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص48 .

[2]– المرجع نفسه، ص 48.

[3]– المرجع نفسه، ص49.

فالإرادة تمرّ بمراحل الإحساس والفكر ثمّ الانفعال، وقد تنتهي بالحكم على الانفعال وعلى مدى المقدرة في تنفيذ الإرادة بالفشل أو بالنّجاح أليس هذا ما نجده عند "غريماس" فيما بعد حيث رسم "غريماس" للخطاطة السرديّة أطوارا تمرّ بها هي: (التّحريك، والكفاءة والإنجاز، والجزاء)، ويرى أنّ هذه الخطاطة تشتغل في ظلّ وجود هيكل عام يحددّها هو البرنامج السّردي للفعل، وكما أنّ هذا البرنامج السّردي مرتبط بمدى تحقيق الذّات الفاعلة أو المنجزة للموضوع، القيمة إذ إنّها قد تنتهي في البرنامج السّردي بالفشل أو بالنّجاح.

2- فكرة وجود الذّات والذّات المضادّة أو (صراع الذّوات):

إنّ الحديث عن وجود الذّات والذّات المضادّة هو الحديث عن فعل الذّات والفعل المضادّ للذّات «فكلّ ظاهرة في العالم هيّ على الأقل علاقة بين قوتين: إحداهما تهاجم والأخرى تقاوم والتّعبير البسيط عن إرادة القوّة هو الثّنائيّة فكلّ قوّة تدخل في صراع مع قوّة أخرى وهذا الصّراع يلقي بضوئه على كلّ القوى الأخرى إنّ الثّنائيّة هي الحدّ الأدنى فقط الذي انطلاقا منه يمكن التّفكير بمفاهيم إرادة القوة، وكلمات "نيتشه" في هذا الموضوع واضحة: (لا يمكن أن تظهر إرادة القوة إلاّ من خلال علاقة مقاومة، إنّها تبحث عن من يقاومها)، و(تبحث عن المواجهات، والصّراعات إنّها تبحث إذن، ونسبيّا عن وحدات عليا محدّدة)»[1].

[1]- بيرمونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، ص85.

والوحدة السّامية يجب «فهمها كوحدة تضمّ علاقة قوى أي هجوم ومقاومة، فعل ورد فعل، إنّ الصّورة الأكثر عموميّة لإرادة القوّة هي إذا الفعل ضدّ قوى ومقاومة هذه القوى لها (...) إنّ كلّ ظاهرة في العالم يجب اعتبارها كتعبير عن مباراة وصراع قوى بعضها ضدّ بعض، فإذا ما وجدنا وحدة في الظّاهرة، فإنّها لن تكون أبدا سوى وحدة تضمّ قوى تلعب (وتكونا لهيمنة تعني الواحد لكن لا تعني إحدى القوى)»[1].

وفي هذه المسألة سنلاحظ أنّ "غريماس" قد اعتمد في عوامل السّرد للنّموذج العاملي على وجود الذّات الذي يسعى لتحقيق الموضوع وهناك الذّات المضادّة أو المعارض الذي يسعى إلى عرقلة عامل الذّات نحو تحقيق الموضوع، ويقوم على وجود برنامج سرديّ مضادّ وعليه فإنّ "غريماس" قد استنتج وجود برنامج سرديّ لعامل الذّات نحو تحقيق الموضوع وهناك برنامج سرديّ مضادّ يحاول الهيمنة وهناك صراع بين البرامج السّرديّة حول تحقيق الموضوع، كما أنّ هناك صراعا بين الذّوات إذ نجد في نظريّة غريماس أن هناك (ذ1) تسعى إلى تحقيق الموضوع (م)، وهناك ذات (ذ2) تسعى أيضا إلى تحقيق الموضوع (م)، وهناك صراع بين الذات (ذ1) و (ذ2) حول الموضوع.

3- **فكرة التّحوّل:** لقد أشار "نيتشه" إلى فكرة التّحوّل إذ «أنّ إرادة القوّة هيّ تحوّل وقد تجلّت إرادة القوّة كتضاد لكميّة الطّاقة وكصراع لقوى

[1]- بيرمونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، ص86.

في صيرورة، لكن غرابة إرادة القوّة تنجم عن كون كميّات القوّة هذه ليست لها القيمة نفسها داخل حركتها الدائريّة الأبديّة»[1].

بمعنى أنّ هناك تغييرا وهذا ما تطرّق إليه "غريماس" في نظريّته التي تقوم على فكرة التّحوّل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، في البرنامج السّردي ولذلك يعدّ البرنامج السّردي سلسلة من الحالات والتّحولات في المسار الحكائي.

4- **فكرة الوجود:** تحتوي فكرة الوجود "ظاهرة كونيّة" على بذور كلّ الأشكال سوء التّفاهم، وتتعارض مسبقا تعارضا كبيرا مع نفي نيتشه الصّارم لإمكانيّة معرفة مطلقة (إننّا (يقول نيتشه) لا نعترف إطلاقا بحقّ التّحدّث عن حقائق بمعنى مطلق، لقد أنكرنا معرفة الأشياء كما أنكرنا الاعتقاد في المعرفة) لكن خطر الخلط مع وجود الميتافيزيقيين (الذي يفترض أيضا نظيرا ظاهراتيّا واستعمالا لمفهوم (الظّاهرة) يزداد أيضا حين يستبدل "نيتشه" هذه الثّنائيّة القديمة، وجود/ ظاهر، أو وجود/ ماهيّة الوجود، وبالفعل فإنّه يثبت أنّ الظّاهر (هو الحقيقة الفعليّة والوحيدة للأشياء) لا يتردّد في إعطائه هذا الاسم الآخر: (الذي هو بالتّحديد إرادة القوّة، وهو اسم تمّ تحديده انطلاقا من البنية الباطنيّة من إرادة القوّة لا من طبيعتها المتحوّلة والمستعصيّة والمائعة).

إنّ مجرّد القدرة على إعطاء إرادة القوّة اسما هو أمر يتوافق مع تحديدها كبنية باطنية أهمّ من الظّاهر، ومع تحديدها أخيرا كبنية منتجة للظّاهر[2]. تشير إرادة القوّة هنا إلى مفهوم الوجود كما أنّها تشير إلى البنية

---

[1]- ينظر: بيرمونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، ص180.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص66.

الباطنيّـة العميقـة، وعلـى البنيـة السّـطحية أو الظّـاهر وهـيّ مسـألة قـد أشـار إليهـا اللّسـانيون فـي البحـث حـول علـم اللّغـة انطلاقـا مـن الكلمـة فالصّـوت هو ما استفاد منه "غريماس".

وكما استفاد "غريماس" من فكر "أفلاطون" ، و"أرسطو"، و"نيتشه" استفاد أيضا من بعض التّيارات الفلسفيّة، كالفلسفة الذرائعيّة والظّاهراتيّة:

1-4- الفلسـفة الذرائعيّـة: ومـن الفلسـفة المعاصـرة الفلسـفة الذرائعيّـة أو البرجماتيّـة وهـي اتّجـاه ظهـر فـي أمريكـا تميّـز بجملـة مـن الملامـح أهمّهـا إعطـاء الأولويّـة للفعل علـى النّظريّـة، والدّفـاع عن الحريّـة وتثمين العلم والتّقنيّـة والإيمـان بقيمـة الاستكشـاف والبحـث، تأسّـس فـي أواخـر القـرن التّاسـع عشـر مـن قبـل "شـارل سـندرس بـورس" (1852- 1914) و"وليـام جيمس" (1842-1910)، و"جـون ديـوي" (1859- 1952)[1]، (...) ولعـل الصّـلة الوثيقـة التـي تجمـع بـين البرجماتيّـة كمـا أسّـسها "بـورس" بوصـفها منهجـا وفعـلا، وعلـم العلامات يقول "موريس": (إذا كان مصطلح العلامـة أو السّيميائيّة مقبولا كاسم للدّراسـة العامّـة للعلامـة، فإنّـه سينتج عن وجهـة النّظـر القائلـة بأنّـه تجد علاقـة جوهريّـة بـين المعنـى والفعـل، وتطـوير العلاقـة ذاتهـا كنظريّـة فعليّـة سـلوكيّة) وبذلك أصبحت البرجماتيّة فلسفة تقوم على أساس الدّلالة السّلوكيّة[2].

---

[1]- الزاوي بغورة، العلامـة والرمـز فـي الفلسـفة المعاصـرة (التأسـيس والتجديـد)، مجلـة علـم الفكـر، السـيميائيات، إصـدارات المجلـس الـوطني للثقافـة والآداب، الكويـت العـدد03 المجلد35، مارس 2007، ص99.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص100.

لعلّ الاهتمام بالفعل والحركة السّلوكيّة والكشف عن الدّلالة والمعنى لهذه الحركة هي مسألة اهتمّت بها السّيميائيّات المحايثة بتتبّع أطوار فعل التّحوّل في المسار السّردي وكذا الكشف عن المعنى بالانتقال من البنية السّطحيّة إلى البنية العميقة.

1-5- الفلسفة الظّاهراتيّة: وهي اتّجاه فلسفي معاصر «يعتبر الفيلسوف الألماني "إدموند هوسرل" (1859- 1938) مؤسّس هذا التّيار ومعه "ماكس شيلر" (1874- 1928)، ولقد شكّل تلامذة "هوسرل" تيارات متنوعة داخل هذه المدرسة تزعّمها في ألمانيا "هيدجر"، و"ياسيرس"، و"جادمر"، وفي فرنسا "سارتر"، و"مارسل"، و"ميرلوبونتي"، وانتشرت في أرجاء العالم»[1]، وتقوم الظّاهراتيّة على دراسة الخبرة الحسّية من زاوية وعي الفرد بها معنيّة بالظّاهرة فهي طريقة للبحث، والكشف، وهي فلسفة تعتمد النّظريّة التي تقول بأنّ المعرفة محصورة في الظّواهر الماديّة والعقليّة ولا تفهم الظّاهرة إلاّ من خلال مداخلتها مع ظواهر أخرى، وكأنّ الذّهن لا يدرك سوى الظّواهر لذا كانت هي منهج الكشف عن أصحابها[2].

فهي تبحث في الكشف عن الظّواهر وتثبيت الأشياء «فالظّاهراتيّة منهج في الوصف واللّغة ومنها العلامة هي وسيلة الفكر في عمليّة الوصف

---

[1]- ينظر: الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد) ص113.

[2]- ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب د ط، 2002، ص482.

على أنّ العلامة في الفلسفة الظاهراتيّة تتّصل اتّصالا جوهريّا بمسألة المعنى (...)، وبالتّالي فإنّ المسألة الأساسيّة في الفلسفة الظّاهراتيّة ليست مسألة "الكوجيتو" أو ماذا يعني الفكر ولكن مثلما بيّن ذلك (بول ريكور) إنّها مسألة معنى المعنى أو كما قال: (إنّه لمن الأهميّة أن نلاحظ أنّ السّؤال الفينومينولوجي الأساسيّ هو: معنى المعنى؟)»[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ الفلسفة المعاصرة سواء الذرائعيّة التي تبحث في دلالة الفعل والسّلوك الإنساني أو الظّاهراتيّة التي تسعى للكشف ووصف الظواهر والأشياء والبحث عن المعنى من خلال إدراك العقل أو الذّهن البشري للوجود فإنّه يمكن القول إنّ الرّؤية الفلسفيّة للعلامة تمهيدا لما وضحه "بورس" و"دو سوسير" حول العلامة اللّغويّة وما ستقوم عليه السّيميائيّة من البحوث حول المعنى ودلالة الملفوظات والأفعال، ولعلّ الذي طوّر (علم العلامة) هو "غريماس"، وذلك عندما نشر كتاب (الدّلالة البنيويّة) حيث قدّم فيه العناصر الأوليّة للسّيميائيّة السّردية[2].

1-6- التّأصيل الفلسفي لسيميائيّة الأهواء:

تتقاطع السّيميائيّة الحديثة مع علوم ومعارف متعدّدة ومتنوّعة إنّها ركام ثقافي اقتات من موائد العلوم السّابقة كالفلسفة، وعلم الاجتماع

---

[1]- ينظر: الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد) ص113، 114.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص104.

واللّسانيّات، وعلم النّفس، هذا الأخير الذي استفادت منه السّيميائيّة في الكثير من الجوانب، إنّ الجذور الأولى لعلم النّفس تعود إلى ما قبل الميلاد حيث كان يعتبر فرعا من الفلسفة يهتمّ بدراسة الرّوح إلى أن جاء "أفلاطون" وقال بأنّ أفكار الإنسان تؤثّر في سلوكه وأنّها منفصلة عن الجسم ومع "أرسطو" عرف علم النّفس تطورا علميّا حين رأى أنّ الحالات النّفسيّة ما هيّ إلاّ نتيجة لحالات جسميّة كما أنّه صاغ قوانين في تداعي المعاني سادت علم النّفس أكثر من عشرة قرون[1].

وبذلك فقد شغلت الأهواء الفلاسفة قرونا عديدة بدءا "بأفلاطون" (Phlaton)، وانتهاء "بهيجل" (Hegel) ومرورا "بتوماس الأكويني" (T.d'Aquin)، و"فيفيس" (Vives)، و"ديكارت" (Descartes) و"سبينوزا" (Spinoza) و"لوك" (Locke)، و"دافيد هيوم" (D.Hume) و"لايبنيز" (Leibniz)، و"كانط" (Kant) بيّن "أفلاطون" في أسطورة الكهف أنّ العقل محتاج إلى الهوى لإثبات ذاته[2]، فهناك علاقة بين الإدراك في الذّهن والشّعور أو العاطفة كالشّعور بالخوف من مثير خارجي مثلا، ويقول" أفلاطون" مفتتحا (الجزء الثاني) من كتاب (القوانين): (إنّ أوّل مظاهر الضّمير لدى الطّفل إنّما هو الشّعور باللّذة والألم، ولذلك هو المجال الذي تكتسب فيه النّفس

---

[1]– ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 273.

[2]– محمد الداهي، سيميائية الأهواء، مجلة (عالم الفكر السيميائيات وتحليل الخطاب) جامعة وهران، الجزائر، منشورات الأديب، ع2، 2006، ص214.

لأوّل مرّة الفضيلة والرّذيلة). وهكذا فإنّ" أفلاطون" بعد أن أبرز الإحساس باللّذة والألم بوصفهما إحساسين أوّليين عند الإنسان ربط بهما مفاهيم (الفضيلة) و(الرّذيلة) و(التّربيّة)، وقد عرّف الفضيلة بأنّها ارتباط اللّذة مع الحبّ والألم مع الكراهيّة في النّفس على النّحو الصّحيح أمّا التّربيّة فرأى أنّها التّعامل الصّحيح مع تلك المشاعر، ذلك التّعامل الذي يُعلم المرء أن يكره ما يجب أن يكرهه، ويحبّ ما يجب أن يحبّه، وأبرز "أفلاطون" في الفن طبيعته التّمثيليّة وارتباطه بغريزة اللذّة[1]، فقد حددّ "أفلاطون" مفهوم الفضيلة والرّذيلة والتّربيّة انطلاقا من وجود عنصرين هاميّن هما: (اللّذة، والألم).

وكما تكلّم "أفلاطون" عن النّفس في مواطن أخرى حيث «يعتمد (علم النّفس) "أفلاطون" على تقسيم النّفس إلى ثلاثة أجزاء مكوّنة هي: (النّفس العاقلة، والنّفس الغضبيّة، والنّفس الشّهوانيّة)، وهذا التّقسيم مستوحى في أساسه من تقسيم الحياة الاجتماعيّة في الدّولة – المدينة لقد طبّق "أفلاطون" على مفهوم (النّفس) مبدأ التّماثل مع المجتمع وهذا ما جعله لا يتوقّف عند تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء بل دفعه أيضا إلى أن يزعم أنّ هذه الأجزاء تتفاعل فيما بينها تفاعلا، يشبه ذلك الذي يحدث بين الفئات الاجتماعيّة فهيّ عنده تتّصف بالحركيّة وبسيطرة أحدها على الآخر وبالتّنافس ولذا كان (التّوازن) في نظره شرطا ضروريّا لحياة النّفس حياة ناجحة

---

[1]– ينظر: فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة عالم الفكر في الأدب والنقد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 25 العدد 03، 1997 ص 206.

ومن هذا الموضع الجديد في نظرته إلى ماهيّة النفس عاد "أفلاطون" في الجزء العاشر من (الجمهوريّة) إلى مناقشة الدّور التّربوي لفنّ الشّعر»[1]، بمعنى أنّ التّقسيم الثّلاثي للنّفس عند "أفلاطون" يبيّن ثلاث زوايا جوهريّة محدّدة للطّبيعة البشريّة، فإذا افترضنا طغيان زاوية على الزّوايا الأخرى فإنّها تحدّد الشّخصيّة هل هي عاقلة متّزنة بالحكمة أو هي عنيفة غاضبة أو هي شهوانيّة لكن "أفلاطون" يرى أنّ النّفس البشريّة تمتزج بين هذه الزوايا كونها تتفاعل في الذّات محدّدا التّوازن بين درجات هذه الزّوايا فتتحدّد من خلاله توازن الشّخصيّة السّويّة، ويمكن توضيح زوايا "أفلاطون" كما في الشّكل الآتي:

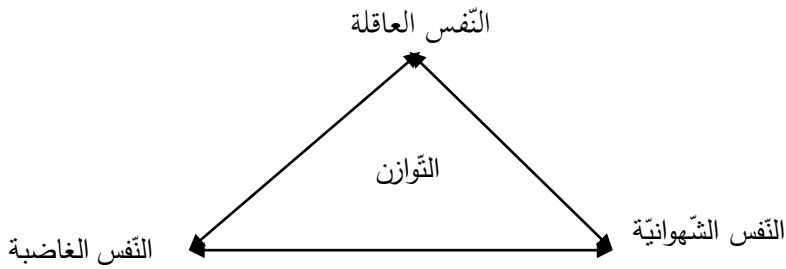

اهتّم "أرسطو" أيضا بمسألة الأهواء حيث أبرز «أنّ الأهواء تلعب دورا مهمّا في الكشف عن الاختلافات البشريّة وتضعيف الوعي إلى كينونتين تتزعان إلى التّوافق أو التّعارض»[2]، أمّا الفيلسوف "نيتشه" فإنّه يباشر «هذا الموضوع بطريقة متميّزة في ردّ إرادة القوّة إلى مؤثّر أوّلي

---

[1]– فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، ص205.

[2]– محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص214.

أو بدئيّ يشدّ المؤثّرات إلى انفعال أساسيّ حيث تتجذّر الأحاسيس إلى حدث فريد يضع في الحسبان كلّ الوقائع البسيكو- فيزيقيّة كنزواتنا وإحساساتنا وإرادتنا وفهمنا ويردّها إلى ألم أو معاناة تنحدر منها كلّ التّغيّرات وإلى رغبة أساسيّة تنحدر منها كلّ رغباتنا لقد كان "نيتشه" في كلّ مرّة يستخلص من المتعدّد (الرّغبات والعواطف، والانفعالات، والوقائع، والغرائز) مفردا يبدو أنّه هو أساس المتعدّد الوحيد في كلّ واحدة من هذه الحالات، تتعيّن الإرادة بطابع المفرد: (الرّغبة، والألم، والعاطفة، والإحساس)»[1].

فتتعاضد هذه العواطف والأحاسيس لتشكيل إرادة الذّات، وقبله طرح الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" «قضيّة العلاقة بين (العقل، والجسم) وقال بأنّهما شيآن متمايزان كلّ التّمايز أمّا (الصّلة بينهما فهيّ تفاعل ميكانيكي يحدث في الغدّة الصنوبريّة في المخّ)، وبحديث "ديكارت" عن العقل وتميز الإنسان به أخذ الباحثون يهتمّون بظاهرة الشّعور فيدرسون جميع الخبرات والحالات الشعوريّة كالتّفكير، والتّذكر والانفعال، ومنهجهم في ذلك هو التّأمل الباطن»[2] ومع "ديكارت" والفلاسفة المعاصرين تغيّرت وضعيّة الإنسان بسبب وجدانيّته وفردانيّته (فالهوى ما هو إلاّ ما تتحمّله الرّوح في الجسد الذي تتحدّ به) ويتشخص هذا المفهوم في فكر "هوبز" (Hobes) لكونه الطّبيعة في الطّبيعة

---

[1]- بيير مونتيبيلو، نيتشه وإرادة القوة، ص74.

[2]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص273، 274.

الإنسانيّة ويرتبط الهوى عند "كانط " بنمط تحقيق الذاتيّة ولذلك لا يتجسّد من خلال الإحساس بالألم أو المتعة وإنّما بوصفه قدرة على الرّغبة[1].

وبذلك اهتمّ الحقل الفلسفي بمسألة الأهواء وإن اختلفت زوايا نظر الفلاسفة إلى هذه المسألة من "أفلاطون" و"نيتشه" و"أرسطو" و"ديكارت" و"كانط" وغيرهم من الفلاسفة المعاصرين وتباينت الدّراسات إلاّ أنّها تشترك كلّها وتقوم على وجود نواة جوهريّة هي النّفس البشريّة.

فكانت النّفس ومسألة الهوى والشّعور من قضايا اهتمام الفلاسفة والباحثين المحدثين في علم النّفس، وعلم الاجتماع والسّيميائيّات هذه الأخيرة التي نهلت من التّفكير الفلسفي ما يؤسّس المفاهيم السّيميائيّة، سواء في سيميائيّة العمل أو في سيميائيّة الأهواء التي سنحدّدها في هذا الفصل من الدّراسة.

2- الرّافد اللّساني:

وكما قامت السّيميائيّة على التّيار الفلسفي، فقد استوحت «السّيميائيّة المحايثة تصوّراتها من اللّسانيّات البنيويّة وبخاصّة لدى "دو سوسير" و"هيلمسليف"، و"تنيير"، وقد تجلّت الملامح الأولى لهذه السّيميائيّة مع مبحث "مبادئ السّيميائيّات" لـ: "بارت "عام (1964) حيث فتحت المجال لامتحان صلاحيّة هذه المفاهيم على اقتحام ما هو خارج النّسق اللّساني حتّى تتحوّل

[1]- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص214.

إلـى أدوات إجرائيّـة»[1]، وهـو مـا دفعنـا إلـى الوقـوف علـى بعـض المفـاهيم التـي اهتمـت بهـا اللّسـانيّات البنيويّـة والتـي حاولـت السّـيميائيّة فيمـا بعـد بلورتهـا كأدوات إجرائيّة لتحليل النّص السّردي.

2-1- تصوّر دو سوسير:

حدّد "دو سوسير" ملاحظات متتابعة في درس مقدّم من جنيف نوفمبر (1891) متعلّقـة بمبـادئ أوليّـة جمعـت فـي (دروس فـي اللّسـانيّات العامّـة) فـي (1910- 1911) وهـي ملاحظـات أوليّـة بـيّن فيهـا الاخـتلاف بـين اللّغـة واللّسـان[2]، وحتّـى الكـلام فـي الخطـاب يبـيّن مـا هـو اجتمـاعي وفـردي ومـا هـو أساسي وآخر ثانوي[3].

وتكلّـم فـي مؤلّفـه: (دروس فـي اللّسـانيّات العامّـة) عـن قضـايا وأفكـار تعتبـر «أسـاس علـم اللّغـة الحـديث والمعاصـر والمتمثّلـة فـي بعـض النّظريّـات المحقّقـة فـي أنّ اللّغـة شـكل وليسـت مـادّة -جـوهرا- هـيّ آليّـة معقّـدة (...) أمّـا عـن تصـوّراته فنجـدها تكمـن فـي جملـة مـن الثّنائيّـات مثـل: (اللّغـة/ الكـلام

---

[1]- ينظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص79.

[2]-Voir, Johanns fehr, Saussure entre linguistique et sémiologie presses universitaire de France, 2000, p: 50, 51.

[3]-Voir, Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale Editions Talantikit, Béjaïa, 2002, p: 20.

الآنيّة والزّمنيّة، والعلاقات النّظميّة، والعلاقات الاستبداليّة، الصّوت والمعنى»[1] ولقد استفادت السّيميائيّة من تصوّر "دو سوسير" خاصّة فيما يتعلّق بثنائيّة «اللّغة والكلام، والدّال والمدلول، والوحدة والاختلاف»[2].

- **اللّغة والكلام:**

ومن المفترض أنّ اللّغة ضروريّة من خلال الكلام ذلك سواء المدرك (المسموع) أو المنتج (الملفوظ) وهذا الالتزام نحو اللّغة ثابت تاريخيّا في فعل الكلام المتقدّم[3]، بمعنى أنّه هناك علاقة بين اللّغة والكلام في عمليّة التّلفّظ وثبوتها تاريخيّا في التّواصل الاجتماعي إلاّ أنّ هناك فرقا بين اللّغة والكلام حيث اعتبر "دو سوسير" اللّغة نسقا للتّواصل بشكل مجرّد ومتعال عن الفرد إذ إنّها تشبه خزينة قد وضعتها ممارسة الكلام في الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة واحدة، أو قل إنّ اللّغة عبارة عن نسق من القواعد النّحويّة الموجودة بالقوّة في كلّ دماغ أو بالضّبط في أدمغة مجموعة الأفراد، لأنّ اللّغة توجد عند كلّ فرد ناقصة، ولا توجد كاملة إلاّ عند الجمهور[4]، وعليه «فاللّغة إذن منظّمة عرفيّة ترمز إلى نشاط المجتمع وهذه المنظمّة تشتمل على عدد

---

[1]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008، ص09.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

[3]–Voir, Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale Editions Talantikit, Béjaïa, 2002, p: 26.

[4]– ينظر: عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008 ص43.

من الأنظمة يتألّف كلّ واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التّنظيميّة أو "المباني" المعبّرة عن هذه المعاني»[1] وبذلك فاللّغة مؤسّسة اجتماعيّة ونتاج جماعي أمّا الكلام إنتاج فردي وعمل واللّغة حدود هذا العمل والكلام سلوك اللّغة، واللّغة معايير هذا السّلوك، والكلام نشاط واللّغة قواعد هذا النّشاط، والكلام حركة واللّغة نظام هذه الحركة[2] وعليه «فالكلام هو فعل فرديّ نابع من الإرادة والذّكاء إنّه تأليفات من خلالها يستخدم المتكلّم سنن اللّسان بغرض التّعبير عن فكره الشّخصي»[3]، واللّسان هنا هو «الأداة الوحيدة التي عبرها نعقل الكون ونحوّله من مجرّد معطيات حسيّة بلا نظام كون يعقل من خلال كيانات أخرى من المفاهيم»[4]، (...) «فاللّسان يمكن النّظر إليه باعتباره نسقا من العلامات الموجودة خارج إرادة الذّات المتكلّمة فهو إنتاج ما يسجّله الفرد سلبيّا، وبذلك فهو المخزون من الكلمات والقواعد السّابقة في الوجود على الفرد»[5]، وبذلك فاللّسان بهذا الاعتبار «ظاهرة اجتماعيّة ذهنيّة هي الوضع الذي تمّ الاصطلاح

---

[1]– تمام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، ط1، جوان 1984، ص54، 55.

[2]– ينظر: تمام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر: عبد السلام المسدي اللسانيات من خلال النصوص، ص 53.

[3]– دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص– صورة)، تر: عبد الحميد بورايو ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995، ص72.

[4]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء المغرب، منشورات الزمن، دط، 2003، ص40.

[5]– ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 46.

عليه في مجتمع من المجتمعات، ويقابله الكلام التّأديّة الفرديّة أو الجماعيّة للّسان وخاضع لعوامل عدّة اجتماعيّة ونفسيّة وتاريخيّة إلى غير ذلك من العوامل المؤثّرة»[1]، أمّا بالنّسبة للكلام فهو «نتاج فردي كامل يصدر عن وعي وإرادة ويتّصف بالاختيار الحرّ وحريّة الفرد النّاطق تتجلّى في استخدامه أنساقا للتّعبير عن فكره الشّخصي (...)، فالكلام يولد خارج النّظام، وضدّ المؤسّسة لأنّه السّلوك اللّفظي اليومي الذي له طابع الفوضى والتّحرّر»[2]، وبذلك فهو نتاج فردي متعلّق بالفرد عكس اللّغة نتاج جماعي والكلام هو معادل لمفهوم الخطاب لذلك استمدت منه السّيميائيّة كونه يشكّل جملة لغويّة كبرى تحمل معنى، ولعلّ توضيح الاختلاف بين اللّغة واللّسان والكلام، يمهّد نحو تحديد ثنائيّة أخرى هي محور الاستبدال (الاختيّار) ومحور العلاقات المركبية (التّوزيع) كيف يمكن اختيار مفردات أو استبدال أخرى ونظامها على مستوى خطيّ، وتوزيع نظامها بشكل معين لتحديد المعنى وهذه من المسائل التي تكلّم عنها "سوسير"، فاختيارنا مثلا للعلم الوطني الجزائري من بين مجموعة من الأعلام الدوليّة وتمسكنا به بقوّة يشير ذلك إلى كلام وبوصفنا لألوان العلم الوطني من خلال جمل من الكلمات نكون أمام اللّغة وما يحمله العلم من معانٍ ودلالات في أنفسنا نكون أمام السيمياء

---

[1]– خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط 2002، ص12.

[2]– رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار عنابة الجزائر، د ط، 2006، ص71.

ومنـه فهنـاك علاقـة بـين الكلمـة والمعنـى واللّغـة والكـلام والدّلالـة فأخـذت السّيميائيّات البحث عمّا وراء اللّغة والكلام.

- **العلامة اللّغويّة:**

ومـن تصـوّرات "دو سوسـير" اللّسـانيّة "العلامـة اللّغويّـة" التـي تتشـكّل مـن وجـود «العلامـة الرّابطـة بـين الـدّال والمـدلول وهـذه العلاقـة ذات طبيعـة اعتباطيّـة، والاعتباطيّـة فـي مفهومهـا الأدنـى هـي غيـاب منطلـق عقلـي يبـرّر الإحالـة من دال إلـى مدلول، فـلا وجـود لعناصـر داخـل الدّال تجعلنـا ننتقل آليّا إلى المدلول، فالرّابط بين هذين الكيانين يخضع للتّواضع والعرف والتّعاقد»[1].

وهذا الطّابع المزدوج هو ما يميّز العلامة اللّغويّة، وبذلك فإنّ «العلامة (Signe) فـي نظـر "دو سوسـير" توّحـد بـين المفهـوم أو الصّـورة الذّهنيّـة (Concept)، والصّـورة الصّـوتيّة أو السّـمعيّة (Image acoustique) لا بـين شـيء واسـم، فالصّـورة السّـمعيّة ليسـت الأصـوات الماديّـة بخصائصـها الفيزيائيّة، وإنّما هي البصمة النّفسيّة للصّوت»[2]، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

---

[1]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص51.

[2]– نـور الهـدى لوشـن، مباحـث فـي علـم اللغـة ومنـاهج البحـث اللغـوي، المكتـب الجـامعي الحديث، الأزاريطة، الاسكندرية، دط، 2006، ص319.

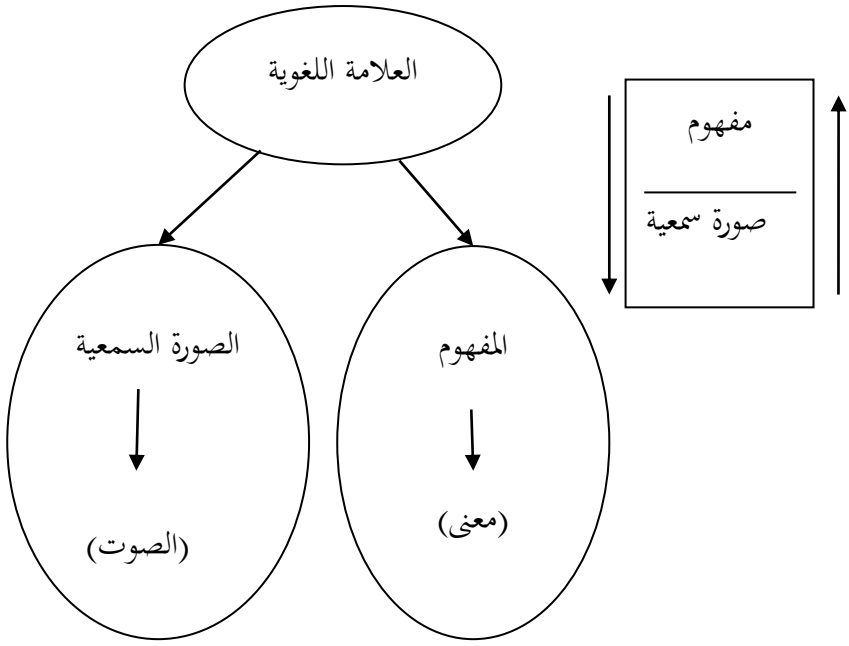

وتوضّح هذه الخطاطة أنّ العلامة اللّغويّة تتكوّن من عنصرين هامّين هما: (المفهوم، والصّورة السّمعيّة)، فهيّ «وحدة النّظام والعنصر اللّساني الذي يتكوّن من صورة سمعيّة ومفهوم، ويبقي "دو سوسير" مصطلح (العلامة) للدّلالة على الكلّ وتعويض (المفهوم أو الصّورة الذّهنيّة) و(الصّورة السّمعيّة أو الصّوتيّة) بلفظي الدّال والمدلول (Signifié/ Signifiant)[1]، كما يمكن أن يكون للدّال مجموعة من الدّوال والمفاهيم المتعدّدة وبذلك استفادت السّيميائيّات المحايثة من (العلامة) إذ انطلقت من دلالة الكلمة في الجملة إلى الخطاب كجملة كبرى، وذلك باعتباره كلا دالاّ يبحث عن مدلولاته المختلفة والمتضمّنة في أغواره.

---

[1]– ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص319 .320

- **مبدأ الاختلاف:**

يرتكز المحلّل السّيميائي في دراسة ووصف الأشكال الدّاخليّة لدّلالة النّص على مبدأ الاختلاف (Différence)، الذي أرسى قواعده "ف. دو سوسير" واستعمله للدّلالة على أنّ المفاهيم المتباينة تكوّن معرفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها وإنّما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنّظام[1]، حيث يتمّ إدراك وفهم معنى اللّفظ من خلال وجود الضّديد له «فلا وجود للمعنى إلاّ مع الاختلاف وهو المبدأ الذي توجته الدّلاليّة كمسار لها للبحث في تطوّر الدّراسات البنيويّة»[2].

ولقد بَلورَ "غريماس" هذا المبدأ داخل تصوّر جديد يقتضي فيه الاقتراب من المسألة الدّلاليّة لاستيعاب الاختلافات المنتجة للمعنى دون الاكتراث لطبيعتها في إطار بنية تدرك بحضور عنصرين على الأقل تربطهما علاقة بطريقة أو بأخرى[3]، وكما استفاد "غريماس" من مبدأ الاختلاف في تشكيل المربّع السّيميائي الذي يقوم أيضا على مبدأ التّقابل الأرسطي فالمربّع السّيميائي مبني على تمثيل الوحدات الدّلاليّة (كالموت والحياة) فإدراكنا لمعنى الكلمة يستخلص من المضاد لها، وأيضا استثمره "غريماس" في بلورة التّباين والاختلاف في الكلمات في النّص السّردي بالمقابل وجود

---

[1]– ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر الجزائر، دط 2000، ص10.

[2]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص10.

[3]– رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السرية، ص10.

التّشاكل في الكلمات والذي اهتم به السّيميائيّون فيما بعد خاصّة «فرانسوا راستي" الذي ارتبط اسمه بمفهوم التّشاكل السّيميائي»[1].

2-2- تصور لويس هيلمسليف:

استفادت السّيميائيّة من بعض المفاهيم والمصطلحات السّائدة في الحقل الألسني منها ما تطرّقنا إليه عند "دو سوسير" ومنها مصطلحا التّعبير والتّضمين أو التّعبير والمحتوى عند "هيلمسليف"، وهما عند "دو سوسير" بمفهوم الدّال والمدلول. فكيف استثمرت السّيميائيّة السّرديّة هذين المصطلحين؟.

- **التّعبير والمحتوى:**

يعدّ كلّ من التّعبير والمحتوى «من المصطلحات الشّائعة في الدّرس النّقدي الحديث، كون كلّ نظام سيميائي يحتوي على صعيدين مختلفين صعيد التّعيين وصعيد التّضمين أو صعيد العبارة وصعيد المحتوى، وإنّ أوّل من تنبّه إلى هذه الثّنائيّة في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة "هيلمسليف"، وذلك سنة (1940) حيث نقد نظريات (براغ) وعدّها نظريّات تهتمّ بالجانب الشّكلي من اللغة فقط، لذلك وضع لسانيات جديدة سماها (كلوسيماتيكيّة) (Glossématique) وحمل معها إلى النّظريّات السّيميائيّة المستقبليّة مضمونا

---

[1]- عبد المجيد عابد، "السيميائيات الجذور والامتدادات"، http://www.Atida,org/fowms/showthead php:.

مزدوجا، هو التّعيين والتّضمين أو التّعبير والمحتوى هذا المضمون الذي سيتمّ الاهتمام به بعد عشرين سنة من طرف "رولان بارت" خاصّة»[1].

وقد بحث "هيلمسيلف" عن طبيعة العلاقات التنافسيّة التي يتشكّل منها النّص أو الخطاب من خلال مفهوم التّعبير والمحتوى «فيحدّدهما في كتابه "مقدمة لنظريّة في اللّغة" (Prolégomènes à une théorie du langage) باعتباره (مركب دال/ مدلول) أو في كل نظام من أنظمة التّعبير والتّواصل والتّضمين كنظام ثان من الفهم الإيديولوجي والتّاريخي والاجتماعي)»[2]. ويمكن توضيح العلامة كالآتي[3]:

جوهر (Substance)

شكل (Forme) **المحتوى** (Contenu)

شكل (Forme) **التعبير** (Expression)

جوهر (Substance)

ولعل هذه من أهم منجزات "هيلمسيلف" إدخال المفهومين الجديدين الآتيين إلى البحث اللّساني وهما: التّمييز بين التّعبير (Expression) والمحتوى (Contenu)، والتّمييز بين الشّكل (Forme)، والجوهر

---

[1]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص199.

[2]– المرجع نفسه، ص199.

[3]– Voir, Umberto Eco, Le signe, Éditions labor, 1998, p: 119, 120.

(Substance)»[1]، ويتمّ التّمييز انطلاقا من وجود (المحتوى) وهو فهم معنى الكلمة انطلاقا من علاقتها بالكلمات المجاورة أو المدلولات الأخرى، و(جوهر التّعبير) وهيّ الأصوات اللّغويّة في الكلمة، و(شكل التّعبير) وهو القاعدة التّركيبيّة أو الجانب النّحوي والصيغي للكلمة.

وكما اهتم "هيلمسيلف" بتحديد الوظيفة السّيميائيّة باعتبارها نسبة يقيمها تعاقد عرفي بين عنصر (شكل التّعبير)، و(شكل المحتوى)، فينظر إلى الكون السّيميائي بوصفه كونا مؤلّفا من الوظائف السّيميائيّة، وليس مؤلّفا من "الدّلائل"، وهذا النّموذج "الهيلمسليفي" استثمره "غريماس" في صياغته للحكاية الشّعبيّة العجيبة كما تصوّرها الباحث الفلكلوري الرّوسي "فلاديمير بروب"، وفي استخلاص بعض مستويات التي تشغلها نظريّته السّيميائيّة السّرديّة- الخطابيّة شكل النّموذج الآتي[2]:

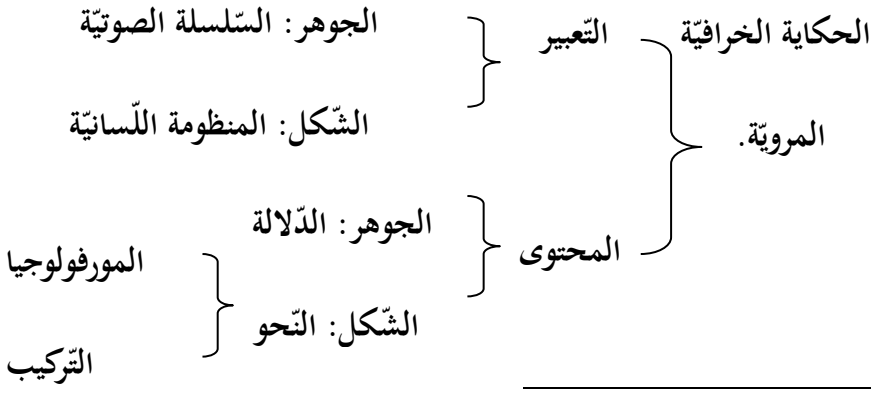

[1]- ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، ط2، دم، 2000، ص326.

[2]- ينظر: طائع الحداوي، سيميائيات التأويل الإنتاج ومنطق الدلائل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص366.

فالمحتوى هو الواقع الحيّ نفسه الذي هو موضوع التّواصل أمّا التّعبير فيشمل كلّ الوسائل التي يتمّ بها نقل كلّ المعلومات عن المحتوى وتحويلها إلى مصطلحات لغويّة، أيّ إلى لغة[1]، أمّا «الوظيفة السّيميائيّة حسب نموذج اللّسانيّات البنيويّة لإنتاج الدّلالة فهي طريقة مؤلّفة من وحدتين: مثل وضع علامة بين مخطّط التّعبير (الدّال)، ومخطّط المحتوى (المدلول)، لـ "دوسوسير" وبالضّبط بين شكل التّعبير وشكل المحتوى، ويقدّم بخصوص المخطط المعطى لإنتاج الدّلالة أو الوظيفة السّيميائيّة (Fonction Sémiotique) من قبل "هيلمسيلف" كالآتي[2]:

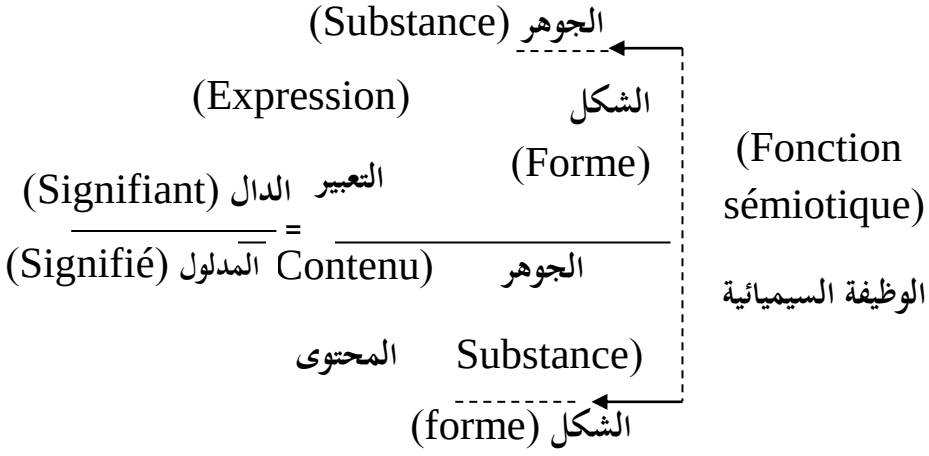

[1]– ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص327.

[2]– Voir, Nicole Everaeit Desmedt, Sémiotique du récit, Université Bruxelles, imprime en Belgique, 2000, p:86.

ويمكن أن «تتّضح أهميّة النّموذج في تداخل البنيتين العميقة والسّطحيّة والعلائق التي ينتجها المحتوى والتّعبير»[1]، ويمكن أن نحدّد ذلك في ترسيمة المستويات السّيميائيّة كالآتي[2]:

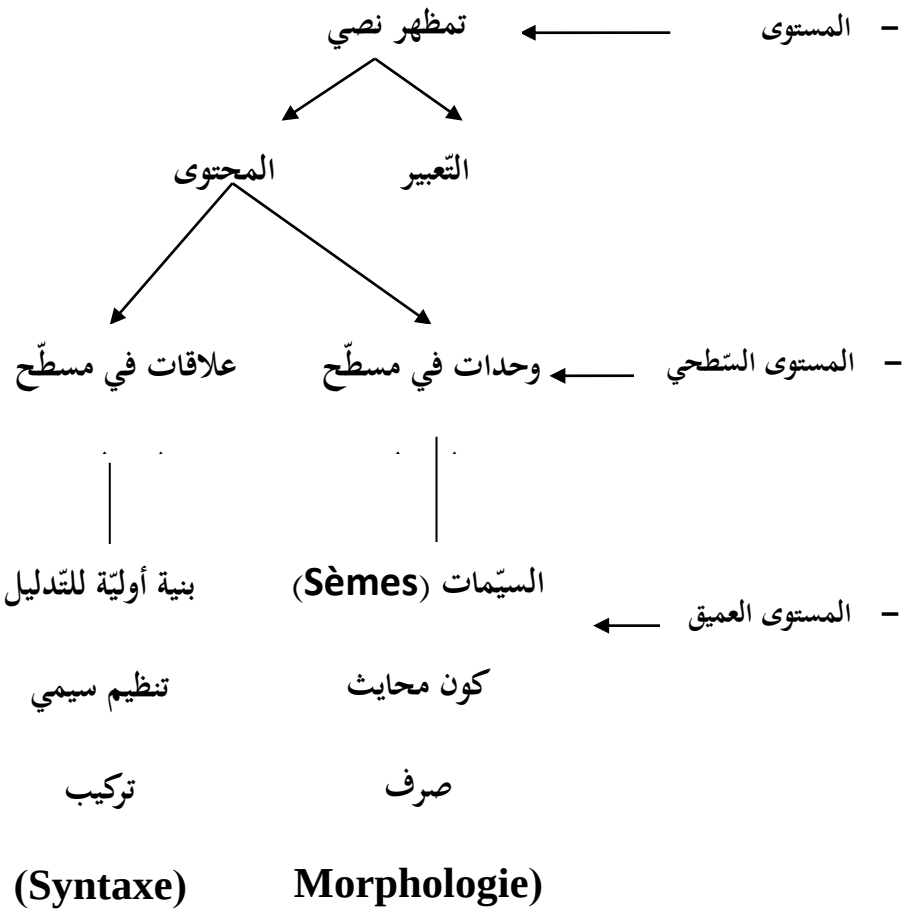

(1)– Voir, Nicole Everaeit Desmedt, Sémiotique du récit, p86.

(2)– ينظر: طائع الحداوي، سيميائيات التأويل، الإنتاج ومنطق الدلائل، ص366.

وانطلاقا من تصوّر "هيلمسيلف" لثنائيّة المحتوى والتّعبير، حدّد "غريماس" النّص السّردي بمستويين هما: المستوى السّطحي، والمستوى العميق ومنه فقد «ظل "غريماس" مخلصا للنظرة المحايثة قصد بناء مشروع علمي للمعنى كما أظهر الإمكانات لمفاهيم "هيلمسيلف" اللّسانيّة ومرونتها داخل جهاز المفاهيم السّيميائيّة، وبخاصّة أنّه بين المستويات الثّلاثة للسان وهي كالآتي:

1- **الخطاطة (Schéma):** وهي عبارة عن شكل صرف اللّسان.
2- **المعيار (Norme):** وهو عبارة عن شكل ماديّ محدّد سلفا.
3- **الاستعمال (Usage):** وهو عبارة عن جملة من العادات الخاصّة بمجتمع ما، وكان لاستبدال وجهة العلامة من الدّال والمدلول إلى التّعبير والمحتوى وتحديد الوظيفة السّيميائيّة في شكلي التّعبير والمحتوى الأثر الكبير في إضفاء الصبغة المحايثة على دراسة المعنى»[1].

- **مبدأ المحايثة:**

يعدّ مبدأ المحايثة من «أهمّ السّمات البنيويّة ومعناه في عرف المدارس البنيويّة أنّ النّص – أو الملفوظ– لا يحلّل إلا انطلاقا من خواصه الدّاخليّة فهذه الخواص هي التي تمكّن من تحديد الملفوظ باعتباره بنية مغلقة من شأنها أن توصف من حيث هي بقطع النّظر عن كلّ سيرورة تاريخيّة، ومبدأ المحايثة مرتبط بالدّراسة الآنيّة كما يحدّدها "دوسوسير" وهذا المبدأ يؤدّي إلى قطيعة نظريّة بين الملفوظ المحقّق المنتج وبين الذين ينتجونه»[2].

---

[1]– ينظر: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص81.
[2]– نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص303.

وتبنّـــى "لـــ.هيلمسيلف" (L.Hjehmslev) مبـــدأ المحايثـــة ليؤكّـــد علـى ضـرورة اسـتبعاد الوقـائع غيـر اللّسـانيّة مـن عمليّـة الوصـف والنّظـر إلى موضوع اللّسانيّات باعتباره شكلا، انطلاقا من هذا التّحديد الذي يشكّل قفزة نوعيّـة فـي الدّراسـات اللّسـانيّة، سـيعمد "غريمـاس" إلـى صـيّاغة مبـدأ المحايثـة في البحوث السّيميائيّة وفق منظورين بين المنظور الأوّل على مقولة التّصديق (Véridiction) المتمفصـلة إلـى محـوري المحايثـة (الكينونـة)، والتّجلـي (الظّاهر)[1]. وتتفرّع محصلة هذه الثّنائيّة الأساسيّة –في مرتبة أعلى– إلى أربع مقولات تظهر في المربّع التّصديقي على النّحو الآتي[2]:

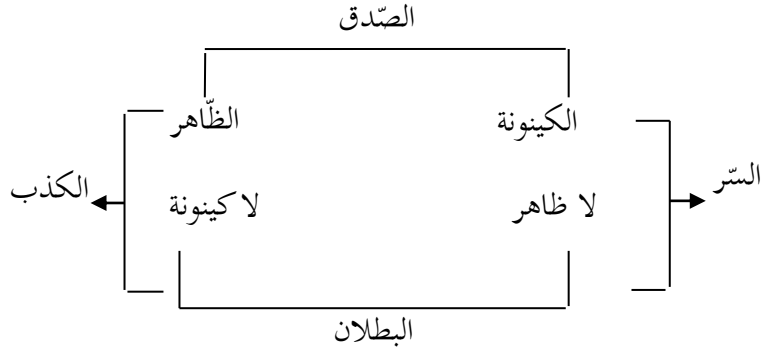

وكما يؤسّس "غريماس" المنظور الثّاني على المقابلة: المحايثة/ السّمو أيـن يمكـن أن تسـخّر علـى الرّسـم السّـردي لإبـراز تبـاين مـوقعي الفاعـل والمرسـل[3]، فالمرسـل يلعـب دور المحـرّك لـدفع الـذّات نحـو تحقيـق الإنجـاز

---

[1]– رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص09.

[2]– المرجع نفسه، ص ن.

[3]– المرجع نفسه، ص 10.

في البرنامج السّردي، فالخطاطة السّرديّة تكشف ظهور الفاعل وهو الذّات المنجزة وكينونة المرسل المحرّك المحايث في الرّسم السّردي.

وبذلك تعدّ المحايثة البحث في أغوار النّص للكشف عن معانيه الخفيّة ومنه «فالسّيميائيّة السّرديّة تأثّرت "بهيلمسليف" الذي كان يقول بضرورة دراسة اللّسان دراسة محايثة بعيدا عن كلّ العناصر الخارجيّة السّباقة إلى الاستفادة من المردوديّة المعرفيّة والتّحليليّة لهذا المبدأ في تحديد مستويات الدّلالة وأنماط تشكلها»[1]، وعليه فالمحايثة والتّجلي عنصرين هامّين في العمل السّردي في تشكيل المادّة وإنتاج الدّلالة وكما استثمر "غريماس" تصوّر "سوسير" و"هيلمسليف" فقد استفاد أيضا من تصوّر "تشومسكي" في مفهوم الكفاءة والأداء، ومن تصوّر "رومان جاكبسون" حول نظريّة التّواصل.

2-3- تصوّر تشومسكي:

يعدّ صدور كتاب "تشومسكي" (البنى التّركيبيّة) بمثابة الانطلاقة الأولى لذيوع نظريّته التي ستعرف تطورا كبيرا وستحتّل مركز الصّدارة في السّتينات والسّبعينات وكان لها ولا يزال آثار عظيمة في توجيه للأبحاث اللّغويّة وفتح آفاق جديدة في مجال تحليل اللّغات ودراسة السّلوك اللّغوي البشري[2]، وتقوم نظريّة "تشومسكي" على مجموعة من المفاهيم في البنية

---

[1]- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص166.

[2]- ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر الجزائر، دط 2002، ص104.

التّركيبيّة إذ يرى أنّ البنيويّة غير قادرة على شرح العلاقات التي يمكن أن تقوم بين مختلف الجمل فهناك بعض الجمل تشترك في الشّكل في حين تختلف من حيث المعنى مثل الجملتين الآتيتين[1]:

- كان نجاح الطّالب مؤثرا.
- كان رسوب الطّالب مؤثرا.

كما وقف "تشومسكي" على الجمل التي تحتمل شكلين مختلفين ولا يتميّز المعنى بينهما مثل:

- أحمد يحبّ فاطمة أكثر من علي.
- انتظرتك أمام باب المتحف القديم.

مثل هذا الطّرح دفع "تشومسكي" إلى التّأكيد بأنّ لهذه الجمل معنى ظاهر أي البنية السّطحيّة (superficielle Structure) ومعنى آخر وهو (المعنى المقصود العميق) البنية العميقة (profonde Structure)[2]. وهناك قوانين قد وضعها "تشومسكي" تطبّق على البنية العميقة فتتحوّل إلى البنية السّطحيّة وهي القوانين التّحويليّة «وتتميّز البنية العميقة بأنّها البنية المولدة في قاعدة التركيب وهي البنية التي تمثّل التّفسير الدّلالي للجملة والتي تتحوّل بواسطة القواعد التّحويليّة إلى البنية السّطحيّة، أمّا البنية السّطحيّة فهي نتاج العمليّة التّوليديّة التي يقوم بها المكوّن التّركيبي، ويتألّف المكوّن

---

[1]– ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص334.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص335.

التّركيبي من مكوّنيين: – مكوّن الأساس (ويرتبط بالبنية العميقة) ومكوّن تحويلي (يرتبط بالبنية السّطحيّة)»[1].

واعتمدت سيمياء السّرد "لغريماس" «على أعمال "هيلمسليف" (Hjehmslev)، وعلى قواعد "تشومسكي" التّوليديّة لترسم نوعين من البنى: البنية العميقة وهي نموذج يختزن كلّ إمكانات السّرد، والبنية السّطحيّة وهيّ صورة من هذه الإمكانات محقّقة في نص سردي»[2]، إذ أخذ مفهوم البنية السّطحيّة للنّص والتي تشتمل على دراسة المركبة الخطابيّة والمركبة السّرديّة ومفهوم البنية العميقة للنّص والتي تشتمل على دراسة المركبة المنطقيّة الدّلاليّة.

– الكفاءة والأداء:

وكما استفاد "غريماس" من مفهومي (الكفاءة، والأداء) الذي استوحاه "تشومسكي" من "سوسير" حيث «يعتمد إدراك مفهوم "تشومسكي" على فهم التّمييز الألسني الذي أشاعه "فرديناند دو سوسير" حين ميّز بين اللّغة كنظام له قواعده وأعرافه (Langue)، وبين (الكلام) أو عمليّة القول الفعليّة التي يقوم بها شخص ما (Parole) ضمن هذا النّظام اللّغوي، أي الفرق بين النّظام اللّغوي المقّعد وبين السّلوك الفرديّ حينما يمارس الفرد لغته جاء "تشومسكي" ليطلق مصطلح (القدرة/ الكفاءة) على ما أسماه "سوسير" باللغة (Langue) ومصطلح الأدائيّة (Performance) على السّلوك الفردي حينما يمارس

---

[1]– ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص336.

[2]– لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، (عربي، انجليزي، فرنسي)، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص37، 38.

شخص ما عمليّة القول والكلام»[1]. وبذلك تعتبر الكفاءة «المعرفة الحدسيّة الضمنيّة للّغة وهي القدرة على توليد الجمل وفهمها وعلى التّمييز بين الجمل النّحويّة والجمل اللاّنحويّة، "فتشومسكي" يسمّي القدرة على إنتاج الجمل وتفهّمها في عملية تكلّم اللّغة بالكفاءة اللّغويّة (Competence)، وأمّا الأداء (Performance) أو الإنجاز فهو التّجسيد المادّي لنظام اللّغة في إحداث الكلام، فهو خروج الكفاءة اللّغويّة من حيّز القوّة إلى حيّز الفعل، وهو عبارة عن الجمل التي ينجزها المتكلّم في سيّاقات التّواصل المتنوّعة»[2].

وكما قام "غريماس" بتعديل «جوهريّ في الاقتراب المنهجي من الظّاهرة اللّغويّة لمشروع "تشومسكي"، فتتجسّد الكفاءة من منظور "غريماس" بمعرفة الفعل (...) ولئن كانت معرفة الفعل حدثا بالقوّة فإنّها مستقلّة عن الفعل الذي تقوم عليه وبعبارة أخرى، إنّ الكفاءة اللّسانيّة ليست شيئا لذاته بل هي حالة خاصّة لظاهرة أشمل تدخل في إطار إشكاليّة الفعل الإنسانيّ وتؤسّس الفاعل بوصفه عاملا (Actant)، ضمن هذا التّصور المنهجي، ينظر "غريماس" إلى الأداء اللّساني على أنّه حالة خاصّة ضمن إشكاليّة عامّة تسخّر لفهم النّشاطات الإنسانيّة التي تأخذ شكلا متنوّع الخطابات»[3]، ومنه يميّز

---

[1]– ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 ص206.

[2]– ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص337 338.

[3]– ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص19.

"غريماس" بين نوعين من الأداء: الأول يستهدف امتلاك قيّم الجهة (Valeurs modales)، والثّاني يتميّز بامتلاك وإنتاج القيّم الوصفيّة (Valeurs des criptives)[1].

وبالإضافة إلى تمييز «"غريماس" الدّقيق بين معرفة الفعل والفعل فإنّه يفترض في كلّ سلوك برنامجا سرديّا مضمرا وكفاءة تضمن تنفيذه، وتعتبر الكفاءة من هذا المنظور: (كفاءة جهة يمكن أن توصف كتنظيم متدرّج الجهات)، وتتبني هذه الكفاءة على جهات الإرادة الفعل (Vouloir–Faire) وجوب الفعل (Devoir–Faire)، والقدرة على الفعل (Pouvoir–Faire) معرفة الفعل (Savoir–Faire)»[2].

وبذلك صاغ "غريماس" مفهومي (الكفاءة والأداء) ضمن أطوار الخطاطة السّرديّة، فالكفاءة هي ما تمتلكه الذّات العاملة من معرفة وخبرة وشروط نحو تحقيق الإنجاز، والأداء وهو مرحلة التّنفيذ والشّروع في الفعل أيّ طور الإنجاز، وسنفصّل في أطوار الخطاطة السّرديّة أكثر في هذا الفصل من الدّارسة.

2-4- مدرسة براغ: (تصوّر رومان جاكبسون):

تعدّ مدرسة براغ امتدادا لمدرسة الشّكلانيّين الرّوس حيث «دعا "فيلم ماتيزيوس" سنة (1926) إلى تأسيس حلقة ألسنيّة عرفت فيما بعد بـ: حلقة براغ

---

[1]- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 19.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص20.

وقد استقطبت هذه المدرسة العديد من علماء الألسنيّة الشبّان»[1]، وقد تأسّست مدرسة براغ على يد «"رومان جاكبسون" (R. Jakobson)، و"أندري مارتيني" (A. Martinet)، ومفاهيمها مستقاة من أعمال سوسير حول علم اللّغة الحديث إلاّ أنّها وجّهت اهتمامها إلى ربط الأصوات بالدّلالة والمعنى حيث كان الهدف متمثّلا في سنّ قوانين عامّة تبيّن تنظيم البنيات الأوليّة للّغة (بشكل عام) بالإضافة إلى هذا يفضّل أن تكون هذه القوانين مستنبطة بشكل منطقيّ يعطيها الطّابع المطلق»[2].

وبذلك فقد وقعت لدى مدرسة براغ إرهاصات (البنيويّة) الأولى حيث تأثّرت بمبادئ علم اللّغة عند (سوسير) وكذا الفلسفة الظّواهريّة (Phenamenology)، ومذهب الجشطالت (Gestalt) في علم النّفس واستلّت من هذه المعارف نموذجا فكريّا شاملا لتفسير الظّواهر والأفكار في مجال العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة أطلق عليه "جاكبسون" عام (1929) بمصطلح (Structuralism) أي (البنيويّة)[3].

---

[1]– فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1993، ص259.

[2]– ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، دم، 2002، ص275.

[3]– ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ص259.

ومـن مبادئهـا الأساسـيّة أنّهـا نظـام تؤكّـد علـى وظيفتهـا وغايتهـا وهمـا (التّعبيـر والتّواصـل) (...) ومـن ناحيّـة أخـرى ركّـزت مدرسـة بـراغ على ضرورة دراسة اللّغة دراسة وصفيّة تزامنيّة[1].

وكمـا يقـوم إطارهـا «الفكـري المرجعـي علـى أفكـار ثـلاث هـي: البنـاء (Structure)، والوظيفـة (Fonction)، والعلامـة (Signe)، والبنـاء يتكـوّن من أبنية صغيرة تساهم في تكوين النّظام الثّقافي الذي يرتضيه المجتمع (...) ثم إنّ أصحاب هذه المدرسة قد ذهبوا إلى كلّ عمل فنّي هو في الواقع تطبيق لشفرة جماليّة محدّدة وأمّا الوظيفة فهي تفصل بين هذه الشّفرات بعضها بعضا فـي حـين أنّ العلامـة (Signe) هـيّ عنصـر مـن عناصـر الشّـفرة فيكـون بذلك لدينا شفرات لغويّة وأخرى اجتماعيّة وثالثة ثقافيّة»[2]، ويكون التّواصل بانتقال الكلام المنتج من المرسل نحو المرسل إليه في شكل مرسلة، وهيّ كتلة نطقيّة يقوم المرسل إليه بترجمتها وتأويلها، ومنه فقد وضع "رومان جاكبسون" نموذجـا يوضّـح العمليّـة الكلاميّـة للتّواصـل مـن المرسـل إلـى المرسـل إليه كما في الشّكل الآتي[3]:

---

[1]– ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ص259.

[2]– عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، ص276.

[3]– ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ص65.

سياق

المرسل ---------- المرسلة ---------- المرسل إليه

اتصال

نظام رموز

وتتكوّن هذه التّرسيمة من ستّة عناصر هيّ[1]:

1- **المرسل:** وهو المتكلّم مصدر الرّسالة.
2- **المرسل إليه أو المستقبل:** وهو الذي يقوم بفكّ الرّموز وفهم النّص.
3- **المرسلة:** تركّز على المخزون اللّغوي الذي يختار منه المرسل ما يحتاج إليه للتّعبير ثم ينظمّه في مقولة يبثّها إلى المرسل إليه.
4- **السّـــياق:** لا تفهـم الرّسـالة أو المرسـلة إلاّ ضـمن سـيّاق نردّهـا إليه وهو ما نسمّيه المرجع.
5- **النّظـام:** ثـمّ تأخـذ المرسـلة نظامـا مشـتركا بـين الباعـث وفـاك الرّمـوز أو بين المرسل والمرسل إليه.
6- **قنـاة الاتّصـال:** لابـدّ مـن وجـود قنـاة الاتّصـال بـين المرسـل والمرسـل إليه لإقامة التّواصل.

وعلـى هـذا الأسـاس اسـتفادت النّظريّـة السّـيميائيّة مـن نمـوذج "رومـان جاكبسـون" فـي ضـبطه لعمليّـة التّواصـل مـن خـلال العناصـر السّـتة الأسـاس

---

[1]- ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون (دراسة ونصوص) ص65.

في العمليّة الكلاميّة وتحديد كلّ عنصر منها بوظيفة لغويّة تواصليّة تختلف عن العنصر الآخر، فالإشارة اللّغويّة تفهم من خلال السّياق، والمعنى لا يكمن في الكلمات فقط بل في التّواصل بأكمله، «فالرّسالة كقول لغويّ تتجّه عادة بحركة سريعة من باعثها إلى متلقيها وغايتها هيّ نقل الفكرة، وإذا ما فهم المتلقي ذلك انتهى دور المقولة عندئذ، ولكن في حالة (القول الأدبيّ) تنحرف (الرّسالة) عن خطّها المستقيم، وتعكس توجّه حركتها وتثنيها إليها إلى داخلها بحيث لا يصبح (المرسل) باعثا، و(المرسل إليه) متلقيّا، وإنّما يتحوّل (الإثبات معا إلى فارسين متنافسين على مضمار واحد، يضمنها ويحتويهما وهو القول أيّ (النّص) ويتحوّل القول اللّغوي من رسالة إلى نصّ ولا يصبح هدفها نقل الأفكار أو المعاني بين طرفي الرّسالة ولكنّها تتحوّل لتصبح هيّ غاية بنفسها وهدفها هو غرس وجودها الذّاتي في عالمها الخاص بها»[1] وتكوّن بذلك نصّا من النّصوص تتداخل وتتشابك لتؤسّس فيما بينها سيّاقا أدبيّا حتّى يصبح جنسا محدّدا كالشّعر والرّواية[2].

وبذلك أخذ "غريماس" من نموذج التّواصل لـ: "رومان جاكبسون" مسألة التّنافس بين المرسل والمرسل إليه في مضمار القول (النّص) حول الرّسالة إذ أسقط ذلك في المسار السّردي، فحدّد صراع الذّات والذّات المضادّة حول الموضوع، فالرّسالة تمثّل الموضوع المرغوب فيه بين الذّوات، «كما أنّه استفاد

---

[1]– ينظر: عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998 ص10.

[2]– المرجع نفسه، ص ن.

من مفهوميّ المرسل والمرسل إليه اللّذين استعارهما من نموذج التّواصل»[1] غير أنّ المرسل بالنّسبة إلى "غريماس" لا يبلغ المرسل إليه رسائل بل يقوم بدور تحريك الذّات نحو تحقيق الموضوع إلى المستفيد وهو المرسل إليه.

ومنه يمكن القول إنّ "غريماس" لم يتوقّف في دراسته وبحثه على الحقل الفلسفيّ فقط بل حاول أن يلمّ بالجانب اللّساني، وذلك بالغوص في المدارس اللّسانيّة والاستفادة منها خاصّة "سوسير" و"هيلمسليف"، ولعلّ البحث في الرّوافد المرجعيّة لنظريّة "غريماس" يدفعنا إلى البحث في الجانب السّردي واستجلاء الدّراسات المهمّة التي استخلص منها "غريماس" تصوّره، وهو ما حاولنا رصده في الرّافد المعرفي.

3- الرّافد المعرفيّ:

سنقف في هذا الرّافد على دراسات مهمّة لبعض من الباحثين تركوا بصمتهم في الدّراسات السّرديّة مثل: دراسة "بروب" (Propp) في مؤلّفه: (مورفولوجيّة الحكاية الشّعبيّة)، و"جورج دوميزال" و"كلود ليفي ستروس" (Strauss C.Levi) في دراسة الأساطير، و"سوريو" (Sourieau) في النّصوص المسرحيّة و"تنيير" (Tessnière) اللّساني المهتم بدراسة الملفوظ والعامل، وعليه سنحاول ضبط النّقاط المهمّة في نماذجهم الفكريّة ودراساتهم التي اندرجت ضمن الرّوافد المرجعيّة لنظريّة "غريماس".

---

[1]- ينظر: عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص -دراسة- http://www.awu.dam.org/، الخميس 2008/11/6، 10:40 سا.

3-1- تصوّر بروب (Propp):

لـم يعـرف الخطـاب السّـردي أيّـة دراسـة جديـدة تهـدف إلـى الكشـف عن أسلوب بنائـه وعن نمـط اشـتغاله إلاّ فـي فتـرة متـأخّرة وبالتّحديـد مـع بدايـة هذا القرن، ويعـود الفضـل فـي ذلـك إلـى الباحـث السـوفياتي "فلاديمير بـروب " (V. Propp)* والذي معه سيخضـع الخطاب السّردي (الحكايات العجيبة) لأوّل مرّة لدراسـة لا تقف عند حدود تعيين مواضـيعه أو تصـنيف وحداتـه بل تهدف إلى مساءلة النّص في ذاته ولذاته من خلال بنيته الشّكليّة ومن ثم فإنّها تحاول الكشف عن الخصائص التي تميّزه عن غيره من الخطابات[1]، فكان اهتمامه متمحورا في دراسة الخطابات لتحقيق أهداف لديه، حيث «كان طموح "بروب" هـو الوصـول إلـى الكشـف عـن العناصـر المشـتركة المشـكّلة للمـتن المختـار أيّ الوصـول إلـى عزل العنصـر الدّائم عن التّمظهرات المختلفة التـي لا تشكّل وفق تصوّره سوى تنويعات لبنية واحدة»[2].

---

* فلاديمير بروب (1895- 1970) فلكلوري روسـي درس الأثنولوجيا فـي جامعـة لنينغراد مـن بـين مؤلّفاتـه: الجـذور التّاريخيـة للخرافـة العجيبـة (1946)، الشّـعر الملحمـي الرّوسـي (1955)، الأعياد الفلاحيّة الرّوسيّة (1963)، أوديب في ضوء الفلكلور، ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، نشر الشركة المغربية للناشرين المتحدين ط2، دت، ص06.

[1]- ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2 2003، ص10.

[2]- سعيد بنكراد، المرجع نفسه، ص ن.

فحاول "بروب" استخلاص ما هو ثابت في دراسته للنّصوص الحكائيّة إذ «يريد استخلاص نظريّة من خلال جمعه لمائة حكاية روسيّة بغيّة رصد البيانات الشّكليّة، ونظرا لتغير الحبكات واختلاف العقد في مضامين الحكي استوجب تقسيم المادّة إلى أجزاء متعدّدة قصد التّرتيب الدّقيق الذي يعني أحد خطوات الوصف العلمي»[1]، ويعتقد كذلك "بروب" أنّ الثّابت في التّحليل يمكن إحصاؤه شبيه في ذلك ببيان الوظائف المسرحيّة الثّابتة من طرف "سوريو" في عمله بخصوص (200.000) وظيفة دراميّة (مسرحيّة) إلاّ أنّه يخصّ التّحليل الواقعي لا يبتعد أكثر عن وصف "بروب"[2].

وقد عُرف تصوّر" بروب" أكثر من خلال كتابه: (مورفولوجية* الحكاية الشّعبية) سنة (1928) في روسيا والمترجم حديثا إلى الفرنسيّة إذ طرح "بروب" أسّس التّحليل الوظيفي[3]، حيث بحث عن الثّابت والمتحوّل في النّصوص ووجد أنّ الثّابت هو الفعل والمتحوّل هي الشّخصيّة إلاّ أنّه ركّز على الثّابت دون المتحوّل، وبذلك استخلص إحدى وثلاثين وظيفة، والوظيفة

---

[1]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص20.

[2]– Voir, A, J, Greimas, Sémantique Structurale Recherche de méthode Presses Universitaire de France, 1986, p: 175.

* تعني كلمة مورفولوجيا دراسة الأشكال وفي علم النّبات تحتوي المورفولوجيا دراسة الأجزاء المكونة للنّبات وكذا العلاقات فيما بينها وبين المجموع، وبعبارة أخرى دراسة بنية النّبات وفي مجال الخرافة الشّعبيّة والفلكلوريّة نجد أنّ دراسة الأشكال وإقامة القوانين التي تسير البنية ممكنة وبنفس دقّة مورفولوجيا التشكّلات العضويّة. ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ص 17.

[3]– ينظر: دليلة مرسلي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص – صورة)، ص42.

عنده هي فعل الشّخصيّة قد حدّده من وجهة نظر دلالته في سيرورة الحبكة[1]. وللوصول إلى استنتاج مجموعة من القواعد القابلة لأنّ تشتغل كنموذج عام انطلق بروب من الفرضيات الآتية[2]:

1- إنّ العناصر الدّائمة والثّابتة داخل الحكايات هي وظائف الشّخصيّات كيفما كانت طبيعة هذه الشّخصيّات وكيفما كانت الطّريقة التي تمّت وفقها هذه الوظيفة.

2- إنّ عدد الوظائف داخل الحكاية محدود إنّه لا يتجاوز واحدا وثلاثين وظيفة.

3- إنّ التّتابع الذي يميّز هذه الوظائف تتابع واحد، إنّها تسير وفق نمط معيّن في كلّ الحكايات.

4- كلّ الحكايات العجيبة تنتمي إلى النّوع نفسه من حيث بنيتها ويمكن ترجمة هذه الفرضيّة في صيغة أخرى، إنّنا أمام حكاية واحدة ببنية واحدة.

وكما حاول "بروب" تصنيف وظائف الشّخصيات في شكل مجموعات صغيرة (دوائر الفعل)، إذ «إنّ العديد من الوظائف تجتمع منطقيّا في فئات حسب دوائر (Sphéres) معيّنة، وهذه الدّوائر تطابق الشّخصيّات التي تنجز الوظائف»[3]، ويمكن العثور في الخرافة على دوائر الفعل للشّخصيّات الآتيّة[4]:

---

[1]– ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ص35.

[2]– ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص11، 12.

[3]– ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، تر: إبراهيم الخطيب، ص83.

[4]– ينظر: المرجع نفسه، ص83، 84.

1- المعتدي أو الشّرير.

2- الواهب أو المانح.

3- المساعد.

4- الأميرة.

5- الأداة أو الوسيلة.

6- البطل.

7- البطل المزيف.

وللتّوضيح أكثر فإنّ «هناك اختلافا بين مستوى الشّخصيّة، ومستوى في دائرة الفعل، بينما مثلا يتّضح المستوى العاملي ومستوى الوظائف قبل إعادة الملاحظة مع نظريّة "غريماس" الذي قام بتعديل سبع دوائر للفعل التي وضعها بروب (...)، وفي ذلك نقطة انطلاق لدراسات "غريماس" الأكثر عالميّة»[1].

لقد قام "بروب" باختزال (واحد وثلاثين وظيفة) إلى (سبع دوائر للفعل) وكلّ دائرة فعل تشمل على جملة من وظائف الشّخصيّة، إذ تحدّد هذه الوظائف فعل الشّخصيّة في الحكاية وهي كما في الجدول الآتي[2]:

دوائر الفعل (الوظائف)	الشّخصيّات
إساءة 13، و =	المعتدي (الشّرير)
معركة مع البطل 16، و =	
مطاردة 21، و =	

[1]– Voir, Jean, Michel Adam, le récit, paris 1984, p:28.

[2]– Ibid, p:29.

البطل يضع البرهان/ الدليل	12، و =	الواهب
تحويل الموضوع السّحري	14، و =	(المدبر)
انتقال	15، و=	وسيلة
إصلاح	19، و =	(أداة)
مساعد البطل المنقذ	19، و =	
اكتمال الواجب الصّعب	26، و =	
تغييرات البطل	29، و =	
ملاحظة البطل	17، و =	الأميرة
وظيفة استدعاء	25، و =	
العرفان بالجميل	27، و =	
اكتشاف البطل المزيّف	28، و =	
عقوبة	30، و =	
زواج	31 ، و =	
إرسال البطل للتّنفيذ	9، و =	المساعد
بداية الفعل التماس الصّلح	10، و =	البطل
مواجهة البرهان/ الدّليل	13، و =	
زواج	31، و =	
بداية الفعل التماس الصّلح	**10، و =**	البطل المزيّف
مواجهة البرهان/ الدّليل	**13، و =**	
الطّموح المخادع	**24، و =**	

وعلى هذا الأساس بلور "بروب" نموذجا يحدّد أفعال الشّخصيّات في النّصوص فالفعل ثابت في الحكايات أمّا أسماء الشّخصيّات فهيّ متغيّرة «"فبروب" ينطلق من عدد هائل من الحكايات لكي ينحو بها إلى التّجريد

إنّه ينطلق من سلسلة كبيرة من الأفعال الملموسة والموصوفة داخل الحكاية الشّعبيّة، لكي لا يحتفظ إلاّ بعدد ضئيل من الوظائف يشهد على ذلك أنّ وظيفة الإساءة (Méfait) مثلا وحدها تغطيّ ما يناهز التّسعة عشر مظهرا أو تعابير تصويريّة»[1].

وبذلك تتجلّى لنا «قيمة النّموذج البروبي التي لا تكمن في عمق التّحليلات التي تدعمه ولا في دقّة صيّاغته ولكن تكمن في قدرته على إثارة الافتراضات، إنّه التّخطّي بكلّ معانيه لخصوصيّة القصّة العجيبة التي تطبع مسيرة السّيميائيّة السّرديّة منذ بدايتها، إنّ توسيع وترسيخ مفهوم التّرسيمة السّرديّة القاعديّة يبدو بهذا كواحدة من مهامها الآنيّة، وإذا كان "التّتابع" البروبي باعتباره مقصديّة دالّة ومتموقعا في مستوى أكثر عمقا من الخطيّة البسيطة للتّمظهر الخطابي، يسمح بالمصادرة على وجود ترسيمة سرديّة، منظّمة فإنّ التّمفصل المنطقي يعطي على العكس صورة لتتابع عكسي»[2].

وبذلك كانت لأفكار "بروب" تأثيرها على كثير من النّقاد البنيويين الذين أرادوا المضيّ قدما بأفكاره لتصّب في نظريّة الرّواية أكثر تعميقا فحاولوا إقامة تصنيف للوظائف أكثر إيغالا في التّجريد والتّعميم ممّا فعل هو[3]، ولعلّ

---

[1]– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص15.

[2]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم الناشرون، الجزائر، ط1، 2007، ص23.

[3]– ينظر: السيد إبراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998، ص18.

من بين هؤلاء "غريماس" الذي استثمر تصوّر "بروب" فكان محورا مرتكزا على مبدأين أساسيّين تتّسم بهما الحكاية عموما وهما: البساطة (La simplicité)، والشّموليّة (L'universalité)، ومن هنا جاءت فكرة البحث عما وراء تلك البساطة واستجلاء أفق تلك الشّموليّة (...)، حيث يطمح "غريماس" إلى بناء نظريّة تحقّق نسقا للخيال البشري بمعنى البحث عن شكل ضروريّ وعام يتّخذه كلّ تمثيل للنّشاط البشري، إنّها قفزة نوعيّة للدّراسات النّقديّة المعاصرة وإدراك للرّهانات العلميّة التي تقف وراء الممارسات السّيميائيّة في أصولها[1].

استخلص "غريماس" من التّتابع الزّمني للأحداث والتّحول بوضع أطراف المربّع السّيميائي، وفي مسألة الاختبارات التي وضعها "بروب" في بلورة الخطاطة السّردية فالاختبار التّرشيحي (Épreuve Qualifiante) الذي يكتسب البطل خلاله الكفاءة وطاقة الإنجاز يليه الاختبار الحاسم أو الرّئيسي (Épreuve Principale ou Décisive) وهو المصلح للافتقار وأخيرا الاختبار الممجّد (Épreuve Glorifiante) الذي تقع فيه معرفة البطل الحقيقي ومكافأته[2]، وهو ما يتجلّى لنا في أطوار الخطاطة السّرديّة حسب تصّور "غريماس" بالمصطلحات التّاليّة: (التّحريك، والكفاءة، والإنجاز، والجزاء) وكما استفاد "غريماس" من اختزال "فلاديمير بروب" للوظائف إلى سبع دوائر

---

[1]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص21، 23.

[2]– ينظر: سمير المرزوقي، وجميل شاكر، مدخل إلى النظرية القصة تحليلا وتطبيقا، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت، ص 71، 72.

حيث حدّد العوامل السّرديّة الممثّلة للنّموذج العاملي وهي: (المرسل والمرسل إليه، والذّات والموضوع، والمساعد والمعارض)، وسنفصّل في ذلك في مرحلة المكاسب في هذا الفصل.

3-2- ليفي ستروس (C. Levi- Strauss):

يعتبر "كلود ليفي ستروس" أحد عمالقة "الأنثروبولوجيا" في القرن العشرين، تصفه الصّحف الفرنسيّة بأنّه أقوى مثقّف بفرنسا[1]، حيث استفاد كثيرا من الدّراسات البنيويّة لكلّ من "سوسير" و"جاكبسون" إذ لعب "كلود ليفي ستروس" دور الوسيط الأساسيّ في استخدام النّموذج اللّساني وطبّقه على الأنظمة الثّقافيّة الأخرى، كالخرافة والأساطير، وكانت "الأنثروبولوجيا البنيويّة" الدّعامة الأولى للنّقد البنيويّ للسّرد، ظهر إثر ذلك أعلام عديدة اشتغلت في هذا الحقل النّقدي منها: (رولان بارت، وجينيت، وغريماس وأمبرتو إيكو، وتودورف، وجوليا كرستيفا)[2].

حيث نجد "كلود ليفي ستروس" في "أنثروبولوجيا البنيويّة" يرى أنّ «علم الاجتماع هو الذي وضع التّساؤل حول أبحاث بين الذّهنيّة المحكيّة (الأصليّة)، والفكر العلمي (...) ويستدعي وجود فروق نوعيّة في أسلوب العقل البشريّ الذي يعمل هنا وهناك، لكن ليس من دون شكّ أنّ هناك الاثنان

---

[1]- أزراج عمر، أحاديث في الفكر والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط، 2007، ص381.

[2]- ينظر: محمد ساري، نظرية السرد الحديثة، مجلة السرديات، جامعة منتوري، قسنطينة الجزائر، العدد 01، جانفي، 2004، ص18.

لأنّ العقل محور شارح دائم للمواضيع»[1]، يحاول "كلود ليفي ستروس" توضيح مسألة في هذا النّص متعلقة بين ما هو ذهني خيالي أسطوري في النّص المحكي وما هو فكريّ علميّ، حيث قد يختلفا من ناحيّة الوصف والطّريقة أو الأسلوب إلاّ أنّهما يجتمعان في نقطة مشتركة هيّ العقل البشريّ الذي يجمع بين ما هو أسطوريّ وما هو علميّ في بناء الموضوع الحكائي ومنه كان اهتمام "كلود ليفي ستروس" في ذلك هيّ البنية الحكائيّة.

ولعل ما لفت انتباه "كلود ليفي ستروس" هو مؤلّف "بروب" الشّهير "مورفولوجيّة الحكاية العجيبة الرّوسيّة"، والذي يعود له الفضل في ترجمته بعد مدة زمنيّة قدرت بثلاثين سنة بعد نشره أيّ في سنة (1958)[2] حيث تنبّه "ليفي ستروس" إلى المبادئ الأولى التي أرسى دعائمها "بروب" في (دوائر الفعل) للحكاية، ممّا قاده إلى التّسليم بوجود إسقاطات استبداليّة تغطيّ السّيرورة النّظاميّة في الحكاية البروبويّة، فهو يرى ضرورة إجراء (ازدواجيّة) للوظائف التي أسهب "بروب" في تحديد عددها[3].

ومنه فقد انطلق "كلود ليفي ستروس" في قراءته للمشروع البروبي أن الفصل بين المستوى التّركيبي (Axe Syntagmatique)، والمستوى الاستبدالي (Axe Paradigmatique) هو الذي قاد "بروب" إلى الفصل بين

---

[1]– Voir, Christophe Carlier, Nathalie Griton – Rtter dam, «Des mythes aux mythologies», Imprimé en France, 1999, p76.

[2]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص17.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

المضمون والشّكل، فالشّكل وحده حسب "بروب" قابل للإدراك أمّا المضمون فلا يشكّل سوى عنصرا زائدا، ولا يملك أيّة قيمة دلاليّة»[1].

فقد نقد "ليفي ستروس" «مثال "بروب" من حيث الشّكلنة التي أحدثها وكانت سببا في التّمييز الذي أولاه بالبعد النّظمي لمساعدته على التّطبيق الميكانيكي، وتوقّف التّحليل على مستوى البنيات السّطحيّة، خاصّة إذا ما تعلّق الأمر بالأبحاث الميثولوجيّة المقارنة التي لا يمكن البتة إخضاعها لكذا دراسة لأنّها لا تستقيم تحليلا وتطبيقا»[2]، وبذلك يجد في تصوّر "بروب" أنّه ضيّع المضمون في رحلته من الملموس إلى المجرّد، وهذا ما جعل العودة من المجرّد إلى المحسوس أمرا مستحيلا.

وعلى هذا الأساس فإنّ النّقطة المهمّة التي تربط بين "بروب" و"ستروس"، و"غريماس" هي دراسة الوظائف، وعليه «تنصبّ قراءة "كلود ليفي ستروس" للمشروع البروبيّ في مرحلة ثانيّة على الوظائف نفسها أيّ نمط اشتغالها وعددها وتتابعها، فإذا كانت العناصر المتحوّلة في التّحليل البروبيّ هي ما يشكّل كلّ الحكاية عند "ستروس" فإنّ الوظائف المتتابعة وعددها قابلة لأن يعاد فيها النّظر، فاستنادا إلى تقاطع التّركيبي مع الاستبدالي وإمكانيّة إسقاط المحور الأوّل على الثاني يمكن تقليص عدد الوظائف»[3] ومنه يمكن أن يظهر في شكل ثنائيّات من قبيل: (رحيل/ضدّ/عودة، وقوع

---

[1]– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص16.

[2] – نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص19.

[3]– المرجع نفسه، ص19.

الافتقار/ضدّ/ تعويض، تأسيس المنع/ضد/ خرق المنع)»[1]. وفي هذا التّقليص لا يرى "ستراوس" في كلّ زوج سوى وظيفة واحدة، والأمر لا يتعلّق بتقليص عدد الوظائف بهدف الاحتفاظ بأقلّ عدد ممكن منها – بل يهدف إلى تكسير التّتابع– إحدى الفرضيّات التي قام المشروع البروبيّ عليها، والتّتالي وبذلك رفض التّعريف الذي يعطيه "بروب" للحكاية باعتبارها تتابعا لواحد وثلاثين وظيفة (...) وهذه كانت نقطة الانطلاق في قراءة "غريماس" للمشروع البروبيّ»[2].

وفي مسألة بنية القصّة «يؤكّد "ليفي ستروس" أنّ القصّة الأسطوريّة أو الحكاية عبر اختلاف رواياتها ما هيّ إلاّ تحقّق تركيبيّ (Syntagmatique) لبنية أساسيّة ذات طبيعة دلاليّة (Semantique) هيّ نفسها البنية التي "حاول غريماس" تعريفها»[3].

وبذلك حقّقت أعمال "ليفي ستروس" أثرا بالغا لدى "غريماس" إذ بدأت انطلاقته في بنية القصّة أو الحكاية من خلال انتقادات "ليفي ستروس" "لبروب"، وكان الرّافد المرجعيّ والمعرفيّ لنظريّته يظهر لنا التّداخل في الدّراسات «والتّشابه الكبير بين النّماذج التي استخرجها "بروب" من الحكايات الرّوسيّة المائة وبين "إ، سوريو" (Souriou) انطلاقا من (المائتي

---

[1]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص17، 18.

[2]– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص20.

[3]– محمد ساري، نظرية السرد الحديثة، مجلة (السرديات)، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر،ع 1، جانفي 2004، ص 21،22.

ألف وضعيّة دراميّة) في الميادين المختلفة، وكما سيشكّل "غريماس" نموذجا من ستّة عوامل وذلك بالاعتماد على دراسات العالم المختصّ في الأساطير "جورج دوميزيل" (George Dumézil)، وعالم اللّسانيّات "تينيير" (Tesniere) في السّرد.

3-3- جورج دوميزيل (George Dumézil) (1898-1986):

وكما استفاد "غريماس" من انتقادات "ليفي ستروس" و"بروب" فإنّه «انطلق في تأمّلاته حول النّماذج العامليّة من تحديد مستويين: (الوصف والشّكل)، وهو يناقش أعمال الأسطوريّ "دوميزيل" خاصّة بحثه المتعلّق بوصف العالم الإلهي محلّلا إيّاه برويّة، وذلك بإتّباع الطّريقة المزدوجة الآتية[1]:

1- اختيّار إله معيّن باستظهار أفعاله ووظائفه يشكّل عاملا في حدّ ذاته.

2- التّطرّق إلى صفاته التي تميّزه عن الآلهة الآخرين من خلال أسمائه أو نعوته وتبيان السّمة الأخلاقيّة التي تتّصف بها.

إذن هناك جانب وظيفيّ يتمثّل في فعل الإله، وجانب وصفي يتمثّل في أسمائه وصفاته وعليه «يميّز "غريماس" بين مستويين للتّحليل ذاهبا إلى أنّ الوصف لا يمكن أن يتّم إلاّ بعد استخراج العوامل (المحتوى) أيّ وصف (العوالم الجزئيّة) التي توجد فيها العوامل وتتحرّك، لقد أدخل "غريماس" تغييرا جذريّا لمعالجة مفاهيم "دوميزيل" ذات الأصول الدّينيّة

---

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص15،16.

والمعتقداتيّة (أخلاقيّة مسيحيّة)، وهو يتناولها وفق معطيات منطقيّة صوريّة ورياضيّة يقول "فليب هامون" (Philippe Hamon) بأنّ: (هذه النّظريّات البنيويّة المثيرة يبدو أنّ هدفها كان السّعي إلى تشييد لغة علميّة منسجمة أكثر من الوصول إلى أنماط اشتغال العمل الأدبيّ)»[1].

وهناك مسألة بقيّت غامضة لدى "دوميزيل" لم يستطع إدراكها إلاّ أنّ "غريماس" قد توصّل إلى التّفصيل فيها، وهيّ أنّ «التماس الموضوعيّة في أبحاث "دوميزيل" جعله يصرّح بجهله طوال حياته بعدم إدراكه للفارق الذي يفصل ويميز بين الأسطورة (Mythe)، والحكاية (Conte)، ولم يتوصل بعد إلى تبيان ذلك حتى أتى "غريماس" بالمقاييس الدّقيقة التي تصنّفها لتفرّد كلّ واحدة بمميّزات وخصائص فالأسطورة تتّسم بالتّجسيد التّصويري للعوامل في التّركيب السّردي تحت شكل قائمين بالفعل– شخوص، بعكس الحكاية التي تفضّل أن تظهر هؤلاء على شكل موضوعات سحريّة»[2].

3-4- إ، سوريو(E, Sourieau):

واستفاد "غريماس" من تصوّر "سوريو" في دراسته للنّص المسرحي إذ «بيّن "سوريو" الوظائف المسرحيّة الثّابتة، ويخصص (200000) وظيفة دراميّة من النّصوص المسرحيّة، ومع أنّه ذاتي لا يستند إلى أحد بخصوص

---

[1]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص16.

[2]– المرجع نفسه، ص،ن.

تحليله الواقعي فهو لا يبتعد أكثر عن وصف "بروب"»[1]، ومن خلال دراسته للنّصوص المسرحيّة فقد استخلص نموذجا عامليّا يلخّص التّطوّرات والتّحوّلات التي يزخر بها النّص المسرحي[2]، مبيّنا ذلك وفق الأسلوب الآتي[3]:

- **الأسد (Lion):** القوة الموضوعيّة الموجّهة.
- **الشمس (Soleil):** ممثّل الخير راغبة في القيمة الموجّهة.
- **الأرض (Terre):** تحقيق النّتيجة المحتملة وهي الخير(الذي يعمل الأسد لصالحه).
- **المريخ (Mars):** المعارض.
- **الميزان (Balance):** الحكم مانح الخير.
- **القمر (Lune):** مساعدة إحدى القوى السّابقة.

إنّ أهميّة فكر "سوريو" تكمن في أنّه برهن على أنّ التّأويل العامليّ يمكن تطبيقه على نصوص مختلفة من الحكايات الشّعبيّة (النّصوص المسرحيّة) (...)، وهو تصنيف نجد التّمييزات نفسها بين القصّة (Événementielle Histoire) التي لا تشكّل عنده سوى سلسلة من الذّوات

---

(1)– Voir, A, J, Greimas, Sémantique Structurale recherche de méthode, p: 175.

(2)– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.

(3)– Voir, A, J, Greimas, Sémantique Structurale recherche de méthode, p: 175.

الدّراميّة، وبين مستوى الوصف الدّلالي الذي ينجز انطلاقا من "الوضعيّات" القابلة للتّفكيك في إجراء وعوامل[1].

وبذلك فقد أدخل "غريماس" جردين آخرين للعوامل جرد "فلاديمير بروب" المتصوّر من خلال شخصيّات الحكاية الخرافيّة، وجرد "إ.سوريو" (E.Sourieau) المتصوّر من خلال شخصيّات المسرح، والمقارنة بين هذه النّماذج تبرز العاملين الجديدين: (المساعد، والمضاد أو المعارض) كالآتي[2]:

الشّخصيّات الخرافيّة (بروب)	شخصيّات المسرح (سوريو)	النّموذج العاملي (غريماس)
– البطل – الشّخص المرغوب فيه – أبو الشّخص المرغوب فيه (المنتدب)	– القوّة الموضوعاتيّة الموجّهة. – ممثّل الخير، والقيمة الموجّهة. – الحكم، واهب الخير	– الذّات – الموضوع – المرسل

[1]– ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص45.

[2]– ينظر: عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص – دراسة / http://www.awu- dam-org ، الخميس2008/11/06، 11 :40 سا.

– البطل المزيّف – الواهب المساعد – الخائن المعتدي	– المتحصّل المفترض على قيمة – المساعد – المضاد	– المرسل إليه – المساعد – المضاد المعارض

وإنّ اختلف المصطلح حول تسميّة أو وصف فعل الشّخصيّة عند "بروب"، و"سوريو"، و"غريماس" إلاّ أنّ الهدف واحد في ضبط العوامل الجوهريّة في النّص السّردي.

3-5- ل.تنيير (L, Tesnière):

وكما استفاد "غريماس" من الوظائف عند "بروب" وتصوّر "ليفي ستروس"، و"جورج دوميزيل"، و"سوريو" فقد استفاد أيضا من "تنيير" من خلال ضبطه لمفهوم الملفوظ، «فالملفوظ عند "تنيير" فرجة دائمة: هناك فاعل وهناك فعل وهناك مفعول به، إنّ هذه الفرجة تتميّز بعنصر بالغ الأهميّة يكمن في توزيع الثّابث والدّائم للأدوار، فقد تتغيّر المحافل التي تقوم بالفعل وقد يتنوّع الفعل كما قد يتغيّر المفعول به، لكن العنصر الضّامن لاستمراريّة الملفوظ (الفرجة) هو هذا التّوزيع بالذّات»[1].

فالملفوظ إذن فرجة بسيطة تشتمل على دعوى وممثّلين وظروف وعندما تنتقل الدّعوى والممثّلون والظّروف من مستوى الواقع المسّرحي

[1]– ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص46.

إلى مستوى التّركيبة البنيويّة تصبح على التّوالي الفعل والفواعل والفضلة بمعنى هناك فواعل ثلاثة: من يقوم بالفعل أي الفاعل في النّحو التّقليدي، من يتحمّل الفعل أو الموضوع، وأخيرا من يستفيد من الفعل أو من يضرّ به الفعل وهو من يعبّر عنه بالفاعل الثّالث، أمّا الفضلة فتشير إلى الزّمان والمكان والحال[1].

وبذلك استثمر "غريماس" مفهوم الملفوظ، «وانطلاقا من هذه الخصائص سيعمل على تعميم هذه البنية وإعطائها نفسا يتجاوز حدود الجملة (...) فإنّ طابع الفرجة هذا يطرح مشكلة عدد المحافل المنخرطة في الملفوظ، فإذا كانت الجملة من النّاحيّة التّركيبيّة الخالصة تتّسع لأكثر من فاعل ولأكثر من فعل ولأكثر من مفعول به، فإنّ نقل هذا النّموذج إلى ميدان آخر غير اللّسانيّات يتطلّب إلحاق تعديل يمسّ طبيعة الفرجة وطبيعة الأدوار، وفي هذا المجال يقترح "غريماس" نوعين من التّعديلات:

– فمن جهة يجب تقليص العوامل التّركيبيّة وردّها إلى وضعها الدّلالي (...)، ومن جهة ثانيّة يجب تجميع كلّ الوظائف المنطويّة داخل متن ما، وإسنادها إلى عامل دلاليّ واحد، وذلك لكي يكون لكلّ عامل استثماره الدلاليّ الخاص به»[2].

---

[1]– ينظر: عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص – دراسة http://www.awu- dam, org / الخميس2008/11/06، 40:11 سا.

[2] – ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص46.

إنّ هذه المسألة توضّح القانون الذي وضعه "غريماس" حول العامل والممثّل، و«بعدها يمكن القول بأنّ مجموع العوامل كيف ما كانت العلاقة التي تجمعهم يمثّلون التّجلي في كليّته وبهذا تصبح الجملة باعتبارها مسرحا للفرجة منطلقا لتوليد بنيّة تركيبيّة كبيرة، بنية الخطاب السّردي باعتباره يتشكّل من الجملة ويتجاوزها»[1]، وعليه فقد استثمر "غريماس" مفهوم العوامل والملفوظ باعتباره جملة، ومن «وجهة نظر علم التّركيب التّقليدي تعتبر الوظائف بمثابة أدوار تقوم بها الكلمات داخل الجملة تكون فيها الذّات فاعلا، والموضوع مفعولا، وتصبح الجملة أيضا –وفق هذا التّصور– عبارة عن مشهد وهكذا يستخلص "غريماس" عاملين أساسيّين يقوم عليهما الملفوظ البسيط يضعهما في شكل متعارض كالآتي: – الذّات ≠ الموضوع.

– المرسل ≠ المرسل إليه.

ويعمّم "غريماس" هذا الاستنتاج على كلّ عالم دلاليّ صغير فيرى أنّ: (عالما دلاليّا صغيرا لا يمكن أن يحدّد كعالم أيّ ككلّ دلاليّ إلاّ بالمقدار الذي يكون في إمكانه أن يبرز أمامنا كمشهد بسيط، كبنية عامليّة»[2].

وفي مسألة العوامل فقد استخلص "غريماس" من "تنيير" مصطلح العامل (Actant) الذي يعرّف العوامل بأنّها الشّخصيّات أو الأشياء المشتركة

---

[1]– ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص47.

[2]– حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص33.

في الحدث بصفة ما وبشكل ما ولو سلبيّا أمّا "غريماس" فيفرّق بين عوامل التّواصل (فعل القول)، أي الرّاوي والمروي له، أو المتكلّم والمخاطب، وعوامل السّرد (مقول القول) أيّ الذّات والموضوع، والمرسل والمرسل إليه، ويفرّق داخل عوامل السّرد بين العوامل النّظميّة والعوامل الوظيفيّة، وقد انطلق "غريماس" من أعمال "تنيير" في النّحو، وبروب(Propp) في الحكاية الخرافية و"سوريو" (Sourieau) في المسرح ليحدّد العوامل في الميتولوجيا والقصّة، فسعى إلى تأطيرها في مصطلحات محدّدة وإلى وضع قواعد أوليّة لها وتتقابل العوامل عنده ثنائيّا: الذّات تقابل الموضوع، والمرسل يقابل المرسل إليه، والمساعد يقابل المعارض[1]، وبذلك تحدّدت لديه عناصر النّموذج العاملي.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ نظريّة "غريماس" السّيميائيّة السّرديّة تقوم على موارد علميّة وفكريّة مختلفة وتعدّ هذه الموارد الأساس للنّهوض بالنّظريّة السّيميائيّة، فالرّافد الفلسفي من أفكار تجريديّة ذهنيّة، والتّصور الأفلاطوني والأرسطي المقعّد للنّموذج التّكويني (المربّع السّيميائي) "لغريماس" وغيرها من التّيارات الفلسفيّة، والرّافد اللّساني من تصوّر "سويسر" و"هيلمسليف"، و"تشومسكي"، و"رومان جاكبسون"، حول نظريّة التّواصل الذي يعتبر الرّافد الذي انطلقت منه النّظريّة نظرا لوجود التّداخل بين البنيويّة والسّيميائيّة ثمّ الرّافد المعرفي الذي كشف لنا عن الجانب السّردي وكيفيّة القبض على روح النّص، ومدى اختلاف الدّارسين في البحث عن فعل أو وظيفة الشّخصيّة من "بروب"، و"سوريو"، و"تنيير"، وغيرهم، ومدى اهتمام هؤلاء

[1]– ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص123.

بدراسة العمل السّردي ومحاولة تقعيده، فكانت هذه الرّوافد المرجعيّة المحدّدة لنظريّة "غريماس" السّيميائيّة السّرديّة.

ثانيا: نحو تحديد مفاهيم السّيميائيّة السّرديّة:

إنّ التّحليل السّردي للخطابات هو بدون منازع الحقل السّيميائي الذي عرف أثناء السّنين الأخيرة التّطورات الأكثر أهميّة[1]، حيث يهتمّ الدّرس السّيميائي أساسا بشكل الدّلالة أو بشكل "الحكاية" في الخطاب السّردي تلك التي تتعلّق بعمليّة القول السّرديّة (Enonciation narrative) حيث تتجاوز تحقيق الجملة بصفتها وحدة دنيا في الدّرس اللّساني إلى تحقيق الخطاب بصفته كليّة دالّة[2]، بمعنى أنّ السّيميائيّة تُعنى بنظريّة الدّلالة وإجراءات التّحليل التي تساعد على وصف أنظمة الدّلالة (...) ولكن إذا كانت السّيميائيّة تهتمّ بالدّلالة فإنّها لا تولي عناية بالدّليل ولا تنظر في العلاقة الممتدّة من الدال إلى المدلول (...) بل تسعى السّيميائيّة في ارتكازها على هذا التّمييز الأساسي إلى إبراز شكل المضمون يعني تنظيم المدلول[3].

---

[1]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007، ص15.

[2]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، دط، دم، 2002، ص44.

[3]– ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص105،106.

وإذا قلنا أنّ السّيميائيّة تدرس النّص الأدبيّ باعتباره علامة فذلك لأنّها تنظر إلى الأبنيّة العامّة للنّصوص الأدبيّة باعتبارها نسقا من العلامات منغلقا على نفسه، ولا يشير إلى شيء خارجه سواء كان هو الواقع الاجتماعي أو الوجود الإنساني، فنظرت السّيميائيّة إلى النّص الأدبيّ بهذه الطّريقة مردّها إلى أنّها لا تفصل بين الظّاهرة التّجريبيّة الواحدة والمحيط العام الذي تظهر فيه، بل تفترض شبكة من الأنساق المتداخلة، تضع هذه الظّواهر في وحدة كبرى تتألّف من كليّة الأنساق المختلفة فتتداخل وتتعارض وتتقاطع (...) في بعض المواضع وتتباعد في بعض المواضع الأخرى[1].

والسّيميائيّة تستهدف استقراء آليّات إنتاج الدّلالة وإبراز كيفيّات اشتغالها في مختلف الأنشطة الثّقافيّة وحتّى من خلال السّلوك الطّبيعي للمجموعات البشريّة كنظم الأكل واللّباس والتّحيّة والحركات الجسديّة، أو ما يعرف بـ: (Kinésique)، وكيفيات استغلال الفضاء، أو ما يعرف بـ: (Praxémique)[2] . إنّ ما يهمّ السّيميائيّة في المقام الأوّل استنطاق الدّلالة أو بالأحرى الأصداء الدّلاليّة (Effet de sens) (على النّقيض من التّوجه التّقليدي في حرصه على ما يسميّه "بارت" المعنى الممتلئ) في النّظم الدّالة من أيّ نوع كانت وكيفما أنتجت، وبذلك يبدو أنّ المشروع السّيميائي يرقى

---

[1]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص60.

[2]– محمد الناصر العجيمي، موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، ع2، وهران، الجزائر، 2006، ص24.

إلى المشروع الفيلولوجي الذي كان يرمي في القرن التّاسع عشر إلى إرساء علم عام للثّقافة بمختلف وجوهها[1].

إنّ ما تطمح إليه السّيميائيّة حسب "غريماس" هو البحث عن سبيل لدراسة الخطاب عموما بحيث تنطبق قوانين هذه الدّراسة، وينطبق منهجها على نصوص القانون والفلسفة تماما مثلما تنطبق على النّصوص الأدبيّة المختلفة، ويرى "غريماس" أنّ ما يولّد أشكالا جديدة من المضامين، والتّعابير مختفيّة تختلف باختلاف الأداء على مستوى الإشارة، إنّما هو العلاقات التّحويليّة لذلك لابدّ من السّرديّة أو الحكائيّة، وما أعطته من نتائج أوليّة أحدثت ما يشبه الزّلزال على مستوى الأدب المكتوب الرّاقي (...) بل وأنتجت دلالات إيديولوجيّة ومفاهيم عميقة[2].

ويقوم التّحليل السّيميائي في دراسته للنّص الأدبي بعمليّة التّفكيك والتّركيب التي تشبه تفكيك أعضاء الدّميّة وتركيبها على غرار البنيويّة النّصيّة المغلقة التي تلغي كلّ الحيثيات السّياقيّة والخارجيّة، ولتحليل النّص السّرديّ «يمكن الانطلاق من مفهوم القدرة (Compétence). الذي يمكن التّمييز بخصوصه بين مفهومين في السّيميائيّة السّرديّة عند غريماس هما: القدرة السّيميائيّة السّرديّة (Compétence Sémio-Narrative) والقدرة الخطابيّة (Discursive Compétence) بالنّسبة للقدرة السّيميائيّة السّرديّة تجعلها

---

[1]- محمد الناصر العجيمي، موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، ص25.

[2]- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 165.

سـيميائيّة السّـرد سـابقة علـى القـدرة الخطابيّـة وهـيّ مكوّنـة مـن مجموعـة التّمفصلات التّصنيفيّة والتّركيبيّة (المستوى العميق والمستوى التّركيبي العاملي) أمّـا القدرة الخطابيّـة فتتحـدّد فـي مرحلـة لاحقـة بعـد القـدرة السّـيميائيّة السّـرديّة وترتبط بعمليّة القول. أمّا وظيفتها فتكمن في تشكيل البنيات الخطابيّة وتنظيمـها لإعطاء تمثيل خطابي لمكوّنات البنيات السّيميائيّة السّرديّة ...[1] .

إنّ الحـديث عـن نظريّـة "غريمـاس" السّـيميائيّة يقودنـا إلـى الكشـف عـن التّحـول المعرفـي داخلهـا باعتبـار ذلـك خطـوة إجرائيّـة مناسـبة للوقـوف على مفاهيم الجهاز المعرفيّ للنّظريّة السّيميائيّة، ومنـه فإنّ البحث في المفاهيم التي شكلّت أساس البنـاء النّظري للسّيميائيّة (مرحلـة المكاسـب) يقترح الانفتـاح علـى (مرحلـة المشـاريع) والتّأسـيس النّظـري لإشـكالات جديـدة (سـيميائيّة الأهواء)[2].

ومنـه سـنحاول فـي هـذه المحطّـة رصـد التّحـولات المعرفيّـة لنظريّـة "غريمـاس" السّـيميائيّة، والكشـف عـن المفـاهيم بالانتقـال مـن سـيميائيّة العمـل مرحلة المكاسب إلى مرحلة المشاريع وسيميائيّة الأهواء، «ومنه نلاحظ تمفصل مسـار النّظريّـة السّـيميائيّة إلـى مـرحلتين أساسـيّتين: مرحلـة المكاسـب ومرحلـة المشـاريع، تتمثّـل الأولـى فـي الإرث الغريماسـي انطلاقـا مـن مجمـل أعمالـه التّنظيريّة التي تخصّ تشييد أنظمة الدّلالة، أمّا الثّانيّة فتنقل متغيّرات بناء مسار

---

[1] – عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 26.

[2]– ينظـر: محمـد بـادي، سـيميائية مدرسـة بـاريس المكاسـب والمشـاريع، (مقاربـة ابستيمولوجية)، مجلة عالم الفكر، السيميائيات، الكويت، ع3، المجلد35، 2007 ص287.

الدّلالة وفق تصوّر يقوم على تطوّير النّظر في الخلفيّات المعرفيّة التي تستند إليها النّظريّة السّيميائيّة (...) ومنه ينطلق مشروع القطار السّيميائي من محطّة مساءلة الأسس المعرفيّة للنّظريّة ليصل بعد ذلك إلى فضاء بلورة مشروع التّأسيس النّظري لبعض المواضيع كالتّلفظ، والأهواء، والتوتريّة، بيد أنّ ذلك لن يتمّ إلا باحترام شروط التّصور الابيستمولوجي الذي ينبني على مبدأ الاتصال في صيرورة النّظريّة السّيميائيّة»[1].

فالانتقال من سيميائيّة العمل نحو سيميائيّة الأهواء في نظريّة "غريماس" السّيميائيّة لا يعني القطيعة، بل تقوم سيميائيّة الأهواء على البناء النّظري لسيميائيّة العمل، إذ تعدّ المرحلة الثّانيّة من تطوّر النّظريّة السّيميائيّة «فمشروع سيميائيّة الأهواء يتجلّى أكثر ما يتجلّى في إعادة التّأسيس لبنى الأسس العميقة لجملة من المفاهيم حتّى تنسجم مع المسلّمات التي تنطلق منها (...)، وتتحدّد تمفصلات تطوّر النّظريّة السّيميائيّة في السّنوات الأخيرة من خلال عدّة محاور يمكن تسطيرها على الشّكل الآتي[2]:

1- تنقيح الجهاز المعرفيّ للنّظريّة السّيميائيّة الأساس.

2- الصّوغ الرّياضي للمفاهيم السّيميائيّة (مشروع روني توم R.Thom).

3- الاهتمام بالبنيات التوتريّة (مشروع زيلبربرج 1998، Zilberberg).

---

[1]- محمد بادي، سيميائية مدرسة باريس المكاسب والمشاريع، (مقاربة ابستيمولوجية) ص 288.

[2]- المرجع نفسه، ص289.

وبذلك فإنّ النّظريّة السّيميائيّة تنتقل عبر تحوّل ابيستمولوجي من مرحلة المكاسب سيميائيّة العمل نحو مرحلة المشاريع سيميائيّة الأهواء، وعليه سنقف على هاتين المرحلتين كونهما عماد نظريّة "غريماس".

1- **مرحلة المكاسب (سيميائيّة العمل):** توجد على وجه الإجمال ثلاث نظريّات تعالج العمل من زوايا مختلفة ومتباينة، تنكبّ الأولى على بيان علاقة العامل بعمله، وتحدّد الثّانيّة العلاقة الموجودة بين العمل والعالم، وتهتمّ الثّالثة بإمكانات وصف وتشخيص العمل، ويمكن أن تشخصّ هذه النّظريّات في التّرسيمة الآتيّة[1]:

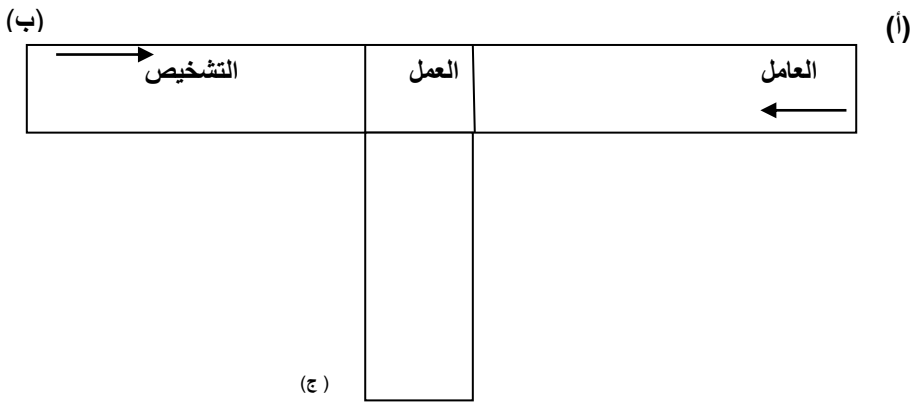

يحدّد الشّكل: (خطاطة المنظورات الثّلاث للعمل).

[1]- محمد الداهي، سيميائية العمل تطبيقاتها وتقاطعاتها، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، الجزائر، منشورات الأديب، ع2، 2006، ص61.

إنّ ما يهمّنا في هذه المسألة هو الغوص في العمل من منظور النّظريّة السّيميائيّة حيث «تندرج سيميائيّة مدرسة باريس في مرحلة السّتينيّات عامّة داخل التّيار الشّكلاني البنيوي للّسانيّات (سوسير/ هيلمسليف) إذ انطلاقا من كتاب علم (الدّلالة البنيوي)، رسم "غريماس" بالذّكر معالم التّصوّر الابيستمولوجي الذي تتأطّر ضمنه نظريّته»[1]، التي تقوم على روافد هامّة قد تطرّقنا إليها في هذا الفصل من هذه الدّراسة والتي تحدّد الإطار الابيستمولوجي والمعرفيّ للنّظريّة الغريماسيّة، ومنه «فمرحلة الستّينيّات هيّ مرحلة المكاسب التي شكّل (علم الدّلالة البنيوي) أساسها النّظري والابيستمولوجي (...) وقد اضطلع عمل "غريماس" (1970) (في المعنى) والجزء الأوّل من المعجم السّيميائي (1979) عبر تطويرها لمجموعة من المفاهيم الإجرائيّة، وفي هذا الإطار تصدر هذه الأعمال من مجالين ابيستمولوجيّين رئيسيّين كما يرى "باريت" (1998) يخصص الأوّل مفهوم المعنى، والثّاني مسار التّوليد، فالمعنى ليس مستقرّا بل سيرورة إذ يظهر عبر مستوى تحوّلاته الخاصّة لذا يتبدّى المعنى كمسار توليدي حيث يجب التّمييز بين مستويات العمق وقد تمّ تشكيل هذين الاقتراحين الابيستمولوجيّين من مفهوم معيّن للسّيميائيّة أيّ (كعلم للمعنى)»[2] .

---

[1]– محمد بادي، سيميائية مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة ابستيمولوجية) ص290.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 291.

وعلى ذكر مستويات العمق في المسار التّوليدي «فإنّ المهمّ في التّحليل السّيميائي (ليس الوصول إلى المعنى الحقيقي الذي يكشف عنه النّص بل الكيفية التي قال بها النّص ما قاله، وذلك يتطلب منّا مراعاة مستويين في النّص، المستوى السّطحي، والمستوى العميق»[1]، وقد وضّحت جماعة أنتروفرن هذين المستويين كالآتي[2]:

- **المستوى السّطحي:** والذي يستهلّ بتوقع مركبتين تعقد منطقيّا للملفوظات سهلة ملائمة، وفي المستوى:

1- المركبة السّرديّة: وهيّ قاعدة نحو سلسلة متواليّة وتحليل الحالات والتّحوّلات.

2- المركبة الخطابيّة: وهي قاعدة في النّص كتسلسل صوّر ولإنتاج سيم.

- **المستوى العميق:** ويضمّ ملائمة مخطّطين منطقيّين من خلال تنظيم الكلمات المتمظهرة، وفي المستوى:

1- تثبيت علاقة لإتمام القيّم في المعنى.

2- نظام منطقي للعمل وآخر لحيّز القيّم.

---

[1]- ينظر، فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص67.

[2]-Voir, Group d'entrevernes, Analyse S'emiotique des texts presses universitaires de Lyon Imprimé en France, 1979, P: 09.

إنّ النّظريّة السّيميائيّة في سيميائيّة العمل تقوم على دراسة النّص انطلاقا من وجود مستويين هما: (المستوى السّطحي، والمستوى العميق) أو «تتبني على تقديم محور موضّح البنية السّطحيّة والبنية العميقة المنظّم لوضعية التقنيّات أو الأدوات[1] أو إجراءات التّحليل، وهنا نطرح التّساؤل كيف يمكن أن نحلّل النّص؟ «تذهب السّيميائيّة في اقتراحها إلى أن المضمون الشّامل للنّص يمكن أن ينتظم ويوصف على أساس ثلاثة مستويات مختلفة هي: (المستوى السّيميائي أو المنطقي الدّلالي، والمستوى السّردي، والمستوى الخطابي)[2] .

ولتحليل النّص هناك مساران للتّحليل السّيميائي الأوّل: المسار التّوليدي: وهو نظري خالص إذ يتوقع الانتقال من المستوى المنطقي الدّلالي أين تتمفصل "القيمة الأوليّة للدّلالة على نحو تجريدي خالص إلى المستوى السّردي (حيث تتقدّم هذه العناصر الدّلاليّة كـ "عوامل" منطويّة تحت البرامج السّرديّة، والمستوى الخطابي أين تتقدّم هذه العوامل كـ "ممثّلين" في وضعيّات فضائيّة وزمانيّة)[3] والثّاني: المسار التّحليلي: هذا ما يقوم به المحلّل السّيميائي إذ ينطلق من المستوى الخطابي أين يدرك الممثّلون الفضاءات والأزمنة وبشكل

---

[1]–Voir, Aswald ducort/ TZ Vetan Todorov, Dictionnaire en cyclopédique des sciences du langage, © éditions Du Seuil, 1972 p302.

[2]– ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص 108.

[3]– المرجع نفسه، ص 109.

مختصر التّنظيم الصوري للمضمون إلى المستوى السّردي حيث تعمل العناصر الصوريّة المترتّبة في النّص على تجليّة الرّهانات والمسارات السّرديّة لتمتدّ إلى المستوى المنطقي الدّلالي حيث تشمل هذه الرّهانات التّمفصل الأساسي لمضمون النّص[1].

بمعنى أنّ المحلّل السّيميائي يمكنه تفكيك ودراسة النّص بتتبّع أحد المسارين المسار التّوليدي الذي ينطلق من البنية العميقة نحو البنية السّطحيّة أو بتتبّع المسار التّحليلي الذي ينطلق من البنية السّطحيّة نحو البنية العميقة ويمكن تجسيد هذين المسارين كالآتي[2]:

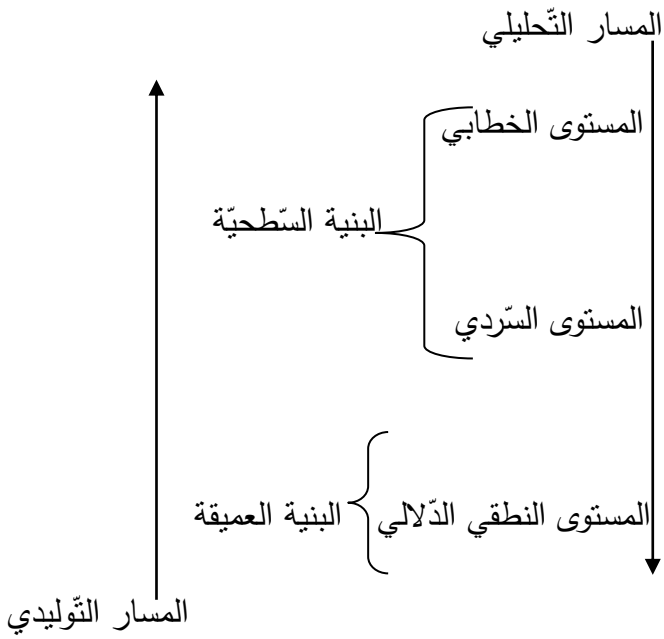

[1]– ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص 109.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

وهذه المستويات تعد البناء النّظري المعرفي لسيميائيّة العمل في نظريّة "غريماس"، ولعلّ كلّ مستوى من هذه المستويات يقوم على جملة من المفاهيم والأدوات التي تساهم في تحليل النّص بتتبع أحد المسارين، وفي تحديد البناء المفاهيمي للنّظريّة، يجدر بنا الوقوف على المسار التّحليلي كونه المناسب في تحليل النّص، إذ يساعد المحلّل السّيميائي بالكشف عن حيثيّات النّص انطلاقا من البنية السّطحيّة نحو رصد البنية العميقة، وعليه سنتتبّع هذا التّسلسل المعرفي في ضبط مفاهيم النّظريّة السّيميائيّة.

1-1- المركبة الخطابيّة:

يعدّ المستوى الخطابي أو ما يطلق عليه (المكوّن الخطابي) نقطة انطلاق المحللّ السّيميائي في المسار التّحليلي، إذ ينطلق في دراسته للنّص من البنية السّطحيّة إلى البنية العميقة، ويقوم المستوى الخطابي على جملة من المفاهيم الإجرائيّة التي تساعد المحلّل السّيميائي على بسط النّص إذ «يقدّم مضمون النّص كما لو أنّه صورة منظّمة ومرتّبة وفق مسارات صوريّة يحدّد فيها التّمفصل الخصوصي للقيّم الموضوعاتيّة»[1] وهذه المفاهيم هيّ: (الصّور والمسارات الصوريّة، والدّور الموضوعاتي (التيماتيكي)، والممثّل، وثنائيّة التّفضيّة والتّزمين)، ويمكن بسط هذه المفاهيم أو الأدوات الإجرائيّة كالآتي:

---

[1]- ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص110.

1-1-1- الصوّر (les figures): نسميّ الصوّر تلك الوحدات في الحكاية التي تتوالى في الوصف نوعا ما وتكتسي الأدوار العامليّة والوظائف التي تشغلها في النّص[1] وتخصّ الصّورة التّمثيل في شكل مرئي محسوس لصيرورة الأفعال المحدثة في المحكي، وهكذا يتّضح أنّ عملية تصوّر تلك الأفعال متعلّقة بالمسار السّردي في شموليّته يسعى الاثنان لتكثيف النّص بمزايا دلاليّة لها عميق الأثر في تحليل أبعاده ورصد معالمه (...)، وتأخذ الصّورة مفاهيم وتصوّرات يوردها المعجم على شكل مفردات لغويّة للتّعبير عن رؤية مشتركة تجسّد النّواة المركزيّة التي تحوم حولها تلك المفاهيم[2].

فالصّورة هي هذه العناصر القاعديّة التي يتشكّل على أساسها كلّ ما نعرفه من نصوص، وتقترح إجراءات التّحليل شبكة أولى لتعيين وترتيب الصوّر في ثلاثة أقطاب هي: (الممثّلين، والأزمنة، والأمكنة)، ينطوي تحت كلّ نص ممثّلون ضمن زمن (أزمنة)، ومكان (أمكنة) إنّ هذا التّنظيم هو الذي يساعد على تفريد الوضعيّات الخطابيّة في النّص، وليس الهدف من هذا هو وضع قائمة من العناصر بل إنّه يكمن في وصف العلاقات (الاختلافات، والمقابلات، والتّمثلات) القائمة بين هذه الصّور المتّسمة بتنظيم خصوصي»[3].

---

[1]– Voir, Groupe d'entrevernes, Analyses Sémiotique des Textes p: 89.

[2]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، ص 80.

[3]– المرجع نفسه، ص81.

«فالوحدة المعجميّة التي تأخذ أكثر من مدلول وتشترك مع وحدات معجميّة أخرى في صوّر جوهريّة تعطيها صفة التّوحدّ المتمثّلة في (الحيويّة واحتلال الوضع المركزي) يسميها "غريماس" الصّورة النواتيّة (Sème Mucléaire) ، وهيّ أساس المكوّن الخطابي إذ يعرّفها قائلا إنّها الصّورة الأساسيّة (...) تحقّق مسارات معانميّة سيميميّة (Parcours Sémémique) في سيّاق الخطاب...»[1]، فالصّورة هي الوحدة المعجميّة التي تتلاحم مع غيرها من الصّور لتشكّل المسار الصّوري وبتلاحم المسارات الصّوريّة يتشكّل الدّور التّيماتيكي للممثّل.

1-1-2- المسارات الصورية والتجمعات الخطابيّة: (Les parcours figuratifs et les configurations discursives):

تتوزّع الصوّر في ترتيبها إلى مسارات صوريّة[2]، «ونعني بالمسار الصّوري هو ذلك التّسلسل في الصّور المنظّمة إلى بعضها في تلاحم شديد يحيل على بعضها الآخر، فالإخوة، والأخوات، والأجداد، والأعمام، والأخوال تؤلّف في مجملها مسارا صوريّا بعنوان: "علاقة القرابة"»[3]، ويحيل مفهوم الصّورة عند "غريماس" إلى عنصرين ينتميان إلى الدّلالة الخطابيّة بصفته أحد

---

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية، ص81.

[2]- ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، ص 111.

[3]- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 82.

مستويات المسار التّوليدي للنّظريّة السّيميائيّة وهما: (التّصويري، والتّيماتيكي)[1] أو الموضوعاتي، وإذا أردنا ضبط العلاقة بين هذين العنصرين فإنّهما «متضادّان ومتكاملان في الوقت نفسه، فيأخذ سمة العالم الخارجي المدرك من الحواس، ويختصّ الموضوعاتي بالعالم الدّاخلي أو الأبنية النّفسيّة بالمعنى الدّقيق مع لعبة المقولات المفاهيميّة التي تكونها، إنّ هذين المكوّنين الدّلاليّين يغذيان فيما بينهما علاقات متبادلة»[2].

- **المسار التّصويري:** يتحدّد المسار التّصويري بصفته تسلسلا متشاكلا من الصوّر يكون ملازما لتيمة معيّنة، ويكون هذا التّسلسل قائما على التّرابط بين الوحدات التي تؤطّر ضمن فضاء دلالي متشاكل[3]، وللمسار التّصويري «ضربين من ضروب نظام الصوّر الأوّل يسميه "غريماس" بـ: المسار الصّوري ويعرفه بأنّه مجموعة صور متلاحمة يشدّ بعضها بعضا ويحيل بعضها على بعض، فالسّيارة، والقطار، والحافلة، والطّائرة تؤلّف مسارا صوريّا يحمل عنوان "وسائل النّقل"»[4] أمّا الضّرب الثّاني من نظام الصّور فيسميّه "غريماس"

---

[1]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، ص170.

[2]– أحمد منور، العلاقة بين التصويري والموضوعاتي من الفصل الثالث من كتاب التحليل السيميائي للخطاب لجوزيف كورتيس، مجلة بحوث سيميائية، مخبر العادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، الجزائر، طبع دار هومة، ع2، 2006، ص 137.

[3]– عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب تونس، دط، 1993، ص 79.

[4]– المرجع نفسه، ص 80.

التّجمع الصّوري[1]، أو التّصويريّة التي تتحدّد من خلال اشتغال الوحدات أو الصوّر اللكسيمة التي تتسلسل من منظور قسري ويؤدّي هذا التّسلسل إلى كوكبيّة لها تنظيمها الخاص إنّ (صورة) مثل: "الشّمس" حينما تظهر يمكن أن تنظّم حولها حقلا تصويريّا من الصوّر: (شعاع، ضوء، شفافية، وضوح...) فالصّور تتمظهر أوّلا داخل الأقوال غير أنّها تخترق هذا الإطار لتؤسّس شبكة تصويريّة في المسارات الصوريّة لتغطي مقاطع على مستوى الخطاب، ولتكون تصويريّة خطابية، فالتّصويريّة الخطابيّة "الشمس" تتكوّن من الصّور والمسارات الصوريّة، لذلك فهي أعمّ من المسار التّصويري[2].

ومنه فإنّنا لا نجد مسارا صوريّا واحدا في النّص بل تتعدّد المسارات الصوريّة لتجتمع في نقاط وأوجه مشتركة بينها ترد في شكل تمظهر خطابي (configuration discursive)[3]. «إنّ تصوّر التّمظهر الخطابي يسمح بإعادة طريقة عرض الوحدات على نحو التّشاكل» [4] أو التّماثل فالصّور الليكسيمية تتمظهر مبدئيّا في إطار الملفوظات، إنّها تتجاوز بسهولة هذا الإطار وترسم شبكة تصويريّة علائقيّة تنشر فوق متواليات كاملة مكوّنة

---

[1]– عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص80.

[2]– ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب– الدلالة)، ص 172، 173.

[3]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 83.

[4]– Voir, Algirdas Julien Greimas, Du Sens II Essais Sémiotiques E'ditions du Seuil imprime en France, Paris, 198, p: 62.

فيها (تشكيلات خطابيّة)»[1] ويمكن الإشارة إلى أنّ المسارات الصوريّة محقّقة ظاهرة للعيان، بينما التّمظهرات الخطابيّة فهي بعكس ذلك مجرّدة نكتشفها من خلال تجسيدنا إياها بمقاربة الفكرة العامّة المقوليّة للخطاب، والتي تعدّ الهيكل الأساس له، حتّى يتسنّى لنا الإمساك بالشّكل المنظّم للمحتوى[2] وإذا كنّا قد تعرّفنا على الصّور والمسارات الصوريّة، فإنّ هذه الأخيرة كفيلة بقيادتنا إلى وصف قيمتها الموضوعاتيّة[3].

– **الدّور التّيماتيكي:** إنّ المكوّن التّصويري يستدعي المكوّن التّيماتيكي الذي يتعالق به، وهذا الأخير (يتميّز بأنّه استثمار دلاليّ مجرّد ذو طبيعة مفهومية، وليست له أيّة علاقة ضروريّة مع فضاء العالم الطّبيعي)[4] فالتّيماتيكي يتميّز بالتّجريد فيتحدّد من خلال هذا النّص باعتباره استثمارا دلاليّا مجردّا بخلاف التّصويري القائم على الصّور.

---

[1]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص145.

[2]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 83، 84.

[3]– ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص112.

[4]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي في الخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب– الدلالة)، ص173.

وهـذا يعنـي أنّ التّيمـاتيكي يعتمـد علـى التّيمـات* التـي تتبنـي مـن خـلال المسـار التّصـويري[1]، ويتحـدّد الـدّور التّيمـاتيكي بتكثيـف مـزدوج: – يقوم الأوّل على تكثيف التّصويريّة إلى مسار تصويري، فتصويريّة "الرّسالة" مثلا يمكن أن تكثّف إلى مسار تصويري واحد من بين المسارات التي تكونها كالمسار التّصويري الأوّل المكوّن من الصّور المتعالقة (كتب/ أغلق/ أرسل). أمّـا الإجـراء الثّـاني فيتمثّـل فـي تكثيـف المسـار التّصـويري إلـى تيمـة، ينبثـق منها الدّور التّيماتيكي[2]، فالتّيمة تحيل إلى اسم يكون فاعلا بمعنى أنّه يحيل إلـى دور شـبه تركيبـي هـو الـدّور التّيمـاتيكي إنّ الصّـياد يحمـل فـي ذاتـه بداهـة كلّ إمكانيات فعله، إنّ إدراجه ضمن تشاكل خطابي يجعل منه دورا تيماتيكيّا مسـتعملا مـن طـرف المحكـي، فتيمـة (الصّـيد) مـثلا التـي تنـتج عـن مسـار تصـويري يمكـن أن تكثّـف إلـى دور تيمـاتيكي هـو: الصّـياد، ويتحـدّد الـدّور التّيماتيكي كدور يسنن الممارسات السوسيو ثقافيّة[3].

* تيمات: (م) تيمة: التي تعرف عند أرسطو بأنها الفكرة التي هي موضع الاهتمام الأول للمقالات والقصائد الغنائية، وهي المكون الأساسي الأول للجملة أو النص، مثل: تيمة الحزن، أو الفرح، ينظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2002، ص490.

[1]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، ص174.

[2]– المرجع نفسه، ص 175.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

1-1-3 الموضوع والدّور الموضوعاتي (التّيماتيكي): thème et rôle (thématique): إنّ ضبط العلاقة بين الصّورة والموضوع يقف على ثلاث حالات: «حيث قد يكتسي الموضوع الواحد أساليب مختلفة للتعبير عن صوّر شتّى كأنّ يكون موضوع "الإثارة" على سبيل المثال يحيل على الصّورة الآتية: (إثارة الضّحك، وإثارة الشّكوك، وإثارة الحماس، و إثارة الحرب، وإثارة النّزوات وإثارة الجدل، وإثارة النّزاع)»[1]، كما أنّ الصّورة الواحدة قد تؤدّي إلى موضوعات متعدّدة تختلف باختلاف المعتقدات والتّأويلات، فصورة "السّحر" مثلا قد يعتبرها أهل العلم مجرد "شعوذة" لا غير، وعند بعض البسطاء والسذّج هي موضوع علاج من الأمراض التي يعجز الأطباء عن استئصالها بالأدويّة، وعند أهل الدّين والأئمّة المسلمين كفر وشرك بالله عزّ وجلّ هذا وقد نجد صورة واحدة تعبّر عن موضوع واحد كما هو الحال في صورة الحمامة البيضاء التي ترمز إلى موضوع السّلام، ويمكن توضيح هذه الحالات الثلاث كالآتي[2]:

---

[1]- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص84.

[2]- المرجع نفسه، ص85.

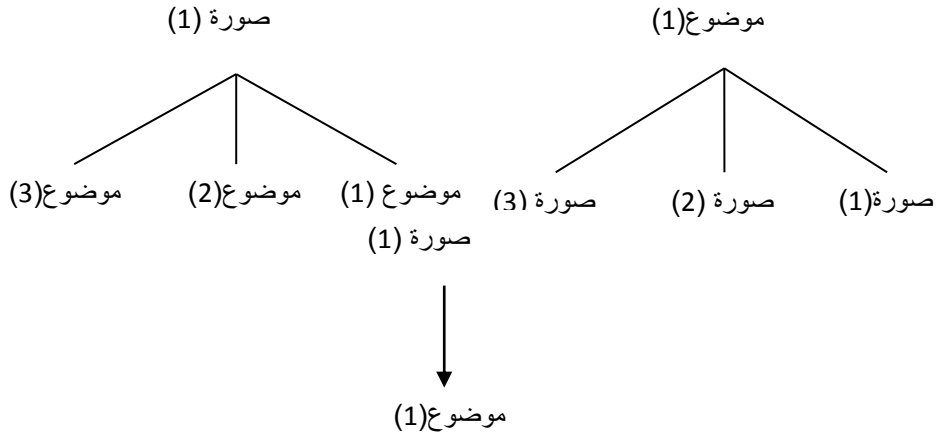

إنّ التّيماتيكي يتمفصل في علاقته بالبنية التّركيبيّة التي تكون من العناصر المرتبطة بالنّحو السّردي المجرّد مثل العامل الذّات والموضوع ممّا جعل "كورتيس" الذي استمرّ يشتغل بهذا المستوى المرتبط بالعلاقة بين التّيماتيكي، ومستوى التّركيب السّردي، يصف علاقتهما من خلال مفهوم هو: "التّيماتيكي- السّردي" (thématico-narratif) وهذه العلاقة تشير إلى الوظيفة التي يؤدّيها المكوّن التّيماتيكي[1]. حيث «يسمح التّحليل النّحوي إذا بيّن أمور عدّة باستخلاص الأدوار العامليّة التي بفضلها تنجز التّحويلات حسب البرامج السّرديّة الخاصّة، وبالموازاة مع ذلك فإنّ المكوّن الدّلالي للحكاية يمكن أن يلتقط جزئيّا من خلال عدد من الأدوار الغرضيّة (الموضوعيّة) ذات طبيعية إمّا اجتماعيّة وإمّا نفسيّة – اجتماعيّة وإمّا نفسيّة، وإمّا معنويّة...»[2].

---

[1]- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، ص175.

[2]- ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ص152.

إنّ للاتّصال بين المستويين: (السّردي، والخطابي) وظيفة هيّ الاستثمار الدّلالي للأشكال النّحوية المعياريّة للسّرد ويسمح بتقديم الإرساليّات السّرديّة[1]، ففي المستوى السّردي نجد الفعل أو الوظيفة وفي المستوى الخطابي نجد المواصفة أو التّيمة، ومنه «فالوظيفة والمواصفة مرتبطان ارتباطا وثيقا حيث يتمّ الانتقال من الوظيفة كفعل متحقّق إلى المواصفة كفعل محتمل، ومن المواصفة إلى الوظيفة كانتقال من الاحتمال إلى التّحقق»[2]، ومنه فإنّ الممثّل سيكون هو عنصر الرّبط بين الوظيفة والمواصفة بين الدّور العاملي كوضعيّة في البرنامج السّردي للمستوى السّردي والدّور التّيماتيكي الذي يشمل المسارات الصوريّة في المستوى الخطابي، ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

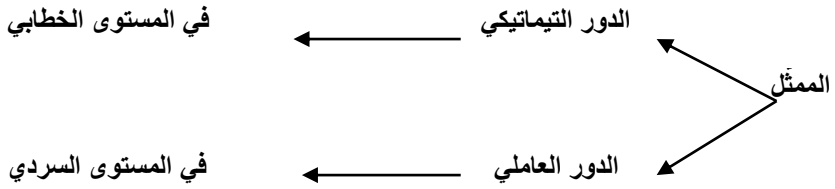

[1]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، ص175.

[2]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية "الشراع والعاصفة"، لحنا مينة نموذجا)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص79.

فالـدّور الموضـوعاتي (التّيمـاتيكي) يرسـم المقولـة السّوسـيو- ثقافيّـة من موضع الممثّل[1].

1-1-4-الممثل (القائم بالفعل) (Acteur):

إنّ اسـتخراج الأدوار الموضـوعاتيّة مـن شـأنه أنّ يعـرف بالوظـائف التي تتميّز بالأفعال المنسوبة إلى الشّخوص، ذلك لأنّ وظيفة الفعل لا يمكن أن تتحـدّد إلاّ مـن خـلال ارتباطهـا بهيئـة أحـد الشّـخوص أو بمبـادرة صـادرة منـه تثبـت بجملـة مـن الصّـفات ذات الكثافـة الدلاليّـة[2] فنسـتخلص الوظيفـة أو الفعل من خلال دور الشّخصيّة أو الممثّل بالمفهوم السّيميائي.

ومنـه يعتبـر الممثّـل مكونـا مـن مكوّنـات المسـتوى الخطـابي ويحـدّده "غريماس" بقوله: «(إذا كان العامل يتميّز بطبيعته التّركيبيّة فإنّ مفهوم الممثّل يبدو منذ الوهلة الأولى على الأقل غير مرتبط بالتّركيب، ولكن بالدّلالة) (...) فالممثّل يـرتبط بالدّلالـة وقـد حـدّدت السّـيميائيّة السّرديّة جملـة مـن المقومـات التي تخصّص المحتوى الدّلالي للممثّل»[3]، ومنه فإذا كان العامل (dáctant) متعلّـق بالتّركيـب فـإنّ الممثّـل (un acteur) غيـر متعلّـق بالتّركيـب

---

[1]- Voir, Yves Reuter, Introduction à Lánalyse du roman, édition Nethan /Her, Paris, 2000, p: 52.

[2]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص85.

[3]- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، ص165.

وإنّما بالوظيفة[1]، ولا يختلف مفهوم الممثّل عند "غريماس" عن مفهوم الشّخصيّة الحكائيّة، في حين يبقى مفهوم العامل أكثر تجريديّة وشموليّة من هذين[2]، ويضع "غريماس" "العامل" مقابل "القائم بالفعل"، ليفرّق بينهما إذ أنّ العامل الواحد قد يتجسّد في أكثر من قائم بالفعل (...)، وكما يجوز أن يكون القائم بالفعل واحدا، مجسّدا لأدوار متعدّدة[3]. وفي هذه المسألة يشير "غريماس" إلى العلاقة بين الممثّل والعامل باعتبارها قانونا تتمثل في حالتين:

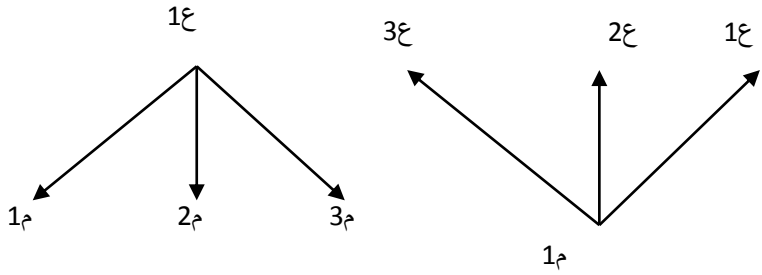

إنّ العامل (ع1) يتمظهر في الخطاب عبر الممثّلين (م1، م2، م3) والعكس ممكن في حالة (م1) يتفرّع إلى عوامل كثيرة (ع1، ع2، ع3)[4] وإذا كان العامل (ع1) يشكّل نواة لاستقطاب الممثّلين، فإنّ الممثّل (م1) يمثّل نواة لتوزيع العوامل، والحالتان تتمظهران بتحديد البرنامج السّردي.

---

[1]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية – التركيب الدلالة)، ص165

[2]– حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب/بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص 98.

[3] – ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 86.

[4]– voir, Algirdas Julien Greimas, du Sens II, p:49.

وهكذا يمكن للتّمظهر الممثلي أن يحصل على توسيع أقصى يتميّز بحضور ممثّل مستقل لكلّ عامل أو دور عاملي (القناع على الوجه) مثلا هو ممثلّ له كيفية "الظّهور" كدور عاملي، فنقول بأنّ البنية الممثّليّة هي في هذه الحالة مموضعة كما يمكن للتّوزيع الممثلي أن يكون له "توسّع أدنى"، ويقتصر على ممثّل واحد يتحملّ كلّ العوامل والأدوار العامليّة الضّروريّة (معطيّا المجال لمسرحيّة داخليّة مطلقة)، البنية الممثّليّة تكون في هذه الحالة مذوّتة[1]. فالقناع كممثّل حسيّ له دور عاملي مساعد على التّخفي بالنّسبة للذّات العاملة.

1-1-5- التفضية والتزمين:

تعدّ ثنائيّة "التفضيّة" و"التّزمين" «من أحد أهمّ مفاهيم "ميخائيل باختين" المعقّدة، وتعني حرفيّا (الزّمان والمكان) لأنّها مركّبة على التّوالي من المفردتين معا وهو مصطلح مقتبس من علم الأحياء الرّياضي حيث يصف "الشّكل" الذي يجمع بين الزّمان، والمكان، والمعروف أنّ إشكاليّة الزّمان وعلاقته بالمكان إشكاليّة ليست جديدة بل قاربها "كانط" وأتباعه كما قاربها غيرهم ولا شكّ أنّ "باختين" في تبنّيه المصطلح قد ربط سيولة العلاقة الزّمانيّة والمكانيّة في نظريّة "أنشتاين" النّسبيّة بالنّقد الأدّبي خاصّة أنّ النّظريّة النّسبيّة تقول إنّ الفصل بين الفعل والزّمن أمر محال لأنّ الزّمن هو البعد الرّابع

---

[1]- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 154.

للمكان، وقد استبعد مثل هذا الرّبط المنظور النيوتيني الضّيق المغلق، وبالتّالي فإنّه ربط استراتيجي يتلاءم مع نظريّة "باختين" الحواريّة»[1].

ولقد عالج "باختين" هذه الثّنائيّة في مقاله: (أشكال الزّمن وأشكال الزّمكانيّة في الرّواية: ملاحظات نحو شعريّة تاريخيّة)، وحدّد الثّنائيّة باعتبارها التّرابط الدّاخلي الفنّي لعلاقات الزّمان والمكان المعبّر عنها في الأدب كما اعتبرت الثّنائيّة وحدة تحليل لدراسة النّصوص من منظور "مايكل هولكويست" و"كاريل إميرسون"[2].

فقد برز الاهتمام بهذه الثّنائيّة في الحقل السّردي، إلاّ أنّه في «معظم الأبحاث التي تناولت منهج "غريماس" السّيميائي في الدّراسة قد اقتصرت على المبادئ الأساسيّة لنظريته المعتمدة على ضرورة تحديد البنيتين السّطحيّة والعميقة لكلّ نص معطى وأهملت جانبين للتّحليل على درجة من الأهميّة هما: البنيات الزّمانيّة والبنيات الفضائيّة أو المكانيّة –البنيات الزمكانيّة– حتّى "غريماس" يعترف بعدم تطرّقه إليها والتّنظير لها مع أنّها تدرج في إطار المكوّن الخطابي والدّلالي»[3].

---

[1]– ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002 ص170.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[3]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص109.

وهذا لا ينفي إشارته لثنائيّة (التّفضيّة والتّزمين) في كتابه الخاص بأقصوصة لموباسان (sémiotique du texte exercices pratiques Maupassant la) «حيث أطّر نتيجة مفهوم أو معرفة انفصال التّفضيّة والتّزمين»[1]، المرتبطة بوضعيّة الممثّل في الملفوظ السّردي بمعنى حالة الممثّل في الوضعيّة البدئيّة وفي الوضعيّة النّهائيّة المتّصلة بثنائيّة التّفضيّة والتّزمين فنكون مثلا أمام تقسيم فضائي (هنا، هناك، هنالك)، وتقسيم زمني الآن/ اللا الآن أو «توالي زمني خاص إمّا بـ (القبل) وإما بـ (البعد)...»[2] ويمكن توضيح هذه الثّنائيّة كالآتي:

- **عنصر التفضية:**

يتوفّر المكان في بنية النّص الرّوائي على بعد بنائي من خلال تشابكه وتعالقه البنيوي/ السّيميائي مع المكوّنات النّصيّة الأخرى[3]، حيث يرتبط الفضاء بعلاقات الشّخوص فيما بينها، لأنّ ما يشكّل التّمايز بين الفضاءات هو التّمايز بين الفواعل والكلّ في اتّصال وثيق بالزّمان[4].

---

[1]– Voir, Algirdas Julien Greimas, Maupassant la sémiotique du texte exercices pratiques, éditions du Seuil, Paris 1976, p: 66.

[2]– Ibid, p:70.

[3]– ينظر: خالد حسين، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، دمشق، ط1، 2008 ص162.

[4]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص113.

وفي معجم "غريماس" نجده يرى «رغم التّميز الذي يتمتّع به مفهوم الفضاء يبقى كعنصر سيميائي يكشف من خلاله بداية ونهاية الاستعمال أو الإنجاز الغامضة والمبهمة من خلال وحدات سيميائيّة»[1]، حيث انطلق "غريماس" من ملاحظات "فلاديمير بروب" للمكان الذي يقسّمه إلى ثلاثة أطر بحسب الاختبارات التي يمتحن فيها البطل (الفاعل)، بانتقاله من فضاء إلى آخر وهي[2]:

1- المكان الأصل وهو مسقط رأسه.

2- المكان الذي يحدث فيه الاختبار التّأهيلي، وهو في طابعه عرضي ومؤقّت.

3- المكان الذي يقع فيه الإنجاز المتعلّق بالاختبار الرّئيسي.

حيث قام "غريماس" بنوع من التّعديل في تناوله للبنيات الفضائيّة إذ اصطلح على المكان الذي تجري فيه الأحداث بـ: (المكان الأصل) بمصطلح الفضاء الخارجي (Espace hétérotopique)، وهو ما يحدّد نقطة انطلاق ونهاية فعل البطل، في حين يصنّف فضاء الفعل (Espace topique) إلى قسمين هما كالآتي:

---

[1]- Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, 1979, p: 358.

[2]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص114.

– الفضـــاء الجـــانبي (Espace paratopique)، وهـــو مكـــان للوســـاطة بين أقطاب التّصنيف الفضائي لاكتساب الكفاءة لذلك يمارس فيه الاختبارين التّأهيلي، والتّمجيدي.

– والفضـاء الـوهمي (Espace utopique)، وهـو المكـان الحـاوي للتّحـول المنطقـــي، وهـــو المـــؤطّر للاختبـــار الرّئيســـي[1]، ويمكـــن توضـــيح ذلك كما في الشّكل الآتي:[2]

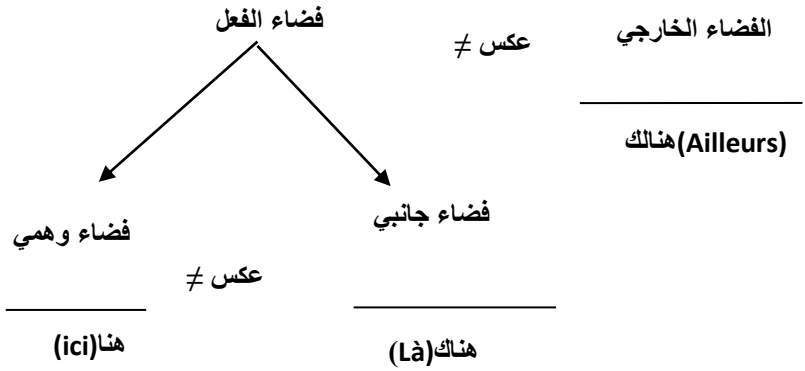

ويرى "غريماس" أنّ الفضاء الخارجي (هنالك) مرتبط بالوضعيّة البدئيّة والوضعيّة النّهائيّة يقابل عكسيا مع فضاء الفعل المرتبط بالكفاءة، والإنجاز للفعل، والذي بدوره ينقسم إلى فضائين متقابلين هما: الفضاء الوهمي (هنا) والفضاء الجانبي (هناك).

---

[1]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 115.

[2]– Voir, Algirdas Julien Greimas, Maupassant la sémiotique du texte exercices pratiques, p:100.

- **عنصر التزمين:**

يتدخل عنصر التّزمين في بناء الممثّل في الرّواية، فنجده يستند إلى ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فالزّمن يشكّل الدعامة الأساس في بناء الذّات على مستوى الحدث والسّرد والمكان[1]، «وتمثّل التّفضيّة والممثّلين والتّزمين عناصر في المركبة الخطابيّة أو النّصيّة الخطابيّة كما أنّها تستعمل إجراءات أو آليّات الفصل والوصل في الملفوظ أساس الإصلاح أو التّجديد»[2] حيث ينتقل الممثّل من الوضعيّة البدئيّة إلى الوضعيّة النّهائيّة، فيحدث تحوّل إمّا بالفصل أو الوصل، بحسب علاقته بالموضوع، فينتقل من حالة الاتّصال أو الانفصال عنه، ولعلّ هذا التّحول للممثّل يمرّ عبر تحوّل في الإطار المكاني، والزّماني.

فالبحث عن البنيات الزّمانيّة متعلّق بالبحث عن الفعل، فحين نربط تلك الأفعال المنجزة بزمان معيّن، ننطلق من شعور عن وعي مسبق بأنّ لحظة وقوع الفعل تخضع لآليّة زمنية تتحكّم فيه، فالأحداث الواقعيّة في بداية السّرد (الما قبل) تتنافى والأحداث الواقعيّة في نهايته (الما بعد)، حيث تنقلب مجرياتها وتتحوّل بين كلا الزّمانين – زمان البداية، وزمان النّهاية– لنجد أنفسنا أمام احتمالات من قبيل:

---

[1]– ينظر: مراد عبد الرحمان مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998، ص158.

[2]– Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, paris, 1997, p:387.

1- ظهور فواعل واختفاء أخرى.

2- تناوب لسيرورة الأفعال.

3- تولد أحداث جديدة ترمي إلى تحقيق أساليب للنّزاع والصّراع معا[1].

وبذلك أشار "غريماس" إلى ثنائيّة "التّفضيّة" و"التّزمين" إلاّ أنّه لم يفصّل فيها، إذ كانت مبنية على فكرة التّحول، والبحث في المفاهيم السّيميائيّة والإجراءات النّقديّة كما في سيميائيّة العمل، وسيميائيّة الأهواء وعليه إذا كانت الدّراسة السّيميائيّة للنّص السّردي تنطلق عبر المسار التّحليلي من البنية السّطحيّة إلى البنية العميقة فإنّ البنية السّطحيّة تضمّ المركبة الخطابيّة والمركبة السّرديّة والبنية العميقة تضمّ المركبة المنطقيّة الدّلاليّة.

1-2- المركبة السّرديّة:

يعدّ المستوى السّردي الخطوة الثّانيّة في البنية السّطحيّة، وفي المسار التّحليلي إذ يعتبر «أكثر تجريدا بالنّظر إلى المستوى الخطابي حيث يسعى إلى إعطاء شكل لانتشار الوضعيّات والأحداث، والحالات، والتّحويلات في الخطاب، ويتقدّم النّص على مستوى التّنظيم السّردي بوصفه متتالية من الحالات والتّحويلات التي تقوم بين هذه الحالات...»[2]، فالمستوى السّردي أو «المركبة السّرديّة للنّص تُعرف بمثابة تتابع الحالات والتّحولات أو سلسلة

---

[1]- ينظر: نادية بوشفرة ، مباحث في السيميائية السردية، ص110.

[2]- ينظر: ميشال آريفيه و آخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص 112.

من الحالات، فالوضعيّة (أ) تتحوّل إلى وضعية **(ب)**، وتسمّى السرديّة ظاهرة لسلسلة من الحالات والتّحولات»[1]، ويقوم المستوى السّردي على جملة من المفاهيم السّيميائيّة التي حدّدها "غريماس" وهي: (النّموذج العاملي والخطاطة السّرديّة، والبرنامج السّردي) وهي كالآتي:

1-2-1-النّموذج العاملي (Le modèle actantiel):

استفاد "غريماس" من تصوّرات معرفيّة سابقة في بلورة النّموذج العاملي وكما أشرنا في هذه الدّراسة فقد استثمر "غريماس" تصوّر كلّ من "فلاديمير بروب"، و"تنيير"، و"سوريو" وغيرهم في تأسيس نظريّته التي تقوم على فكرة التّحول، والضّبط العاملي. ويمكن أن «نميّز في نظريّته بين العامل (Actant) الذي نتصوّره في العمل الذي يؤدّيه فهو كائن مجرّد له دور في التّصرف الوظائفي مثل ذلك تقديم يد العون الذي يعدّ من وظائف العامل (المساعد) وبين القائم بالفعل (Acteur)، وهو الشّخصيّة في كامل صفاتها وصوّرها كما هيّ ظاهرة في النّص» [2].

ويرى "غريماس" أنّ العامل قد يكون فرديّا أو جماعيّا كما يمكن أن يكون مجرّدا، مشيّئا أو مؤنسنا بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسّرد»[2].

---

[1]– Voir, Group d'entrevrnes, Analyse sémiotique des textes, p:14.

[2]– ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لابن هدوقة عينة"، منشورات الاختلاف، ط1، 2000، ص16.

فاستخلص "غريماس" من الدّراسات السّابقة نموذجه العاملي والذي يرى بأنّه «قوّة إجرائيّة كبيرة تتمثّل في قدرته على استيعاب جميع أنواع الخطابات بما فيها السّياسية والفلسفيّة»[1]، ويقوم النّموذج العاملي على ستّة عوامل في شكل ثنائيّات هي: (الذّات والموضوع)، و(المرسل والمرسل إليه) و(المساعد والمعارض)، كما هيّ موضّحة في كتابه (Sémantique structurale)، وتتّخذ العوامل ثلاث علاقات، فالموضوع بعلاقة اتّصال بين المرسل والمرسل إليه برغبة من الذّات الحالة، ويتمّ في النّموذج بعلاقة صراع بين المساعد والمعارض[2]، ولعلّ نواة النّموذج العاملي وجوهره هيّ الذّات والموضوع، ومنه ترتسم التّشكيلة للنّموذج العاملي الشهير لـ: "غريماس" كما في الشّكل الآتي[3]:

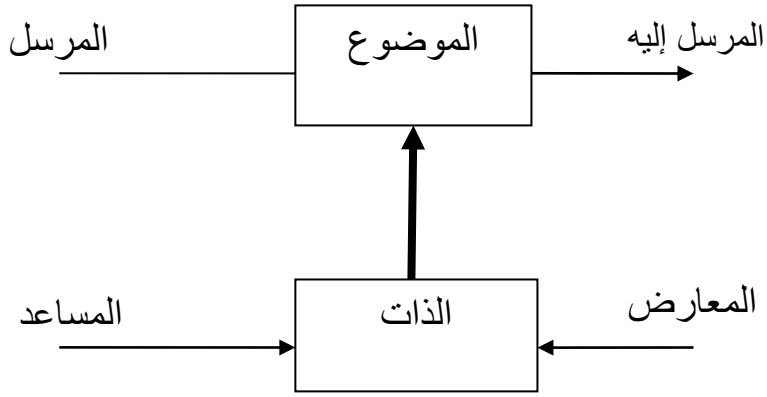

[1]– ينظر: عبد العالي بوطيب، مستويات تحليل النص الروائي (مقاربة نظرية)، مطبعة الآمنية، دمشق، الرباط، د م، ط1، 1999، ص68.

[2]– Voir, Algirdas Julien Greimas, sémantique structurale, p: 180.

[3] – Idem.

وللنّموذج ثلاثة محاور تربط بين العوامل هي كالآتي[1]:

- **محور الرّغبة:** وهو الرّابط بين الذّات والموضوع.

- **محور الإبلاغ أو الاتّصال:** وهو ما يوصل بين المرسل والمرسل إليه.

- **محور الصّراع:** وهو ما يربط بين المعارض والمساعد.

وللتّفصيل أكثر في هذه المحاور سنقف في ضبط وتحليل العوامل السّرديّة للنّموذج في ثلاث فئات كالآتي:

1- الفئة العاملية (الذات والموضوع):

تعدّ هذه الفئة نواة النّموذج العاملي حيث تعد مصدر الفعل ونهايته[2] وتمثّل العلاقة بين الذّات (Sujet) والموضوع (Objet) «العنصر الحيويّ في النّموذج العاملي، لأنّ هذه العلاقة تستقر في وضع غائي (Téléologique) موافق لعمل القدرة على فعل الذّات في امتلاك الموضوع المرغوب فيه»[3]، بمعنى تجمع بين الحدّ الأوّل لهذه الفئة (الذّات)، والحدّ الثّاني لها (الموضوع) علاقة رغبة؛ أي «بين من يرغب "الذّات"، و"الموضوع" المرغوب فيه»[4]، ويقول "جوزيف كورتيس" في هذا الصّدد «إنّ علاقة الذّات والموضوع هي علاقة ربط تسمح باعتبار هذه الذّات وهذا الموضوع كتواجد

---

[1]- ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص48.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[3]- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص49.

[4]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص34.

سيميائي لأحدهما من أجل الآخر»[1]، ويقصد بالتّواجد السيميائي ما يوجد من علاقات، حيث يقول «وباعتبار هذه العلاقة مقولة سيميّة يمكن أن تتمفصل إلى مصطلحين متناقضين اتّصال وانفصال»[2]، بمعنى علاقة الذّات والموضوع هل هيّ في حالة اتّصال أو انفصال، والتي تحدّد في البرنامج السّردي شكلين للتّحول إمّا تحوّل اتّصالي أو تحوّل انفصالي.

وتتحقّق المقولة العامليّة للذّات والموضوع انطلاقا من ملاحظة العلاقة الكامنة بينهما، والمحدّدة للحالة أو الوضعيّة، وبدون شكّ (...) يُتوج نجاح جُهد عامل الذّات بتمظهر الوظيفة السّيميائيّة للفكرة المجرّدة بوجود علاقة الرّغبة بين الذّات والموضوع[3]، بمعنى يحقّق عامل الذّات النّجاح في عمله نحو تحقيق الموضوع انطلاقا من وجود علاقة الرّغبة بين الذّات والموضوع.

2- الفئة العاملية (المرسل والمرسل إليه):

تعدّ هذه الفئة العامليّة الثّانيّة في النّموذج العاملي من خلال محور الاتّصال أو الإبلاغ؛ أي علاقة التّواصل بين «المحرّك أو الدّافع يسمّيه "غريماس" مرسلا (Destinateur) كما أنّ تحقيق الرّغبة يكون موجّها إلى العامل الآخر، هو المرسل إليه (Destinataire)، وعلاقة التّواصل

---

[1]- ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص105.

[2]- المرجع نفسه، ص 106.

[3]- Voir, Algirdas Julien Greimas, sémantique structurale, p: 176.

بـين المرسـل والمرسـل إليـه عبـر علاقـة الرّغبـة بـين الـذّات والموضـوع»[1] ولعلّ العلاقة بين المرسل والمرسل إليه بتعبير "غريماس" موجّهة من "الكلّ إلـى الجـزء" (Hyperonimique) فيمـا نجـد علاقـة المرسـل إليـه بالمرسـل في اتّجاه مناقض له؛ أي من "الجزء إلى الكلّ" (Hyponimique)[2].

ويهتم "غريماس" بهذه الثّنائيّة باعتبارها تمثّل القوّة في نموذجه، فنجده يؤكّد على هذا بقوله: «إنّ المرسل والمرسل إليه هما عاملان دائمان في السّرد ولهما استقلاليّة عن الأدوار العامليّة التّبليغية...»[3]؛ أيّ أنّهما يقومان بفعل الإقناع والتّحريك.

3- الفئة العاملية (المساعد والمعارض):

وتقوم هذه الفئة في النّموذج العاملي على وجود علاقة الصّراع حيث «تتأسّس العلاقة في تقابل هذا الثّنائي على وجود مجموعتين من الوظائف، تقوم المجموعة الأولى على تقديم المساعدة بالعمل في اتّجاه علاقة الرّغبة أو بتسهيل أمر التّواصل فيما تعمل المجموعة الثّانيّة على خلق العوائق للحصول دون تحقّق الرّغبة أو حصول التّواصل، ولذلك تنشأ

---

[1]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص36.

[2]- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص51.

[3]- عليمة قادري، نظام الرحلة ودلالتها "السندباد البحري – عينة"، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط1، 2006، ص389.

بينهما علاقة تعارض (Opposition)»[1]، ومثال ذلك في الحكايات الشّعبيّة إذ نجد «البطل يقوم برحلة البحث عن موضوع القيمة ويصادف في أثناء رحلته من يساعده للوصول إلى أهدافه سواء كان شخصا أو حيوانا أو جنا كما يصادف في الوقت نفسه من يعيق طريقه، ويحول بينه وبين الوصول إلى هدفه النّهائي (...)، وإذا كانت هذه الصّورة المبسطة عنصرا أساسيّا في تشكيل الحكايات الشّعبيّة، فإنّها تبدو بمظهر أكثر تعقيدا في النّصوص المعاصرة (...)، فالمعيق لم يعد صورة خارجية معطاة بشكل ضمني أو صريح في العلاقات الاجتماعيّة فحسب بل أصبح أيضا صورة داخلية فقد يكون البطل معيق نفسه»[2].

بمعنى تدخّل عامل نفسي أو إصابة بمرض أو حادث للبطل قد يشكّل أمامه عائقا نحو تحقيق الموضوع.

ويبقى العامل المساعد يسعى لتقديم العون والمساعدة للبطل في حين يسعى العامل المعارض إلى عرقلة البطل نحو تحقيق هدفه المنشود أو تحقيق موضوعه، وعليه تتشكّل علاقة الصّراع بين العاملين، فالحدّ الأوّل من هذه الثّنائيّة «يقوم بتقديم المساعدة والعمل باتّجاه تحقيق الرّغبة أو بتسهيل التّواصل، أما الحدّ الثّاني فعلى العكس من ذلك يعمل على خلق العراقيل

---

[1]– سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سحر للنشر، تونس، دط 2009، ص72.

[2]– ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص53.

نحو تحقيق الرّغبة أو التّواصل مع الموضوع»[1]، وبهذه الفئة تتحدّد معالم النّموذج العاملي لـ: "غريماس".

وكما حاولت الباحثة "آن أوبرسفيلد" (A-Ubersfeld) تقديم نوع من التّعديل لا يمسّ النّموذج في شكل بنائه النّهائي، ولا في طريقة صيّاغة حدوده، ولكنّه ينصّب على نمط اشتغال الخانات، وعوض الحديث عن خطاطة عامليّة واحدة نهائيّة تختصر التّحوّلات المسجّلة في النّص فإنّها تتحدّث عن حركيّة هذا النّموذج، وتحوّلاته المستمرّة والانزلاق العملي، وتتجلّى هذه الحركيّة في لا استقراريّة المواقع التّركيبيّة[2].

حيث غيّرت الباحثة (A-Ubersfeld) في كتابها (Lire le théâtre) مواقع الذّات والموضوع في النّموذج العاملي، إذ ترى بأنّ المرسل يطلب من الذّات تحقيق موضوع للمستفيد (مرسل إليه)[3]، وكما تفترض أنّ الصّراع يكون حول الموضوع، وليس حول الذّات، وبذلك تتشكّل التّرسيمة البديل للنّموذج العاملي عند الباحثة كالآتي[4]:

---

[1]- عليمة قادري، نظام الرحلة ودلالتها "السندباد البحري – عينة"، ص392.

[2]- ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص52.

[3]- ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، ص16.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص17.

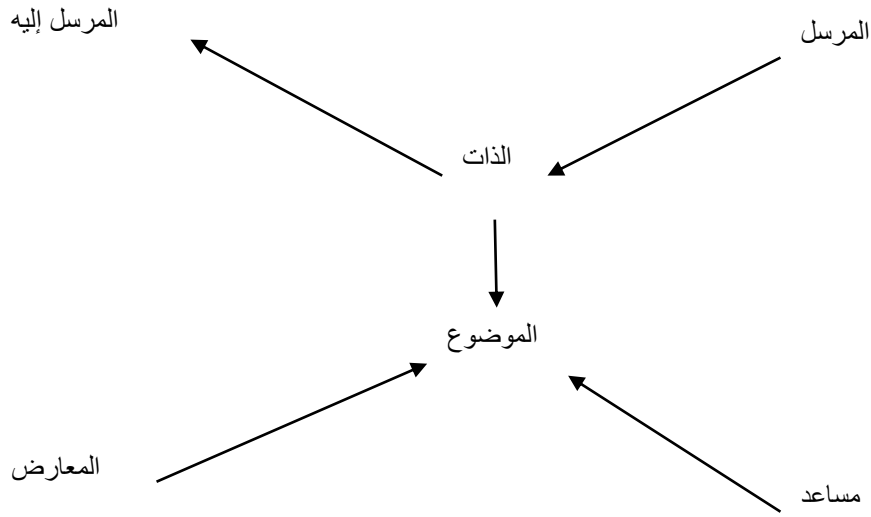

فنلاحظ أنّ سهم الرّغبة غيّر مجراه وأصبح يوصل المرسل بالذّات لتحقيق الموضوع، إلاّ أنّه «قد طرح مشكل المقروئيّة مرّة أخرى ويتجلّى ذلك في السّهم المتّجه من الذّات إلى المرسل إليه، والذي يجب أن يوصل الموضوع بالمستفيد منه لأنّ المرسل غير معني بالذّات كذات، وإنّما بغايتها بالموضوع المسعى»[1]، وفي كيفية تغيير الأسهم أو المواقع بين الذّات والموضوع لا يؤثّر في الكشف عن العلاقات بين العوامل وأدوارها ومنه فالنّموذج العاملي يمتاز بالحركيّة، والسّيرورة المستمرّة في البنية السّرديّة.

وكما استفاد "غريماس" من النّظريات السّابقة في بلورة النّموذج العاملي، فإنّه عدّل فيما بعد وقدّمت قراءات حوله إلاّ أنّه يمكن أن تتغيّر الخانات بتغيّر الأدوار العامليّة في النّموذج، ويمكن أن نجد في النّص أو البنية

[1]– ينظر: السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، ص18.

السّرديّة أكثر من نموذج عاملي واحد «فلا توجد خطاطة عامليّة واحدة نهائيّة»[1]، حيث يمكن أن ينزلق دور المرسل إلى ذات أو مساعد أو معارض ويمكن أن ينزلق دور المساعد إلى ذات في برنامج سردي آخر، وهكذا نكون أمام شبكة علائقيّة من العوامل في البنية السّرديّة.

1-2-2- الخطاطة السردية (Schema narrative):

تقوم الخطاطة السّرديّة على أربعة أطوار هي: (التّحريك، والكفاءة والإنجاز، والجزاء)، و«تقوم داخل هذه الأطوار علاقات بين أدوار العوامل المحققين للحالات والتّحويلات، تشتغل هذه العوامل أدوارا عامليّة تبعا لوضعيتها ضمن تلاحق الأطوار الأربعة ويصدر تحديدها وتطويرها عن هذه الوضعيّة نفسها»[2].

- **التحريك (Manipulation):**

يهدف هذا الطّور لإبراز (فعل الفعل)؛ أيّ يفعل العامل فعلا محدثا لفعل آخر، ويناسب هذا تأسيس فاعل لتحقيق برنامج يطلق المرسل على الدّور العامل الخاص بمنشئ فاعل عامل آخر، ويتمّ ذلك من خلال الإقناع، والتّهديد والإغراء، والوعد...الخ[3]، ولقد أورد في المعجم المعقلن لـ: "غريماس"

---

[1]- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص52.

[2]- ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، ص114.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص114.

أنّ التّحريك هو عمليّة تختلف وتتغيّر بتغيّر الفعل نحو الأداء[1]، فالتّحريك متعلّق باللّحظة الأولى للفعل نحو التّحوّل من حالة إلى حالة مغايرة ولهذا أطلق عليها التّحريك للدّلالة على ذلك، فهو لحظة انطلاق للفعل، ويحدّد التحريك كونه الإطار المرجعي للفعل، والمضمون الإيديولوجي لكلّ الأفعال الآتيّة و«تأسيسا على هذا يجب تحديد التّحريك باعتباره لحظة الحسم الإيديولوجي أو هو الاختبار الإيديولوجي في خطوطه العامة قبل أن تعمل الحركة السّرديّة على تخصيصه وتحديد معالمه من خلال تحديد الوضعيّات الإنسانيّة الخاصّة»[2].

- **الكفاءة (Compétence):**

وتعدّ الكفاءة الطّور الثّاني في الخطاطة السّرديّة، حيث «تهدف إلى إبراز (كينونة الفعل) إنّ قيادة النّشاط مربوطة ببعض الحالات، ويتطلّب تحقيقه شروطا، تشكّل كفاءة الفاعل المنفّذ بامتلاكه لشروط بدونها يتجمّد النّشاط المقيّد في بداية التّحريك»[3]، بمعنى يجب أن يمتلك الفاعل الوسائل التي تمكّنه من القيام بالفعل، وبذلك يمتلك القدرة، والمعرفة، والخبرة الكافيّة نحو الإنجاز.

---

[1]– Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p: 220. .

[2]– ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص59.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص114، 115.

ومنه «إذا كان التّحريك يتمفصل إلى فعلين أساسيين: فعل إقناعي (المرسل)، وفعل تأويلي (الذّات) فإنّ القبول كترجمة ثانيّة للتّأويل يعدّ نقطة إرساء لقواعد اللّعبة الآتيّة، والإعلان عن انخراط الذّات فيها على أنّ هذا القبول لا يعني سوى الانتقال من الاحتمال إلى التّحيين»[1] ولكي تحقّق الذّات إنجاز الفعل بات لزاما عليها أن تمتلك الخبرة المؤهّلة لهذا الإنجاز، والأهليّة لا يمكن أن تتحدّد انطلاقا من ملفوظ الفعل بل من ملفوظ الحالة، وذلك ما جاء في كتاب "سعيد بنكراد" «إنّ ما يشكّل أساس الأهليّة هو ملفوظ الحالة، فالحالة المتجليّة في مرحلة التّحريك (المبني على الإقناع والتّأويل) هي منطلق الأهليّة وعنصرها الرّئيسي ومن هنا فإنّ موضوع الأهليّة يتكوّن من مجموعة من الصّيغ يحدّدها "غريماس" في: (وجوب الفعل، ومعرفة الفعل، وقدرة الفعل، وإرادة الفعل)»[2].

- **الإنجاز (Performance):**

ويعمل هذا الطّور على تجليّة (فعل الكينونة)، والإنجاز كما ورد في معجم "غريماس" يعود في أصوله إلى "تشومسكي"، الذي أتى بهما من التّفرّع الثّنائي (اللّغة والكلام) عند سوسير[3]، فأصول هذا المصطلح تعود إلى الرّافد اللّساني – وقد أشرنا لذلك سابقا– والإنجاز في الخطاطة

---

[1]– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص59.

[2]– المرجع نفسه، ص60.

[3]– Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p: 270.

السّرديّة هو مرحلة التّنفيذ والشّروع في العمل من طرف عامل الذّات لتحقيق الموضوع، و«يعتبر الإنجاز أو الأداء محور البرنامج السّردي ففي غيّابه ينتفي حدوثه **(ب س)**، إنّه نواته التي تعمل بداخلها العمليّات (الأفعال)، فتتحوّل الأحوال والماهيّات إلى غير ما كانت عليه قبلا ومنه جاءت تسميّته بفعل الكينونة...»[1].

وعليه فالإنجاز «هو فعل يؤدّي إلى الحصول على الموضوع ويعتبر الإنجاز أحد الأطوار الأساسيّة في سلسلة تدرّج عناصر البنية السّرديّة المتماسكة التي تنتظّم فيها البرامج السّرديّة حيث تلعب الطّاقات (Qualifcations) التي يمتلكها الفاعل دورها في إدارة الصّراع وتحقيق الفعل»[2].

- **الجزاء (Sanction):**

ويعتبر الجزاء آخر أطوار الخطاطة السّرديّة، فهو مرحلة تقييم الفعل المنجز من طرف الذّات، و«يقوم الجزاء بإبراز (كينونة الكينونة)، وفي ترابطه مع التّحريك المؤسّس للبرنامج المستهدف يقدّم معالجة للبرنامج المحقّق في سبيل تقويم ما تم تحويله، والنّظر في الفاعل المتبنّى التّحويل (...)

---

[1]– نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط، 2011، ص45.

[2]– بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2002، ص24.

يكون الجزاء إيجابيا أو سلبيا تبعا للتّقييم الإيجابي أو السّلبي»[1]. فالعامل الذّات يمكن أن ينجح أو يفشل في البرنامج السّردي نحو تحقيق الموضوع ويمكن دراسة المربّع التّصديقي في طور الجزاء فمن خلاله يمكن الكشف عن ثنائيّة الصّدق والكذب، وكما يمكن الكشف عن الذّات في نهاية الفعل المنجز من خلال معرفة الكينونة والظّهور، وعليه فقد عمل "غريماس" على صيّاغة مبدأ المحايثة من الحقل الألسني في الدّرس السّيميائي، وذلك انطلاقا من «منظورين يُبنى المنظور الأوّل على مقولة التّصديق (Véridiction) المتمفصلة إلى محوريّ المحايثة (الكينونة)، والتّجلي (الظّاهر) (...)، ويؤسّس "غريماس" المنظور الثّاني على المقابلة: المحايثة/ السّمو أين يمكن أن تسخر على الرّسم السّردي لإبراز تباين موقعي الفاعل والمرسل»[2]، فالمصادقة من حيث هي حكم تقييمي، يأخذ في اعتباره مدى ملائمة الأشكال الخارجيّة في شتّى صوّرها لما تحمله بداخلها من اختلاف في الجوهر وتغاير في الماهيّة[3]. وللبحث عن العلاقات الواردة في المربّع التّصديقي نجد في كتاب لـ: "Groupe d'entrevernes" (Analyse sémiotique des textes) ضبط وضعيّات المربّع التّصديقي حيث يقدّم التّحليل السّيميائي بنيات لنظام مجزّء للفعل في التّركيبة ويعرف

---

[1]– ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص115.

[2]– ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص09،10.

[3]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص74.

كإطار لهذا النّظام (باطن عكس ظاهر)، ولترتيب قيّم النّظام نجد تعدّد صوّره التي بدورها تلخّص المربّع التّصديقي وهي كالآتي[1]:

أ- علاقة الحالة الإيجابيّة تعرف نحو مخطّط الباطن، ونحو مخطّط الظّاهر: ظاهر/+/باطن/ أو بمعنى آخر: /كينونة/+/ظاهر/ وهذا التّنسيق يظهر صورة (الحقيقة) في شكل/ظهور/+/ كينونة/= حقيقة.

ب- علاقة الحالة السّلبيّة تعرف بأحد المخططين: /ظاهر/+/لا باطن أو /لا ظهور/+/ لا كينونة/ وتعرف الحالة بـ: (مزيف) وذلك في الشّكل: /لا ظهور/+/ لا كينونة/= مزيف.

ج- علاقة الحالة السّلبيّة تعرف نحو مخطّط (الظّاهر)، والإيجابيّة نحو مخطّط (الباطن): /لا ظاهر/+/ باطن/ وتعرف الحالة بـ: (خفي) أي في شكل: لا ظاهر/+/ كينونة/= خفي أو سر.

د- علاقة الحالة الإيجابيّة تعرف نحو مخطّط (ظاهر)، وسلبيّا نحو مخطّط (باطن)، ومنه /ظاهر/+/لا باطن/ وتعرف الحالة بـ: (كذب) أي في شكل: /ظهور/+/ لا كينونة/=كاذب.

---

[1]- Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 43.

وهذه أربع وضعيّات لصوّر تتمظهر في مخطّط منظّم يرد في شكل مربّع كالآتي[1]:

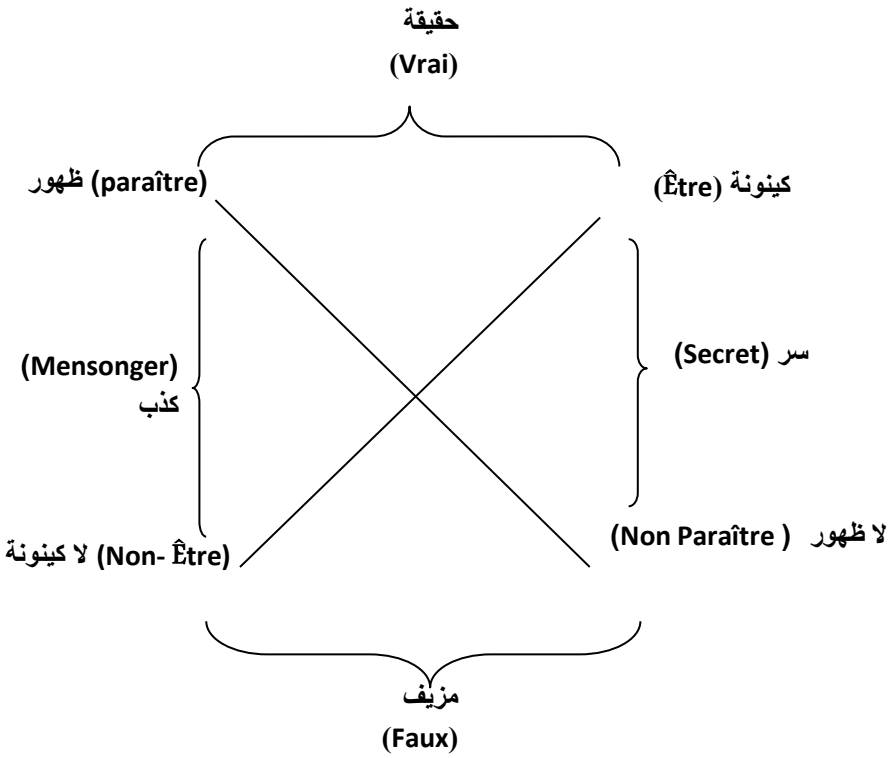

ويمكن تلخيص هذه الأطوار الأربعة للخطاطة السّرديّة، كما ورد في كتاب ((Groupe d'entrevernes)) في الجدول كالآتي[2]:

---

[1]– Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes, p: 43.

[2]– Voir, Ibid, p:19.

التّحريك (Manipulation)	**الكفاءة** (Compétence)	**الإنجاز** (Performance)	**الجزاء** (Sanction)
فعل– الفعل	كينونة– الفعل	فعل– الكينونة	كينونة– الكينونة
– علاقة المرسل بالذّات العاملة أو المنجزة.	– علاقة الذّات العاملة أو المنجزة بعمليّة موضوع صيغي (جيهي).	– علاقة الذّات العاملة أو المنجزة الحالة بموضوع القيمة.	– علاقة المرسل بالذّات العاملة. – علاقة المرسل بالذّات الحالة.

1–2–3–البرنامج السردي: (Le programme narratif (PN):

يعدّ البرنامج السّردي من المفاهيم السّيميائيّة في المركبة السّرديّة فإذا كانت الخطاطة السّرديّة تقوم على وجود أربعة أطوار تحدّ الانتقال من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة لها، فإنّه ولكي تتظافر هذه الأطوار و«تشتغل لابدّ من وجود إطار يحدّد للفعل منطقا وغاية وإنّ هذا الإطار يطلق عليه "غريماس" "البرنامج السّردي"، والبرنامج السّردي صيغة تركيبيّة منظّمة للفعل الإنساني بشكل صريح أو ضمني»[1].

[1]– سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص68.

فالبرنامج السّردي هو الهيكل العام الذي تشتغل فيه أطوار الخطاطة السّرديّة «ويطلق البرنامج السّردي في الواقع على توالي السّرديّة في الحكاية بمعنى سلسلة من الحالات والتّحوّلات تحددّ علاقة الذّات بالموضوع في البرنامج السّردي (PN)»[1]، «(....) أيّ تتابع علاقة الحالات والتّحولات المتسلسلة نحو قاعدة علاقة الذّات (Sujet) بالموضوع (Objet) (S,O) وفي هذا التّحول (PN) (Programme narratif) البرنامج السّردي تتألّف إذن تحوّلات كثيرة»[2].

فالبرنامج السّردي يتعلّق بعمليّة التّحويل التي تتّسم باتّصال الفاعل بالموضوع، على ذلك ينبه "غريماس" إلى أنّ الفاعل لا يشترط أن يكون إنسانا بالضّرورة وموضوع القيمة ليس شيئا جامدا، إنمّا هو: (أدوار ومفاهيم ووضعيّات تركيبيّة[3]، لها علاقتها في البنية السّرديّة وتأخذ علاقة الذّات العاملة بالموضوع في البرنامج السّردي شكلين هما[4]:

– **ملفوظ الحالة الفصلة:** الذّات (s) والموضوع (o) في علاقة انفصال ويأخذ الشّكل (U) كعلامة للانفصال، ويكتب: (s U o)؛ أيّ (الذّات U الموضوع).

---

(1)– Voir, Groupe d’entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 65.

(2)– Voir, Ibid, p: 16.

(3)– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص54.

(4)– Voir, Groupe d’entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 15.

– **ملفـوظ الحالــة الوصـلة:** الـذّات (s) والموضـوع (o) فـي علاقـة الاتّصـال ويأخــذ الشّــكل (∩) كعلامــة للاتّصــال، ويكتــب: (o∩s)؛ أي (الــذّات ∩ الموضوع).

فالبرنـامج السّـردي يتكـوّن مـن ملفـوظ فعـل وملفـوظ حالــة ويظهـر ذلك في الصّيغة الآتيّة[1]:

ب س = و [ذ1 ⟵ (ذ2 ∩م ق)].

ب س = و [ذ1 ⟵ (ذ2Uم ق)].

ففي الصّيغة الأولى نلحظ أنّ البرنامج السّردي لملفوظ الفعل يتم بتحوّل الذّات الفاعلة أو المنجزة إلى ذات حالة نحو علاقة اتّصال بالموضوع القيمة أمّا في الصّيغة الثّانيّة فإنّ البرنامج السّردي يأخذ وظيفة في ملفوظ الفعل بانتقال الـذّات الفاعلــة أو المنجـزة إلــى ذات حالــة نحــو علاقــة انفصــال عن موضوع القيمة، ومنه فهناك شكلان للتّحوّل في البرنامج السّردي الأوّل تحوّل اتّصالي حيث ينتقل عامل الذّات من علاقة انفصال عن الموضوع إلى علاقة اتّصال ويأخذ الصّيغة الآتيّة:

(ذ1 U م ق) ⟵(ذ2 ∩ م ق).

---

[1]– Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p:297.

والشّكل الثّاني للتّحول في البرنامج السّردي هو تحوّل انفصالي يتمّ بانتقال الذّات العاملة أو المنجزة من علاقة اتّصال بالموضوع القيمة إلى علاقة انفصال عنه، ويأخذ الصّيغة الآتيّة:

(ذ1 ∩ م ق)⟵ (ذ2 U م ق).

كذلك يتحوّل البرنامج السّردي البسيط إلى برنامج سردي مركّب إذا تطلب مسبقا تنفيذ برنامج سردي آخر، كحال القرد الذي يسعى إلى الحصول على الموز فيجد نفسه محتاجا إلى البحث عن عصا، ويطلق على البرنامج الأوّل (السّعي للحصول على الموز) اسم البرنامج السّردي الأساس أو الرّئيس أو القاعدي (Programme narratif de base) ويطلق على الآخر (البحث عن العصا) اسم البرنامج السّردي العملي أو الاستعمالي أو الرّديف (Programme narratif d'usage)[1]، فالأوّل أيّ البرنامج السّردي الرّئيس هو في طابعه أساسي لتعيين الإنجازات المستهدفة لتحقيق تحويل رئيسي في العلاقة بين الذّات والموضوع، والثّاني أي البرنامج السّردي الرديف وهو الذي نجده وسيلة أو ذريعة مدرجا ضمن البرنامج الأساسي لذلك فهو يعدّ برنامجا ثانويّا يحقّق إنجازا فرعيّا[2].

---

[1]– ينظر: لطيف زيتوني، معجم المصطلحات نقد الرواية (عربي– إنجليزي– فرنسي) مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002، ص33.

[2]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص57.

1-3- المركبة المنطقيّة الدّلاليّة:

إذا كانت البنية السّطحيّة تقوم على وجود المستوى الخطابي، والمستوى السّردي فإنّ البنية العميقة في دراسة البنية السّردية من المنظور السّيميائي تقوم على وجود المستوى المنطقي الدّلالي الذي يضمّ مجموعة من المفاهيم يقف المحلّل السّيميائي منها بالدّراسة والتّحليل وهذه المفاهيم هي كالآتي:

- **المربّع السّيميائي (Le carré sémiotique):** لقد اقترح "غريماس" نموذجه التّكويني أو ما يعرف بالمربّع السّيميائي، والذي استثمره من دراسات سابقة، حيث يعتبر المربّع السّيميائي «نموذج لشبكة العلاقات الدّلاليّة الأساسيّة (...) قابل للتّماثل مع بعض أوجه التّركيب السّردي وبالنّسبة لـ: "غريماس" (المربّع السّيميائي) هو قبل كلّ شيء بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة»[1]، حيث يرد في معجم "غريماس" أنّه «يقصد بالمربّع السّيميائي التّمثيل البصري لعلاقات منطقيّة في المقولة السّيميائيّة لأيّ بنية...»[2].

فالهدف من مشروع الدّلالة البنيويّة عند "غريماس" هو البحث عن الشّروط التي بواسطتها نتلقّى المعنى، إنّ كلّ معنى لا يقوم

---

[1]- ينظر: أ، ج، غريماس، ج، كورتيس، د باط، الكشف عن المعنى في النص السردي -النظرية السيميائية السردية- تر: عبد الحميد بواريو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص151.

[2]- Voir, A.J. Greimas, J, courtés, sémantique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p:29.

على تعارضات ثنائيّة فقط، وإنّما على تعارضات من نوع **(أ، ب)** و**(لا أ، لا ب)** مثل: **(أسود، أبيض)** و**(لا أسود، لا أبيض)**، فإنّ منظومة المربّع السّيميائي ذات طبيعة منطقيّة دلاليّة، ويجب أن ينظر إليها باعتبارها سابقة عن كلّ استعمال لأنّ الأمر يتعلّق بنموذج شكلي سابق عن كلّ معنى أي أنّها خطاطة تجريديّة مشكّلة قبل كل استعمال مدلولي[1].

ومنه فإنّ «أهميّة المربّع السّيميائي تكمن في تمثيل العلاقات بين العناصر وإخضاعها لنظام منطقي **(علاقات التّضاد، والتّناقض، والتّكامل أو التّضمن)**، والعمليّات الممارسة على العناصر التي تربطها علاقة عمليّة النّفي وعملية الإثبات، ترمي هاتان العمليّتان إلى نفي عنصر لإبراز، عنصر آخر (...)، ويساعد المربّع السّيميائي على الفصل في هذه العلاقات وتوضيح وتقدير الرّوابط التي تقيّمها فيما بينها، بالإضافة إلى ذلك فقد استطاع التّحليل السّردي أن يبرز البعد الجدالي وبالتّالي المقابلة بين الفواعل والمواضيع المتعلّقة بالقيمة المتصارع عليها، ويسمح المربّع السّيميائي بتوضيح نوعيّة المقابلة القائمة»[2].

ويهتمّ المحلّل السّيميائي بدراسة المربّع السّيميائي في المستوى المنطقي الدّلالي للكشف عن إنتاج الدّلالة في البنية السّرديّة، ويقوم هذا المفهوم على «البنية الأوليّة للدّلالة التي تتميّز بمظهرين: مظهر عمودي يظهر

---

[1]– ينظر: ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك ص.47

[2]– المرجع نفسه، ص 121.

لنـا العلاقـات التّاليّـة: (التّضـاد، والتّنـاقض، والتّـداخل)، ومظهـر مركبـي وهـو الـذي يجسّـد البعـد الـدّينامي للمربّـع السّـيميائي اعتمـادا علـى التّـوازي بـين العلاقـات التـي تعـدّ السّـند المركـز بالنّسـبة للمظهـر المركبـي الدّينامي...»[1].

فبالنّسبة للمظهر العمودي تتشكّل الدّلالة لوجود علاقات بين الثّنائيّات الضّـديّة، ولقـد حـدّد "غريمـاس" هـذه الثّنائيّـات مـن خـلال العلاقـات الكامنـة في المربّع السّيميائي في المعجم كالآتي[2]:

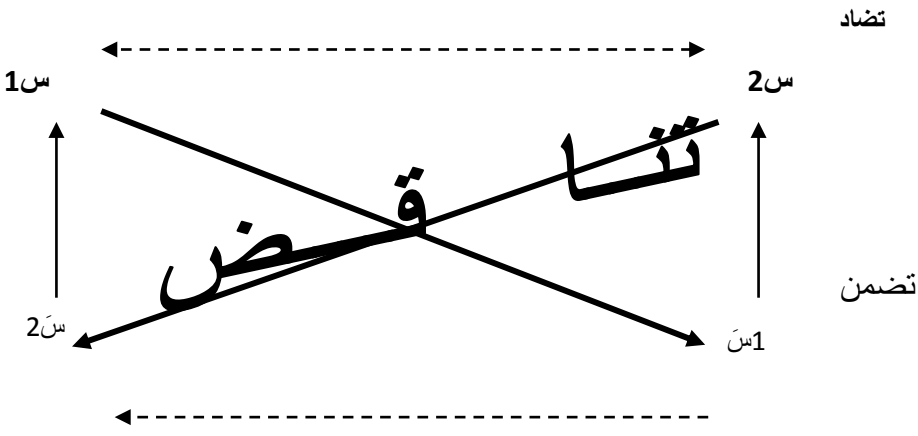

تحت التضاد

أو: ⟵ علاقة تناقض: (Contradiction).

---

[1] – ينظـر: عبـد المجيـد نوسـي ،التحليـل السـيميائي للخطـاب الروائـي (البنيـات الخطابيـة التركيب – الدلالة)، ص148، 149.

[2]– Voir, A. Greimas, J, Courtés Sémantique dicionnaire riasonné de La Théorie du langage, p: 32.

- - - - ◄ علاقة تضاد: (Contrariété).

◄—— علاقة تكامل (تضمن): (Complémentarité).

ولقد وضّح "رشيد بن مالك" هذه العلاقات في كتابه: (مقدّمة في السّيميائيّة السّرديّة) على نحو ما أثبته "غريماس"، ويمكن أن نوردها في الخطاطة الآتيّة[1]:

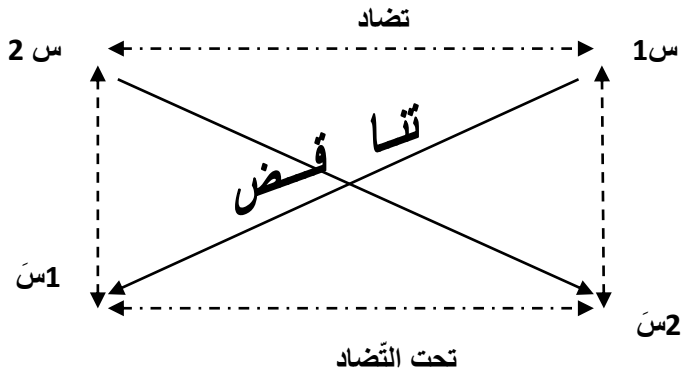

أمّا بالنّسبة للمظهر المركبي فإنّ المربّع السّيميائي يتشكّل بوجود حركة المسارات الدّلاليّة لست علاقات فيتأطّر كالآتي[2]:

- **التّضاد:** س1 ≠ س2، و سَ1≠ سَ 2.
- **التّناقض:** سَ1≠ س1، وس2 ≠ سَ2.
- **التّضمن:** سَ1 ≠ س2، و سَ 2 ≠ س1.

---

[1]- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص14.

[2]- المرجع نفسه، ص16.

ولقد وضّحت "آن إينو" المربّع السّيميائي وضبطت مساراته من خلال تقديمها لمثال يبسط أطراف النّموذج التّكويني أو المبّع السّيميائي لـ: "غريماس" كالآتي[1]:

أ = غني

أ ≠ ب وتقرأ: ب = ضد أ = فقير.

أو بَ = لا أ =/ لاغني/.

ويمكن توضيحه في الشّكل الآتي[2]:

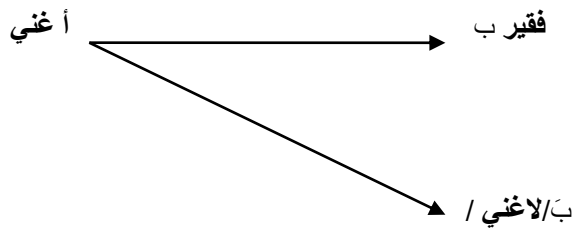

-الصورة: (1)-

ولإنتاج (أ) كنقطة بداية نختار (ب) أيضا:

ب ≠ أ، لأن ب = فقير، ومنه أ = غني، و أَ= /لا فقير/.

---

[1]– Voir, Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique introduction à la sémiotique générale, presses universitaires de France, Paris, 1979 p: 125.

[2]– Ibid, p: 131.

ويمكن توضيحه في الشكل الآتي[1]:

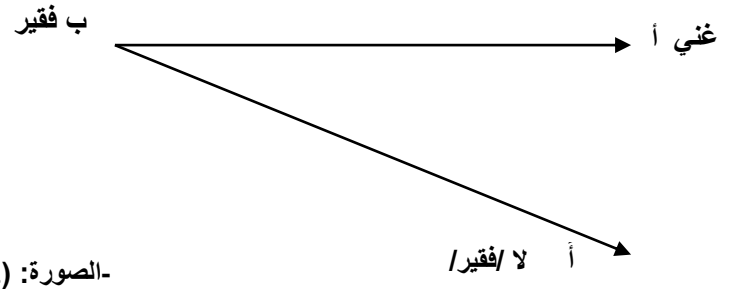

-الصورة: (2)-

ومن خلال تقاطع الصورتين (1)، و(2) نتحصّل على الصّورة (3) في الشكل الآتي[2]:

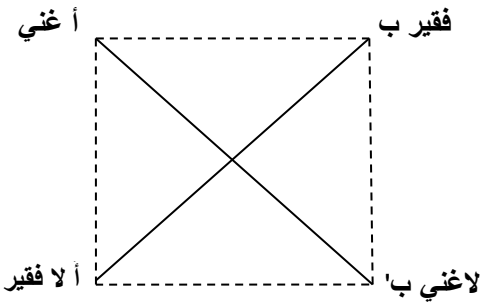

-الصورة: (3)-

ومن خلال الصّورة (3) يتاطر المربّع السّيميائي، وتحدّد "آن إينو" الوضعيّات والمسارات كالآتي[3]:

---

[1]– Voir, Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique introduction à la sémiotique générale, p:131.

[2]– Idem.

[3]– Voir,Ibid, p:132.

2 ×2 = 4 وضعيات، و 2× 3 = 6 مسارات.

2 مسارات الاتّصال/ الانفصال" أ" و" ب".

2 مسار اقصاء؛ أي أ ≠ بَ / ب ≠ أ إذا كان غنيّا فلا يمكن أن يكون لا غنيّا في الوقت نفسه.

2 ◄ مسار اقتضاء بَ---- ب/أ ◄أ؛ أيّ حالة (الفقر) تقتضي سلفا حالة (لا غنى) مثلا، وهذه الصّورة للوضعيّات والمسارات هي النّموذج الثّابت للدّلالة، ويمثّل صورة "الدّلالة البنيويّة" لـ: "غريماس" (باريس 1966) وكقاعدة سرديّة "في المعنى" (باريس 1970)[1]، ويلحق "غريماس" لهذه المسارات بعدين متميزين هما: (الصّدق، والكذب)، وهكذا يتبلور المربّع السّيميائي لوجود الوضعيّات والمسارات.

- البنيات العميقة (les structures profondes):

- الوحدات المعنوية الصغرى في الدّلالة (Les unités minimales de la signification):

إنّ المحلّل السّيمائي يقف في دراسته للبنية السّردية للكشف عن المعنى والدّلالة الكامنة في ثنايا النّص، والتي يمكن رصدها من خلال «الوحدات السّرديّة في النّص والمؤطّرة في شكل علاقات منطقيّة متداخلة هي حصيلة

---

[1]– Voir, Anne Hénault, les enjeux de la sémiotique introduction à la sémiotique générale, p:131 .

الاختلافات والتّقابلات القائمة في صلب الخطاب»[1]، ومنه يستلزم تتبّع حركيّة الدّلالة في النّص لاستخلاص المعنى، ومن هذه الوحدات المعنويّة في النّص (السيم، والسيميم، و اللكسيم).

- السيمات (Les sèmes):

نكتشف المسارات السّيميميّة للصّور بمحاولة توضيح علاقة السّيميمات المتتابعة للصّور، فتتحدّد مجموعة من علامات دلاليّة صغرى أو وحدات معنويّة دنيا في الدّلالة وهذه العلامات الصغرى تسمى سيم (Sème)[2] «وتعرف السّيمات بأنّها وحدات معنويّة صغرى حيث أنّ الوحدة الأساسيّة للدّلالة هيّ السّيم أصغر عنصر معنوي لها الذي لا يمكن ظهوره إلاّ إذا ارتبط في علاقة بعنصر آخر مغاير له، وظيفته خلافيّة، وعليه فلا يمكن إدراكه إلاّ في إطار مجموعة عضويّة في إطار بنية»[3]، فالسّيمات كما هو الحال بالنّسبة إلى الفونيمات في علاقتها بالفيمات* والمتواجدة على التّعبير في النّظام

---

[1]- ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص91.

[2]- Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 166.

[3]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص 91.

*الفيمات بمعنى الصّوامت التي مع الصّوائت تنتج الفونيمات، مفردها: الفونيم (Phoneme): وهو الصّوت اللّغوي. ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002 ص303.

الفونولوجي لمدرسة براغ، حيث إنّهما يصبّان في مجرى واحد ووحيد هو حقل الألسنيّة، إلاّ أنّ الإشكال المطروح هو:

– كيف يمكننا التّمييز بين الصّعيدين؟ يردّ "غريماس" على هذا الإشكال ويقرّ بوجود تشاكل (Isomorphisme) بين السّيمات والفيمات فكما أنّ الفيمات في تفاعلها مع بعضها البعض تنتج الفونيمات كذلك هو الحال بالنّسبة إلى السّيمات التي تنتج السّيميمات لكن الفارق بينهما نراه في الأبعاد النّظميّة للفونيم التي لا علاقة لها بالسّيميم حيث ما يصدر عن تفاعل الفونيمات يشكّل مقاطع (Syllabes) في حين نجد تفاعل السّيميمات ينتج عنه ملفوظات دلاليّة[1].

– اللكسيم (Lèxème):

وتتحدّد صورة اللّكسيم في وجود العلاقة في (المسار السّيمي)، ويتحدّد هذا المسار السّيمي في إنتاج المعنى، ولإنتاج المعنى يتم ضبط وتحليل مجموعة من علامات سيمية أو سيمات (Sèmes Sémiques au)[2] ومنه يمكن تحديد ذلك كالآتي[3]:

---

[1]–عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات، ص303.

[2]– Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 118.

[3]– Ibid.

صور لكسيمات (لكسيم) Figure

(Lèxème) Lexématique

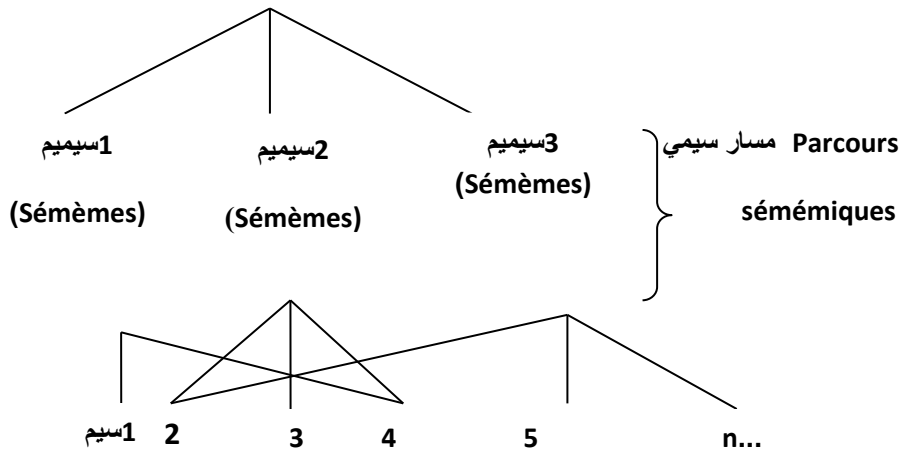

ومـن الكـلّ يتّضـح أنّ صـورة اللّكسـيم تكتمـل بتظـافر مجموعـة من السّيميمات، وكلّ سيميم يقوم على وجود جملة من عناصر سيم تربطها علاقـة، ومنـه فـإنّ «رصـد صـور اللّكسـيمات التّصـويريّة الخطابيّـة تكمـن في تصوّر لضبط حزمة منظّمة لنسق من العلامات في المعنى، وهذه العلامات تعـرف أو تتحـدّد بشـكل خـاص فـي صـورة، وهـذه الصّـورة إمّـا تشـكّل لكسـيم أو تشكّل خطابيّا نحو سيم نواتي[1]:

وعلـى هـذا الأسـاس فهنـاك نوعـان مـن السّـيم همـا: السّـيم النـواتي (Sème nucléaire)، والسّيم السّياقي (Sème contextuel)، فـالأوّل

[1]– Voir, Groupe d'entrevernes, Analyse sémiotique des textes p: 120.

هو أساس المكوّن الخطابي المجسّد للصّور والتجمّعات الخطابيّة التي تأخذ شكل سيمات للمعنى ويسمّيها "غريماس" بالسّيمات النّواتيّة، مثل صورة (قمّة الجبل) لها سيمات نواتيّة هي: /شاقولي/+/ منته/+/مرتفع/+/شامخ/، فتشكّل ما يسمّى المستوى السّيميائي للمعنى، والثّاني السّيم السّياقي أو الكلاسيم ينتج عن تفاعل الصّور في الخطاب انعقاد لتعالق أو تراسل بينها تعرف في السّياق بمعالم لسيمات عامّة تدعى بالسّيمات السّياقيّة أو الكلاسيم من خاصيّتها طاقتها التّوليديّة بحكم إحالتها على أقسام عامّة مثل: (حياة/ موت)، (إنساني /حيواني)، وتتغيّر دلالتها بتغيّر القسم الذي ينتمي إليه والسّياق الذي يرد فيه، ومثل كلمة (عظيم) التي تأخذ معاني مختلفة بحسب السّياق الذي ترد فيه مثال: (صدق الله العظيم) مؤشّر إلى العبادة والإيمان بالله –جلّ جلاله– أيّ الجانب الدّيني العقائدي، ومثال: (شاهدت ناطح سحاب عظيما) فيضمن دلالة على فنّ العمران، ومثال: (زلزال عظيم) فهو دلالة على طبيعة جيولوجيّة وإلى غيره من المعاني المختلفة بحسب السّياق، فتشكّل السّيمات السّياقيّة ما يسمّى في المستوى الدّلالي للمعنى بالسّيمات النّواتيّة[1].

- **التّشاكل والتّباين:**

تقوم النّظريّة على جملة من المفاهيم التي تستخدم في تحليل النّصوص للكشف عن المعنى، ومن هذه المفاهيم التّشاكل والتباين، «فالتّشاكل في المفهوم السّيميائي الغربي آت في أصل الوضع من جذرين يونانيين أحدهما

[1]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص94، 95.

هو (isos)، ومعناه يساوي أو مساوي، والآخر هو (Topos)، ومعناه المكان ومع مرور الوقت أصبح هذا المصطلح يطلق توسعا على الحال في المكان من باب التماس علاقة المجاورة أو علاقة الحاليّة ذاتها»[1].

ويعتبر أوّل من نقل مفهوم التّشاكل هو "غريماس"، وذلك من ميدان الفيزياء إلى ميدان اللّسانيّات، وقد احتل هذا المفهوم في الاتّجاه (السّيميائي البنيوي) مكانا هامّا واستعمل كمفهوم إجرائي في تحليل الخطاب وإذا كان "غريماس" قد قصره على تشاكل المضمون في كتابه (الدّلالة البنيويّة) فإن "فرانسوا راستيه" قد عمّمه ليشمل التّعبير والمضمون معا؛ أي أنّ التّشاكل يصبح متنوّعا بتنوّع مكونات الخطاب بمعنى أنّ هناك تشاكلا صوتيّا، وتشاكلا نبريّا، وإيقاعيّا، وتشاكلا منطقيّا، وتشاكلا معنويّا[2]، ومنه عرف المصطلح شيوعا في الدّراسات النّقديّة «ولئن كان "غريماس" صاحب السّبق لتبنّي هذا المصطلح في الدّراسات اللّغويّة فإنّ للمصطلح إرهاصات سابقة في الدّرس العربي من طرف بلاغيين حاموا حول المفهوم دون أن يلامسوا جوهره ولبّه حيث نظروا إلى هذا المفهوم تحت مصطلحات مختلفة أهمّها: (الطّباق والمقابلة، واللّف، والنّشر، والجمع، والتّوريّة...)»[3]. وإن كان مفهوم «التّشاكل عند "غريماس" هو مجموعة متراكمة من المقولات المعنويّة فإنّه عند "فرانسوا

---

[1]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص235.

[2]– ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2 دط، د ت، ص18.

[3]– ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص236.

راستيه" يعرف بأنّه كلّ تكرار لوحدة لغويّة مهما كانت، وهذا التّحديد يشير إلى أنّ التّشاكل لا يحصل إلاّ عند تعدّد الوحدات اللّغويّة المختلفة، ومعنى هذا أنّه ينتج عن التّباين، فالتّشاكل والتّباين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر»[1]، «أمّا جماعة (Mu) فإنّها قد حددت مفهومها للتّشاكل فيما يلي: (تكرار مقنّن لوحدات الدّال نفسها (ظاهرة أو غير ظاهرة) صوتيّة أو كتابيّة أو تكرار لنفس البنيات التّركيبيّة (عميقة أو سطحيّة)»[2]، (...) إنّ هذه الجماعة (Mu) وضعت في اعتبارها كلاّ من القاعدة المعنويّة والقاعدة التّركيبيّة المنطقيّة، يضرب لنا "محمد مفتاح" أمثلة توضّح الاختلاف بين هذه المدرسة وبين "غريماس" – (اللّيل هو النّهار) تشاكل عند "غريماس" لاحتوائه على مقوّم جامع بينهما، وهو مقياس (الزّمان)، ولا تشاكل فيه عند الجماعة للتّناقض التّركيبي المنطقي[3].

فالمعنى من حيث هو إيقاع يتراوح بين سكون الأسلوب وحركته في قانون التّباين، والاختلاف ولا غرو أنّ تنظر "جماعة أنتروفرن" (Groupe D'Entreverne) المخلصة لسيميائيّات "غريماس" المحايثة، ومدرسته في الدّلالات البنيويّة، والسّرديّات السّيميائيّة إلى المعنى في منطلق قائم على التّباين، فهي تتمثّل في (الوصف الواسع للقوانين العامّة لإنتاج المعنى

---

[1]– ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)، ص18.

[2]– فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص238.

[3]– المرجع نفسه، ص238.

الإنساني)، ومن هنا ينفلت المعنى من العلامة ليندسّ في ثنايا العلامات المخصوصة مثل: (الرّموز، والإشارات، والأيقونات، والقرائن، والمؤشّرات والأدلّة، والبراهين، والحجج)[1].

فإدراكنا للمعنى يتمّ بوجود المضاد له «فنحن ندرك الأشياء في ضوء ما يقابلها تلك هي خصوصيّة العقل الاستنباطي الشّاملة للمعرفة الإنسانيّة فكما لا يحصل الحضور إلا بمقابلته للغيّاب، كذلك يدرك معنى الحياة بمقابلته للموت، ومعنى الموجب بمقابلته للسّالب والدّنيوي بالأخروي»[2] (...) تعدّ فكرة الأضداد الثّنائيّة البنية الأساسيّة للدّلالة غير أنّها تقتضي وجود نقطة مشتركة بين تقابل سيمين محققين لثنائيّة ما للتّضاد نسمّيها المحور الدّلالي (Sémantique axe).

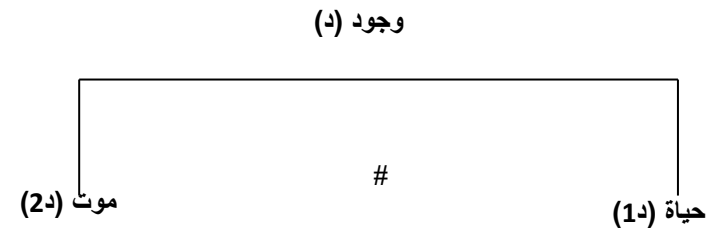

[1]– أحمد يوسف، السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب، مجلة عالم الفكر السيميائيات إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، المجلد 35، يناير (مارس)، 2007، ص66.

[2]– نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص98.

فما ينجم عن تقابل الحياة والموت هو المحور الدّلالي: (الوجود) وعن دلالة ثنائيّة (الدّنيوي/ الأخروي)، محور (الدّيني)، بينما تجتمع ثنائيّة الموجب والسّالب في محور العلامة- الرياضيّة مثلا[1]: وما ينتج عن علاقة السيمين المثبتين في الشّكل بين (د1) و(د2) هي علاقة (تضاد) في حين نجد العلاقة بين (د1) و(د) أو بين (د2) و(د) هي علاقة تراتبيّة تدرجيّة (Relation hiérarchique).

2- مرحلة المشاريع وسيميائيّة الأهواء:

2-1- البعد الاستهوائي:

انشغل السّيميائيّون مدّة طويلة بمعنى العمل، أو حالة الأشياء (موضوع سيميائيّة العمل)، وخلال العقود الأخيرة أصبحوا يولّون أهميّة لمعنى الهوى أو الحالة النّفسيّة (موضوع سيميائيّة الأهواء) فإضافة إلى أنّ العامل يعمل فهو يحسّ ويحتاج إلى الحالتين معا لإثبات وجوده، والصدع بمشاعره ومواقفه وإدراك مبتغاه والتّأثير في الآخرين، وإذا كانت سيميائيّة العمل قد بلورت مع مرِّ السّنين عدّة مفاهيم وراكمت تراكمات نظريّة وتطبيقيّة فإنّ سيميائيّة الأهواء -على الرّغم ما قطعته من أشواط وسرقته من أضواء- مازالت تبحث عن تعزيز مكانتها داخل النّظريّة السّيميائيّة العامّة، وتحصين تراكماتها ونتائجها للتّدليل على استقلاليّة البعد الانفعالي على المستوى النّظري والتّطبيق

[1]- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، ص98.

على حدّ سواء، ويعرف هذا الصنف من السّيميائيّات بأسماء أخرى على نحو السّيميائيّة التوتريّة والسّيميائيّة الاتّصاليّة وسيميائيّة المحسوس[1].

فالنّظريّة السّيميائيّة عرفت بذلك انتقالا من مرحلة المكاسب (سيميائيّة العمل) إلى مرحلة المشاريع (سيميائيّة الأهواء)، إذ «ساهمت المدرسة الفرنسيّة في السّيميائيّات بقيادة اللتّواني الأصل "الجرداس جوليان غريماس" بفاعليّة في انفتاح المنهج السّيميائي على علوم شتّى، كما عملت أيضا على تجديد النّظر إلى التّجربة الإنسانيّة برمّتها، وقد سارع أتباع "فونتاني" الذي طوّر مع "غريماس" نظريّة من صميم النّفس الإنسانيّة عرفت في التّصور الباريسي بسيميائيّات الأهواء، وهي منهج مستحدث في دراسة الأهواء للانتقال من دراسة حالات الأشياء إلى حالات النّفس، وهو نفسه عنوان كتاب أنجزه "فونتاني" و"غريماس" صدر عام (1991) (سيميائيّات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النّفس)»[2]. (Sémiotique des passions Des états dechoses aux états d'âme).

وقد تمّ الانتقال بفعل هذا التّصور الجديد من البناء النّحوي الصارم لمفهوم العامل إلى بناء مرن يأخذ بعين الاعتبار النّفس البشرية، كون الأهواء

---

[1]– ينظر: محمد الداهي، سيميائية الأهواء، مجلة عالم الفكر السيميائيات، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، المجلد 35، مارس 2007 ص213.

[2]– ينظر: عبد المجيد، دراسة قصة "أغنية هاربة" للقاص صالح السهيمي، / http :la bid, elaphblog.com.

العامل بمختلف ميوله النّفسيّة المتعدّدة من مشاعر وأحاسيس ورؤى وجدانيّة مخصوصة كاشفا للبعد الانفعالي في تحديد الواقعة السّرديّة وتحليلها وتقويمها تقويما ينسجم وطبيعة البنية النّفسيّة للعامل وهو يعمل، ومن ثمّ أصبح الاعتماد أساسا على الخطاب في أبهى تجليّاته التّداولية التي تضع مختلف الشّروط المقاميّة في التّعامل مع الوقائع الإنسانيّة ومنها النّفس[1]، فقد «استقطبت الأهواء مجالات عديدة، بحكم أنّها تمسّ جانبا أساسيّا وحيويا في حياة الإنسان وهو ما يتعلّق بحالته النّفسيّة، وما ينتابها من مشاعر وإحساسات متأرجّحة بين اللّذة والألم»[2]. وتندرج سيميائيّة الأهواء في سيّاق المشروع النّقدي الذّاتي للنّظريّة السّيميائيّة، فالاهتمام بالبعد الاستهوائي بعد حصر البعدين التّداولي والمعرفي يأتي ليملأ بعض بياضات النّظريّة السّيميائيّة الأساس إنّ ظهور إشكاليّة الأهواء، والعواطف الإنسانيّة في فضاء الصّرح السّيميائي قد أعاد مباشرة الاعتبار إلى الحياة الدّاخليّة للذّات بعدما تمّ استبعادها تحت إكراهات الخلفيّة البنيويّة لذا فقد فرضت مقاربة هذا البعد من النّاحيّة الإجرائيّة، إعادة تشكيل النّموذج التّوليدي لأنّ (التّشكلات الاستهوائيّة تتموقع في ملتقى

---

[1]–ينظر: عبد المجيد، دراسة قصة "أغنية هاربة" للقاص صالح السهيمي، http :la bid, / elaphblog.com.

[2]– محمد الداهي، هندسة الأهواء في رواية الضوء الهارب لمحمد برادة، مجلة ثقافات بحرين، 2004، 00: 10–15/08/04.Thaquafat ar,side

كلّ محافل المسار التّوليدي للدّلالة فتمظهرها يقتضي بعض الشّروط، والشّروط القبليّة الخاصّة ذات الطّبيعة الابيستمولوجيّة وكذلك بعض عمليّات التّلفظ»[1].

إنّ الانفتاح على الأهواء قد وجه عمليّة التّقويم الابيستمولوجي بالضّرورة إلى مساءلة الجهاز المفاهيمي للنّظريّة الأساس في كليته ومن بين مفاهيم هذا الجهاز الرّئيسي التي تغيّر وضعها الابيستمولوجي بقدوم هذا الوافد الجديد (الأهواء) مفهوما الاتّصال (Continu)، والانفصال (Discontinu) (...) فالانفصال أو الانقطاع يرتبط بسيميائيّة العمل ويتمظهر من خلال التّركيز على تحوّل الحالات، أي الانتقال من حالة إلى أخرى حيث يشكّل ذلك شرطا أساسيّا للتّركيب[2]؛ حيث نجد شكلان للتّحوّل في البرنامج السّردي الاتّصالي والتّحول الانفصالي، وأمّا في سيميائيّة الأهواء فنجد ثنائيّة الاتّصال والانفصال من خلال علاقة الذّات بثنائيّة التّفضيّة والتّزمين، حيث يؤدّي انفصال الذّات عن فضاء معيّن تشكيل حالة نفسيّة لديه كما قد يؤدّي اتّصاله بفضاء آخر له في توتيره وبنفس الشّيء الزّمان فمع انفتاح الذّاكرة واتّصال الذّات بفترة معيّنة قد تؤثّر فيه نفسيّا كما يؤدّي عدم التّذكّر ونسيان حادثة ما بالانفصال الزّمني (الماضي) بتغير حالة الذّات وهذا نوضّحه أكثر في الدّراسة التّطبيقيّة من الدّراسة.

---

[1]– محمد بادي، سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة إبيستمولوجية) مجلة عالم الفكر السيميائيات، العدد 03، المجلد 35، كويت، مارس، 2007، ص303.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص307.

فسيميائيّة الأهواء جاءت لملء البياض الذي تركته سيميائيّة العمل إذ أنّ «سيميائيّة العمل بتركيزها على مفاهيم الحالة والعامل والتّحويل كونها شروطا لقيّام التّركيب، تكون قد أغفلت إمكانات مفهوم الحالة الذي أفرغته من طاقاته الحيويّة، فالحالة قد تشكّل في المقابل بالنّسبة إلى الذّات الفاعلة بداية أو نهاية للفعل فهناك مثلا (حالة الأشياء) العالم التي يتمّ تحويلها بواسطة الذّات، وهناك (الحالة النّفسيّة) للذّات المؤهّلة في انتظار الفعل، يؤشّر هذا الحديث على إمكان فكّ لغز الانتقال من حالة إلى أخرى في سيميائيّة العمل بالاعتماد على توسّط (الجسد المدرك) بين الذّات والعالم»[1]؛ بمعنى إذا كانت سيميائيّة العمل تهتم بعلاقة الذّات والموضوع فإنّ سيميائيّة الأهواء تهتم بعلاقة الذّات بالعالم الخارجي حيث أنّه يمكن للأشياء وما في المحيط الخارجي أن يؤثّر على الذّات أثناء الفعل أو قبل القيّام بالفعل، فإذا كان العامل الذّات في سيميائيّة العمل يقوم بالإنجاز والتّنفيذ لتحقيق الموضوع محقّقا العلاقة بين الذّات والموضوع، فإنّ عامل الذّات خاضع لبعد استهوائي في عمليّة الإنجاز، وذلك من خلال علاقته بالعالم الخارجي، إذ يصبح هذا الأخير عاملا مؤثّرا وموعزا للذّات الاستهوائيّة نحو تحقيق الموضوع، ومنه بدأ التّأسيس لمشروع سيميائيّة الأهواء التي تقوم على جملة من المفاهيم كالخطاطة الاستهوائيّة والنّموذج الاستهوائي، وبعض المفاهيم التي سنحاول الوقوف إزاءها بالدّراسة التّطبيقية في ثلاثيّة "حكاية بحار" لحنا مينة.

---

[1]– ينظر: محمد بادي، سيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة إبيستمولوجية)، ص 307.

وقبل ذلك يجدر بنا تحديد وضبط مفهوم الأهواء، والوقوف على التّأصيل النّفسي لسيميائيّة الأهواء، ثمّ ضبط البعد المعرفي والتّداولي وعلاقتهما بالبعد الاستهوائي.

2-2- مفهوم الأهواء بين علم النفس والسيميائية:

يمكن استخلاص الأهواء من الملفوظ السّردي إذ يؤخذ اللّفظ كعلامة دالّة ومؤشّر للكشف عن الجانب الشّعوري للذّات «وتكون هذه العلامة أداتنا في الكشف النّاطق في النّفس البشريّة والتي لا ترى بالعين المجرّدة فالمرء منها هو تجلّ يكشف عن وجود انفعاليّة بلا هويّة ولا حدود ولا معنى فالإحساس سابق في الوجود على التّجلي الدّلالي السّابق على أيّ تمفصل سيميائيّ، وهو بذلك يولد خارج حدود الخطاب (...) إنّ هذا الإحساس لا يمكن أن يصبح مرئيّا إلاّ من خلال تجزيئه وتحويله إلى وحدات للعزل والتّمييز فهي ما يطلق عليه في اللّغة العاديّة: (الهوى، والاستعداد، والشّعو، والميل والحبّ، والكراهيّة)[1]، وقد يتداخل مفهوم هذه الوحدات كالتّداخل الوارد بين الانفعال والعاطفة، والشّعور، والهوى ويمكن توضيح ذلك كالآتي:

1- **الانفعال:** وهو حالة نفسيّة تحدث نتيجة لمثير خارجي أو داخلي يؤدّي إلى اضطرابات عامّة يشمل الفرد كلّه وقد تظهر من خلاله علامات الرّضا

---

[1]- سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد03، الجلد35، 2007، ص 10.

والسّرور أو الحزن، أو حالات الغضب والخوف، ونستطيع تفسير ذلك تبعا لأشكال الانفعال وهيّ[1]:

– عنيف ومؤقّت سريع الظّهور والزّوال كالهيجانات وهي الغضب والفرح والخوف.

– هادئ يدوم طويلا يستحوذ على النّفس ويصبح موجّه للسّلوك كالعاطفة وهيّ الصداقة والحزن والحبّ والحنان والخجل.

2– **العاطفة:** انفعال هادئ يدخل النّفس ببطء وهدوء ثمّ ما يلبث أن يستحوذ على النّفس كلّها ويصبح موجّه للسّلوك ووصفت العاطفة بالجدول الذي يحفر مجراه كالحبّ والحزن في العاطفة يكون الانفعال دفينا غير بادٍ للعيان ولكنّه لا يلبث أن يظهر لمجرّد حادث أو نبأ يسمع به[2]. وتؤثّر العاطفة في السّلوك في جوانب مختلفة من الحياة النّفسيّة كالتّفكير والتّذكّر والاعتقاد والمعاملة، ويمكن توضيح ذلك كالآتي[3]:

أ– **أثر العاطفة في التّفكير:** تؤثّر العاطفة في توجيه أفكارنا سواء أكانت أفكارا شاردة كما في أحلام اليقظة أم أفكار موجّهة في التّأمل والتّفكير، فالمتفائل يرى العالم مزروعا بالورود والمتشائم يراه مزروعا بالأشواك.

---

[1]– أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع، حلب، سوريا، ط1، 2008، ص 71.

[2]– المرجع نفسه، ص 77.

[3]– المرجع نفسه، ص78.

ب- أثر العاطفة في التّذكر: إنّ التّأثير بالعاطفة واضح في عمليّة التّذكّر وتوجيه نشاط الذّاكرة، ففي حالات الحزن نميل لاسترجاع أيّام الشّقاء والتّعاسة والهمّ والغمّ، وفي حالات الفرح نميل لاسترجاع كلّ ما يبعث على الأمل ولا نرى في العالم غير الجمال والإشراق وللعاطفة أثر كبير في عمليّة الحفظ فهيّ تسهّل وتثبّت معلومات وخبراتنا في الذّاكرة وتساعد على استعادتها وقت الحاجة بيسر وسهولة.

ج- أثر العاطفة على الاعتقاد: الحوادث السّارة التي نتمنّاها نتوقّع حدوثها ونعتقد بحتميّة وقوعها، والخوف من أمر مكروه يجعلنا نستبعد وقوعه.

د- أثر العاطفة في المعاملة: نميل إلى التّساهل والعطف في حالة الارتياح والرّضا، ونميل إلى التّعسّف والقسوة في حالة الانزعاج والسّخط فكأنّنا ننظر للآخرين من خلال عواطفنا لا من خلال واقعهم، وهذا يؤدّي إلى تأثير العاطفة في الحكم الخلقي إذ إنّها تجعلنا نصدر أحكاما خلقيّة تعمينا عن سيّئاتنا وسيّئات أحبابنا ولا تجعلنا نرى في أعمال أعدائنا حسنة واحدة[1].

3- الشّعور: هو حدس الفرد لحياته الشّخصيّة ويتضمّن هذا التّعريف المعرفة المباشرة للأشياء أي معرفتنا بالذّات معرفة تتعلّق بأحوال عالمنا الدّاخلي من فرح وحزن وتفكير وتصميم، والشّعور مرتبط بموضوع، فما من شعور فارغ وأنّ الشّعور ممتلئ بموضوع فنحن لا نشعر بالفرح بمعزل عمّا يثير فرحنا

---

[1]- أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص 79.

ولا بالغضب بمعزل عمّا يثير غضبنا[1]، والشّعور لا يكون بدرجة واحدة وهذا يعني أنّ الشّعور درجات ولطالما شبه علماء النّفس الشّعور بالعدسة التي تعكس النّور فكلّما اقترب الموضوع من مركز الشّعور، أو من بؤرته ازداد وضوحا وكلّما ابتعد عنه صار هامشيّا وقلّ وضوحه، ودرجات الشّعور هيّ[2]:

أ- **الشّعور العفوي:** خاليّا من الجهد العقلي وهوّ الانطباع الأوّل الذي ينطبع به الفرد بتأثير حالاته النّفسيّة، فنحن نكتب يكون شعورنا عفويّ لسماع زقزقة العصافير مثلا.

ب- **الشّعور التّأملي:** العودة إلى الانطباع الأوّل الذي خلّفه الشّعور في سبيل تأمّل الأثر فالشّعور التّأملي لا يقف عند حدّ سماع دقّات السّاعة أو زقزقة العصافير أيّ أنّنا نسمع ونصنّف الأصوات التي نسمعها وهذا ما يسمّى بالشّعور الواعي.

ج- **ما تحت الشّعور أو ما قبل الشّعور:** وهو العمليّات الذّهنيّة المخزّنة على هامش الشّعور والتي يمكنها التّدخّل عند الحاجة وبذلك فالشّعور عموما هو الجانب الواعي في الشّخصيّة الإنسانيّة يمثّل "الأنا" أو "ذات الفرد" المتّصلة بالواقع.

---

[1]- أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص 56.

[2]- المرجع السابق، ص 56، 57.

4- الهـــوى: تقابـــل كلمـــة (هـــوى) فـــي اللّغـــة الإنجليزيّـــة مصـــطلح (Passion vilain)، وفي اللّغة الفرنسيّة لفظة (Passion) من دون إضافة نعت (الشّنيع Vilain)، وتلتقي اللّفظة الفرنسيّة، واللفظة الإنجليزيّة في بعض معانيهما مع كلمة الهوى العربيّة، إذ يقصد بها عاطفة عاتيّة تستبدّ بالعقل فتقوّضه. لكن اللّفظة المستخدمة في اللّغة الفرنسيّة تتضمّن معنى شاملا يحوي كلّ ما يدخل في إطار الحالة العاطفيّة، ومظهرها، وأمّا في اللّغة العربيّة فلفظة (هوى) تحمل كلّ ما يتعلّق بالعواطف، والأحاسيس مذموما كان أو محمودا[1] أمّا في علم النّفس فإنّ «الهوى عاطفة نمت على حساب غيرها من العواطف فالهوى يجعلنا نرى كلّ شيء من خلاله»[2]، وقديما قالت العرب (حبّك الشّيء يعمي ويصمّ) والمقصود بذلك الحبّ الذي تحوّل إلى هوى، إذ يقول "بن حزم الأندلسي" في كتابه (طوق الحمامة): «أنّ الحبّ أعزّك الله أوّله هزل وآخره جدّ»[3]. ونجد "أبي المنصور الثّعالبي" في كتابه (فقه اللّغة وسرّ العربيّة) يقول: إنّ أوّل مراتب الحبّ الهوى وكما يضبط درجات الحبّ وترتيبه[4] والهوى في ميدان علم النّفس هو دافع يحرّك صاحبه وعاطفة لأنّه انفعال طويل الأمد

---

[1]- ينظر، محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص219.

[2]- ينظر: أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية والمعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ص80.

[3]- ينظر: أبي محمد علي بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألاف، دار الأريب، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص10،21.

[4]- ينظر: أبي منصور الثعالبي (ت 430 هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: فايز محمد دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1999، ص139.

وهيجان لأنّ تأثيره عنيف وشديد وهو أكثر من ذلك ظاهرة نفسيّة كليّة تبدّل من عالم الشّخصيّة بأكملها كهوى البخل والحبّ»[1].

ويبدو أكثر الهوى في الفعاليّة فهو من ناحيّة يزود صاحبه على العمل إلاّ أنّه تنقصه الإرادة، فالإرادة هيّ سيطرة على الذّات ومقدرة على العمل المتوازن في حين الهوى خلاف ذلك تماما، فصاحب الهوى يخضع للإيحاءات إنّ فكرة لا تكاد تأتيه من الخارج حتّى تبدأ بالنّمو خارجة عن إرادته وعلى الرّغم منه، فتجعله يقوم بأعمال غريبة عنه، إنّ صاحب الهوى لا يتصرّف من نفسه بل إنّ هناك شيئا يتصرّف به تدفعه قدرة جبريّة مسيطرة لا يمتلك شيئا ليدفعها وكما يبدو هو أثر الهوى في الشّخصيّة فإذا كان الهوى ينتهي إلى انعدام التّوازن فهذا يعني أنّه ينتهي إلى اضطراب الشّخصيّة ويجعلها تدور على محور مخالف لمحورها الأصلي إنّ صاحب الهوى هواه يتحكّم به لأنّه يظلّ خارج ذاته لا يمتلك ذاته وهذا يصّح على أصحاب الأهواء السّاميّة والوضعيّة[2] .

ولذلك كان الهوى محطّ اهتمام السّيميائيّين، فقد خصّص "غريماس" دراسة لهوى الغضب بوصفه تكثيفا لبنى الخطابيّة وضربا لنماذج توقعيّة انطلق "غريماس" من شرح معجميّة الغضب فاستخلص منها برنامجا حكائيّا مكوّنا من المراحل الآتية:

---

[1]– ينظر: أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية والمعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ص80.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص81، 82.

(الحرمان ←——— السّخط ←——— العدوانيّة). ووضع "غريماس" هوى الغضب في إطار دلاليّ أوسع يشمل بعضاً من مرادفاتها على نحو (الكآبة والحقد، والإهانة)، وبيّن أنّه لا يتحدّد في علاقته مع الموضوع (على نحو هوى البخل)، وإنّما في علاقته مع طرف آخر (المسؤول على الفشل والحرمان الطّرف الأوّل)، ويفضي برنامج الغضب إلى برنامج آخر يتعلّق بالانتقام ويتطلّب من الغاضب أن يتسلّح بجهة إمكان الفعل لإثبات ذاته وتنحيّة الطّرف الآخر[1]. فاهتمّ "غريماس" بالحالة النّفسيّة للذّات المنجزة كما اهتمّ بالفعل في سيميائيّة العمل، وعليه فقد ذكر "جاك فونتاني" اختصاصيين يهتمّان بالجانب الشّعوري، وهما علم النّفس أو التّحليل النّفسي وسيميائيّة الأهواء وهذه الأخيرة تسعى لإثبات العناصر الآتيّة:

1- ينبغي مراعاة الجانب الشّعوري في المسار العاملي فإلى جانب أنّ العامل يعمل فهو يحسّ، ويشعر (يجب إذن) أن يكون العامل الحكائي مرفقا بالعامل الحسي (الإحساس).

2- تؤخذ الرّدود الجسديّة (Somatiques) مأخذ الجدّ لكونها تجسّد ما ينتاب الذّات من أحاسيس، ومشاعر، وذلك على نحو احمرار الوجه أو شحوبه واصطكاك الأسنان، وارتعاد الفرائص.

3- تتكوّن الخطاطة الاستهوائيّة من مراحل تبيّن تدرّج الهوى من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي[2]. ومراحل الخطاطة الاستهوائيّة هي:

---

[1]- ينظر: محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص 235،236.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 236.

(الانكشاف الشّعوري والاستعداد والمحور الاستهوائي، والعاطفة، والتّقويم الأخلاقي)[1]، ويمكن توضيحها كالآتي:

1-الإنكشاف الشّعوري (Léveil affectif): وهو مرحلة متعلّقة بالذّات توضّح الحالة الشّعوريّة مرتبطة بحدث كمؤثّر يدفع لحضور الشّعور[2] فينكشف شعور الذّات فتعبّر عمّا ينتابها داخليّا من أهواء وتمثّل هذه المرحلة بروز الذّات الاستهوائيّة في الخطاب إذ تصبح في حالة الشّعور بهوى معين[3].

2- التّأهبّ / الاستعداد (La disposition): وهو مرحلة تحديد الذّات لنوع الهوى فتقدّر الكفاءة[4]، إذ توفّر الذّات على المؤهّلات الضّروريّة للتّعبير عن هوى معيّن[5].

3- القطب الاستهوائي (Le pivot passionnel): وهو مرحلة أساسيّة إذ يعرف الذّات معنى الاضطرابات التي يشعر بها[6]، وكما تدرك القيّم الانفعاليّة التي كانت موضوعها لها في المرحلتين السّابقتين[7].

---

[1]- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص236.

[2]- voir, Jacues Fontanille, Sémiotique et littérature, Essais de méthode, Imprimerie des presses universitaires de France, 1999 p: 79.

[3]- ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2009، ص104.

[4]- voir, Jacues Fontaanille, Sémiotique et Littérature, p: 80.

[5]- محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي، ص105.

[6] -voir; Jacues Fontanille; Sémiotique et Littérature; p: 80.

[7]- محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص105.

4- العاطفـة (L'émation): تبـيّن هـذه المرحلـة ردود فعـل الجسـد إزاء الإحساسـات المحزنـة أو المبهجـة، وفـي هـذه الحالـة تصـبح العاطفـة حـدثا استهوائيّا قابلا للملاحظة والتّقويم[1].

5- التّقويم الأخلاقي (La moralisation): تُقوّم الأهواء من منظور جمـاعي لبيـان موقعهـا داخـل إطـار سوسـيوثقافي (موقـف ثقافـة معيّنـة مـن الحـبّ) أو مـن منظـور فرديّ لكـون المقـوِّم نفسـه يعـدّ جـزء مـن المشـهد الاستهوائي (موقف الغيور)[2].

ولعـلّ هـذه المراحـل تسـاعد المحلّـل السّـيميائي للكشـف عـن التـدرّج الاسـتهوائي فـي تصـاعده لتحريـك عامـل الـذّات نحـو الإنجـاز، والكشـف عن المستوى الدّاخلي العميق للذّات .

1- وفـي دراسـة سـيميائيّة الأهـواء نجـد "باريـت" قـد اسـتفاد مـن "غريمـاس" فـي تحليل هوى الغضـب ليوضّـح مسألة توالد الأهواء حيث انطلق من سؤال جوهري يتمثّل في البحث عن كيفيّة تولد الأهواء، فاستنتج مقاربتين منهجيّتين اعتمـادا علـى تحليـل هـوى الغضـب إحـداهما تهـمّ المركبيّـة الإنجازيّـة (La Syntagmatique Performatielle) التـي تقـوم علـى تتـابع الأهـواء في إنجاز حقيقي (ما قام بها آلان Alain) أو مثالي (ما اضطلع به طوماس الأكـويني Thomas d Aquin)، وثانيّتهمـا تخـص المركبيـة التّمظهريّـة (La Syntagmatique Configurative) التي تحلّل التّمظهرات الاستهوائيّة بوصـفها محكيّـات صـغرى تتمتّـع بتنظـيم تركيبـي دلالـي مسـتقلّ وقـادر علـى الانـدماج فـي متواليّـة خطابيّـة أكثـر شـمولا (مـا أنجـزه ألجيـرداس جوليـان

---

[1]- محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص105.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

غريماس J.Greimas)، انطلاقا من هاتين المقاربتين يرى "باريت" أنّ المشكل المطروح لا يكمن في وصف تتابع الأهواء بطريقة تجريبيّة أو بنائيّة جديدة وإنّما في تبّين مبادئ توّلد الأهواء، وهذا ما يقتضي في نظره التّخلي عن الهاجس الثّقافي الضّيق (الخصوصيّات والإيحاءات الثّقافيّة) للبحث عن معايير تعميم الأهواء، وفيما يلي بعض الأسس التي يقوم عليها توّلد الأهواء[1]:

1- إعادة التّوازن بين القيّم الانفعاليّة وبين حدّة توترها.

2- رصد الذّات إبان تحقّقها ودخولها في تفاعل مع ذات مُنافسة لتبادل مختلف الأدوار العامليّة.

3- تبدل البنية الجهيّة المضمرة في المسار الاستهوائي.

وكما ينبغي على المحلّل السّيميائي الاهتمام بالتلّفظ في بعده الخطابي أيّ كأثر للتّلفظ وليس كذات ما قبل خطابيّة ومنه تتشخّص في الخطاب مؤشّرات تلفظيّة (المعيّنات والجهات وأفعال الكلام) وعلامات دالّة على الأهواء[2]. ومنه «فالأهواء عمليّة في الخطاب حاملة لمختلف خصائص المعنى الخارجة للمعرفة المبهمة الصّعبة إلى نهاية الفهم أو التّفسير وعليه إنّ التّأويل السّيميائي هو عطر نوعيّ ينبعث من الأدلّة الخطابيّة للبنيات

---

[1]- محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص 84.

[2]- المرجع نفسه، 85.

النموذجيّة...»[1] ولإدراك مفاهيم سيميائيّة الأهواء وأدواتها الإجرائيّة سنتطرّق لها بالتّفصيل والدّراسة في الجانب التّطبيقي.

2-3- البعد الدلالي والتداولي (عملي):

يرتبط الكشف عن الدّلالة بالجانب التّداولي للوصول إلى المعنى سواء من خلال الوحدات أو الجمل اللّسانيّة، «ويرى في ذلك "ج. فونتاني" (1989) أنّ كلّ مقال نصيّ يتضمّن ثلاثة أبعاد على الأقلّ هيّ: بعد عملي أو تداولي هو متواليّة ملموسة وقابلة للتّملّك من دلائل اللّغة ومركباتها، وبعد معرفي (ينقل أو يتداول معرفة معيّنة، وبعد عاطفي أو استهوائي (يستهدف المرسل إليه) وكما يجري التّركيز على البعد المعرفي لفعل القول، وهو فعل بناء لوجهات النّظر وكاشف للتّذاوتيّة (Intersubjectivité) المضمرة في النّص الأدبي وتقوم الإجراءات التي يعتمدها السّيميائي على الأبنيّة الصّيغيّة (الرّبط بين الاعتقاد والمعرفة، التّصييغ المعرفي للفضاء...»[2].

وكما تكلّم "رودولف كارناب" في نظريّته حول التّركيب المنطقي في تحليله للعبارات اللّغويّة، كون العلامة مرتبطة بالدّلالة والتّداول

---

[1]– Voir ,Algirdas, j, Greimas, jacques Fontanille, Sémiotique des passions des états de choses aux états d'âme, Editions du Seuil paris, 1991, p: 21.

[2]– المصطفى شادلي، في سيميائيات التلقي، مجلة عالم الفكر (السيميائيات) إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد03، المجلد 35، مارس 2007 ص210.

حيث «عرفت نظريّة التّركيب المنطقي تطوّرا مع "كارناب" في سيّاق استثماره للمتصوّرات السّيميائيّة في أثناء تحليل العبارات اللّغويّة تحليلا منطقيّا وهذا حتّى يتمكّن من إقامة نظريّة عامّة تستوعب تمظهر العلامة في أبعادها السّيميائيّة كلّها، وليس التّركيبيّة وحسب، ذلك لأنّ العلامة لها أبعاد تتّصل بالدّلالة والتّداول لا يمكن اختزالها إلى ما هو أقلّ من ذلك وفقا للبروتوكول الرّياضي أو المنطق الثّلاثي للعلامة الذي قدّمه "شارل سندرس بورس" ومن ثمّ يمكن تقديم مقاربة عامّة تمنح طابعا سيميائيّا (وافيّا وشاملا) لنظريّة التّركيب المنطقي»[1].

ولقد حدّد المشروع المزدوج "موريس/ كارناب" المعالم السّيميائيّة للتّركيب المنطقي في ثلاثة مجالات أو ميادين بحث هي: علم التّركيب (Syntaxe)، الدّلاليّات (Sémantique)، والتّداوليّات (Pragmatique) على التّوالي.

وقد ظهرت هذه المصطلحات غامضة للوهلة الأولى، حسب ما ذهب إليه "جون ليونس"، ذلك أنّ "موريس" حاول تدقيق هذا التّقسيم بهدف ضبط السّمات التّصنيفيّة (Trait de la classification) طالبا الوضوح بغية إزالة اللّبس عنها، وذلك لدمج الألفاظ الثّلاثة في سيميائيّات موجّهة

[1]– ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقية، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب، منشورات الأديب، جامعة وهران، الجزائر، ع2، 2006، ص49.

نحو السّلوك (Comportement) إذ كانت في البداية محدّدة على النّحو الآتي[1]:

1- **التّداوليّات:** على أنّها دراسة العلاقات بين العلامات والمؤولين.

2- **الدّلاليّات:** على أنّها دراسة العلامات في الموضوعات الممارسة.

3- **علم التّركيب:** على أنّه دراسة العلاقات الشّكليّة بين العلامات.

وبعد الحصر السّلوكي الذي قدّمه "موريس" أصبحت التّحديدات كالآتي[2]:

1- **التّداوليّات:** هيّ جزء من السّيميائيّات تعالج الأصل والاستعمال وآثار المعنى داخل السّلوك.

2- **الدّلاليّات:** تدرس العلامة في كلّ حدودها الممكنة.

3- **علم التّركيب:** يُعالج تنظيم العلامات دون الاشتغال بدلالتها الخاصّة أو بعلاقتها بالسّلوك الدّاخلي حيث تتمظهر.

وفي هذه المسألة تجاوز "كارناب" بداية التّركيب المنطقي اعترافا منه بوجود ملامح دلاليّة وتداوليّة إلى جانب الملامح التّركيبيّة، ينبغي الإبانة عنها في نظرية تكامليّة للغة، وعبّر عنها بثلاثة فروع هيّ:

1- **التّركيب:** يعالج الخصائص الصّوريّة اللّسانيّة.

---

[1]- ينظر: ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقية، مجلة السيميائيات وتحليل الخطاب ص50

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

2- **الدّلاليّات:** تعالج العلاقة بين الوحدات اللّسانيّة والأشياء والحوادث والحالات، والعالم، الذي تحيل إليه هذه الكيانات، والعلاقة بين الجمل وشروطها ضمن عالم لابدّ أن يكون مقابلا لحمل الحقيقة.

3- **التّداوليّات:** تعالج خصائص الاستعمال مثل الحوافز النّفسيّة للمتكلّم، وردود أفعال المستمعين، والجانب الاجتماعي لمختلف خطاطات الخطاب[1].

بمعنى أنّ الدّلاليّات والتّداوليّات هيّ عناصر أساسيّة وجوهريّة في التّحليل والكشف عن المعنى في العلامة أو الوحدات اللّسانيّة في التّركيبة اللّغويّة، «فالتّداوليّات من خلال موضوعها هيّ البحث التّجريبي حول الألسن المعطاة تاريخيّا، أمّا الدّلاليّات الخالصّة تدرس أنساق العلامات المكوّنة والدّلاليّات الوصفيّة تدرس معاني العبارات في الألسن الطّبيعيّة تاريخيّا»[2] فالدّلاليّات جزء من التّداوليّات.

---

[1]- ينظر: ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقية، ص 52، 53.

[2]- المرجع نفسه، ص 53.

الفصل الثاني:

"المسار العاملي والاستهوائي"

-دراسة في التركيبة السردية لثلاثية "حكاية بحار"-

أولا: المرحلة الأولى: البرنامج السّردي المعرفيّ للذّات **سعيد** والموضوع **(الاعتقاد بموت والده)**، والبرنامج الاستهوائي له **(الأمل في العثور عليه حيا)**.

ثانيا: المرحلة الثانية: البرنامج السّردي المعرفي للذّات **سعيد** والموضوع **(الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة والسّعي للبحث عنه)**، والبرنامج الاستهوائي له **(الأمل في العثور عليه)**.

إنّ استخلاص مفاهيم النّظريّة السّيميائيّة السّرديّة من البنية السّرديّة يستلزم الغوص في ثنايا الخلفيّة المعرفيّة لنظريّة "غريماس". وضبط الرّوافد المرجعيّة لها من الرّافد الفلسفي، والرّافد اللّساني، والرّافد المعرفي، ولعلّ تحديد مفاهيم السّيميائيّة السّرديّة من مرحلة المكاسب وسيميائيّة العمل إلى مرحلة المشاريع وسيميائيّة الأهواء، يساعد المحلّل السّيميائي على ضبط المفاهيم والآليّات السّيميائيّة التي يتّخذها كمفاتيح للولوج إلى أغوار النّص السّردي والكشف عن بنياته الدّلاليّة، أو يمكن القول تتبّع «مجموعة من آليّات إنتاج النّص المحايثة، والتي يمكن إعادة توزيعها وفق تصوّر إنتاجي، وخاصّة ما يتعلّق منها بمستويات النّص الواصفة لمراحل الإنتاج المتمثّلة في البنية الأوليّة للدّلالة السّرديّة»[1].

وإذا كانت سيميائيّة العمل تهتمّ بدراسة النّص والكشف عن دلالته انطلاقا من تتبّع المستوى الخطابي نحو المستوى السّردي، والمستوى المنطقي الدّلالي ودراسة حركة العامل من خلال سلسلة الحالات والتّحوّلات للفعل بمعنى تتبّع المسار العاملي للذّات، وعلاقته بالموضوع، فإنّ سيميائيّة الأهواء أتت لملء بياض سيميائيّة العمل، في المستويات الثّلاثة، وذلك بتتبّع المسار الاستهوائي للذّات وعلاقته في المستويات بالعالم الخارجي، ومنه سنحاول رصد

---

(1)– ينظر: عبد اللطيف محفوظ، المعنى وفرضيات الانتاج مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 2008، ص 14.

المفاهيم الإجرائيّة لسيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء في الثّلاثيّة بتتبّع المسار العاملي والمسار الاستهوائي للذّات، ونكون بذلك أمام ذات عاملة واستهوائيّة في آن واحد «بالانتقال من مستوى إلى مستوى آخر، وذلك لإدراك النّظام الكامن من خلال المستوى التجريدي، الذي ينحو نحو كشف البنيات العميقة التي ينطوي عليها العمل، والكامنة وراء صياغة النّص الأدبي، فالمعنى لا يستخلص إلاّ من خلال التّآلف بين أجزاء الوحدات التّركيبيّة، المتتابعة في المحور السّياقي، إذ إنّ الجزء من المستوى السّردي، لا يكتمل معناه إلاّ إذا ارتبط ببقيّة الأجزاء، قصد تكوين المعنى الكامن داخل البنية السّرديّة.

وإذا كان المحلّل أمام الإجراء البنيويّ فإنّه يسهل عليه الاعتماد على المعيار الزّمني لتقطيع الثّلاثيّة بحسب مراحلها الثلاث: (مرحلة الطّفولة والشّباب، والكهولة)، غير أنّ الإجراء السّيميائي يضعنا أمام صعوبة الدّراسة وتفكيك شبكة البرامج السّرديّة المتداخلة مع بعضها، فالبرنامج السّردي الواحد لا ينتهي عند طور الجزاء حتّى يسمح لنفسه بميلاد برنامج سرديّ جديد فيكون طور الجزاء كلحظة تحريك وميلاد لبرنامج آخر، فالعمليّة هنا تشبه تماما ما يسمّى بالتّوالد السّردي في السّرديّات، ونجد ذلك في حكايات ألف ليلة وليلة، ولذلك وجدنا أنّ البرامج السّرديّة تجتمع وتتضافر لتشكّل برنامجا سرديّا رئيسيّا وعامّا يهيكلها ويتمثّل في (رحلة بحث سعيد عن والده) على طول المسار السّردي للثّلاثيّة.

وتبدأ رحلة الذّات "سعيد " في المرحلة الأولى بالبحث عن والده معتقدا أنّ والده قد غرق في الباخرة الغارقة، إذ تبدأ عمليّة البحث بالغطس والغوص في البحر مرّات عديدة لاستخراج جثّة والده، والذي اكتشف في نهاية بحثه أنّ الجثّة لرجل غريب. وحينئذ تبدأ المرحلة الثّانيّة إذ يتمسّك بأمل كذوب حيث يعتقد بأنّ والده على قيد الحياة ويجب البحث عنه، ويبقى هذا الأمل كهاجس يزاوله طيلة حياته، وقد يتأزّم الحال فيشكّل لديه أزمة نفسيّة نكتشفها آخر الثّلاثيّة في الكتاب الثّالث (المرفأ البعيد).

وبذلك سنقف على مرحلتين في البحث: الأولى حول اعتقاد "سعيد" بموت والده والثّانيّة حول اعتقاد "سعيد" بأنّ والده على قيد الحياة، في التّركيبة السّرديّة، ولرصد حركة العامل يتم من خلال استخلاص المفاهيم الإجرائيّة لنظريّة "غريماس" من الثّلاثيّة، وذلك بالوقوف على دراسة فعل التّحوّلات والحالات، وعليه سنتتبّع سلسلة الحالات والتّحوّلات المبنيّة على أساس علاقة الذّات بالموضوع[1].

ولكيّ نرصد البرامج السّرديّة للثّلاثيّة علينا أن نتتبّع خطوات أطوار فعل التّحول من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، وذلك انطلاقا من تتبّع حركة عامل الذّات "سعيد" والموضوع (البحث عن والده)، وكذا الكشف عن سلسلة الحالات والتّحوّلات قبل وبعد استقلال سورية، والقيّم السّوسيوثقافيّة، والإيديولوجيّة والدّلالة الأوليّة المتمثّلة في ثنائيّة الحريّة والاستبداد من خلال الثّلاثيّة.

---

[1]– voir: Group d’Entre vernes, Analyse Sémiotique Des textes p:16.

أوّلا: المرحلة الأولى: البرنامج السّردي المعرفي للذّات "**سعيد**" والموضوع **(الاعتقاد بموت والده)**، والبرنامج الاستهوائي له **(الأمل في العثور عليه)**:

1- البرنامج السّردي المساعد (استخراج الجثّة):

لتتبّع المسار السّردي لسلسة الحالات والتّحوّلات سنقف على أطوار فعل التّحوّل للخطاطة السّرديّة للبرنامج السّردي المساعد للبرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" كالآتي:

1-1- الخطاطة السّرديّة:

تقوم الخطاطة السّرديّة على سلسة من الحالات والتّحوّلات لدى العاملين، وتتشكّل هذه التّحوّلات من قواعد تمثّل أطوارا محرّكة للفعل نحو التّحول من وضعيّة بدئيّة إلى وضعيّة نهائيّة وهذا التّحوّل يتّم في الخطاطة السّرديّة بوجود أربعة أطوار هي: [التّحريك **(Manipulation)**، والكفاءة **(Compétence)**، والإنجاز **(Performance)**، والجزاء **(Sanction)**] .

وبما أنّ الثّلاثيّة تقوم على سرد حكاية البحّار "سعيد حزوم" من الطّفولة فالشّباب فالكهولة، فإنّنا سنحاول الوقوف على البرنامج السّردي المعرفي الرّئيس للذّات "سعيد حزوم" الذي يسعى لتحقيق موضوع القيمة لديه المتمثّل في (البحث عن والده)، وفي المرحلة الأولى للبحث نجد "سعيد" يسعى لتحقيق

الموضوع (استخراج الجثّة)، بعد سماعه بخبر غرق والده، وعليه يمكن ضبط أطوار الخطاطة السّرديّة لهذه المرحلة كالآتي:

1-1-1- التحريك (Manipulation):

يعدّ التّحريك اللّحظة الأولى للفعل نحو التّحول، ويمكن القول بأنّه تلك المؤشّرات التي يمكن من خلالها أن تحدّد اللّحظات الأولى للتّغيير أو التّحوّل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، وتتجلّى هذه المؤشّرات للفعل بعد غرق "صالح حزوم" في البحر، وذلك أثناء عمليّاته المتكرّرة للغطس لاستخراج صفائح الغاز من الباخرة الغارقة، وقد قرّر البحّارة إخبار ابنه "سعيد حزوم"، لكونه الوحيد القادر على الغطس لإخراج جثة والده، فأرسل البحّارة البحّار "بدر" ليخبر "سعيد" بما حدث لوالده، ومنه فالبحّارة و"بدر" عامل مرسل ومحرّك لعامل الذّات "سعيد" نحو الموضوع (استخراج جثّة والده) كما في الملفوظ: «**بدر! قف .... أريد أن أعرف..... الآن، في هذه اللّحظة ماذا جرى؟... أنا لا أعرف.... البحّارة طلبوا أن آتي بك.... إنّهم ينتظرونك هناك (...) اسمع يا بدر.... أنا لم أقتنع بما تقول.... هناك مسألة أخرى.... مسألة خطيرة، إلاّ ما بعثوا بك في طلبي، قل لي.... أرجوك ماذا جرى؟**»[1].

فتصبح الذّات العاملة هنا ذات حالة واستهوائيّة؛ إذ تدخل في حالة من التوتّر والخوف من المجهول، ويكون العامل المرسل المحرّك استهوائي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، دار الآداب، بيروت، ط1، 1981، ص 286.

بمعنى «يحلّ التّرتيب الهووي محلّ فعل الفعل للمرسل»[1]، إذ يقوم بتوتير الذّات ويزيد من فعل التوتّر بعد سماع البحّار "أحمد المستكفي" الذي يخبر "سعيد" بما جرى لوالده، ومن ذلك المقطع السّردي: «**قال أحمد المستكفي وهو يشعل سيجارة:**

– أنت شاب، ولن نخفي شيئا عنك.... والدك بخير.

– وأين هو؟

– في البحر!. (...).

– في هذه الباخرة... كنّا نستخرج *تكنات الغاز منها فهوّ صاحب الفكرة....**

– قاطعه غير مصدّق.

والدي صاحب الفكرة؟

– لكنّه في الجبل ... كلّ علمي أنّه كان في الجبل. – هناك نبتت الفكرة في رأسه... كنّا على اتّصال دائما به»[2].

---

[1]–Voir, Algirdas J Greimas, Jacques Fontanille, Sémiotique des Passion (Des états de chose aux états dâme), parise, 1991, p:64.

* ***ملاحظة:*** الكلمات المكتوبة بخطّ مائل وتحتها خطّ في المقاطع السّرديّة في المتن هي كما وردت في الثلاثية.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص289، 291.

ويتمّ تحريك الذّات "سعيد" بتضافر كلّ من البعد المعرفيّ والبعد التّداولي والبعد الاستهوائي، وترتبط هذه الأبعاد بعامل المرسل في تحريك وتوتير الذّات نحو تحقيق الموضوع (استخراج الجثّة) وذلك باقتناع الذّات بغرق والده ممّا يتطلّب البحث عن جثّته في الباخرة الغارقة إذ كان "صالح حزوم" يقوم بعمليّة الغطس بمفرده واستخراج صفائح الغاز فكانت فكرة "صالح حزوم" هذه عاملا مساعدا لإنقاذ الحيّ من الجوع «**كانت الفكرة جريئة، جيّدة فإذا ما توقفنا استطعنا أ ن ننقض الحيّ من الجوع (...) السّلطة لن تفكّر بحراسة باخرة غارقة....**[1]. وشرح والدك فكرته: «**(أنا أغطس إلى القاع إلى عنابر الباخرة وأعوّم الصّفائح، فإذا طفت على السّطح خذوها إلى الشّاطئ، وهناك نفكّر بكيفيّة تصريفها....**»[2]. «**وقلت مستعجلا الوصول إلى النّهايّة: – وبعد.... خبروني ... ماذا جرى لوالدي !؟. (...)**

– آه يا بني.... والدك كعادته منذ أسبوعين ظلّ ينزل إلى الباخرة ويعوّم الصّفائح... واليوم... صحت وقد ارتعدت لفكرة غرقه: – هل أصابه مكروه!؟

– لا ندري.... نزل ولم يطلع... انتظرناه طويلا... غطسنا وراءه، ومضت ساعات ولم نقف له على أثر.... فقررنا أن نستدعيك.... لتقوم بالبحث معنا...»[3].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 292.

[2]– المصدر نفسه، ص 293.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

وتبدأ لحظات ومؤشّرات الخوف عند "سعيد" بعد سماعه ما حدث لوالده: «**ضربت على رأسي.... أدركت أكثر من الجميع أنّ والدي غرق، (...) إنّه في الباخرة .... والدي ما يزال في الباخرة، وقد مات، لقد مات والدي وانفجرت باكيّا وشرعت أركض باتّجاه الباخرة.. معتزما البحث عنه بنفسي ولو كلّفني ذلك حياتي**»[1].

كانت مؤشّرات البعد الاستهوائي في تفعيل الذّات للبحث عن والده من خلال الانفعالات الجسديّة، (**صحت وقد ارتعدت لفكرة غرقه، ضربت على رأسي، انفجرت باكيّا، وشرعت أركض باتّجاه الباخرة**)، وتبدأ عمليّة البحث عن ولده بعزم "سعيد" وتصميمه على الغوص في البحر من خلال الملفوظ السّردي: «**وهل من الأفضل أن أبقيه حيث هوّ، راقدا في أحضان البحر أم أخرجه لأدفنه كما يليق، في تراب الوطن؟**»[2]، وقد كان ذلك مؤشّرا لبداية تحريك البرنامج السّردي نحو تحقيق الموضوع (استخراج الجثّة) بقوله: «**الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي إنّني أغامر، البحر هو المغامرة الكبرى**»[3].

ونجد البعد الاستهوائي يداعب النّفس حيث تتمسّك الذّات "سعيد" بأمل كذوب هو (العثور على والده على قيد الحياة)، كما في الملفوظ السّردي: «**... وفيّ أمل كذوب يداعب النّفس الملهوفة رحت أتخيّل والدي سليما**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 293.

[2]– المصدر نفسه، ص 296.

[3] – المصدر نفسه، ص302.

في القاع وقد تمكن بطريقة ما أن يدخل حجرة في الباخرة، ويحتمي بها ورجوت دون أيّ سند من قناعة، أن تكون لوالدي قدرة على التّنفس وهو تحت الماء وأن تقع معجزة كهذه بشفاعة جميع الأولياء فأعود إلى البر غانما، شاعرا بهذا المعروف الذي لن أنساه للبحر ما حييت ...»[1] .

فعاطفة الحبّ تمثّل بعدا استهوائيّا ومرسلا محرّكا قويّا يدفع "سعيد" إلى الغطس والبحث عن والده ومواصلة الغطس لأيّام بالرّغم من وجود التّلوث في البحر بسبب الباخرة الغارقة التي تحمل أنابيب البترول وتكنات الغاز ويتجلّى ذلك في قول "سعيد": «**أتساءل وقد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث هل أنا الذي أقدمت على البحث عن جثّة والدي في باخرة الشّحن الغارقة تلك؟ وكيف ألقيت نفسي إلى التّهلكة مدفوعا بعاطفة كبيرة نصفها ناشئ عن شعور البنوة، ونصفها الآخر ناجم عن الإعجاب بذلك البحار الذي كانه؟ الحب الكبير يصنع معجزته دائما...»**[2].

كان البعد الاستهوائي المتمثّل في عاطفة الحبّ عاملا مرسلا ومساعدا في دفع وتحريك الذّات نحو الإنجاز «**أوّل معجزة وقعت في هذا الكون كان دافعها الحبّ. فهذا السرّ يجترح أعجوبته بعمل خارق عمل يسمو عن مقاييس الممكن، ويستهين بالمستحيلات ويتّصف بالجنون الذي هو أحد مظاهر الحبّ والشّجاعة، لقد كان حبّي لوالدي جارفا إلى درجة أنّ شخصيّته**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 30.

[2]– المصدر نفسه، ص 305.

ظلّت تسيطر علي طوال حياتي، وظلّت الرّغبة في ألا أخونه قولا وعملا تحكم تصرفاتي...»[1]. وتلازم عاطفة الحبّ عاطفة الخوف في تقدير الخطر حيث نجده يقول: «**لقد دفعتني حمية الشّباب إلى اعتبار عملي مغامرة نادرة الوقوع كان شعورا ينتابني: الخوف والمبالغة في تقدير الخطر لتبرير الخوف**»[2] .

نجد أن الذّات تنتقل من حالة عدم المعرفة إلى حالة المعرفة بفقدان والده في البحر في البعد المعرفي، كما أنّنا نجد أنّ الذّات تنتقل من حالة الانفصال عن الموضوع البحث عن والده إلى حالة الاتّصال بالموضوع بمعرفة مكانه في الباخرة الغارقة، ويمكن تمثيل التّحول الاتصالي للموضوع كما في الصّيغة الآتيّة:

$$(ذ1 \cup م) \longleftarrow (ذ1 \cap م)$$

وتكون بداية البرنامج السّردي المساعد للذّات بعد اكتشاف "سعيد" غرق والده الذي انتقل من وضعيّة (الحياة) إلى وضعيّة مضادّة لها (الموت) في هذه الباخرة الغارقة، فيتحدّد بذلك الانتقال المعرفي "لسعيد" الذي انتقل من ذات فعل من خلال فعل الإنجاز إلى ذات حالة من خلال شعور "سعيد" بالخوف لمعرفة غرق والده. ويبقى العامل المعارض للذّات في مهمّة البحث والغطس هو تلوّث الماء «**ماء بارد عكر، وكانت فيه رائحة، كان صدري**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 306.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

يضيق من كثافة الرائحة لقد بذلت مجهودا كبيرا»[1]، غير أنّ الذّات العاملة "سعيد" مصمّمة على إيجاد الجثّة.

1 -1-2- الكفاءة:

الكفاءة هي تلك الشّروط التي يجب أن تمتلكها الذّات العاملة والتي تؤهّلها لتحقيق الموضوع العثور على الجثّة، وتهدف الكفاءة لإبراز (كينونة الفعل). إذ تتمظهر بامتلاك الذّات الخبرة على الغطس وحبس النّفس والسّباحة لساعات، حيث ينزل إلى البحر للبحث كما في قوله: « **نزلت الماء ومعي بحاران... وكان البحاران على جانبي، يملكان مثلي رشاقة السباحة السّطحيّة، ويرسلان زنديهما في حركة اندفاع انسيابيّة، ونحن نتقدّم في صف واحد (...)، وكلّ منّا يفكّر... بالمهمّة الصّعبة، ويتمنّى في نفسه لو يكون البحر كيّسا معنا ويبقى هادئا *كحاله* الآن إلى أن نعثر على الجثّة التي أكدّ البحّارة أنّها في عنابر الباخرة»**[2]. وتتحدّد الكفاءة في البرنامج السّردي المساعد للذّات بعد تحديد اللّحظة الأولى لتحوّل الفعل، وذلك بتحديد القيّم الجهيّة للفعل، والمتمثّلة «في أربعة جهات كما حدّدها "غريماس": [الإرادة (**Vouloir**)، والواجب (**Devoir**) والقدرة (**Pouvoir**) والمعرفة (**Savoir**)]، وهيّ جهات للكفاءة محدّدة لملفوظ الفعل وملفوظ الحالة»[3].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 310.

[2]– المصدر نفسه، ص 298،300.

[3]– Voir, Algirdas Julien Greimas, Du sens II, P: 76 , 77.

وتتمظهر جهات الفعل للموضوع (البحث لاستخراج الجثّة) من خلال الجهات المضمرة، وهي: (إرادة الفعل، وواجب الفعل) المحددة للتّأسيس والجهات المحيّنة وهيّ: (معرفة الفعل، وقدرة الفعل) المحدّدة للتّأهيل وبذلك ترتسم معالم الكفاءة الجهاتيّة على وجود التّأسيس والتّأهيل نحو تحقيق الموضوع.

حيث نجد الذّات تمتلك الإرادة والتّصميم على فعل الغطس والغوص للبحث من خلال الملفوظ: «**أنا ابنه والجرح يؤلم صاحبه، جرحي في صدري ولن يشفيه الكلام، العثور على والدي سيخفّف من ألمي سيجعلني مرتاح النّفس لأنّني قمت بواجبي، البحث سيستمرّ إذن، ولن أتراجع قبل العثور عليه، وهذا قراري..**»[1].

ولعلّ تصميم الذّات العاملة على البحث عن الجثّة زاد من عنادها وعدم الاكتراث بالإرهاق والتّعب الذي وصلت إليه، مما أخاف البحّارة من فقدان "سعيد". فالبحّارة كعامل جماعي مرسل في البرنامج السّردي وذلك بشعورهم بالخوف والتّوتّر والقلق من فقدان "سعيد " إثر مجازفته والغطس مرارا دون مراعاة لتلوّث الماء وصعوبة التنفّس، وهذا ما نجده في الملفوظ: «**عاد البحارة يسألونني: – ما رأيك يا سعيد؟**

– سأتابع البحث.

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 324.

- لكنّك تحتاج إلى جهاز للغوص.

- جلدي يكفيني..

- وهذا الإرهاق الذي يهدّ قواك؟.

- سأتحمّله..

- لا تكن عنيدا... أقلع عن المحاولة....

- ليس قبل أن أعثر عليه (...).

- اذهبوا جميعكم إلى الشاطئ ودعوني وحدي.. لن أترك هذه الباخرة حتّى أعثر على والدي....»[1].

إنّ امتلاك الذّات العاملة الإرادة والواجب على فعل الغوص زاد من تصميها وإصرارها على مواصلة البحث وتحدّي العامل المعارض الطّبيعي المتمثّل في تلوّث ماء البحر، ومن البنية السّرديّة نجد "سعيد" يقول: «**الباخرة شيء آخر علبة الحديد الصدئة الكبيرة الغارقة (..) وسط ماء راكد، بارد مظلم عليّ أن أعتاد الرؤية فيه أن أتحمّل ما فيه من تلوّث ورائحة عفنة أن أمرق منه إلى غيره مكتشفا طريقي بصعوبة ...»**[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 324، 325.

[2]– المصدر نفسه، ص 304.

فتتحدّد الجهات المضمرة للفعل من إرادة الفعل من المؤشّر الانفعالي **(سأتابع البحث، جلدي يكفيني، سأتحمّل، ليس قبل أن أعثر عليه...)** وواجب الفعل كما في المؤشّر **(...لن أترك الباخرة حتّى أعثر عليه، العثور على والدي سيخفّف من ألمي سيجعلني مرتاح النّفس لأنّني قمت بواجبي البحث سيستمر ولن أتراجع..)**، وهي مؤشّرات سيميائيّة دالّة على امتلاك الذّات العاملة إرادة وواجب الفعل، وهيّ الجهات المضمرة للفعل المحدّد للتّأسيس.

ومن التّأسيس نحو التّأهيل حيث تمتلك الذّات العاملة القدرة والمعرفة للفعل، وهذا ما نجده في الملفوظ السّردي: «**لقد بذلت مجهودا كبيرا عليّ أن أبذل مجهودا أقل، البحّار المتمرّس يبذل مجهودا أقل سيصير هذا حين أعاود الغطس يخفّ انفعالي تزداد ثقتي بنفسي، لا أحتاج إلى الحركات التي قمت بها في المرّة الأولى، كانت حركاتي غير متوازنة وغير ضروريّة، أفهم هذا، التّجربة تعلّم، أنا أتعلّم من تجربتي لو كان والدي إلى جانبي لأبدى كثيرا من الملاحظات**»[1].

ولعل المؤشّر السّيميائي للقدرة يتجلّى في قوله: **(لقد بذلت مجهودا كبيرا)**، والمؤشّر السّيميائي للمعرفة في قوله: **(التّجربة تعلّم، أنا أتعلّم من تجربتي)**، فالقدرة والمعرفة للفعل تحدّد التّأهيل نحو التّحقيق، والإنجاز ويمكن أن نمثّل ذلك في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 310.

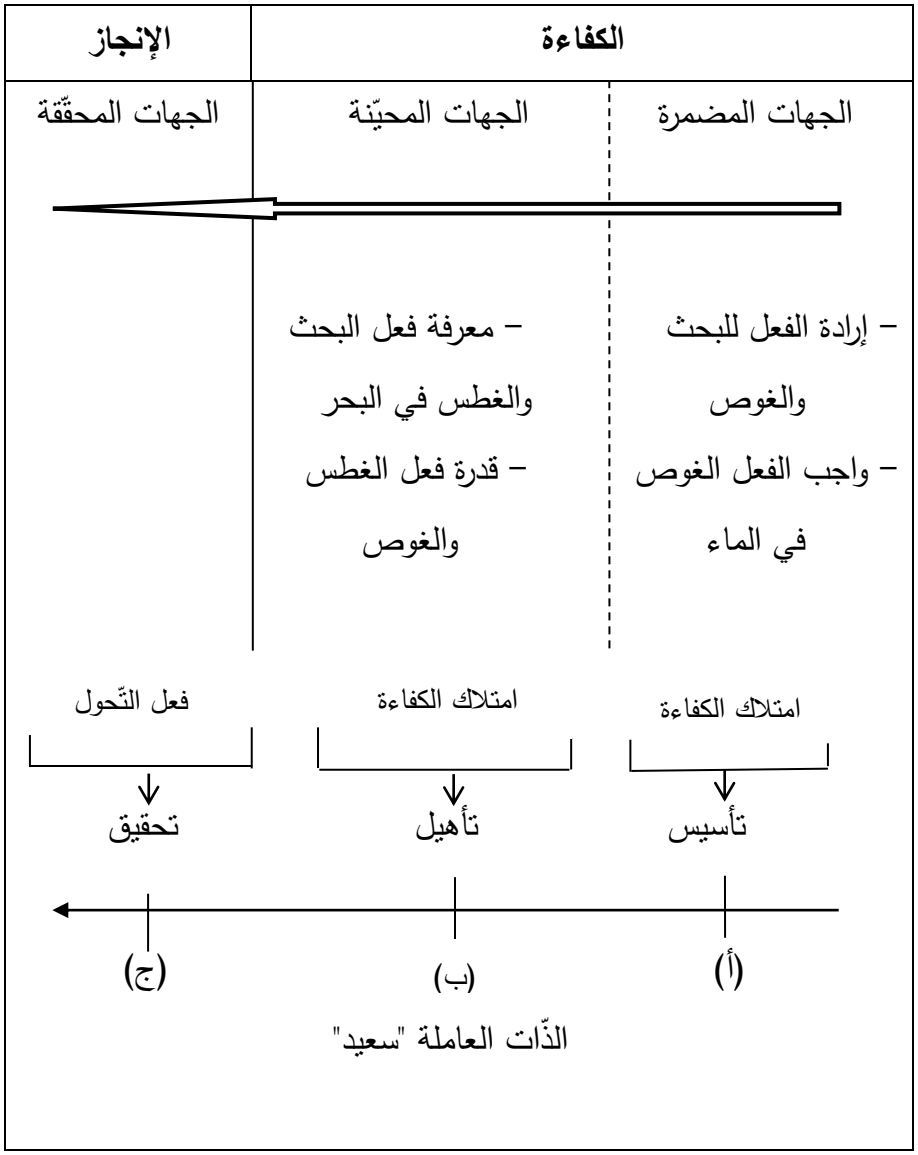

فالكفاءة تتأسّس بامتلاك الذّات للعناصر الجوهريّة التي تشكّل جهات الفعل المضمرة والمحيّنة نحو تحقيق الموضوع.

1-1-3- الإنجاز:

ويمثّل الإنجاز (فعل الكينونة)، فهو مرحلة التّنفيذ والشّروع في العمل. وعمليّة البحث لا تتمثّل في الغطس فقط، وإنّما تتعرّض الذّات إلى عوائق أخرى تحت البحر، فتكون بذلك المهمّة صعبة على الذّات العاملة في مواجهة العامل المعارض الطّبيعي المتمثّل في تلوّث الماء الذي يسبّب صعوبة في الغطس والتّنفس كما في قوله: «**اتّجهت يمينا نزلت إلى قاع العنبر، انطلقت على ارتفاع خفيف منه تابعت انطلاقي، اعترضتني الصّفائح على الأعلى مررت أمام صفوفها (...) شعرت بثقل الماء حول أذني *أوشك* نفسي على النّفاذ تحمّلت الضّغط، زدت من اندفاعي، أحسست بالإرهاق .... يجب أن أصعد... الضّغط يزداد من عزم صعدت عموديّا... أنا فوق الماء وفتحت فمي كسمكة تموت... وهرع البحاران لنجدتي...**»[1]. «**انقضت دقائق قبل أن يهدأ خفقان قلبي، حين يختنق الإنسان يشعر بثقل رصاصي على صدري... لم أتكلّم بالرّغم أنّني استرحت، أدركت الآن لماذا لا يتكلّم الغطّاسون عقب صعودهم من الماء الرّاحة والكلام لا يتّفقان (...) الغطّاس يتعلّم الصّمت بحبّه يجد فيه راحته ...**»[2].

وفي المقابل يقف عامل مساعد طبيعي آخر ليسهّل عمليّة إنجاز الذّات العاملة، ويتمثّل في زوال الغاز الذي كان يطفو على سطح الماء بفعل أمواج

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 315.

[2]- المصدر نفسه، ص 316.

الشّتاء والرّياح العاصفة، وفي ذلك نجد الملفوظ السّردي «... **من الخير أنّ وقتا طويلا قد مضى على احتراق الباخرة وغرقها، هذا أدّى إلى زوال الغاز الذي يطفو على السّطح، أمواج الشّتاء والرّياح العاصفة، وتجدّد الميّاه في العنابر نظفها من المواد النّفطيّة التي تسرّبت من الصفائح والمحركات لولا ذلك لكان النّزول إليها مستحيلا يختنق السبّاح إذا اقترب من بقعة نفطيّة حتّى الأسماك تموت**»[1].

ويمثّل البحّارة أيضا عاملا مساعدا في دفع الذّات العاملة "سعيد" للإنجاز، وذلك من خلال البعد الاستهوائي المتمثّل في خوف البحّارة على فقدان "سعيد" أثناء عمليّة غطسه؛ ممّا جعلهم يقدّمون المساعدة، إذ يقول له أحد البحّارة «**إذا كنت مصرّا على البحث فسنبق معك (...) شرط ألا تجازف كما فعلت في المرّات السّابقة... ضع السّلامة في حسابك... لا ترهق نفسك بغير طائل... أن تغوص على دفعات، خير من أن تعرّض حياتك للخطر دفعة واحدة**»[2]. مما جعل "سعيد" يقول في نفسه «**إنّني أفهم خوف البحّارة عليّ كل ما قالوه صحيح**»[3].

وتتصاعد وتيرة الخوف لدى البحّارة أثناء مشاهدة "سعيد " مرهقا جاهدا نفسه في الغطس ثمّ الصّعود إلى سطح الماء ثمّ العودة إلى الغطس مرّات ممّا دفعهم إلى تقديم المساعدة بالغطس معه، وذلك كما في المقطع السّردي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 320.

[2]– المصدر نفسه، ص326.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

«صرت أغوص وأخرج إلى السّطح بسهولة، وتجرأ بعض البحّارة فغاصوا أيضا أصبحت قائد فريق دون طلب، لم يقتنعوا مني بالكف عن الغوص استأنست بهم تشجّعت أكثر بوجودهم (...) نشطنا جميعا الفرد ينشط مع الجماعة، دبّت فينا الحماسة كدنا ننسى الخطر (...) ومضى وقت طويل دون أن نعثر على الجثّة»[1]. لقد كان البحّارة عاملا جماعيّا بشريّا مساعدا للذّات العاملة "سعيد" في عمليّة الإنجاز، ولعلّ العامل المحرّك فيهم هو الشّعور بالخوف على "سعيد" أثناء عمليّة غطسه، وهذه المساعدة كان لها بعدا استهوائيّا آخر يتمثّل في بثّ روح الحماسة، والنّشاط للذّات في مواصلة البحث وذلك من خلال المؤشّر **(استأنست بهم، تشجّعت أكثر بوجودهم، نشطنا جميعا، الفرد ينشط مع الجماعة، دبّت فينا الحماسة).**

وكما نجد عاملا مساعدا استهوائيّا آخر يتمثّل في حقد الذّات على فرنسا وكرهه الشديد لها: «**استعدت مشاعر الحقد على السّلطة، كنت بحاجة إلى هذه المشاعر، الحقد على العدو وقود داخلي، جسمي بحاجة إلى هذا الوقود لقد قاوم والدي السّلطة بما استطاع، مات شهيدا في سبيل الحيّ**»[2]. فالشّعور بالحقد على السّلطة والشّعور بالحماس والنّشاط مع البحّارة والشّعور بالخوف من الفشل في استخراج الجثّة كلّها أهواء ساعدت في تفعيل الذّات ودفعه إلى عمليّة الإنجاز والغطس لمرّات عديدة، والبحث عن الجثّة.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 328.

[2]– المصدر نفسه، ص 327.

وبعد عمليّة الغطس المتكرّرة والتي استغرقت ساعات وأيّاما تنجح الذّات العاملة "سعيد" في تحقيق الموضوع (العثور على الجثّة)، وبذلك يكون نجاح البرنامج السّردي الرّديف المتمثّل في (الغطس لمرّات عديدة). كما في الملفوظ السّردي: «**انطلقت على سطح الباخرة، والبحّارة من حولي، سبحت قليلا على ظهري ... وبقفزة واحدة صرت تحت الماء....غصت.. في خطّ مستقيم... وعندئذ حدثت المفاجأة، زوال أسود طويل لاح لي عند الطّرف الأيمن، تحوّل بينه وبين الخروج من الفجوة، عارضة خشبيّة، مددت يدي اضطررت إلى تخطّي الفجوة والخروج لا مجال للمجازفة.... أخبرت البحّارة بما رأيت... كنت في حالة من تضارب هل علي أن أبكي؟ هل علي أن أفرح؟ هل العثور على الجثّة يذهب بالحزن الذي سبّبه الموت؟...**»[1].

وبذلك تكون الذّات العاملة "سعيد" بعد العثور على الجثّة قد حقّقت الموضوع في البرنامج السّردي المساعد، ويمكن تمثيل ذلك في الصّيغة الآتية:

(ذ1 ∪ م (العثور على الجثّة)) ⟵ (ذ2 ∩ م (العثور على الجثّة)).

وبعد العثور على الجثّة نجد الذّات العاملة "سعيد" تمتلكها حالة من الحزن الشّديد، إذ العثور على الجثّة يعزّز موت والده، و"سعيد " كان يأمل عكس ذلك في داخله، وهذا ما يتجلّى لنا في المقولة السّرديّة: «**وقلت للبحّارة: – كيف أفعل؟ إنّه هناك... لمسته بيدي.... ولن أعود إلى البيت دونه (...) لقد تأكّدت الآن أن والدي قد مات، أيّ شعور ينتاب المرء حين يعرف أنّ أباه**

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 334.

قد مات !؟... ولم يتفوّه البحّارة بكلمة، وجموا أمام حقيقة الموت، كانوا مثلي يغذون *أملا كاذبا*، وها هو الواقع القاسي يهزم ذلك الأمل، وقال واحد منهم (لقد مات صالح حزوم... مات زينة الرّجال)!»[1].

نلحظ انتقال الذّات العاملة إلى ذات حالة بتحوّل من حالة الجهل إلى حالة المعرفة بمكان الجثّة واكتشاف الحقيقة، وهو ما يمثّل البعد المعرفي الإدراكي للذّات العاملة "سعيد" أثناء عمليّة الإنجاز ويمكن أن نعبّر عن ذلك بالشّكل الآتي:

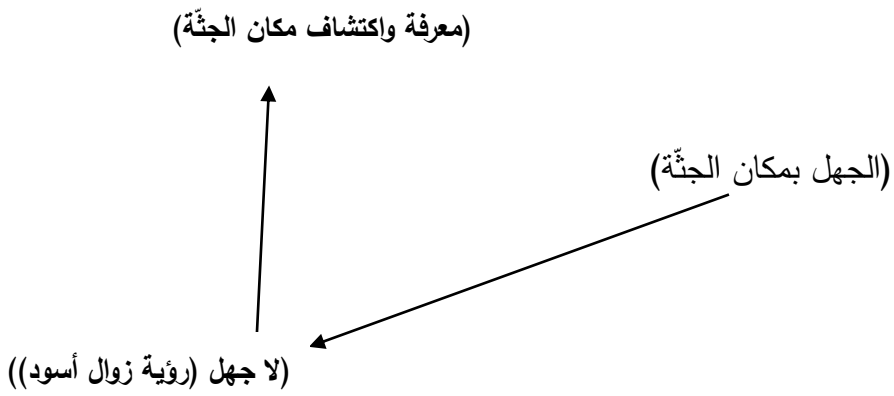

وتتمثّل عمليّة الإنجاز في الغطس وهذه المرّة بمعرفة مكان الجثّة بالتّحديد عكس المرّات السّابقة كان الغطس عشوائيّا والبحث في أماكن مختلفة دون تحديد ومعرفة مكان الجثّة، لذلك كان الهدف واضحا أمام الذّات العاملة "سعيد" في الغطس لاستخراج الجثّة «..**إنّها وراء فجوة الجدار سألني البحّار الفتى:**

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص335.

– أغوص معك؟ ألا تحتاجني تحت؟.

– ليس بعد... ليس قبل أن أخرج الجثّة من المكان المحصورة فيه...

– وهل تستطيع إخراجها وحدك؟ (..).

وقال أكبر البحّارة سنا:

– حاذر أن تخاطر ... لقد بلغنا النّهاية ولا شيء يتطلّب العجلة....

– أنا مضطرّ لبعض المخاطرة.. الجثّة وراء جدار العنبر وعليّ أن أكون داخل الفجوة (...) انتظروني...

– قلت ذلك وغصت...»[1].

إلاّ أنّ الذّات العاملة أثناء عمليّة استخراج الجثّة من الباخرة الغارقة قد عرفت بعض من العراقيل والصّعوبات، إذ كان العامل المعارض في عمليّة الإنجاز هو وجود اللّوح الخشبي والظّلام. ممّا دفع الذّات إلى مقاومة اللّوح الخشبيّ، لاستخراج الجثّة «**صرت أعرف طريقي دون جهد: الضّوء ما زال جيّدا في العنبر غير أنّ الجدار يحجبه من الدّاخل، ذلك اللّوح الخشبي هو الذي يسدّ الطّريق على الجثّة، إذ انتزعته هان الأمر... بحثت منذ ولوجي الفجوة عن اللّوح أمسكته وشددت، كان ثابتا في مكانه، هززته فاهتزّ بين يدي، أدركت أنّه ليس مسمّرا عاودت الكرّة فلم أستطع انتزاعه فكّرت أن أرفعه**

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 338.

إلـى الأعلـى كانـت هـذه محاولـة جيّـدة، ارتفـع اللّـوح دون أن يغيّـر مكانـه كان لوحا طويلا، ليس من السّهل تغيير مكانه، ولم يعد نفسي كافيّا فانسحبت خرجت وحكيت للبحّارة عمّا جرى معي...»[1].

يشكّل الملفوظ السّردي تصوير العامل المعارض أثناء عمليّة الإنجاز وهـو (اللّـوح الخشـبيّ) ممّـا يـدفع بالـذّات العاملـة إلـى إبعـاد هـذا اللّـوح أولا ثمّ العودة إلى استخراج الجثّة «**غصت من جديد (..) دخلت الفجوة رأسا (..) أمسكت باللّوح ودفعته إلى الوراء، اندفع معي، ولكن لم يسقط (...) كيف فاتني أنّه خشب ولم يسقط؟. خرجت من الفجوة ثمّ إلى السّطح.... هرع البحّارة إلي. تساءلوا بصوت واحد:**

- ماذا جرى؟ سحبت اللّوح؟.

- أسقطته....

- انتهى الإشكال؟..

- لا لم ينته.... عام اللوح ثانية»[2].

كـان التّعـب والإعيـاء والخـوف عـاملا معارضـا أمـام مواصـلة الغطـس لاستخراج الجثّة «**غصت من جديد... تقرّحت عيناي من الملح أحسست بحرقة فيهما مع ذلك فتحتهما جيدا (...) نحيت اللّوح الخشبي، دفعت الجثّة**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 339.

[2]- المصدر نفسه، ص 340.

العائمة على ظهرها باتجاه الفجوة لم تخرج جاءت بشكل عرضاني اصطدمت القدمان بالجدار، ارتدت إلى الوراء وخابت المحاولة (...) لم يعد لدي من النّفس ما يسمح بإعادة الكرّة أنا مضطرّ إلى الخروج لاحظت أنّني بدأت أتعب، الطّاقة الجسدية لها حدود من الصّباح وأنا أغوص أنهكتني الغوصات المتتابعة، فكّرت أن أؤجّل إخراج الجثّة إلى الغد أخذ الإعياء يلوي من شكيمتي صار يؤثّر على قراري اندفعت إلى العنبر.... وخرجت..»[1].

وكما قاومت الذّات العاملة "سعيد" العامل المعارض (اللّوح الخشبي) قاومت أيضا الخوف والتّعب وذلك من خلال انفتاح ذاكرة "سعيد" على الماضي، واستحضار كلام والده حيث نجده يقول: «**كان والدي يقول: (ليس المهمّ ألا نخاف المهمّ أن نقاوم الخوف، ليس المهمّ ألا نتعب، المهمّ أن نقاوم التّعب ولقد قاومت الخوف والتّعب**»[2]. ويشّكل الخوف هنا عاملا معارضا استهوائيّا أمام مواصلة الذّات عمليّة الإنجاز، وأمّا التّذكّر واستحضار كلام والده فيشكّل عاملا مساعدا في مقاومة الخوف والتّعب ومحفزا نحو مواصلة عمليّة الإنجاز.

ولعلّ تحقيق الموضوع (استخراج الجثّة) ومواصلة عمليّة الإنجاز نحو نجاح البرنامج السّردي، يتم بامتلاك الذّات الكفاءة من خلال وجود القدرة والتّصميم على إنجاز المهمّة «**اتّخذت قراري، مواصلة الغوص، إذا لم أخرج**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 341.

[2]– المصدر نفسه، ص 343.

الجثـة فسأضـلّ معهـا فـي البـاخرة، ربمّـا قـذفها المـوج إلـى الـدّاخل غـدا ربمـا فرضت الشّرطة حراسـة علـى البـاخرة عندئـذ يضـيع كـلّ شـيء، يتسبّب ضعفي في فقدان جثمان والدي، عليّ أن أنجز مهمّتي اليوم، البحّارة أوكلوا إلـيّ هـذه المهمّـة»[1] (...)،«قلـت للبحّـارة: لـن أبـرح البـاخرة قبـل إخـراج الجثّـة»[2] «العنـاد فـي الصّراع ضروري (...) يعنـي ذلـك الموت أو الانتصار أنا لن أموت، سأنتصر، سأنتزع الجثّة وأخرجها (...) لا أريد الهزيمـة لنفسـي لـيكن... المـوت ولا الهزيمـة...»[3]، «رفعـت يـدي إشـارة للبحّـارة (...) فإمّـا أن ألحـق بوالـدي أو أخـرج بجثّتـه إلـى السّطح (...) غصـت ... خيّـل إليّ أنني ذاهب إلى المعركة، آتيك أيّها البحر...»[4].

بعد المحاولات المتكرّرة للغطس نجح البرنامج السّردي المساعد للذّات العاملـة فـي عمليّـة الإنجـاز باسـتخراج الجثّـة إلـى السّـطح، كمـا فـي الملفـوظ **«اجتزت الفجوة، اللّوح الخشبي عاد إلـى مكانـه دفعتـه إلـى الأعلـى كـان لصـق السّـقف مـددت يـدي وشـددت الجثـة، غـاص الـرأس، دفعتـه باتجـاه الفجـوة لم يصل إليها أمسكت الجسم جذبته إلى تحت، دفعته باتّجاه الفجوة من جديد ارتطم بالحافّة، ارتطمت إلى الأعلى وسحبته ورائي، أنـا خـارج الفجوة والجسم يتبعنـي (...) واصـلت السّـحب صـار الجسـم طيعـا تخلـصّ مـن ربقـة الفجـوة**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 346.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– المصدر نفسه، ص 348.

[4]– المصدر نفسه، ص352.

أصبح في العنبر، تركته يعوم، ارتفعت إليه وعمنا معا، ضاق نفسي (...) قررت الخروج، خرجت كسهم تلقّفني البحّارة، وسمعت بعد قليل صراخهم: - خرجت الجثّة!»[1].

نجد أن نجاح "سعيد " في إنجاز برنامجه السّردي سمح له بأن ينتقل من حالة الانفصال عن الموضوع (استخراج الجثّة) إلى حالة الاتصال بالموضوع، ويمكن تمثيل ذلك في الصيّاغة الآتيّة:

(ذ1 ∪ م (العثور على الجثّة)) ⟵ (ذ1 ∩ م (العثور على الجثّة)).

إلاّ أنّ الذّات العاملة تكون ذاتا استهوائيّة، بعد استخراج الجثّة تنتابها حالة من الشّعور بالحزن الشّديد، وإحساس قويّ باليتم «**ران عليّ ما يشبه الوجوم، لأوّل مرّة بعد غيّاب طويل، ألتقي والدي كنت أنتظر اللّقاء على نحو آخر، فإذا القدر يشاء أن ألقى جثّته بدلا عنه.... أصبحت يتيما فجأة، أحسست باليتم إحساسا مضنيّا هو ذا والدي... أخيرا لو لم أجده لعشت ولو *أملا كاذبا*. الآن أنا والحقيقة، أنا والجثّة وغدا أكون وحيدا أفارقه إلى غير لقاء..»**[2].

إنّ حالة التعب والإعياء والحزن والإحساس باليتم حالت دون أن ينتبه "سعيد" إلى هويّة الجسم أثناء العثور عليه تحت الماء، فبعد استخراج الجثّة كانت المفاجأة في انتظار الذّات العاملة.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 354.

[2]- المصدر نفسه، ص،ن.

ويمكـن أن نوضّـح العوامـل السّـرديّة المتضـافرة فـي البرنـامج السّـردي للذّات العاملة "سعيد" كالآتي:

استخراج الجثّة والأمل في إيجاد والده على قيد الحياة

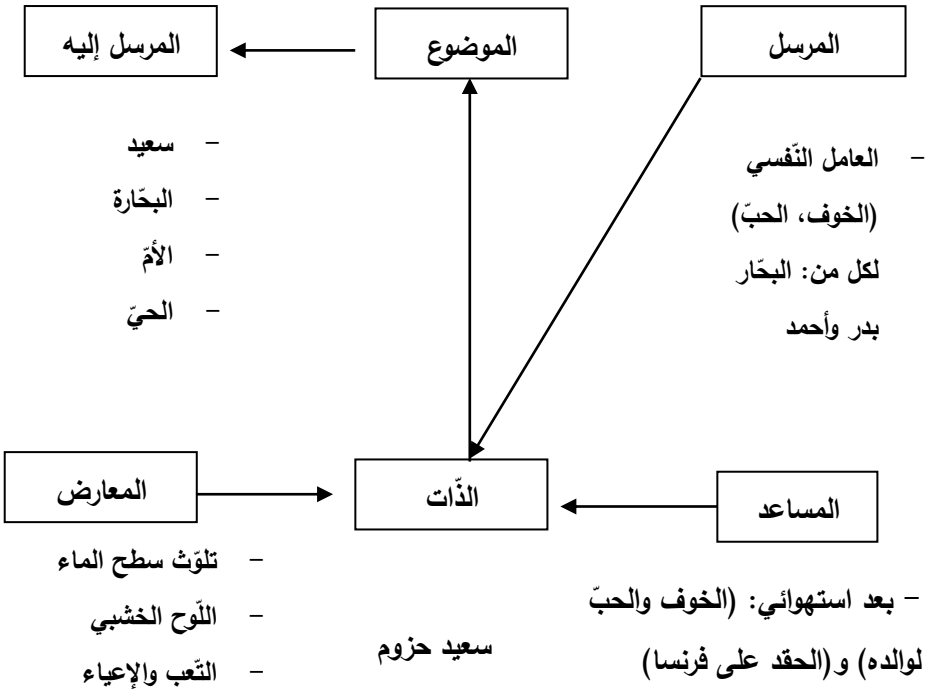

1-1-4- الجزاء: يعدّ الجزاء آخر أطوار الخطاطة السّرديّة وهو (كينونة الكينونة) حيث يتمّ تقويم الفعل المنجز من طرف الذّات العاملة (سعيد)، فبعد المعاناة في استخراج الجثّة وجدنا الذّات تنتقل من وضعيّة جهل لهويّة الجثّة إلى وضعيّة معرفة واكتشاف (هويّة الجثّة)، كما في المقولة السّرديّة: «**رأيتهم ينحنون فوقه ويتأمّلونه، وصاح أكبرهم سنا: سعيد! هل رأيت الجثة وأنت في العنبر؟**

- لا !!

- إنّها

- ماذا؟

- لا شيء...

خفــق قلبـــي بشـــدّة، لا أدري أيّ نـــوع مـــن الشّـــعور ســـيطر عليّ، كان صوت البحّار مرتعشا (....) فتساءلت في شيء من عودة الأمل: هل مازال حيّا؟، وهتفت في ذات نفسي: (يا إلهي! هل يعقل أن يكون حيّا)؟ (...)، وحين وصلت كانت تنتظرني هذه المفاجأة:

- الجثّة ليست لوالدك!

- كيف!؟.

- أنظر...

- نظرت!!

يا للهول! كانت الجثّة لبحّار غريب!...»[1].

إنّ اكتشاف هويّة الجثّة جعل الذّات سعيد تتمسّك بأمل في (العثور على والده قيد الحياة في مكان ما)، ومنه ينتقل الذّات سعيد من وضعيّة البحث في البعد المعرفي من الاعتقاد بموت والده (الجثّة) في الباخرة الغارقة إلى وضعيّة الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة في مكان ما، وبذلك انتقل

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 354. ص 357.

موضوع (البحث عن صالح حزوم) من وضعيّة الاعتقاد بموته إلى وضعيّة الاعتقاد بوجوده على قيد الحياة.

حيث نجد "سعيد حزوم" يقول: «**لم أعثر على أبي... أنا واثق أنّه في البحر، لم أجده حتّى الآن، والدي... احتجب في مكان ما في البحر هو لم يغرق لو غرق لوجدته في الباخرة، لقد عدت إليها في اليوم الثّاني وما بعده وظللت أعود إليها وأغطس في أعماقها حتى مشطت هذه الأعماق وتأكّدت أنّ جثّة والدي ليست فيها، (...)، إنّ والدي حيّ لا يموت بهذه السّهولة..**»[1].

كان العثور على جثّة رجل غريب مفاجأة "للبحّارة" و"لسعيد" إذ نجده يقول: «**البحر كالقدر، كثيرا ما يدور بالإنسان يخدعه، ويضحك عليه، البحر ضحك عليّ، خدعني دار دورات طويلة وبدلا من جثّة والدي بعد ذلك الكفاح الطّويل، أعطاني جثّة غريبة، مشوّهة ممسوخة**»[2] (..) «**حين فوجئت ذلك المساء، أنّ الجثّة ليست جثّة والدي وليس الجثّة التي بحثنا عنها إلى درجة التّضحيّة بأنفسنا لإخراجها، كنت أمام خيارين: الاستسلام إلى التّعب واليأس من العثور على الجثّة أو المقاومة والاستمرار في البحث**»[3]. نجد نجاح البرنامج السّردي ومهمّة أو عمليّة الإنجاز التي قام

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، منشورات دار الآداب، بيروت، ط1 1982، ص 13.

[2]– المصدر نفسه، ص 14.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

بها الذّات العاملة "سعيد" باستخراج الجثّة إلى سطح الماء بعد ذلك الكفاح الطّويل والمقاومة الشّديدة للذّات إلاّ أنّه فشل في تحقيق الموضوع القيمة لديه باكتشاف هويّة الجثّة أنّها ليست "لصالح حزوم".

ويتجلّى البعد الاستهوائي في طور الجزاء بشعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالخيبة والأمل في آن كما في المقطع السّردي: «**فيما أنا أحدق في الجثّة الغريبة، وفي داخلي شعوران من حزن وفرح، من خيبة وأمل ولم يلبث الأمل أن فاض في الذّات وخدعها، كانت ذاتي مستعدة لأن تخدع ما دام ذلك يعيد إليها الرّجاء..**»[1] (...)، «**لن أدع والدي في قاع الباخرة – هذا إذا كان في الباخرة... لم أجب... كنت في سري أمارس أملا في ألاّ يكون فيها..**»[2].

ونجد الذّات الاستهوائيّة "سعيد" تستشعر الفشل لعدم العثور على والده «**أنا لم أنجح في شيء لم أعثر على جثّة والدي**»[3]. وبذلك يمكن رصد فعل التّحوّل للذّات من ذات عاملة إلى ذات حالة في المسار الاستهوائي للبرنامج السّردي المساعد، فمن وضعيّة هادئة مستقرّة في البيت إلى وضعيّة متوتّرة قلقة مضطربة وخائفة أثناء سماعه بالخبر ثم نجد الذّات العاملة "سعيد" تنتقل من وضعيّة عدم الاقتناع والمعرفة في البعد المعرفي والإدراكي إلى وضعيّة الاقتناع والمعرفة لحالة غرق والده ممّا دفع ذلك إلى تحريك وتوتير الذّات

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص15.

[2]– المصدر نفسه، ص 16.

[3]– المصدر نفسه، ص 20.

للبحث والعثور على الجثّة في البرنامج السّردي المساعد (استخراج الجثّة) والذي بنجاحه كان تمهيدا لنجاح البرنامج السّردي المعرفيّ، والمتمثّل في (الاعتقاد بموت والده)، وكان اكتشاف الذّات الحقيقة بمعرفة هويّة الجثّة التي انتقلت من حالة (الظّهور) وهو الاعتقاد بموت والده إلى حالة (الكينونة) واكتشاف الجثّة بأنّها ليست "لصالح حزوم" بل لبحّار غريب (جندي فرنسي) فيأمل سعيد بعد ذلك في إيجاد والده على قيد الحياة في مكان ما، ويمكن أن نوضّح ذلك في المربّع التّصديقي كما في الشّكل الآتي:

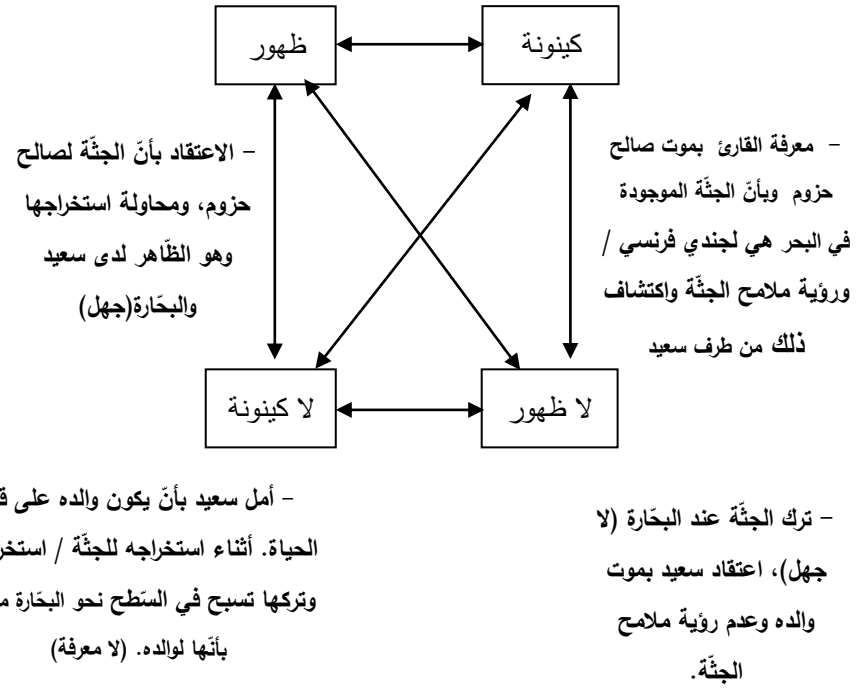

حيث توضّح لنا أركان المربّع التّصديقي (الكينونة) وذلك بمعرفة القارئ بموت "صالح حزوم" وبأنّ الجثّة الموجودة في البحر هي (لجنديّ فرنسيّ)

وهيّ الحقيقة في باطن البنيّة السّرديّة والتي اكتشفها فيما بعد كلّ من "سعيد" و"البحّارة" بعد رؤية ملامح الجثّة وهيّ حالة (معرفة)، وأمّا في ظاهرها (ظهور) نجد محاولة استخراج الجثّة من طرف "سعيد" معتقدا بأنّ الجثّة لصالح حزوم وهيّ حالة (جهل) إلى (لا كينونة) أثناء البحث تحت البحر حيث يأمل "سعيد" بأن يكون والده على قيد الحياة ثمّ استخراج الجثّة وتركها تسبح على السّطح وهيّ حالة (لا معرفة) إلى (لا ظهور) إذ نجد "سعيد" معتقدا في البعد المعرفي بأنّ الجثة "لصالح حزوم" حيث قام بعد استخراجها بعدم رؤية ملامحها وتركها تسبح في السّطح نحو البحّارة الذين تلقوا بدورهم الجثّة وتركوا "سعيد" يرتاح من التّعب وهيّ حالة (لا جهل)، فيكون البحّارة عامل مرسل إليه مؤوّل للفعل المنجز من طرف الذّات، حيث اكتشفوا أنّ ملامح الجثّة هي لرجل غريب (جنديّ فرنسي)، وقاموا بإخبار الذّات العاملة "سعيد" بذلك، فتنتقل الذّات من حالة (جهل) لعدم رؤية ملامح الجثّة تحت البحر وفي الاعتقاد بأنّها لوالده إلى حالة (المعرفة) واكتشاف هويّة الجثّة بأنّها (لجنديّ فرنسي) بعد رؤية ملامحها، وهنا تنتقل الذّات الاستهوائيّة من هوى الخيبة بالاعتقاد بموت والده إلى هوى الأمل بالاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة والأمل في العثور عليه.

ويكون الجزاء في البرنامج السّردي المعرفي بأبعاده الثّلاثة: (بعد معرفي وبعد تداولي، وبعد استهوائي)، فالمعرفي باكتشاف ما هو ظاهر في البنية السّرديّة ومعرفة أنّ الجثّة التي استغرقت أيّام للبحث كانت لرجل غريب (جندي فرنسي)، والبعد التّداولي من خلال وجود تقييم البحّارة (العامل المرسل إليه) و"سعيد" (الذّات العاملة) الفعل المنجز وذلك بشعورهم بالخيبة في اعتقادهم

بغرق "صالح حزوم"، والبعد استهوائي وذلك أثناء شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالخيبة لفشل عمليّة الإنجاز المتكرّرة لأجل جثّة رجل غريب (جندي فرنسي) والشّعور بالأمل بالاعتقاد أنّ والده مازال على قيد الحياة. وهو الأمر الظّاهر في البنية السّرديّة وفي باطنها هو معرفة القارئ والمؤلّف بموت "صالح حزوم" وهي الحقيقة الكامنة في البنية السّرديّة.

ولا ينتهي طور الجزاء في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" باكتشافه أنّ الجثّة ليست لوالده، بل تتطوّر الأحداث ممّا يجعل دخول عامل معارض جديد متمثّل في "السّلطات الفرنسيّة" التي قامت باعتقال "سعيد حزوم" كما في قوله: «**فقد قادوني إلى النّظارة، وعذّبوني كثيرا كي أخبرهم أين والدي ولما كنت أجهل مكانه، فقد ذهبت جهودهم سدى, وفي اليوم التّالي أطلقوا سراحي...**»[1]. ومن الملفوظ نجد أنّ السّلطات الفرنسيّة قامت في البداية باستجواب "سعيد" عن والده، وحين فشلوا أطلقوا سراحه بعد تعذيبه، وفي المرّة الثّانيّة قاموا باعتقاله بدلا عن والده ولأجل الجثّة التي قام باستخراجها من الباخرة الغارقة «**واعتقلوني ثانيّة قلت للمحقّق كل هذا لكنّه لم يقتنع، أمر بسجني، وفي هذه المرّة توسّع معي في التّحقيق وفتح دفتر الجثّة الغريبّة واعتبروني مسؤولا عن بحّار فرنسي غريق (كيف؟ – قلت له – الجثة كانت في الباخرة. والباخرة غرقت قبل عام كامل؟)، وقال المحقق: (أنت وجدتها بعد هذا العام وأنت مسؤول عنها... كان يجب أن تحافظ**

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 41.

عليها أو تخبر السّلطة بدلا من أن تمثّل فيها وتركتها لوحوش البحر»[1] (..)، «**أنكرت أنّني مثّلت فيها، لكن المحقّق أحالني إلى المحكمة *المختلطة* في حلب، وهناك طالب النائب العام الفرنسي بسجني قائلا: هذه جريمة بحقّ الإنسانيّة الدّافع إليها الكره والوحشيّة ومقاومة السّلطة الفرنسيّة»**[2].

وكان العامل المعارض والمضاد (السّلطات الفرنسيّة) التي انزلقت إلى ذات عاملة لتحقيق الموضوع (سجن "سعيد" لثلاث سنوات) في البرنامج السّردي المضاد، وكان العامل المساعد في البرنامج المضاد هو عثور "سعيد" على جثّة (جنديّ فرنسي) غريق، وكان العامل المساعد "لسعيد" هو وجود المحامي «**ودافع عني أحد المحامين العرب، ودافعت عن نفسي ما استطعت لكن المحكمة كانت فرنسيّة، وكانت فرنسا تستعمر سورية وتريد الانتقام من أبنائها، فحكم عليّ بالسّجن ثلاث سنوات**»[3]. ومنه يمكن تحديد البنية العامليّة للبرنامج السّرديّ المضاد كالآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 41.

[2]– المصدر نفسه، ص 42.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

إدخال "سعيد" إلى السّجن

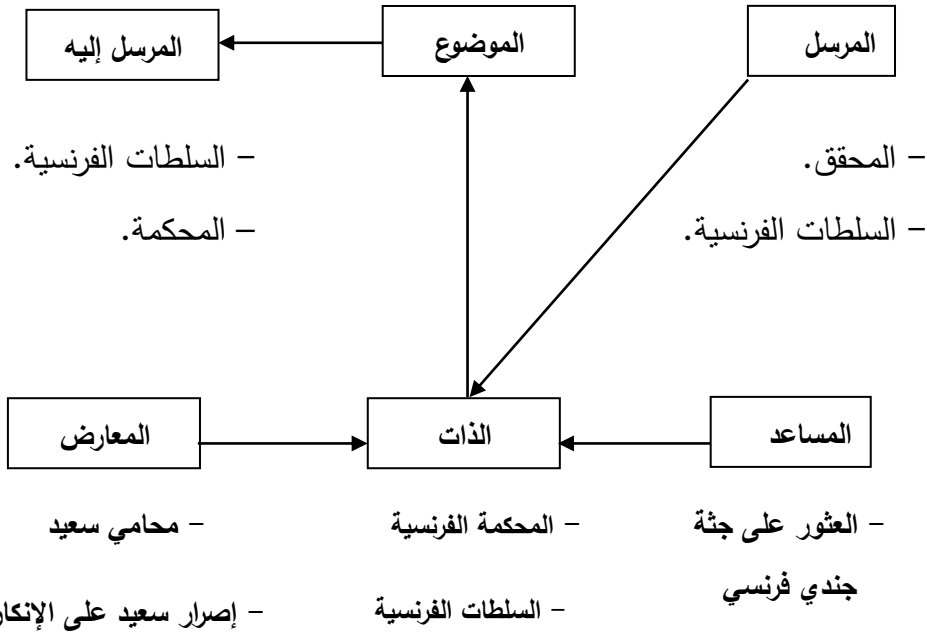

نلاحظ نجاح البرنامج السّردي المضاد بإدخال "سعيد" إلى السّجن والمعيق والمعارض بالنّسبة للبرنامج السّرديّ المعرفيّ للذّات "سعيد" (في مواصلة بحثه عن والده الذي يعتقد بأنّه على قيد الحياة)، وبالمقابل فإنّ البرنامج السّردي المضاد هو جزاء الذّات "سعيد" بعد استخراج الجثّة من البحر في البعد التّداولي، المتمثّل في العامل المعارض (السّلطات الفرنسيّة) والتي قامت بتقييم الفعل المنجز من طرف الذّات باتّهامه بتهمة التّمثيل في جثّة (جندي فرنسيّ)، وكانت العقوبة بـ: (ثلاث سنوات سجنا)، فيكون بذلك انزلاق العامل المعارض السّلطات الفرنسيّة إلى خانة عامل المرسل إليه المؤوّل للفعل إذ نجد الذّات "سعيد" يقول: «**فحكم عليّ بالسّجن ثلاث سنوات، أدركت**

وأنــا أرمــى فــي الزّنزانــة, أنّنــي حكمــت نيابــة عــن والــدي، وأنّنــي فديــة عنه, وأنّ ما اعتزمته يتحقّق فأنا أسلك طريقه في البرّ والبحر معا»[1].

ويمكن ضبط أطوار الخطاطة السّرديّة في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع استخراج الجثّة كما في الجدول الآتي:

التحريك	الكفاءة	الانجاز	الجزاء
فعل الفعل	كينونة الفعل	فعل الكينونة	كينونة الكينونة
– علاقة المرسل البحّار بدر والبحّارة بإخبار الذّات "سعيد" بغرق والده – علاقة المرسل العامل الاستهوائي والبعد المعرفي والبعد التّداولي للذّات.	– علاقة الذّات بالموضوع البحث عن الجثّة بالغطس والغوص لأيام.	– علاقة الذّات بالموضوع القيمة (العثور على والده). – علاقة الذّات بالموضوع (استخراج الجثّة).	– علاقة المرسل البحّارة بالذّات – علاقة المرسل إليه البحّارة والسلطات الفرنسيّة بالذّات – علاقة المرسل إليه البعد الاستهوائي والتّداولي والمعرفي بالذّات.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 42.

وكما نلاحظ تداخلا في البرامج السّرديّة من البرنامج السّردي الرّئيس "لسعيد"، والبرنامج السّردي المضاد والبديل للذّات "السلطات الفرنسيّة"، ويمكن أن نلخّص ذلك في البرنامج السّردي المضاد كالآتي:

البرنامج السّردي للعامل الجماعي (السّلطات الفرنسيّة)			
البرنامج السّردي	**العامل**	**الموضوع**	**الوضعيّة**
– البرنامج السّردي الرّئيس. – البرنامج السّردي المساعد.	– السلطات الفرنسيّة. – المحكمة. – المحقّق.	– إدخال سعيد للسّجن بدلا عن والده – اعتقال "سعيد" واستجوابه. عامل مساعد: – المحقّق – العثور على جثّة لرجل فرنسي.	– الهيمنة – مقاومة بالإنكار وبوجود محامي. تحوّل.

– البرنامج السّردي المساعد. – البرنامج السّردي الرّئيس.	– السّلطات الفرنسيّة. – السّلطات الفرنسيّة والمحكمة الفرنسيّة.	– توجه سعيد إلى المحكمة الفرنسيّة. – الحكم بثلاث سنوات.	– لامقاومة. –الهيمنة.

نلاحظ نجاح البرنامج السّردي المضاد والمعارض بإدخال "سعيد حزوم" إلى السّجن ثلاث سنوات بدلا من والده الغائب، وما دام أنّ الجثّة اكتشفت بأنّها لبحّار (جنديّ فرنسي) فقد بدأ الأمل يتصاعد لدى الذّات "سعيد" بالعثور على والده قيد الحياة في مكان ما.

ومنه فالجزاء في البرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (الاعتقاد بموت والده) كان نقطة انطلاق لرحلة البحث من جديد عن والده في المرحلة الثّانيّة وذلك بعد خروجه من السّجن، وهنا نحو الموضوع (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة)، وبذلك ينتقل البحث عن "صالح حزوم" من وضعيّة (الموت) إلى وضعيّة (الحياة).

1-2- الخطاطة الاستهوائيّة:

بعد تتبع المسار السّردي لسلسلة الحالات لفعل تحوّل الذّات في البرنامج السّردي سنتتبّع المسار الاستهوائي للذّات الاستهوائيّة، والتي يمكن

دراستها بعد دراسة الخطاطة السّرديّة، فإذا كانت الخطاطة السّرديّة تقوم على وجود أربعة أطوار لفعل التّحول هيّ: (التّحريك، والكفاءة، والإنجاز والجزاء)، فإنّ الخطاطة الاستهوائيّة تتكوّن من مراحل «تبيّن تدرّج الهوى من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي»[1]؛ بمعنى من العمق النّفسي الداخلي للذات الاستهوائية إلى المستوى السطحي الخارجي ، وما نلاحظه من تغيّر وتوتر واضطراب جسمي.

ولدراسة الخطاطة الاستهوائيّة للذّات الاستهوائيّة "سعيد" في البرنامج الاستهوائي المتمثّل في (الأمل في العثور على والده على قيد الحياة) نقف على ضبط المراحل الآتيّة:

1- الانكشاف الشّعوري: (L'eveil affectif): ينتاب الذّات الاستهوائيّة "سعيد" شعور بالقلق أثناء سماعه من البحّار "بدر" بأنّ البحّارة يريدونه في أمر هام، يتطوّر إلى حالة من التّوتر والخوف أثناء سماعه للبحّار "أحمد المستكفي" الذي قام بإخباره أنّ والده لم يخرج إلى سطح الماء، وأنّهم كانوا يبحثون عنه ولم يعثروا عليه. فتظهر الذّات الاستهوائيّة "سعيد" متلبّسة بهوى الخوف فالشّعور بالقلق هو «توتّر انفعالي واضطراب نفسي وجسمي»[2] والخوف الذي يظهر على الذّات هو «حالة شعوريّة وجدانيّة يصحبها انفعال نفسي

---

[1]- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، ص 236.

[2]- أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص204.

وجسمي بسبب مؤثر خارجي»[1] –سماع "سعيد" لكلام البحّار"أحمد المستكفي"_ ممّا يولّد الإحساس بالخطر ويظهر وينكشف شعور الخوف على الذّات الاستهوائيّة من خلال الانفعال الجسدي بالحركات والصّراخ كما في الملفوظ: «**صحت وقد *ارتعدت* لفكرة غرقه هل أصابه مكروه.... ضربت على رأسي**»[2]. فيتمظهر الخوف من المستوى العميق الداخلي للذّات الاستهوائيّة إلى المستوى السّطحي الخارجي بتغير الحالة الجسديّة من خلال (صحت، ارتعدت، ضربت على رأسي) فالتّغير بدأ من الحالة النّفسيّة للذّات إلى الحالة الجسديّة لها.

2- الاستعداد (La disposition): تبدأ الوتيرة النّفسيّة للذّات الاستهوائيّة بتصاعد، وذلك بعد الاقتناع بموت والده غرقا أثناء عمليّة استخراجه لتكنات الغاز، «**أدركت أكثر من الجميع بأنّ والدي غرق**»[3]. ويكون طور الاستعداد متعلّق بالذّات الاستهوائيّة "سعيد" من خلال تحديد الكفاءة في الخطاطة السّرديّة فيبرز الاستعداد الاستهوائي من خلال وجود الجهات الأربعة للفعل (الإرادة والواجب، والقدرة، والمعرفة) لفعل الانفعال الجسديّ من حركة واضطراب ويتحدّد الاستعداد من الجهات المضمرة للفعل الاستهوائي (الإرادة، والواجب) المحدّدة للتّأسيس من خلال شعور الذّات بالقلق، والخوف، والحزن، وهيّ الحالة النّفسيّة المؤديّة إلى الاضطراب كما في الجهات المحيّنة للفعل الاستهوائي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص197.

[2]– المصدر نفسه، ص293.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

(معرفة، وقدرة) الفعل الاستهوائي المحدّد للتّأهيل فيتمظهر لنا التّغير والانفعال على "سعيد" من خلال (الارتعاد، والحركة، والصّراخ، والبكاء، والضّرب على رأسه)، ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

الاستعداد ←		نحو الفعل الاستهوائي	
الجهات المضمرة: – إرادة فعل البحث. – واجب فعل البحث والغوص.	**الجهات المحيّنة:** – معرفة فعل البحث. – قدرة فعل البحث والغوص.	**حالة النّفس:** – الشّعور بالخوف والقلق والحزن.	**حالة الجسد:** – انفعال من خلال ارتعاد وحركة وصراخ وبكاء.

3- القطب الاستهوائي (Le pivot passionnel): وهو مرحلة أساسيّة للذّات الاستهوائيّة حيث تدرك معنى الاضطراب الذي تشعر به وتكتشف الصدمة[1] وهنا يكتشف "سعيد" بأنّه يتيم وأنّ والده قد غرق في البحر كما في البعد المعرفي؛ حيث تدخل الذّات مرحلة الحزن الشّديد والشّعور باليتم لفقدان الأب.

4- العاطفة (L'émotion): ونجد عاطفة الحزن الشّديد التي عبّرت عنها الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالبكاء «**إنّه في الباخرة.... والدي ما يزال في الباخرة، وقد مات والدي، وانفجرت باكيًا، وشرعت أركض باتّجاه الباخرة**»[2]. فالبكاء هو تعبير خارجي للحالة النّفسيّة الدّاخليّة للذّات، وتصبح

---

[1]– voir, Jacques Fontanille, S'emiotique et Litt'erature Essais de m'ethode, p: 80.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 293.

عاطفة الحزن حدث استهوائي مع عاطفة الحبّ التي جعلته يغطس مرّات عديدة، ولأيّام مقاوما التّعب وتلوّث الماء لأجل استخراج جثّة والده.

5- التقييم الأخلاقي (La Moralization): يتمظهر هذا الطّور من خلال استخراج الجثّة التي اكتشفت الذّات بأنّها لبحّار غريب (جنديّ فرنسيّ)، وكان تقييما إيجابيّا بالنّسبة للذّات، وهو الشّعور الدّاخلي بأمل كذوب في إيجاد والده على قيد الحياة «**وفي أمل كذوب يداعب النّفس الملهوفة رحت أتخيّل والدي سليما**»[1].

وأمّا التّقييم السّلبي فهو متمثّل في دخوله إلى السّجن لثلاث سنوات من طرف السّلطات الفرنسيّة بسبب استخراج الجثّة التي تبيّن أنّها لبحّار غريب (جنديّ فرنسي) وبتهمة التّمثيل فيها.

ثانيا: المرحلة الثانية: البرنامج السردي المعرفي للذات "سعيد" والموضوع (الاعتقاد بأن والده على قيد الحياة والسعي للبحث عنه)، والبرنامج الاستهوائي له (الأمل في العثور عليه):

وتحدّد هذه المرحلة محاولات "سعيد" المتكرّرة نحو الموضوع (السّفر بحثا عن والده)، فكانت هذه المحاولات بمثابة برامج سرديّة مساعدة للبرنامج السّردي المعرفيّ والمتمثّل في (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة)، ويمكن الوقوف على البرامج السّرديّة المساعدة للذّات "سعيد" كالآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 293.

1- البرنامج السردي المساعد (1): (السّفر على مركب الرّيس عبدوش):
ويقوم البرنامج السّرديّ المساعد (1) على سلسلة من الحالات والتّحوّلات لفعل (السّفر للبحث عن والده)، والتي يمكن الوقوف على جوهرها من خلال ضبط أطوار الخطاطة السّرديّة كالآتي:

1-1- التّحريك:

يبدأ طور التّحريك انطلاقا من اللّحظات الأولى (لفعل الفعل) للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (البحث عن والده) في المرحلة الثّانيّة وذلك بشعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بوجود أمل في إيجاد والده على الحياة معتقدة بذلك أنّه مفقودا كما في الملفوظ: «**... والدي غائب مفقود، ضاع في البحر.. لكنّه ليس بغريق ولا ميّت.. يمكن أن نقول أيّ شيء إلاّ تلك الكلمة الرّهيبة: مات.. سأقول لأمي: لم أعثر عليه.. معنى هذا أنّ الأمل لم ينقطع قد لا يكون هذا الأمل حقيقيّا، ولا أملا كاملا لكنّه أمل على كلّ حال، إنّه تأجيل للإعلان الفاجع..**»[1].

وكما نجد انتقال الذّات "سعيد" في البعد المعرفي من وضعية الاقتناع بموت "صالح حزوم" إلى وضعيّة الاقتناع بإمكانيّة وجوده على قيد الحياة حيث يقول: «**وعليّ أن أؤكّد أنّ والدي لم يمت... ثمّ إنّه لم يمت حقيقة لو مات أين جثته؟ البحر لا يحتفظ بالجثث فإنّ مصيره ما زال مجهولا وهذا يعطينا الحقّ في أن نقدر في ما نريد، وننتظر ما نشاء... إنّه يسمح**

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 20.

لنا، نحن بالذّات أن نثق أنّه ما زال حيّا»[1]. (..) «سأعود إلى هذه السّفينة غدا سأعود يجب أن أتأكّد.... يسرّني ألاّ تكون الجثّة فيها، وأن يظلّ أملي بحياة والدي قائما، لكنّني سأغوص فيها أيضا لكي أعزّز هذا الأمل، أجعله يقينا...»[2].

ونظرا لعدم وجود جثّة "صالح حزوم" في البحر، أدّى هذا إلى اعتقاد "سعيد" بأنّ والده على قيد الحياة، حيث بدأ الأمل يزداد أكثر في البحث والعثور عليه «**لقد غاب والدي في البحر، هذا ما أستطيع تأكيده غاب دون أن يترك أثرا، هو يعرف لماذا لم يترك أثرا، لعلّه فعل ذلك من باب الاحتياط، ليس من عادته أن يفعل ذلك، أن يخفي *أبناءه* عنّا إلى هذه الدّرجة لكنّه شاء ذلك، فليكن ما شاء تظّل إرادته مقبولة...**»[3]. ونجد انتقال "الأم" من وضعيّة الاقتناع بموت "صالح حزوم" إلى وضعيّة الاقتناع بعيشه ولكن ليس بالدّرجة التي اقتنع بها "سعيد" لأنّنا نجدها في النّهاية تعود إلى الاقتناع بموته أمّا "سعيد" فيظلّ يعيش هذا الوهم والهاجس في العثور عليه طوال حياته.

وفي الوضعيّة الأولى الاقتناع بموت "صالح حزوم" نجد الملفوظ: «**وقد شرعت أميّ، منذ رأتني تلطم خديها، وتضرب صدرها، وألقت بنفسها على صدري وهي تسأل: بصوت باك، زاعق:**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 25.

[2]– المصدر نفسه، ص 25.

[3]– المصدر نفسه، ص 26.

– أين أبوك يا سعيد؟

– أبي سافر في البحر...

– وصاحت مولولة...

– لا، لا.. أبوك غرق... وكنت تبحث عنه... أبوك غرق... أبوك مات (...) يا أمي! يا أمي!.. أبي لم يمت... لم يغرق البحّارة قالوا أنّه ذهب في البحر.

– البحّارة قالوا أنّه غرق... منذ الصّباح قالوا إنّه غرق... وإنّك تبحث عنه...

– بحثت عنه طويلا... لو غرق لوجدته (...).

– البحر كبير.. أين أتجده في البحر؟ لو كان حيّا لعاد إلى البيت.

– التقطت العبارة الأخيرة وقلت!

– والدي لا يستطيع العودة إلى البيت.. وأنت تعرفين هذا»[1]. نلاحظ عدم اقتناع الأمّ بأنّ "صالح حزوم" على قيد الحياة بقدر اقتناعها بأنّه ميت وقد غرق في البحر «**زعقت أمي: – أنا لا أصدّق .. لا أصدّق .. انتم تضحكون عليّ .. صالح غرق ...أين جثّته؟ دعوني أراه... دعوني أودّعه... أكلّمه.. أرى وجهه... لماذا لم تخرجوه من البحر؟»**[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص28، 29.

[2]– المصدر نفسه، ص 29.

إنّ اختفاء جثّة "صالح حزوم" كان عاملا مساعدا على تعليق الرّجاء والأمل لدى "سعيد" و"أمّه" و"البحّارة "، بإمكانيّة وجوده على قيد الحياة في مكان ما «**كنت قد خرجت إلى باحة البيت، توصل البحّار العجوز إلى تهدئة العائلة، عاد الأمل إلى أمي، كانت تدرك أنّ ما قيل غايته طمأنتها إلاّ أنّها تعللت بعدم العثور على الجثّة، قالت في نفسها (لو غرق لظهرت جثّته) كان اختفاء الجثّة عاملا مساعدا في التعلّق برجاء واه أنّ نفسي تعلقت بهذا الرّجاء وما أزال في قلب كل شدة على البرّ والبحر**»[1].

نلاحظ انتقال "سعيد"، والأمّ، والأهل من وضعيّة عدم الاقتناع بأنّ "صالح حزوم" على قيد الحياة إلى الاقتناع بذلك، والعامل المساعد والمغذّي للأمل في البعد الاستهوائي هو عدم إيجاد جثّته، ويمكن أن نوضّح ذلك كالآتي:

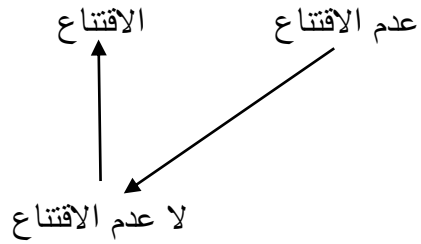

ويمكن توضيح وضعيّة "صالح حزوم" بالانتقال من وضعيّة "اليقين بالموت" (أثناء البحث عنه في البحر) إلى وضعيّة "اليقين بالحياة" (لعدم إيجاد جثته) كما في الشّكل الآتي:

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 32، 33.

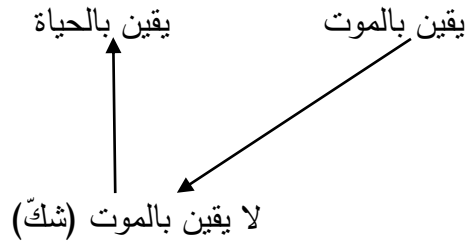

إلاّ أنّ إدخال "سعيد" إلى السّجن ثلاث سنوات من طرف السّلطات الفرنسيّة كان عاملا معارضا أمام تحقيق الهدف المنشود وهو (العثور على والده) ممّا أضحت الذّات الاستهوائيّة "سعيد" في وضعيّة فقدان القوّة والمقدّرة والمقاومة في تحمّل وضعيّته داخل السّجن كما في قوله: «**... يتّكأ على الجدران دون أن يجد قوّة على الحركة فارقته حالة النّشاط التي عاد بها من التّنفس، كان السقف يبدوا جهما في عينيه صار يهبط حتّى أحسّ أنّه يكاد يلامس رأسه، غدا السّجن علبة صدئة ما تنفكّ أكثر فأكثر، استشعر فقدان القدرة على المقاومة، إنّه يتفكّك، أعضاء جسمه تتراخى، ينفصل بعضها عن بعض، قال في نفسه: (يا ربّ! كيف أقضي ثلاث سنوات في هذا الجحيم؟ إنّني أتلاشى... صرت كخرقة إذا جاء أحد وضربني فلا قدرة لي على الرّد لا قدرة لي على الدّفاع عن نفسي، هم ثقيل يجثم على صدري**»[1].

فالشّعور بالفردانيّة والوحدة وفقدان المقدرة وهبوط الهمّة حال دون المقاومة والصّبر داخل السّجن فأضحى بذلك الموضوع في البعد المعرفي

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 75.

عنده هو (البحث عن الحريّة)، وفي تحقيق ذلك ستكون خطوة نحو تحقيق الموضوع الهدف وهو (العثور على والده) في البرنامج السّردي المعرفي إلاّ أنّ العامل المساعد لدى الذّات هو النّسيان «**لقد تعلّمت أن أنسى، تعلّمت أن أرضى، تعلّمت أن أعيش، يوما بيوم، وكأنّ السّجن بيتي، وكأنّ حياته حياتي، والسّجناء فيه إخوتي أهلي ما دام وضع واحد يجمعنا، وأمنية واحدة تداعبنا، وعدوّ واحد هو القيد، يغلّ أيدينا نحن الذين في الدّاخل لأسباب مختلفة، مصدرها واحد هو البؤس الذي يوّحدنا**» [1] فالسّجن هو بمثابة قيد للذّات "سعيد" والبحث عن الحريّة هو بمثابة موضوع في البعد المعرفي بالتّحرّر من هذا القيد «**ثلاث سنوات من العمر، من الشّباب، انطوت بين جدرانك الأربعة، لم أقل متى، على لهفتي أن تكون تلك اللّحظة من الانعتاق حين أتخطى عتبتك ولا قيد ولا حارس ولا شعور بالحجز إذ هو إحساس يرافق السّجين في صحوه ومنامه**»[2].

تتحدّد المقولة السّرديّة، بالتّقابل الدّلالي بين وضعيّة الذّات أثناء القيد في السّجن ووضعيّة الذّات أثناء التّحرر من هذا القيد، فالسّجن بما يعنيه دلاليّا تقييدا لحركة الإنسان يعدّ عاملا معارضا لبرنامج "سعيد" (البحث عن والده) الذي هو بحاجة إلى الحريّة من هذا القيد لتحقيق موضوعه.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 88،89.

[2]– المصدر نفسه، ص 88.

وبذلك كان خروج "سعيد" من السّجن يمثّل منعرجا هامّا نحو مرحلة ثانيّة، وهيّ: (البحث عن والده)، فالذّات "سعيد" على يقين بأنّه مازال على قيد الحياة، وأنّه يعيش في مكان بعيد عن عيون فرنسا، وأعوانها «**ثلاث سنوات في السّجن، ثلاث دقائق في السّجن، ثلاث ثواني في السّجن انتهى كلّ شيء ومن جديد وجدت نفسي طليقا، الحياة بأسرع من قدرتنا على رصدها، ترمح كفرس شموس..**»[1].

ويمثّل خروج "سعيد" من السّجن نقطة انطلاق ووضعيّة بدئيّة نحو رحلة البحث عن والده الذي شكلّ غيّابه الطويل باعتباره مفقودا لدى الأهل. وبذلك نجد قيمتين متضادتين (الحضور ≠ الغيّاب) فعدم البحث عن "صالح حزوم" يعني (حضوره) أو وجوده مقابل البحث عنه يعني (غيّابه). وحين كان "سعيد" في السّجن كان يستعيد كلام والده ويحلم به حيث سمح لسجين معه أن يقوم بوشم صورة مركب وأمواج على زنده ليذكره بالبحر وبوالده حيث نجده يقول: «**منذ ذلك اليوم حملت لوحة المركب المبحر على زندي ... كنت أشمر الكم في أوقات كثيرة، وأرى إلى المركب، وأحسّ أنّ عالم الماء انفتح لي، وأنّ والدي، من وسط اللّجة يناديني... فأروح في شبه حلم، شاردا كما حولي مناجيّا المركب برفق: (يا عزيزي... أيّتها الحمامة الطّائرة على أعراف الموج...أحفظ والدي....أعده إليّ...إنّني أنتظره...**»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني (الدقل من حكاية بحار)، ص100.

[2]– المصدر نفسه، ص 170 .

فالوشم كان عاملا مساعدا على مقاومة السّجن والشّعور بالرّاحة فالوشم يـذكّر سـعيد بوالـده وبـالبحر والمركـب، فالوشـم كعلامـة ورمـز هـو مسـاعد علـى التّذكّر وترسيخ حبّـه لوالده والبحث عنـه وحبّـه للبحـر فـي ذاكرتـه بعمّق كمـا فـي قلبـه وللوشـم دلالـة علـى القـوّة أيضـا فـي اعتقـاد السّـجناء فلـه دور موضوعي في زرع الخوف والرّهبة بينهم إلاّ أنّ "سعيد" كان يهدف من وضـع الوشـم فـي زنـده إلاّ لكـي يشـعر بأنّـه قريـب مـن البحـر والمركـب ووالـده ولكي لا ينساه، وكما كان للوشم دورا استهوائيّا في تحسين الحالة النّفسيّة للذّات حيث كان عامل الذّات "سعيد" في وضعيّة الاتصال بالبحر والمركب ثمّ انتقل إلى وضعيّة الانفصال عن البحر أثناء سجنه بثلاث سنوات. ويمكن أن نحدّد ذلك في شكل التّحوّل الانفصالي في الصّيغة الآتيّة:

(ذ ∩ م"البحر") ←——————(ذ ∪ م "البحر")

وبعد الخروج من السّجن يعود الذّات من جديد إلى البحر والميناء والمركب، فينتقل من حالة الانفصال إلى حالة الاتّصال، ويمكن تحديد التّحول الاتّصالي كما في الصّيغة الآتية:

(ذ ∪ م"البحر") ——————→ (ذ ∩ م "البحر")

فتكـون ذلـك عـودة الـذّات إلـى البحـر للإبحـار، والبحـث عـن والـده فـي المـوانئ والمرافـئ البعيـدة لعلّـه يجـده فـي أحـد منهـا «**إنّـه سـيبحث عن هذا الوالد، في كلّ مرفأ سيتنسم أخباره، سيبحث يسأل، يسمع إلى أقوال**

البحّارة ويختلط بهم، فإذا عرف والده في جهة ما فيقصدها مهما تكن نائيّة (أجل سأقصدها مهما تكن نائيّة)»[1].

وعلى هذا الأساس فإنّ التّحريك يتمظهر في البعد المعرفي للذّات إذ أصبحت على يقين بأنّ "صالح حزوم" يعيش في مكان ما وتنطلق رحلة البحث بعد خروج "سعيد" من السجن حيث يتعزّز الموضوع (البحث عن والده) بعد تحرّره من قيد السّجن الذي كان عاملا معارضا ومعيقا في رحلته.

2- **الكفاءة:**

إنّ في عمليّة الإبحار على المراكب تتطلّب خبرة وكفاءة في كيفيّة التّعامل مع المركب أثناء العواصف الشّديدة، فكيف للذّات الغوص في تجربة الإبحار، إلاّ أنّ "سعيد" مستعد للتّعلّم والاستفادة من خبرات البحّارة، ومن الرّيس الذي يريد السّفر معه لتحقيق موضوع القيمة لديه وهو (العثور على والده): «**... هو الآن يتعامل مع الرّيس، مع صاحب مركب، مع رب عمل عليه أن يفهم هذه الحقيقة**»[2]. كان قد عمل مع "الرّيس عبدوش" وهو زوج "كاترين الحلوة" التي كانت عشيقة لوالده، والتي ما زالت حتى بعد سماعها بخبر غرقه تكن له المودّة والمحبّة، وحين عمل عنده "سعيد" أراد أن يسافر معه في سفرته القادمة.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 266.

[2]- المصدر نفسه، ص 267.

فتصميم الذّات على السّفر، وأخذ القرار نابع من وجود (جهات الفعل) من تأسيس وتأهيل للفعل فمن محدّدات التّأسيس ومن الجهات المضمرة إرادة الفعل إذ نجد الذّات قرّر السّفر نحو قوله: «... **سأسافر يا أمي: فوجئت وقد انقلبت سكينتها إلى توتّر سألت قلقة: – إلى أين يا سعيد؟**

– سأسافر في البحر، مع الرّيس عبدوش.

– ومن هو الرّيس عبدوش هذا؟

– صاحب مركب ضخم.... يعرف الوالد..

– هل لديه أخبار عنه؟

– لا... كلّ ما سمع عنه أنّه غرق في تلك الباخرة.

– ولماذا تسافر معه؟

– سأعمل بحارا على مركبه.

– قالت نائحة:

– يا ويلي...تسافر كما سافر أبوك؟

– أسافر للبحث عنه....»[1].

تتبع الإرادة من إصرار الذّات "سعيد" على السّفر مع "الرّيس عبدوش" للبحث عن والده، وهذا ما يمليه عليه واجبه نحوه، ومؤشّر واجب الفعل نحو قوله: «**والدي لم يغرق... سأسافر وأبحث عنه... هذا واجبي**»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 170.

[2]– المصدر نفسه، ص 271.

ومن الجهات المضمرة للفعل نحو الجهات المحيّنة للفعل والمحدّدة للتّأهيل، حيث نجد الذّات على معرفة بمخاطر وصعوبة السّفر على البحر ولكنّه مصمّم على السّفر وكلّ ما يعرفه أنّ والده على قيد الحياة، وأنّه في مكان ما، ويجب العثور عليه، حيث نجده يقول:

«– قال ببرود:

– أين ثياب أبي؟

– في الصّندوق...

– سأرتديها منذ الغد..

– هل ترفض رجائي...

– عليّ أن أبحث عن أبي.

– أبوك مات.... مات أنت ستلحق به... وأبقى أرملة ويبقى إخوتك يتامى، هل يعجبك هذا؟

آه يا ربي! قالتها وانفجرت بالبكاء (..)

قال سعيد ملاطفا:

– أبي لم يمت... أنت واهمة تقطعين أملك من الدنيا.. والدي سيعود... عليّ أن أبحث عنه... أنا مسافر... مع الرّيس عبدوش... مركبه جديد وضخم كوني مطمئنّة...»[1].

ويتمظهر البعد المعرفي للذّات بالإصرار على السّفر من خلال المؤشّرات: **(عليّ أن أبحث عن أبي، أبي لم يمت، والدي سيعود...**

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 273.

علـيّ أن أبحـث عنـه)، "فسـعيد" يريـد إقنـاع والدتـه بوجـوب البحـث عـن والـده إلاّ أنّ والدتـه تـرفض ذلـك خوفـا مـن فقدانـه. ويمكـن توضـيح ذلـك فـي الجـدول الآتي:

الكفاءة		الانجاز
الجهات المضمرة	الجهات المحيّنة	الجهات المحقّقة
– إرادة فعل السّفر. – واجب البحث عن والده.	– معرفة فعل السّفر للعثور على والده. – القدرة على فعل السّفر لحبّه للبحر والإبحار.	– سفره مع الرّيس عبدوش.
التّأسيس	التّأهيل	التّحقيق
عامل الذّات سعيد		

ومنه نلاحظ امتلاك الذّات الكفاءة نحو الانجاز، حيث تمتلك العناصر العامّة والمشكّلة للتّأسيس والتّأهيل نحو تحقيق الموضوع (العثور على والده).

3– الانجاز:

يعدّ طـور الانجـاز فـي الخطاطـة السّرديّة للذّات بمثابـة (فعل الكينونـة) فهـو مرحلـة التّنفيـذ والشّـروع فـي العمـل، إلاّ أنّ الـذّات "سـعيد" تقـف أمامهـا صـعوبات وعراقيـل نحـو تحقيـق الموضـوع، ولعـلّ العامـل المعـارض الأوّل فـي هذه المهمّة والدته التي ترفض بشدّة فكرة سفره كما في المقولات السّرديّة

الآتية: « **يا ويلي...تسافر كما سافر أبوك؟ (..) أنا أقول لن تسافر... يكفي فجيعتي بواحد.... البحر أخذ نصيبه منّا.... فريضته علينا انتهت، فماذا يريد أكثر؟.... البحر غدّار، البحر عدو... لا تفكّر في السّفر، لماذا لا تقنع بعملك في الميناء؟ – كلمات والدك نفسها.**

– هذه كلمات جميع البحّارة، البحر للرّجال.

– لن تسافر..

– سأسافر. – انتصبت كأنّ نابضا دفعها إلى الأعلى، تقدّمت منه بوجه مكفهرّة، ومن عينيها يتطاير الشّرر، صفعته بقوّة، دهشت هيّ نفسها كيف واتتها صاحت: – قلت لك لن تسافر...»[1].

كانت الوالدة تريد إقناعه في البداية بالعدول عن فكرة السّفر لكنّها فشلت إذ وجدته عنيدا ومصمّما على السّفر، ممّا استفزّها ذلك وزاد من غضبها إلاّ أنّها استسلمت ويئست حين وجدته مصمّما على السّفر «**عليّ أن أبحث عنه... أنا مسافر مع الرّيس عبدوش ... (...)، خذي ... قالها وأعطاها قسما من النّقود التي تسلّمها من الرّيس عبدوش، فلم تمدّ إليها يدا، فزعت منها، تصورتها ثمنا لدم ابنها ووضعت يدها على خدها وواصلت ذرف الدّموع بصمت، كأنّها يئست فاستسلمت...»**[2].

---

[1]– حنا مينة ، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 271، 272.

[2]– المصدر نفسه، ص 273.

وعليه فإذا كان البرنامج السّردي المعرفي الرّئيس لعامل الذّات هو (البحث عن والده) متوقّفا على نجاح البرنامج السّردي المساعد (السّفر والإبحار)، فإنّ البرنامج السّردي المضاد أو المعارض لعامل الذّات "الأم" هو (رفض السّفر) خوفا على فقدان ابنها "سعيد"، فكان البرنامج السّرديّ المضاد "الأم" هو البكاء والتّرجيّ ثمّ الصّراخ وصفع ابنها صفعة قويّة ولقد حدث ذلك عفويّا كرد فعل انفعالي لسماعها حديثه المصمّم فيه على السّفر إلاّ أنّها فشلت في تحقيق الموضوع (عدول ابنها عن فكرة السّفر)، فتهاوت على الفراش وانفجرت بالبكاء ويفشل البرنامج السّرديّ المساعد الأوّل للبرنامج السّرديّ المضاد أو المعارض "للأم"، والتي تسعى مجدّدا نحو تحريك البرنامج السّرديّ المساعد الثّاني حيث تنزلق "الأم" من خانة الذّات إلى خانة المرسل للذّات "كاترين الحلوة" لتحقيق الموضوع (عدول "سعيد" عن فكرة السّفر) ويتمثّل ذلك في الذّهاب إلى "كاترين الحلوة" وإقناعها بأن تقنع زوجها بعدم اصطحاب "سعيد" معه في هذه السّفرة، وبذلك تكون "كاترين الحلوة" عاملا مساعدا في البرنامج السّردي المضاد أو المعارض"للأم" «**وكانت أمّه مصمّمة أيضا (سأرى كاترين الحلوى من كلّ بدّ ربّما استطاعت إقناع زوجها بالتّخلي عن سعيد قد تأتي وتقنعه بنفسها، سعيد عنيد مثل أبيه، لكنّه إذا لم يجد مركبا بقيّ في الميناء**»[1].

قامت "الأم" بزيارة "كاترين الحلوة" لطلب المساعدة منها «**يريد البحث عن أبيه؟! آه أين يبحث عنه؟ في أيّ أرض؟ في أيّ بحر؟ سنوات مضت**

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 275.

ولا خبر عنه (...) في اليوم التّالي حصلت على عنوان "كاترين"، وفي اليوم التّالي جاءها سعيد في ثيّاب البحّارة، حين رأته بوغتت كان صورة عن أبيه ابتسمت إعجابا بسملت في سرّها، غير أنّها ظلّت على مقاومتها رافضة أن يسافر مهما حدث قالت "كاترين الحلوة":

- لا أريده أن يسافر...

- ولا مع الرّيس عبدوش؟

- لا مع الرّيس عبدوش ولا سواه..

- الرّجل لا يوضع في علبة... زوجك كان بحّارا، وابنك سيكون بحّارا... الولد سرّ أبيه... كيف؟ (...)

- ... أريد أن تقنعيه...

- أقنعه بترك البحر؟ - بترك السّفر فقط....»[1].

لقد أشفقت "كاترين الحلوة" على "الأم" لرأيتها تبكي، وبعد أيام حين رأت "سعيد حزوم" وجدته بحّارا حقيقيا مثل والده، فحاولت "كاترين الحلوة" أن تثني عزمه على السّفر، لكنّها فشلت في تغيير موقفه في البداية حيث نجده في حوار معها يقول:

«- عليّ أن أبحث عن والدي.

- قد تضيع أنت كما ضاع هو..

- لا يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا...»[2].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 275، 276.

[2]- المصدر نفسه، ص 278.

لكنّها حين وجدته مصرّا على السّفر طلبت منه تأجيله إلى السّفرة القادمة مع "الرّيس عبدوش" إرضاء لوالدته من جهة وإعجاب به من جهة ثانيّة كونها وجدته يشبه والده "صالح حزوم" حين رأته بملابس البحّار فحاولت إغواءه وإقناعه بالبقاء لأجلها وبذلك فقد نجحت "كاترين الحلوة" بتأجيل سفر الذّات "سعيد" إلى السّفرة القادمة، وليس بتعديل موقفه عن السّفر، لأنّ فكرة السّفر راسخة في ذهنه حيث نجدها تقول:

«- غير أنّني أريدك أن تبقى..

- لماذا؟

- قالها بسذاجة، ابتسمت لها.

- اسأل أمك..

- أمي تخاف عليّ...

- وأنا أخاف عليك... سأتحدث مع الرّيس هذا المساء.

- أنا لن أسافر معه غدا.

- أعرف.

- ربّما في السفرة القادمة..»[1].

وبذلك كان نجاح البرنامج السّردي المضاد "للأم" بمنع "سعيد" من السّفر والإبحار، وكان العامل المساعد في إنجاز المهمّة "كاترين الحلوة" بإقناع "سعيد" و"الرّيس عبدوش"، ومنه يمكن أن نحدّد العوامل السّرديّة لهذه البنيّة كالآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 279.

(البحث عن والده)

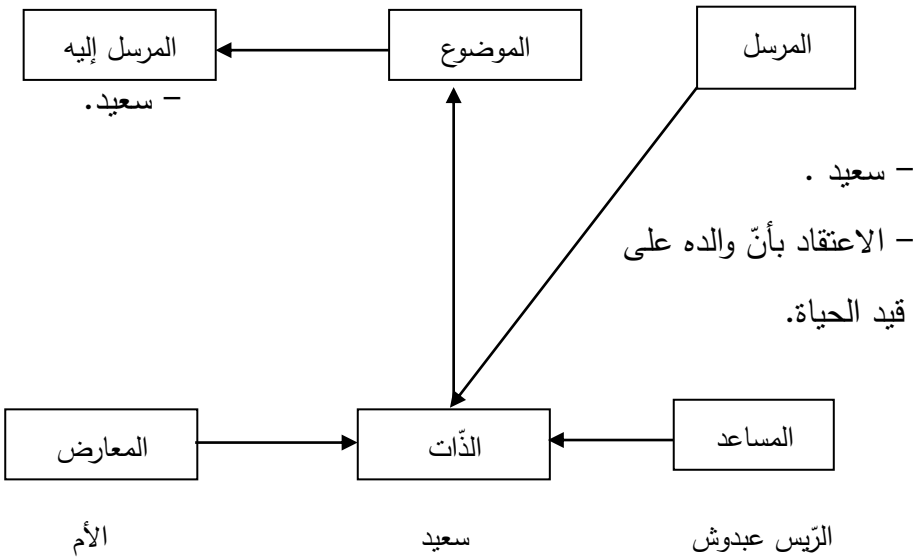

فـالنّموذج العـاملي يحـدّد العوامـل السّـرديّة للبرنـامج السّـردي المعرفـي الرّئيس لعامل الذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (السّفر للبحث عن والده) إلاّ أنّ البرنامج السّردي المضاد يقف معارضا لتحقيق الذّات السّفر؛ ممّا يقوم بعرقلة الذّات، وذلك خوفا عليه، حيث نجد العامل المعارض المتمثّل في "الأم" ينزلق من خانة المعارض إلى خانة المرسل لإقناع عامل الذّات "كاترين الحلوة" التـي تقوم بتحقيق الموضوع المستهدف، وهو منع الذّات "سعيد" من السّفر من خلال العامل المساعد إقناع "سعيد" وإقناع "الرّيس عبدوش" بتأجيل السّفر إلـى المرّة القادمـة، وبذلك نجد العوامل السّرديّة فـي البرنـامج السّردي المضـاد للمثّل (الأم) تتضافر في البنية العامليّة في الشّكل الآتي:

تأجيل سفر سعيد

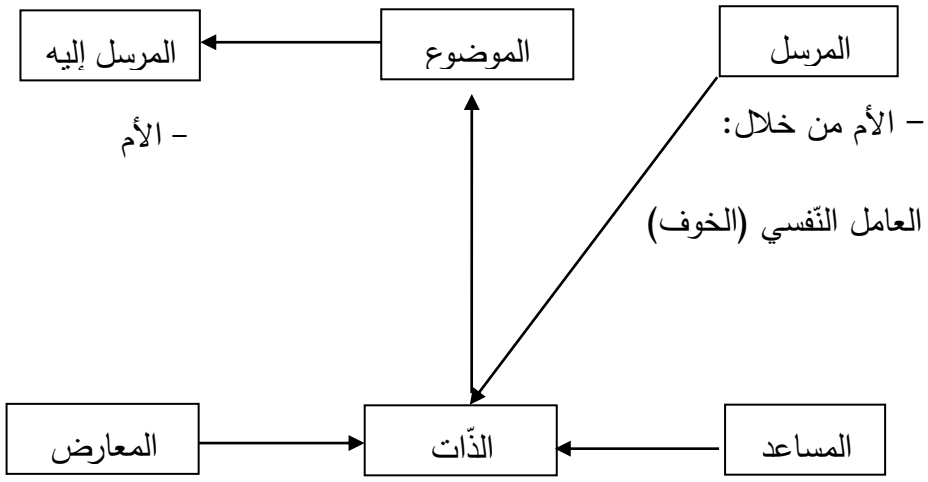

- الأم من خلال:

العامل النّفسي (الخوف)

- الأم

- إقناع سعيد

كاترين الحلوة

تصميم سعيد على السّفر

- إقناع الرّيس عبدوش

ويمكن أن نحدّد البرنامج السّردي المضاد في الجدول الآتي:

البرنامج السّردي	العامل	الموضوع	الوضعيّة
- البرنامج السّردي الرّئيس. - البرنامج السّردي المساعد(1).	- المرسل (الأم). - المساعد (الأم) من خلال البكاء والتّرجي	- رفض سفر سعيد.	الإصرار على السّفر.

		والصّراخ.	
تحوّل			
الاقتناع بتأجيل السّفر.	– إقناع سعيد والرّيس عبدوش – تأجيل السّفر.	– المساعد للأم(كاترين الحلوة) ذات فاعلة في البرنامج السّردي. – عامل معارض (الأم).	– البرنامج السّردي المساعد (2). – نجاح البرنامج السّردي الرّئيس.

نلاحظ نجاح البرنامج السّردي المضاد "للأم" بتأجيل الذّات "سعيد" فكرة السّفر والإبحار، بمساعدة "كاترين الحلوة"، وبالمقابل إذا كان تأجيل الذّات السّفر فهذا معناه ليس رفض السّفر، بل رغبة منه لإرضاء كاترين الحلوة حيث نجده يعود بعد ذلك إلى فكرة السّفر والإصرار عليه من جديد ، ويقف في هذه المرّة العامل المساعد "قاسم" بتشجيع الذّات "سعيد" على السّفر والبحث عن والده، حيث نجد "سعيدا " يقول: «**قال قاسم:**

– لا تكن عصبيّا... سافر... لا بدّ أن ينفعك السّفر..

- ابحث عن والدك، البحث جيّد في كلّ الأحوال (...).

- بدا الارتياح على سعيد... ها هو أخيرا رجل يثق به.

يقول له سافر... معنى هذا أنّه لا يسير على طريق خاطئة...»[1].

ومنـه فقد قرّر"سـعيد" مـن خـلال تشـجيع "قاسـم" لـه بالسّـفر فـي السّـفرة القادمة كما في الملفوظ السّردي:

«- ألم تسافر يا سعيد؟

- سأله أبو الوفق...

- في السّفرة القادمة.

- سنسمع أخبارك من الرّيس...

- أخباري سيرويها كلّ البحّارة (...).

- هو حيّ يرزق.. وأنا مسافر للبحث عنه...

- تحسبه يعود، إذا لم تخرج فرنسا؟»[2] .

وحين أتى موعد السّفر حاولت "كاترين الحلوة" مرّة ثانيّة إقناع زوجها بعدم اصطحاب "سعيد " معه لتحقيق موضوع البرنامج السّردي المضاد للممثّل

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 285.

[2]- المصدر نفسه، ص 288.

"الأم" مرّة ثانيّة وتساعدها، إلاّ أنّ "الرّيس عبدوش" لم يقتنع هذه المرّة وأصبح يشكّ في الأمر، كما في المقطع السّردي: «**كاترين الحلوة في ساعة صفاء طلبت من الرّيس عبدوش ألا يأخذ معه سعيد في البحر، قالت:**

– أريد أن تبقي سعيد هنا في الميناء.

– صدمه الطّلب..

– لماذا تريدينه أن يبقى؟

– رحمة بأمّه...

– هم

– وقال في نفسه (بأمّه أم بك؟)

أجاب:

– قلت سيسافر معي والسلام لا أريد نقاشا في هذا الموضوع»[1].

وبذلك يكون فشل البرنامج السّردي المضاد "للأم" ونجاح البرنامج السّردي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (السّفر والإبحار للبحث عن والده) ولقد كان العامل المساعد للذّات هنا "الريس عبدوش"، و"قاسم"، ومنه يمكن أن نوضّح البرامج السّرديّة كما في الجدول الآتي:

[1]– حنامينة ، الكتاب الثاني ، الدقل (من حكاية بحار) ، ص 297، 298.

البرنامج السّرديّ	العامل	الموضوع	الوضعيّة
– البرنامج السّرديّ المعرفي الرّئيس.	– الذّات "سعيد".	– السّفر والإبحار.	– التّصميم على السّفر.
السّفرة الأولى			– اليأس.
– البرنامج السّرديّ المضاد. – البرنامج السّرديّ المساعد (1).	– الذات (الأم). – المساعد "الأم".	– رفض السّفر بالبكاء والتّرجي والصّراخ.	– عدم الاقتناع.
			تحوّل
– البرنامج السردي المساعد (2)	– المساعد والذّات الفاعلة "كاترين الحلوة".	– إقناع "سعيد". – إقناع زوجها "الرّيس عبدوش".	– الإقناع بتأجيل السّفر.
السّفرة الثّانيّة			
– البرنامج	– الذّات "الأم".	– إقناع "الرّيس	– عدم الاقتناع.

السّرديّ المساعد (3). – فشل البرنامج السّرديّ المضاد.	– المساعد "كاترين الحلوة". – المساعد "كاترين الحلوة".	عبدوش" بعدم اصطحاب "سعيد" معه.	
			تحوّل
– نجاح البرنامج السّرديّ المعرفي الرّئيس.	– الذّات "سعيد" – المساعد "قاسم" و"الرّيس عبدوش"	– السّفر والإبحار.	– السّفر.

وبنجاح البرنامج السّردي الرّئيس يتمّ سفر وإبحار الذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع القيمة لديه، وهو (البحث عن والده)، وكانّ أوّل سفره نحو الإسكندريّة، حيث كان عامل الذّات (1) "سعيد" في وضعيّة حزن ويتعذّب بالفراق عن الذّات (3) "كاترين الحلوة " التي تعلّق بها كثيرا، وكان عامل الذّات (2) "الرّيس عبدوش" يتعذّب بالشّك، حول وجود علاقة بين الذّات (1) "سعيد"

والذّات (3) "كاترين الحلوة" كما في الملفوظ: «**كانا رجلين يحبّان امرأة واحدة على ظهر مركب واحد، أحدهما يتعذّب بالفراق والآخر يتعذّب بالشّك وكان انطلاق المركب في الثّلث الأوّل من اللّيل فيصلا بين ما قبل وما بعد**»[1]. ومن الملفوظ السّردي فإنّه «لا يمكن الفصل بين هوى الغيور ومجمل البرامج التي يتوسّل بها من أجل تنظيم علاقته مع الغريم والمحبوب، إنّ الفارق بين المسارين يكمن في التّركيز على (الفعل) في حالة المسار السّردي وعلى (الكينونة) في حالة المسار الاستهوائي»[2]، ويتمظهر هوى الغيرة بداية «بالتعلّق والمنافسة، ويستتبع علاقة بين الغيور والموضوع (م) وبين الغيور ومنافسه، ويقترن من خلال علاقة الوصل أو الفصل إمّا بالخوف من فقدان الموضوع أو اقتسامه مع المنافس وإمّا بالامتعاض من استمتاع الآخر به وحرمانه منه، ويستدعي جملة من الوضعيّات (التباري، والمزاحمة، والرّغبة والامتلاك، والحصريّة) التي تبيّن أن كلّ عيّنة انفعاليّة لا تنسخ أختها بل تحرّك اتّجاهات وبرامج وعوامل مناسبة لمضامينها (...) وفي كلّ الحالات يسعى الغيور إلى امتلاك الحبيبة (ذ3) ويرفض أن يشترك المنافس في امتلاكها أو الاستمتاع بها»[3].

---

[1]– حنامينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 304.

[2]– ألجيرداس.ج.غريماس، جاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 2010، ص14.

[3]– ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد في الوجود المتجانس، ص 94، 95.

ويقوم هوى الغيرة في الثّلاثيّة على وجود علاقة بين ثلاثة عوامل الذّات(1) "سعيد" المنافس والذّات(2) الزّوج الغيور"الرّيس عبدوش" والموضوع(م) الزّوجة "كاترين الحلوة"، وما يجعل الزّوج يغار على زوجته هو شعوره بالإباء والمروءة والتّرفع وعدم استساغة أن يمسّ غيره كبرياءه وشرفه[1]، ولقد تولّدت الغيرة لدى "الرّيس عبدوش" حين حدّثته "كاترين الحلوة" عن عدم اصطحاب "سعيد" معه في سفرته حيث بدأ يشكّ في اهتمامها به، ومنه بدأ هوى الغيرة يتمظهر عند الغيور "الرّيس عبدوش" بداية «بالشّك وما يستتبعه من حذر وخوف، وتنجم مثل هذه الأهواء عن اضطراب الثّقة الذي يغيّر المعطيات الأصليّة للتّعلّق ويغار»[2] "الرّيس عبدوش" بوجود هذا الشّعور الذي يقلقه من الشّك والخوف والخشية من فقدان "كاترين الحلوة" والقلق كحالة نفسيّة يفسّره "سيجموند فريد"* بأنّه تصادم رغبتين متعارضتين إذ يقول: «فالقلق هو نزاع شديد بين رغبتين متناقضتين كلّ منهما تحاول أن تملي إرادتها، والقلق يخلق التّردّد والتّردّد يخلق العصبيّة والعصبيّة تؤدّي

---

[1]– محمد الداهي ،سيميائية السرد في الوجود المتجانس، ص 165.

[2]– المرجع نفسه، ص 193.

*سيجموند فرويد أستاذ علم النّفس في ألمانيا ولد سنة 1856م من أبويين يهوديين في مدينة فرايبرج بمورافيا التي تعرف الآن بتشيكوسلوفا نشأ ودرس الطبّ في جامعة فيينا واهتم بالأبحاث الفسيولوجيّة والتّشريحيّة المتعلّقة بالجهاز العصبي وفي عام 1881 حصل على الدكتوراه في الطبّ إشتغل طبيبا في المستشفى الرّئيسي بفيينا ونشر بعض الأبحاث الهامّة في تشريح الجهاز العصبي وعيّن محاضرا في علم أمراض الجهاز العصبيّ، ينظر: سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش مكتبة الأسرة، دم، دط، 2000، ص09.

إلى الانهيّار العام، والانهيار العام يخلق الشّك، والشّك إذا زاد عن حدّه يؤدّي إلى الحيرة والخوف وعدم الاطمئنان...»[1]، ويبدو أنّ القلق أعمّ من الخوف أو الريبة ولذلك ينظر إليه باعتباره مكوّنا من المكونات التّركيبّة الأساسيّة للغيرة[2] و«تشتغل الغيرة في صيغتها الأكثر تركيبا بنية عامليّة»[3] تتكوّن من ثلاثة عوامل هي: (ذ1) "سعيد"، و(ذ2) الزّوج الغيور "الرّيس عبدوش" و(ذ3) "كاترين الحلوة" وهيّ الموضوع، وتتمظهر العلاقة بين العوامل الثّلاثة بوجود مسارين استهوائيين الأوّل بين (ذ1) "سعيد"، و(ذ3) "كاترين الحلوة " التي نشأت علاقة بينهما في غيّاب الزّوج "فكاترين الحلوة" ترى بأنّه لا يحلو الزّوج دون وجود عشيق لها وما إعجابها "بسعيد" إلاّ لكونه يشبه والده "صالح حزوم" وهيّ مع الزّمن تجده يختلف عنه فتبتعد عنه وترفضه، أثناء ذلك نجد (ذ1) "سعيد" متعلّق "بكاترين الحلوة" فهو «ذاتا تهب نفسها كليّة للموضوع ومن جهة ثانيّة تظلّ الذّات متعلّقة بالموضوع في حالة الاتصال وفي حالة الانفصال ونعتبر عامّة أنّ الذّات تتلقى حمولة دلاليّة من خلال موضوع القيمة لحظة الرّبط بينهما، أمّا الذّات المتعلّقة فتتلقّى حمولة دلاليّة من خلال موضوعها كيفما كان نوع الرّابط بينهما إنّها كذلك قبل أن تصنّف مقوليّا

---

[1]– سيجموند فرويد ووليم تشيكل، الكبت تحليل نفسي، تر: علي السيد حضارة، المكتبة الشعبية، القاهرة، دط، دت، ص34.

[2]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص260.

[3]– المرجع نفسه، ص266.

في انفصال أو اتّصال؛ أيّ في اللّحظة التي لم تكن فيها سوى استيثاق»[1] فالذّات "سعيد" متعلّق "بكاترين الحلوة" سواء أثناء اتّصاله بها في اللاذقيّة أو في حالة الانفصال عنها بسفره مع "الرّيس عبدوش" فهو ذات متعلّقة وفي حالة اتّصال استهوائي بها. وأمّا المسار الاستهوائي الثّاني فهو متعلّق بالذّات (ذ2) "الرّيس عبدوش"، و(ذ3) "كاترين الحلوة" زوجته، حيث كان يشكّ فيها. وقبل اصطحاب "سعيد" معه في سفرته لإبعاده عنها وكما تغيّرت نظرته إليه من بحار عاديّ إلى غريم ومنافس له حول الموضوع "كاترين الحلوة".

وبذلك تبدأ علامات الغيرة لدى الذّات (ذ2) الغيور "الرّيس عبدوش" من الذّات (ذ1) المنافس "سعيد"، إذ نجد الذّات الاستهوائيّة "الرّيس عبدوش" (ذ2) تتغيّر من وضعيّة هادئة متّزنة ثابتة على الميناء إلى وضعيّة منفعلة وغاضبة ومستبدّة على المركب، ونلاحظ ذلك من خلال قول الذّات "سعيد": «**في الوهلة الأولى للإبحار كان الرّيس عبدوش على *الدّفة ناور لإخراج المركب* من الميناء وصرخ بأوامره في توجيه الأشرعة وشدّ الحبال، انقلب من ذلك الهدوء الذي عرف به على البرّ إلى كتلة من أعصاب مستنفرة مستبدّة، غاضبة، آمرة بلهجة قاطعة، لا مكان معها للتردّد أو التّأخر في التّنفيذ، غدا ذئبا حقيقيّا في قطيع من خراف تجاهل سعيد كأنّه لا يعرفه**»[2]. فتظهر الذّات (ذ2) منفعلة وأثناء ذلك يتذكّر "سعيد" كلام صديقه "قاسم" حين قال له: «"**الرّيس ربّ عمل، والبحّارة أجراء**"، **إنّه أجير**

---

[1]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص248، 249.

[2]– المصدر نفسه، ص304.

لا أكثر، حريّة البحر لا تحقّق مع عبوديّة الملكيّة الخاصّة التي يتصرّف بموجبها الرّيس عبدوش كسيّد، الأجير يفقد حريّته أينما كان في الميناء كان عبدا لصاحب الزّورق، وهنا عبد لصاحب المركب»[1]. ويفسّر "سعيد" غضب "الرّيس عبدوش" بأنّ ذلك يعود إلى طبيعة عمله في البحر كبحّار وكسيّد على المركب والبحّارة أجراء عنده.

وتنطلق الرّحلة على المركب بشكل طبيعي و كلّ من الذّات "سعيد" و"الرّيس عبدوش" له هوى معيّن في داخله ويختلج في صدره بين الذّات "سعيد" بالتّعلق والحنين إلى "كاترين الحلوة" وأمله في العثور على والده، والذّات "الرّيس عبدوش" الذي سيطر عليه هوى الغيرة من وجود "سعيد" معه في هذه الرّحلة.

وتمضي الأيام على رحلة الذّوات في البحر وكان العامل الطّبيعي (الرّياح) عاملا مساعدا في الإبحار حيث تفاعل بها "الرّيس عبدوش" «**سار المركب في عرض البحر متهاديا، كانت الرّيح *مؤاتيّة*، انتظرها الرّيس عبدوش بخبرته الطّويلة، وأفاد منها في الإقلاع موفق يتفاءل به عادة**»[2] وأيضا رؤية النّجوم لتمييز الاتّجاهات ولمعرفة الوقت، فكانت عاملا مساعدا في الرّحلة. وخلال أيّام تعلّم "سعيد" الكثير من الأشياء

---

[1]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 306.

[2]– المصدر نفسه، ص 305.

«صار يقوم بالحراسة وبتسويّة القلوع والرّقابة من أعلى الدقل*»[1] (..)، «ولم يكن قادرا بعد على تبيّن الظّواهر الجويّة، ومعرفة أهميّة تقلّبات الجوّ وخطرها رأى غيوما تتشكّل عند الأفق الغربيّ غير أنّ السّماء من فوقه كانت صافيّة (ما هم – قال في نفسه– أن تكون غيوم بعيدة، وأن تهبّ ريح غربيّة... المركب ضخم كلّ شيء على ما يرام... انتهت نوبة مراقبته لم يكن ثمّة ما يقلقه، فاعتبر الحالة طبيعيّة»[2] (...)، «غير أنّ البحّار الذي صعد مكانه إلى المراقبة نزلة بسرعة... الرّيح تغيّرت *وأن تغيّرها* ينذر بالخطر.... ذهب إلى الرّيس عبدوش أبلغه، قال له الرّيس عبدوش: (تصرّف بهدوء وحكمة نحن نواجه عاصفة ...»[3]، لم تكن للذّات "سعيد" (ذ1) الكفاءة والخبرة اللاّزمة في معرفة تقلّبات الجوّ، بالمقابل نجد الذّات (ذ2) "الرّيس عبدوش" له الخبرة من خلال تجاربه السّابقة ورحلاته في البحر، فبتغيّر الرّياح وتجمّع الغيوم كان مؤشّرا كافيّا لقدوم عاصفة قويّة وبداية لصراع البحّارة مع العاصفة المعبّر عن صراع الإنسان مع الطّبيعة.

«الرّيح بدأت غربية. رفضت أن تستمرّ كذلك تداخلت عناصرها في عراك نهاش. واستدارت على نفسها في شكل دوّامات. وأقبل إعصارها الرّهيب يلّف كلّ ما يصادفه في طريقه ويسوط وجه البحر فيشرئب الموج

---

* الدقل: هو الصاري الرئيسي وسط المركب.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص314.

[2]– المصدر نفسه، ص316.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

ويتعالى جبالا مخيفة هادرة متدحرجة من كلّ الأطراف، والمركب كتابوت خشبيّ، يضطرب في (الخبّ) الذي يردم السّفن في وديانه السّحيقة»[1].

وكانت مقاومة البحّارة للعاصفة بكلّ ما لديهم من قوّة إلاّ أنّ العاصفة كانت أشدّ قوّة كما في الملفوظ: «**قاوم البحّارة ما استطاعوا، طووا القلوع أو ما تبقى منها، شدّوا الحبال بزنود معدنيّة (...)، والمركب يرتفع تارة وينخفض طورا، والرذاذ والرّيح والمطر تعمي العيون وتحرقها حرقا (...) انكسر الصاري الذي يرتبط بالدّقل، واختلّ نظام الأشرعة وبات فقدان الانسجام بين الصواري حاملة القلوع وبين الدّقل الكبير، يهدّد المركب بالجنوح على أحد جانبيه، كانت تلك كارثة (..) تحطّم الدّقل الكبير وهوى محدثا دويّا أشبه بالهزّة دويّا كذاك الذي أحدثه الصّاري (..) تمسّك كلّ من على ظهر المركب بشيء ما (..) مقاومة عنيدة استدعتها نوازع حبّ البقاء التي استيقظت في الصدور**»[2].

فالعامل المساعد في هذه المقاومة هو بعد استهوائي متمثّل في هوى الخوف من الغرق والموت، فكان الخوف محرّكا قويّا للمقاومة وتحدّي البحّارة العاصفة الهوجاء، وكانت هذه أوّل رحلة "لسعيد" اكتشف من خلالها غضب البحر وعاصفته القويّة فتذكّر أثناء ذلك صورة أمّه وهيّ تبكي، رافضة سفره خوفا عليه من الغرق والموت «**أمي كانت على حق كانت تحدس بما سيقع**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 318.

[2]– المصدر نفسه، ص 322،323.

حذّرتني من البحر قالت أخذ والدك وسيأخذك أنا لم آبه بكلامها (...) ما كنت أعرف البحر...»[1].

ولقد كان فصل الصّاري عن الدّقل عاملا مساعدا أمام هذا الصّراع القويّ «**... أخيرا جاءت اللّحظة الحاسمة للإثبات كان فصل الصّاري عن الدّقل لقطع الحبل التي توثق بينهما ضرورة حياة، إذا ظلّ الصّاري يرتطم بالدّقل زعزعه وإذا انهار الدّقل غرق المركب لا محالة**»[2].

وتبدأ بذلك الخطوة الحاسمة وساعة الخطر في اختيّار شخص للصّعود وقطع الصّاري عن الدّقل، وقد كان "سعيد" قد اختار نفسه لهذه المهمّة الصّعبة «**صعد على السّلم الحبلي (..) وضع السّكين في فمه، وصرّ عليها بأسنانه واندفع بعزم إلى الأعلى غير آبه بالمطر والرّيح، وراح مع تأرجح المركب يتدلّى في الفضاء تارة وبين الأعمدة طورا (..) بقيّ ذلك ساعة كاملة (..) أدرك الآن أنّ مهمّته صعبة ليست باليسر الذي تخيّله وهو على سطح المركب (..) بلغ أعلى الدّقل أخيرا تلمّس الخشب المبلّل بأصابع مرتعشة من التّوتر، غرس قدميه على السّلم حضن الدّقل بيده اليسرى، بسمل وشرع يعمل كان الحبل ثخينا (..)... ما زال يشدّ الصّاري إلى الدّقل..**»[3].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 323.

[2]– المصدر نفسه، ص 324.

[3]– المصدر نفسه، ص 327،328.

وقد وقف أمام عمليّة الإنجاز عامل معارض طبيعيّ متمثّل في (الرّعد والمطر، والرّياح) حيث زاد من الوتيرة النّفسيّة فكان بعد استهوائيّا مرسلا في تفعيل حركيّة الذّات نحو الإنجاز وتحقيق الموضوع، قطع حبل الصّاري من الدّقل، وذلك كما في الملفوظ «**هدر الرّعد، صخبت الأمطار فاستشعر سعيد خورا في ركبتيه بلغ التّوتر منتهاه**»[1].

إلاّ أنّ عامل الذّات "سعيد" (ذ1) تحدّى العامل المعارض وقام بقطع الحبل فكان بذلك نجاح المهمّة، ونجاح البرنامج السّردي بتحقيق الموضوع (قطع حبل الصّاري من الدّقل)، كما في المقولة السّرديّة: «**تروض الحبل وانقطع، سمع دويّ شديد سقط الصّاري في البحر، سلم الدّقل، انتهت المهمّة...**»[2].

ويمكن أن نحدّد العوامل السّرديّة التي تضافرت في تشكيل البنية العامليّة لهذه الرّحلة البحريّة كالآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص328.

[2]– المصدر نفسه، ص 329.

(قطع حبل الصاري من الدقل)

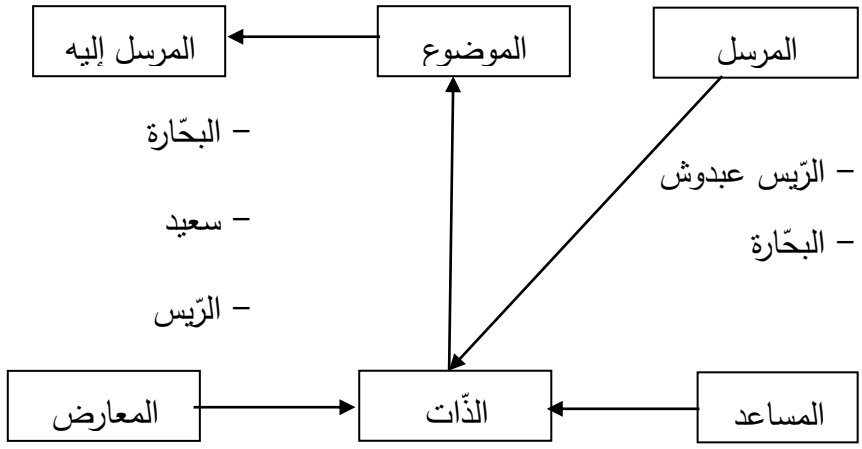

4– الجزاء:

ويعدّ الجزاء آخر أطوار الخطاطة السّرديّة محدّدا (كينونة الكينونة) للفعل المنجز من طرف الذّات "سعيد" و"البحّارة "، الذين قاموا بدورهم بطرح الحمولة من المركب كما في قول "الرّيس عبدوش": «... **وقال الرّيس مخاطبا الرّكاب: – تحرّكوا، ساعدوا في طرح الحمولة وإلاّ غرقنا... ضاعفوا الهمّة وإلاّ غرقنا!.. (...) وتعالت الأصوات نائحة مستجيرة:**

– غرقنا! غرقنا!... وتدفّق البحر إلى الدّاخل عنيفا جارفا لم يبق إلاّ إنزال السنبوق* عسى أن تتمّ النّجاة لمن ينزل فيه»[1]. والمركب بدأت تغرق وبقيّ على السّطح المغمور بالماء كلّ من الذّات "سعيد" (ذ1) والذّات (ذ2) "الرّيس عبدوش"، وكانت المواجهة الكلاميّة بينهما: «**قال سعيد وهو يجاهد لإخراج الكلمات: الزورق ما زال مربوطا بالمركب انج بنفسك يا ريس... أحسّ هذا أنّ سعيد يذبحه... القاعدة أن يبقى الرّيس وحده (...) أن يغرق مع المركب أو ينجو معه»**[2] (..)، «**قال الرّيس عبدوش هادئا: – الرّيس عبدوش لا يخاف الموت يا سعيد.... تذّكر هذا قله أيضا لوالدك الذي تبحث عنه. فقال سعيد: – أعرف لكن هناك من ينتظرك..**

– لينتظر ما شاء.

– أهذه كلمتك الأخيرة؟

– وداعا إذن...

– وداعا....»[3].

---

* السنبوق: قارب صغير للنّجاة.

[1] – حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 330.

[2]– المصدر نفسه، ص 332.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

لم تكن الذّات (2) "الرّيس عبدوش" على نيّة طيّبة وخيّرة مع الذّات(1) "سعيد"، فالغيرة جعلته يكرهه، أراد أن يخدعه، ويقطع الحبل به كانت الغيرة بعدا استهوائيّا لتحريك الذّات (2) نحو فعل الشّر بقطع الحبل وقتل الذّات (1) "سعيد" للانتقام منه وللفوز بالذّات (3) موضوع الصّراع "كاترين الحلوة" أو ليموتا الإثنين: الذّات (1) "سعيد" والذّات (2) "الرّيس عبدوش"، فكان العامل المساعد للذّات (2) هو قطع الحبل على الذّات (1) "سعيد" لكي لا يصل إلى زورق النّجاة ويغرق في البحر، ونجد ذلك كما في الملفوظ: «**تعلّق سعيد بحبل السنبوق وألقى نفسه بالماء كان الذين في الزّورق يشدّون الحبل ليتمكّن سعيد من التّعلق به والوصول إليه لكن الرّيس عبدوش كان واقفا مع المركب الذي يغرق وكانت السّكين معه، وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه رفع يده وانتظر... مدّها وانتظر... وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل وهو يفح كالأفعى: – لنغرق معا يا سعيد أنت في البحر وأنا على ظهر المركب، هكذا تتحقّق العدالة بيننا..**»[1].

لم يكن ينتظر "سعيد" بعد انجاز مهمّته الصّعبة بقطع حبل الصاري عن الدّقل لإنقاذ الجميع من الغرق ذلك الجزاء من طرف "الرّيس عبدوش" (ذ2) الذي كان يسعى إلى التّخلص منه في أيّ فرصة تسمع إلى ذلك بالقتل فاستغلّ موقف تعلّق سعيد (ذ1) بالحبل ليقطعه عليه، فكان "الرّيس عبدوش" (ذ2) يظهر للذّات (ذ1) سعيد الطّيبة، والخير، والمحبّة وهو (الظّاهر)؛ إذ قام بتوديعه وإيهامه بأنّه سيبقى على المركب لوحده وأنّه لا يخاف الموت

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 332،333.

غيـر أنّـه يريـد قتلـه بالاسـتعانة بالعامـل المسـاعد لديـه وهـو الوسـيلة أو الأداة (السّكين) لقطع الحبل عليه وإغراقه في البحر، وهذا في (الكينونة)؛ أي أنّه يكنّ لـه الشّر، والعداوة، والكره بسبب الغيرة، ومنـه تتحدّد أطراف المربّـع التّصـديقي كالآتي:

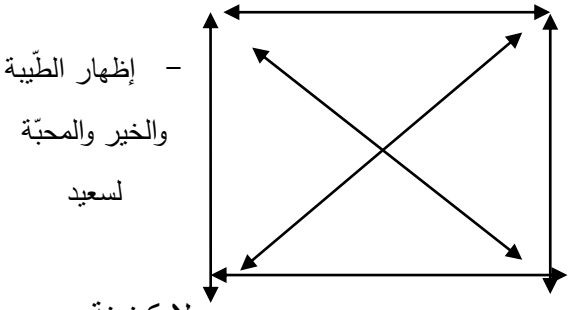

وينتهي طور الجزاء بفشل البرنامج السّردي للذّات "سعيد" حيث تغرق المركـب، وينجـو "سـعيد" مـن الغـرق وتجرفـه ميّـاه البحـر إلـى أحـد المراكـب التي تعود بـه إلـى أرض الوطن ويفشل في العثور على والده. لم يمت "سعيد حزوم" في تلك العاصفة ونجا من الغرق وبعودته إلى أرض الوطن كانت العودة من جديد إلى نقطة البداية: «**أنا لم أمت في تلك العاصفة أيّها البحر**»[1] (...) «**لا أحد يدري المصير الذي انتهى إليه الرّيس عبدوش ومركبه... قرأ البحّارة**

[1]– حنا مينـة، الكتـاب الثالـث المرفأ البعيد (مـن حكايـة بحـار)، دار الآداب، بيروت، ط 4 1997، ص 05.

في الميناء الفاتحة على أرواح الجميع أنا فقط تمكّنت من النجاة»[1] (..) «فلم أكن أنتظر تلك الخشبة التي ساقها إليّ القدر والتي تعلّقت بها يومين كاملين حتّى أنقضني مركب مسافر انتشلني وهو في طريقه إلى الجنوب (..) قالوا لي أقصد ميناء الإسكندريّة وقصّ عليهم ما جرى معك، إذا كان الرّيس عبدوش، قد نجا فستجده هناك... وإذا صادفك الحظّ فعثرت على والدك تكون قد بلغت هدفك من الرّحلة كلّها»[2].

لكن "سعيد" لم يعثر على والده في ميناء الإسكندريّة «**لم أعثر على والدي في الإسكندريّة، أكدّ ريّاس الميناء والبحّارة أنّهم لم يروا ولم يسمعوا بغريب اسمه صالح حزوم (..) وعندما يئست من العثور عليه قررت العودة إلى الوطن...»[3]** .

وبذلك نلاحظ فشل البرنامج السّردي المعرفي الرّئيس للذّات "سعيد حزوم" في العثور على والده في هذه الرّحلة، فعاد إلى (اللاذقيّة) أرض الوطن. «**وجدت خبر الكارثة صار من المنسيّات في مدينتي... ظهوري بعد شهور من حادث الغرق كان مفاجأة أذهلت الجميع، وجدت أمي تلبس السواد»[4].** وأمّا علاقته مع الموضوع "كاترين الحلوة" فقد تغيّرت بعد ذلك إذ أصبحت تشكّ بأنّ (ذ1) "سعيد" له علاقة في غرق (ذ2) "الرّيس عبدوش"، حيث نجد "سعيد"

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 11.

[2]– المصدر نفسه، ص 14.

[3]– المصدر نفسه، ص 14، 15.

[4]– المصدر نفسه، ص 15.

يقول «**وقد تغيّرت علاقتها بنا لحدس خاطئ هو أنّ سفرتي مع زوجها كانت شؤما عليه أو أنّ لي يدا في غرقه بسبب ما تعرفه هيّ وحدها من علاقتها بي، ومن ظنون الرّيس عبدوش حول هذه العلاقة، ومن عداء ومنافسة بيننا**»[1]. (...) «**فإذا أنا في ورطة الاتّهام، أنا ظلّ لاكتساب الثّقة والحفاظ على سمعة جديرة بي كبحّار (..) وجدت أنّ الصّدق في الحديث مع كاترين الحلوة أكثر فائدة لي أدعى لراحتي...**»[2] (...) ،«**وحين انتهيت من قصتي ألقت في وجهي هذا الحكم: – أنت قتلت الرّيس عبدوش!**»[3]

"فكاترين الحلوة" لم تصدّق كلام "سعيد" وتعتقد بأنّه كان يمثّل شؤما على البحّارة وعلى زوجها حينما سافر معه في هذه الرّحلة البحريّة، وترى بأنّ له يدا في غرقه، فهيّ لا تصدّقه فقامت بتقييم فعل الذّات (ذ1) "سعيد" بعد سماعها للقصّة كاملة باتّهامها له بقتل زوجها "الرّيس عبدوش" إذ تغيّرت معاملتها لتزعزع ثقتها به في البعد الاستيثاقي فانتقلت من حالة ثقة وصدق إلى حالة عدم الثّقة وصدق بعد حادث غرق زوجها، فهي ترى بأنّ "سعيدا" كاذب في كلامه وأنّه قتل زوجها لأجل الحفاظ على علاقته بها، ونتيجة لتغير علاقة (ذ3) "كاترين الحلوة" بالذّات (ذ1) بعد هذا الحادث الأليم نجد "سعيد" قد أصيب بأزمة نفسيّة حادّة «**الآن وأنا في أزمتي النّفسيّة بدت لي الحياة رخيصة ...**»[4]. ونجد عاطفة الأسى والحزن في البعد الاستهوائي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 21.

[2]– المصدر نفسه، ص 23.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

[4]– المصدر نفسه، ص 39.

كما في قول"سعيد": «**رغبت في البكاء، بكيت دون دموع تراءى لي والدي بوجهه المهيب ورجولته الفيّاضة...**»[1].

ونلمس شعور "سعيد" بالنّدم وعذاب الضّمير لخيّانته لوالده في الملفوظ السّردي: «**سيعرف أنّني خنته مع كاترين الحلوة (...)، والرّيس الذي عملت معه تسبّبت في غرقه (...) هذه هيّ حياتي لا بحر ولا نضال**»[2]. وكما يشعر بالفشل والضّياع في داخله وهو بداية تدهور في حالته التي ستتطوّر إلى أزمة نفسيّة بعد ذلك كما في قوله: «**كان ذلّ داخلي يفترسني كان شعور معذّب بالضّياع يجعل الدّنيا مضبّبة في نظري من أنا؟ ماذا فعلت؟ لماذا يلاحقني الفشل؟ لم أكمل تعليمي، لم أعثر على جثّة والدي، لم أجده حيّا، لم أثبت أقدامي في الميناء ولا في البحر، لم تدم لي عزيزة ولا كاترين الحلوة**»[3].

وبذلك تتصاعد الوتيرة النّفسيّة لدى "سعيد" إذ يسيطر عليه عامل نفسيّ واستهوائي قويّ متمثّل في الشّعور بالذّنب وعذاب الضّمير وبالفشل في كلّ شيء في البحث عن والده، وبأنّ يكون بحّارا. وبأن يفوز "بكاترين الحلوة"، فالذّات الاستهوائيّة "سعيد" في حالة يأس وتذمّر من كلّ شيء يسيطر عليه شعور بالذّنب والضّياع والفشل، وهذا قد يؤدّي به إلى الهلاك، ومنه كيف

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 40،41.

[2]– المصدر نفسه، ص 41.

[3]– المصدر نفسه، ص 43.

يمكن "لسعيد" تحقيق موضوع القيمة (البحث عن والده) في هذه الحالة اليائسة؟.

1-1- الخطاطة الاستهوائيّة:

وبعد تحديد الخطاطة السّرديّة للبرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" في المرحلة الثّانيّة، نقف على مراحل الخطاطة الاستهوائيّة للبرنامج الاستهوائي بالانتقال من المستوى العميق الدّاخلي النّفسي الكامن للذّات الاستهوائيّة "سعيد" إلى المستوى السّطحي المتمظهر الخارجي لها وكذا علاقته بالذّوات: "الرّيس عبدوش" و"كاترين الحلوة"، ويمكن تحديد مراحل الخطاطة الاستهوائيّة كالآتي:

1- الانكشاف الشّعوري:

نلمس شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بوجود أمل في العثور على والده في مكان ما، وذلك لعدم العثور على جثّته في الباخرة الغارقة «**عليّ أن أؤكّد أنّ والدي لم يمت ثمّ إنّه لم يمت حقيقة، لو مات فأين جثّته؟**»[1]. وبذلك يقرّر السّفر مع "الرّيس عبدوش" وأمّا في علاقته بالموضوع "كاترين الحلوة" نجد الذّات الاستهوائيّة "سعيد" متعلّقة "بكاترين الحلوة"، فهو في أشدّ التّعلّق أو الوله الشّديد بها حيث أفضى هذا التّعلق إلى الحبّ، وفي المقابل نجد (ذ2) "الرّيس عبدوش" في حالة «شكّ وخشية إلى تشويش استيثاقي يغيّر من المعطيات

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص25.

الأصليّة للتّعلّق، إنّ التّعلّق يفترض فعلا واجب كينونة يؤسّس الثّقة، وليس ثقة بيذاتيّة فبالإمكان التّعلق بموضوع وستكون ثقة معمّمة إمكانيّة إعطاء الذّات معنى لحياتها. إنّ بروز الغرم في أفق التّعلّق يشكّك في هذه الثّقة إلى درجة أنّ العلاقة مع الموضوع يمكن أن تتأثّر بذلك: فتحت تأثير الغرم يتحوّل التّعلّق إلى حيطة»[1]، وشكّ لوجود خيانة ناتج عن التّشويش على الثّقة الخاصّة بالتّعلّق[2]. فتتزعزع الثّقة في البعد الاستيثاقي بين (ذ2) الزّوج "الرّيس عبدوش" في علاقته مع الموضوع (ذ3) كاترين زوجته لوجود الشّك في علاقتها مع الغرم أو المنافس سعيد (ذ1) الذي يؤثّر على التّعلّق، فشكّ يؤثّر ويزعزع الثّقة في الموضوع لوجود خيانة.

2- الاستعداد:

يزداد الأمل لدى الذّات الاستهوائيّة في العثور على والده ويسافر مع "الرّيس عبدوش" إلاّ أنّ هوى الذّاتيين (ذ1) "سعيد" و (ذ2) "الريس عبدوش" حول الموضوع "كاترين الحلوة" (ذ3) كانا في حالة عذاب، الأوّل للفراق والحنين إليها، والثّاني للشّك ولوجود خيّانة. ويتمظهر هوى الغيرة في كينونة (ذ2) «إذ يضمّ في ثناياه خلاصة المفترضات: التّعلّق وامتلاك حصري وحيطة وإن الشّرف يصنّف ضمن الافتراضات التي تمكّن الذّات من تمجيد نفسها بما يثير الغيرة بما يفترضه التّحول الانفعالي ويبعثه من جديد باعتباره هوويّة

---

[1]- ألجيرداس.ج. غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص258

[2]- المرجع نفسه، ص 262.

كيفية»[1]، ويتمظهر الاستعداد للذّوات بوجود جهات الفعل (الإرادة، والواجب والقدرة، والمعرفة) للفعل الانفعالي، حيث نجد الجهات المضمرة للفعل الاستهوائي (الإرادة والواجب) المحدّدة للتّأسيس من خلال شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بالشّوق والحنين نحو الموضوع "كاترين الحلوة"، «ويكون الحبّ الموجّه الوحيد للفعاليّة»[2]، هي حالة أدّت إلى اتّصال الذّات الاستهوائيّة في البعد الاستهوائي على الرّغم من السّفر ولوجود (معرفة وقدرة) الفعل المحدّد للتّأهيل؛ إذ صارت الذّات الاستهوائيّة متعلّقة وشديدة الوله بالموضوع "كاترين" والرّغبة في الامتلاك الحصري، وفي المقابل نجد الذّات "الرّيس عبدوش" (ذ2) الغيور ينتقل من الشّعور بالشّك إلى الشّعور بالخوف «والخوف وحده لا يفترض سوى معرفة أو اعتقاد، انتظار مكيّف في الوقت ذاته وفق مبدأ الصّراع من خلال القدرة على الكينونة (الاحتمال)، ومن خلال إرادة عدم الكينونة (الرّفض) وفي المقابل»[3]، فإنّ الذّات تنتقل في جهات الفعل من وجود (إرادة، وواجب الفعل) إلى (معرفة وقدرة الفعل) الذي يتمظهر بوجود القلق.

وبذلك «تصبح الغيرة مع القلق خاصيّة للذّات ذاتها وباعتبارها طريقة في وجود الغيور فإنّها تدرج ضمن الأهليّة (...)، وكما يحتفظ القلق في مقارنته

---

[1]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص 291.

[2]– أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص 15.

[3]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي ،سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص 260.

بالرّيبة بموقع توليدي ذلك أنّ الرّيبة ليست سوى مرحلة هشّة في الغيرة أو القلق (...) وإنّ الإرادة والمعرفة والقدرة والواجب يمكنها كلّها أن تولّد القلق»[1] وإذا كان القلق يؤثّر في التّعلّق فإنّه يؤثّر على واجب الكينونة ويمكن أن نتحدّث في هذه الحالة عن (همّ) وبالفعل فالهمّ هو صورة هجينة ناتجة عن لقاء بين التّعلّق والقلق (...) فالهمّ يتّخذ شكل قلق استوعب الجوهر الكيفي للتّعلّق[2].

3- القطب الاستهوائي: شعور الذّات الاستهوائيّة بهبوط الهمّة وفقدان المقدرة والوحدة والفردانيّة أثناء دخوله إلى السّجن لثلاث سنوات، ولقد كان العامل المساعد الاستهوائي هو وشم المركب على زنده حيث كان للوشم دورا استهوائيّا في التّأثير على الذّات في تحسين الحالة النّفسيّة لها ومساعد أيضا في تذكّر "سعيد" والده والبحر، وفي علاقة الذّوات نجد "سعيد" (ذ1) متعلّقة بالموضوع "كاترين الحلوة" (ذ3)، حيث «يستقطب هوى الحب كوكبة من الأهواء المتسلسلة بطريقة منطقيّة: (الإعجاب، والميل، والحماس، والتّعلّق الشّديد ثمّ يستتبع ذلك تحوّلا أساسيّا إقامة العلاقة)»[3] مع الموضوع "كاترين الحلوة" (ذ3) حين كانت الذّات "سعيد" في اللاّنقيّة فتكشف لنا حضور الكيفيّات (واجب

---

[1]- ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي ،سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، ص 260.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

[3]- ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس ص 188.

وإرادة الكينونـة) و(قدرة ومعرفـة الكينونـة) الملائمـة للأهواء التـي تحدّد درجـات الهوى بين القوّة والضّعف في حضور الكيفيّات كما في الشّكل الآتي[1]:

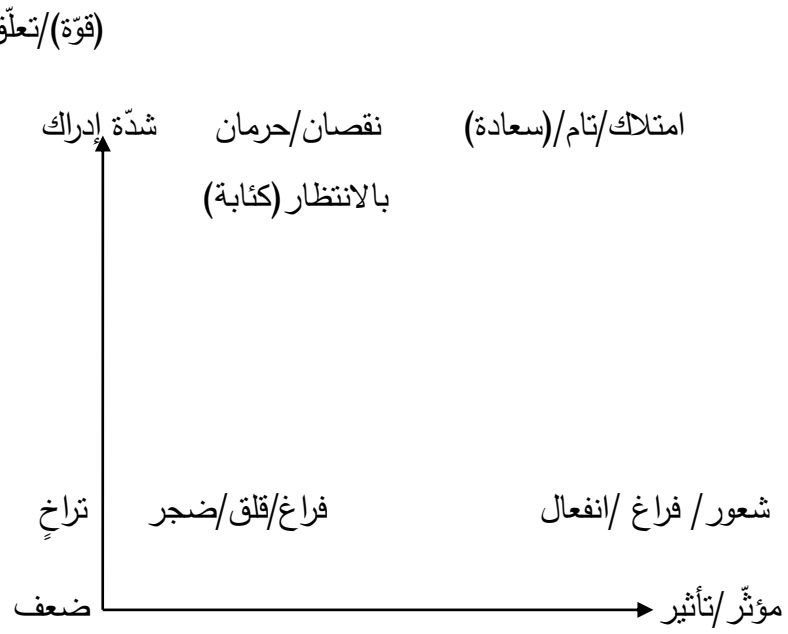

(بعد استهوائي) – الامتداد والكميّة (الكثافة) تكشف حضور الكيفيّات –

فـي حالـة اتّصـال وامـتلاك الـذّات للموضـوع (ذ3) تكـون الـذّات الاستهوائيّة فـي حالـة قوّة وفـي حالـة الفراغ والانفصـال عـن الموضـوع يشكّل ذلـك انفعـال وقلـق للحرمـان مـن الموضـوع (ذ3) فتشـعر الـذّات الاسـتهوائيّة بالضّعف النّفسي فالاتّصال أو الاتّصال بالموضوع بمعنى الامتلاك أو الحرمان منـه يحـدّد الدّرجـة الاسـتهوائيّة للـذّات بـالقوّة أو بالضّـعف. فالانتقـال مـن حالـة

(1)– Voir, Jacques Fonntanille, Sémiotique et Littérature Essais de Méthode, p:77.

استهوائيّة إلى حالة أخرى يحدّد المآل للتّغيّرات الاستهوائيّة ويتجلّى ذلك في الأزمة النّفسيّة للذّات.

وأمّا الذّات(2) الغيور فتظهر عليه «الكثافة باعتبارها (حرارة) شعورا أصبح استعدادا للقيّام بالفعل»[1]، وهو الانتقام، والانتقام هوى قويّ يعرف من درجة اختلاف العواطف ويمكن تمثيلها كالآتي[2]:

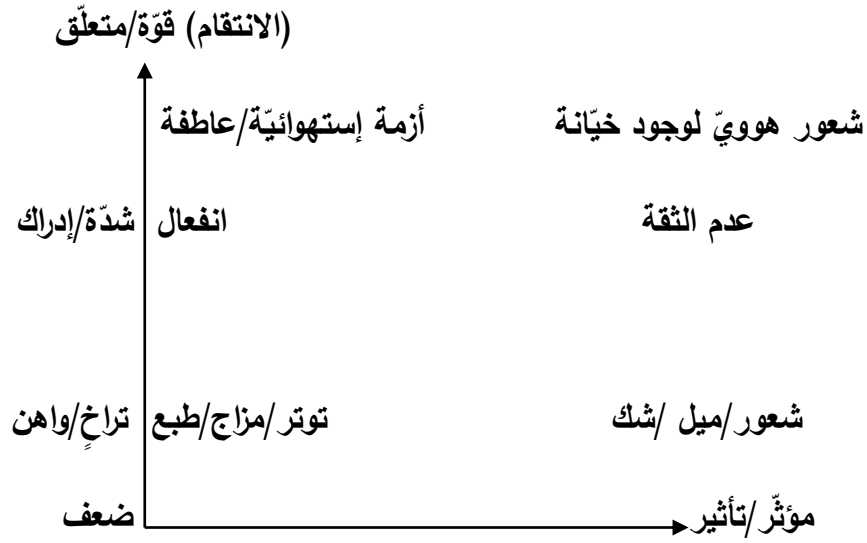

- ***العواطف الأربعة*** -

---

[1]- ينظر: ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتيي، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص250.

[2]- Voir, Jaques Fontanille,Sémiotique et Littérature Essais de Méthode, p78.

يتشكّل هوى الانتقام كانفعال قويّ بتصاعد الجانب التّوتري للذّات الاستهوائيّة بداية بوجود مثير التّوتر من خلال ميل واهتمام "كاترين" الموضوع (ذ3) بالذّات "سعيد" (ذ1) وتأجيل سفره للمرّة القادمة، أدّى هذا إلى شّك (ذ2) "الرّيس عبدوش" حول اهتمام "كاترين" "بسعيد" فبثّ الشّك التّوتّر والقلق وتغير المزاج في البعد الاستهوائي، وكما زعزع الثّقة بين الذّات (ذ2) والموضوع (ذ3) في البعد الاستثاقي فشكّل ذلك شعور هوويّ لوجود خيّانة زوجيّة ممّا دفع شدّة الانفعال في الكينونة إلى أزمة استهوائيّة محفّزها الغيرة الشّديدة على زوجته نحو قوّة الغضب في الانتقام، فشكّلت الأهواء تغيّرات الحالة من ثقة إلى انعدامها ومن الهدوء إلى الانفعال الشّديد نحو الانتقام. وكشفت لنا تغيّرات الحالة الاستهوائيّة من حالة إلى حالة أخرى المآل الذي تجلّى في فعل الانتقام بمحاولة القتل وذلك بقطع الحبل على "سعيد" لإغراقه في البحر.

3- **العاطفة:** سيطر على الذّات الاستهوائيّة "سعيد" هاجس إيجاد والده في مكان ما، حيث يزداد الإصرار لديه نحو السّفر والإبحار للبحث عنه في الإسكندريّة فتتحوّل عاطفة المحبّة إلى حدث استهوائي وذلك بالسّفر على مركب "الرّيس عبدوش" للبحث عن "صالح حزوم"، وكما توضّح الخطاطة الاستهوائيّة من جهة ثانيّة توتّر الذّات الاستهوائيّة في تغير المسار الاستهوائي إلى حدث محزن وهوّ شعوره بالعذاب والألم لبعده عن الموضوع (ذ3) "كاترين الحلوة" وخاصّة بعد غرق مركب "الرّيس عبوش" وعودته سالما بعد أشهر إذ اتّهمته "كاترين الحلوة" بقتل زوجها، فترفضه ممّا يسبّب للذّات أزمة استهوائيّة

حيث نجده يقول: «**الآن وأنا في أزمتي النّفسيّة بدت لي الحياة رخيصة... أحسّ بالسّقوط تدريجيّا ...**»[1]. وأمّا الذّات (2) الغيور فيحرّكه هوى الغيرة وشدّة الانتقام من "سعيد" إلى حدث استهوائي يتمثّل في حمل السّكين معه ومحاولة قطع حبل السنبوق على "سعيد" لكي يغرق معه كما في الملفوظ: «**وكانت السّكين معه وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه. رفع يده وانتظر... مدّها وانتظر... وحين صار سعيد في منتصف الطّريق قطع الحبل...**»[2]. ونجد هوى الغيرة تمثّل في فعل الذّات الغيور بقطع الحبل باستخدام السّكين كوسيلة، وتنكشف الغيرة بفعل جسديّ متمثّل في تغير وجهه وحركة اليد (الغيرة وشحت وجهه كلّه، شيء كالنّار يبرز من عينه، رفع يده... وانتظر. مدّها... وانتظر... قطع الحبل). فتغيّر حالة النّفس يؤدّي إلى تغيّر حالة الجسد حيث يتمظهر الانفعال من خلال: (ببروز عينه، وتغيّر وجهه، ورفع يده).

4- التّقويم الأخلاقي: ويشخّص التّقويم الأخلاقي بوصفه تركيبا للجوانب المتوتّرة، الفرديّة والجماعيّة للهوى، فلّما تصل الذّات إلى النّهاية تكون قد أظهرت لنفسها وللآخرين نتيجة التّحوّل الاستهوائي، تحدث العاطفة حدثا استهوائيّا ملاحظا وقابلا للتّقييم والقيّاس، ومن ثمّة تشيّد ملاحظة للمتواليّة برمّتها. فهذا الملاحظ هو الذي يقيم الهوى أخلاقيّا سواء باسم الثّقافة

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 39.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص333.

التي يمثّلها أو باسمه الخاص، وذلك في نطاق أنّه موّرط أو قابل للتّوريط داخل المشهد الاستهوائي[1].

ويبدأ التّقييم الأخلاقي أثناء إتّهام "كاترين الحلوة" الذّات "سعيد" بقتل زوجها "الرّيس عبدوش" لوجود اعتقاد خاطئ في حقّ "سعيد"، وكما نجد تقييما أخلاقيّا نفسيّا لدى الذّات "سعيد" وذلك من خلال «تعذيب الضّمير نتيجة مخالفة القوانين الأخلاقيّة وهو ألم أخلاقي يشعر به في قلبه د»[2]، حينما يتذكّر خيّانته لوالده مع "كاترين الحلوة" التي كانت في الماضي صديقة لوالده وأمّا بالنّسبة إلى التّقييم الأخلاقي لدى الذّات(2) الغيور "الرّيس عبدوش" فإنّ هوى الغيرة سيطر عليه إلى حدّ الانتقام. وكان تجسيد فعل الانتقام بقطع الحبل على "سعيد"؛ لكيّ يغرق ويموت وليحقّق العدالة في ذلك لكن شاء القدر أن ينجو "سعيد" من الغرق. إذ ينتشله مركب وينقذه من الغرق أمّا "الرّيس عبدوش" فينتهي به المطاف إلى الغرق مع مركبه فيموت «ولكن إذا وضعنا الاستحقاق ضمن الأهليّات الضّروريّة للغيرة كشفنا عن وجود (حقّ)»[3] عند الذّات(2) "الرّيس عبدوش" زوج "كاترين" فله الحقّ في الحفاظ على شرفه وكرامته، وكبريّاءه، ومروءته. وبذلك كان موضوع الصّراع "كاترين الحلوة"(ذ3)

---

[1]– ينظر: محمد الداهي، سيميائية السرد بحث في الوجود السيميائي المتجانس، ص179.

[2]– ينظر: أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، ص123،114.

[3]– ألجيرداس.ج.غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، تر: سعيد بنكراد، ص281.

بـين الـذّات(ذ1) "سـعيد" والـذّات (ذ2) "الـرّيس عبـدوش"، كمـا فـي الصّـيغة الآتيّة:

(ذ1 ∪ (م) ∩ ذ2)

ولقد كانت رغبت الذّات(1) "سعيد" بعد وفاة الذّات(2) "الرّيس عبدوش" في صراع داخلي نفسيّ فتارة يرغب في امتلاك حصريّ للموضوع "كاترين الحلوة"، وتارة يبتعد عنها لشعوره بخيّانته لوالده معها، وبذلك نجد صراع الذّات الإستهوائيّة "سعيد" بين رغبة الهو والأنا الأعلى؛ إذ نجد في علم النّفس التّقسيم "الفرويدي" (الهو، والأنا، والأنا الأعلى) «الثّنائيّة القديمة لنظم اللاّوعي والوعي بشكل خاص بات مفهوم الأنا مركزيّا للنّظريّة التّحليليّة في علم النّفس ونجد "فرويد" يعتبر الهو (قِدرا من الأهواء) غير المركبيّة، ويرى "ب. جيل" مدعوما بأغلب علماء النّفس (الأنا) بأنّ (للّهو) نفسها بنية إذا لم تكن منطقيّة فهيّ على الأقل ما قبل منطقيّة، و(الأنا والهو) ليستا متناقضتين لكنّهما استمرارا ممّا يستتبّع أن تكون الثّنائيّة التي يراها "فرويد" بين مبدأ اللّذة ومبدأ الواقع والطّاقة المتحرّكة، والطّاقة المرتبطة، والسّيرورة الأوّليّة، والسّيرورة الثّانويّة هي أيضا استمراريّة، وينظر إليها انطلاقا من (الأنا والهو) كاستمرار تراتبيّ لقوى ولبنى موجودة على كافّة مستويات التّراتب هذا الافتراض حول الاستمراريّة يحبّب تماما عنصر الديالكتيك في المفهوم الفرويدي»[1].

[1]– أريك فروم، أزمة التّحليل النفسي، تر: طلال عتريسي، مجد للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص28.

ويمكـن أن نفسّـر شـعور الـذّات بالتّنـاقض بـين مـا هـو مكبـوت فـي اللاّشـعور(الهو) المعـارض للقـيّم الاجتماعيّـة وبـين (الأنـا الأعلـى) وهو ما يتكوّن لدى الذّات «بطريقة لا شعوريّة نتيجة تقمّص شخصيّة الآخرين وامتصاص سلوك الجماعة وهيّ تمثّل الأعراف والعادات والتّقاليد والأنظمة والقوانين السّائدة في المجتمع وتلعب دور الرّقيب لما يصدر عن (الهو) أو اللاّشعور فإذا كان مخالفا للمجتمع تقمعه وتكبته وتعيده لمنطقة (الهو) اللاّشعور»[1].

ومنه نجد الذّات الاستهوائيّة "سعيد" في تناقض وتداخل بين رغبة (الهو والأنا الأعلى) بمعنى بين رغبة (الهو) بالامتلاك الحصري للموضوع "كاترين الحلوة" وبين الرّقيب (الأنا الأعلى) الذي يربط ذلك بقيمة أخلاقيّة وبألم أخلاقي هو الشّعور بخيانته لوالده إذا امتلك الموضوع "كاترين الحلوة " إلاّ أنّنا نجد سيّادة (الهو) وتغلّبه على (الأنا الأعلى) لدى الذّات الاستهوائيّة في اللاّشعور، حيث يعرض "سعيد" الزّواج على "كاترين الحلوة" بعد وفاة زوجها (ذ2) "الرّيس عبدوش" إلاّ أنّ "كاترين الحلوة" ترفضه؛ لأنّها وجدته يختلف عن والده "فسعيد" بالنّسبة إليها لا يزال صغيرا كما في الملفوظ: «**كاترين حسمت الموقف أفهمتني منذ أوّل لقاء بها أنّ زواجي بها مرفوض قالت إنّها استبعدته من أوّل لحظة (أنت صغير بالنّسبة إليّ)... أخفت السّبب الحقيقي وهو أنّه لن تتزوج بحّارا فقيرا مثلي لا مركب** ولا **ثروة أو مكانة**

---

[1] – أنس شكشك، علم النفس العام القوى النفسية المعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك ص149.

لـــه»[1]، فيحـدث للـذّات الاسـتهوائيّة اضـطراب نفسـي وتسـوء حالتـه النّفسيّة ممّا تؤدّي بها إلى أزمة نفسيّة ومنه يمكن تحديد البنية العاملية للذّات كالآتي:

(كاترين الحلوة)

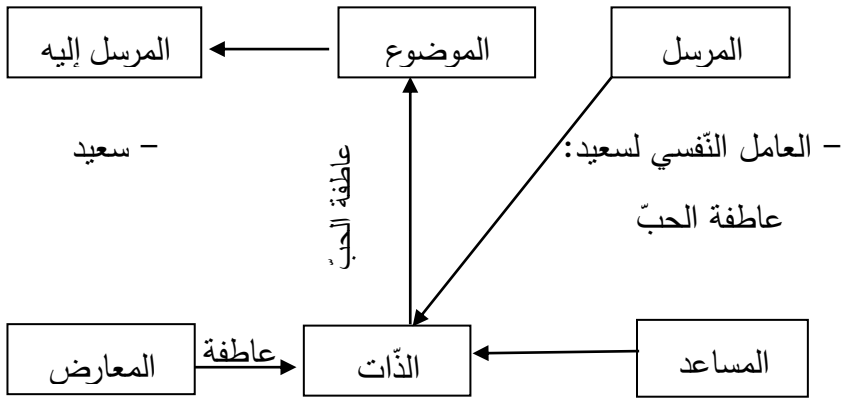

العامل النّفسي لسعيد: سعيد

– غلبة الهو على الأنا الأعلى – انتقام الرّيس عبدوش

في امتلاك الموضوع – للشّعوره بالخيّانة

2-2- البرنامج السردي المساعد(2) (السفر على مركب الريس زيدان):

1-التّحريك: تواصل الذّات "سعيد" رحلتها نحو تحقيق موضوع القيمة (البحث عن والده) بالانتقال من وضعيّة اليأس والفشل إلى وضعيّة تفاؤل وأمل وثقة بالنّفس. ونجد العامل المساعد والمحرّك في هذا الانتقال من حالة نفسيّة سلبيّة إلى حالة نفسيّة إيجابيّة هو كلام البحّار العجوز الذي أثار في نفسيّة

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص141.

"سعيد" برفع معنويّاته والخروج من أزمته النّفسيّة وهذا ما نجده في حوار "سعيد" مع "البحّار العجوز" حيث يقول: «**قلت للبحّار العجوز:**

- لكنّهم يتّهمونني ظلما...

- ولهذا أقول لك لا تسأل، لو ارتكبت إثما كان يحقّ لك أن تحزن أن تندم، التّهم كثيرة والمظالم كثيرة، لكن الحقّ لا بد أن يظهر (...) قف وقفة رجل في أيّ معركة.... وعندئذ تجد المحبّة والاحترام والتّقدير..»[1].

ومن خلال كلام "البّحار العجوز" تعود الرّغبة من جديد من طرف الذّات "سعيد" في مواصلة حياته والعودة إلى السّفر والإبحار نحو تحقيق الموضوع الأساس (البحث عن والده) وهذا ما نلاحظه في نهاية حواره مع البحّار العجوز في المقطع الآتي:

«**- تريد الإبحار من جديد إذن؟.**

- هذا ما أرغبه...

- وإذا صادف وعرض عليك الرّيس زيدان أن تعمل معه؟.

- سأرفض... لن أعيد التجربة.

- لكن كاترين الحلوة تريد أن تتزوّج من جديد؟

- من الذي ستتزوّجه؟

- الرّيس زيدان ...»[2] .

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 46.

[2]- المصدر نفسه، ص 47.

كان "سعيد" يدرك بأنّ "كاترين الحلوة" لن تتزوّج ثانيّة إلاّ أحد ريّاس الميناء بعد وفاة زوجها "الرّيس عبدوش"، وهذا ما حصل فعلا إذ تزوّجت "الرّيس زيدان" وهذا ما ورد في حديث وكلام البحّار العجوز "لسعيد" في المقطع السّابق.

2- الكفاءة:

إنّ السّفر والإبحار في هذه الرّحلة صعب لأنّ البلاد على أبواب الحرب العالميّة الثّانيّة، ممّا يستوجب على الذّات امتلاك الكفاءة لتحقيق الموضوع (البحث عن والده)، ومنه فالذّات تمتلك جهات الفعل المحدّدة للتّأسيس والتّأهيل فتتمظهر الجهات المضمرة للفعل من (إرادة للفعل) حيث تمتلك الذّات الرّغبة في السّفر من جديد وكان العامل المساعد والمحرّك في ذلك (كلام البحّار العجوز) وتزداد رغبة الذّات تصميما وإصرارا حتّى بعد سماعها بوجود العامل المعارض "الحرب"، ونجد (إرادة الفعل) للذّات من خلال كلام "قاسم" "لسعيد":

«- وماذا تنوي أن تعمل؟

- لا أعرف... أفضّل السّفر في أيّ مركب..

- سيكون ذلك صعبا بعد اليوم... نحن على أبواب حرب.

- أيّة حرب هذه.

- الحرب العالميّة الثانيّة»[1].

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 54.

ونجد "سعيد" يقول إزاء ذلك في نفسه: «**لماذا أغلق البحر وسدّ عليّ أبواب السّفر؟، سأسافر، سأسافر، سأسافر ..**»[1]. (...) «**إذا دخلت فرنسا أغلقت الميناء... صار البحر خطرا على الجميع...**»[2].

إنّ الحرب العالميّة الثّانيّة ستكون عاملا معارضا أمام مهمّة الذّات "سعيد" في فعل الإنجاز لتحقيق الموضوع (البحث عن والده). فمهنة البحّار صعبة أثناء الحرب لذلك ستتوقّف المراكب، والميناء يتوقّف عن العمل. وهذا ما نجده في كلام "قاسم" "لسعيد" حين قال له: «– **ولكن المراكب تسافر.**

– **قريبا تتوقّف، جرّب أن تفهمني...**

– **لا تنسى أنّني أبحث عن والدي...**

سيكون البحث مستحيلا بعد الآن... لن يكون سفرا كالسّابق...

– **أمّا بالنّسبة إليّ فسيكون...سأسافر بأيّ شكل، وأبحث في كلّ مكان**»[3] .

رغم خطورة الوضع في البلاد التي على أبواب الحرب العالميّة الثّانيّة إلاّ أنّ واجب فعل "سعيد" هو مواصلة البحث عن والده، وبعد امتلاك الذّات للجهات المضمرة المحدّدة للتّأسيس نجدها أيضا تمتلك الجهات المحيّنة التي تقوم على عنصرين هما: (معرفة الفعل، وقدرة الفعل)، فعنصر المعرفة

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 59.

[2]– المصدر نفسه، ص 75.

[3]– المصدر نفسه، ص 58.

يتمظهر في اكتشاف الذّات "سعيد" ومعرفته صعوبة السّفر وخطورته أثناء أجواء الحرب بعد سماع كلام "قاسم" حيث قال له: «- **هتلر احتلّ تشيكوسلوفاكيا (...)- يعني أنّه يحتّل أوربا بلدا بعد الآخر (..) ما هو أن تعرف أنّ فرنسا بحجّة الحرب باقيّة في سورية...**»[1].

وعلى الرّغم من معرفة الذّات صعوبة الأجواء في الميناء وما ستؤوّل إليه البلاد من أوضاع الحرب إلاّ أنّها زادت من امتلاك القدرة والقوّة من جديد في مقاومة (الفشل واليأس) الذي كانت تعيشه الذّات "سعيد"، وبذلك تتمظهر القدرة على السّفر بالرّغم من الظّروف السّيئة نحو قوله: «**تجمّعت الظّروف السّيئة عليّ، كادت تقهرني لكنّني لم أقهر (...) غدا أبحر أجل سأبحر! هذه هيّ المهنة التي اختارها لي (..) سأكون بحّارا .... سأعمل مع الرّيس زيدان**»[2] (..) «**نوبة اليأس انقضت، الأزمة مرّت، استعدت ثقتي بنفسي كبحّار**»[3].

ولعلّ سفره مع "الرّيس زيدان" زوج "كاترين" يساعده على العثور على والده من جهة ومن جهة ثانيّة يساعده السّفر على محاولة نسيان "كاترين الحلوة" بالابتعاد عنها.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 54.

[2]- المصدر نفسه، ص 84.

[3]- المصدر نفسه، ص133.

وبـامتلاك الـذّات الكفـاءة يبقـى فـي انتظـار الفرصـة المناسـبة للسّـفر ومقاومة العامل المعارض (الحرب) للإبحار «**بقينا كذلك حتّى أعلنت الحرب العالميّة الثّانيّة، كان إعلانها بالنّسبة لمن في الميناء، يقابل بغير اكتراث بعد شهور ذعروا لإقفال البحر، وتوقّف الحركة في الميناء توقّفا كاملا لا سفن تأتي، ولا سفن تروح .... والبطالة تتّسع**»[1].

إنّ بامتلاك الذّات الجهات المضمرة والجهات المحيّنة كان ذلك مؤهّلا لعمليّة الإنجاز (السّفر) لتحقيق موضوع القيمة لديه (العثور على والده) ويمكن لنا توضيح جهات الفعل للكفاءة كما في الجدول الآتي:

الإنجاز	**الكفاءة**	
الجهات المحقّقة	الجهات المحيّنة	الجهات المظمرة
– فعل التّحول التّحقّق	– معرفة فعل السّفر – قدرة فعل السّفر التّأهيل عامل الذّات "سعيد"	– إرادة فعل السّفر – واجب فعل السّفر التّأسيس

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 133.

3- الإنجاز:

وبجود العامل المعارض (الحرب) صعب الإنجاز. حيث تغيّرت الأوضاع في المدينة والميناء وانتقلت من حالة حركة وعمل إلى حالة هدوء وسكون وخوف، ومن ذلك الملفوظ: «**في المدينة صراع، في البرّ صراع في البرّ صراع، في البحر صراع، الشّواطئ غير آمنة... ظهرت الغواصّات الألمانيّة...غرقت سفينة يونانيّة... البحر أقفل تماما...غوّاصات انكليزيّة شوهدت على الشّاطئ**»[1]. وبالرّغم من هذه الصّعوبات إلاّ أنّ الذّات "سعيد" سافر مع "الرّيس زيدان" على مركبه «**صار الرّيس زيدان مندفعا الآن يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف يناصر ألمانيا علنا، ينفق الأموال الطّائلة يساعد البحّارة العاطلين عن العمل ... وحتّى البضائع التي يشحنها على مركبه لا أعرف إلاّ أنّها صناديق لا أدري ما بداخلها وقد أصبح يسافر كثيرا**»[2].

لقد قام الذّات "سعيد" بعمليّة الإنجاز وبالسّفر مع "الرّيس زيدان" متحدّيا أجواء الحرب، ويمكن أن نحدّد البنية العامليّة كالآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 135.

[2]- المصدر نفسه، ص 138.

- البحث عن والده

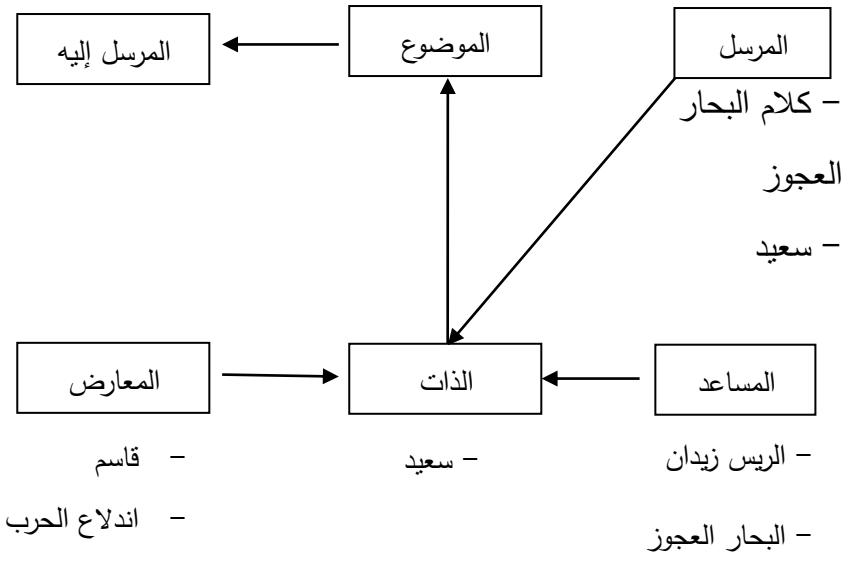

4- الجزاء:

إذا كان الجزاء هو تقييم الفعل المنجز من طرف الذّات الفاعلة فإنّنا نجد ذلك في البعد التّداولي، حيث كشفت السّلطات الفرنسيّة طبيعة عمل "الرّيس زيدان"، وغيره فقامت بالاعتقال كما في المقطع: «**أعتقل بعض الزّعماء، (...) وجاء حساب الرّيس زيدان ومركبه ... ففي إحدى سفراتنا على طول الشّواطئ باتّجاه مصر، نسفت غوّاصة مجهولة (وقيل إنّها انكليزيّة) المركب، قتل الرّيس زيدان، وبعض بحّاراته، نجوت مع النّاجين**

لم أكتشف سرّه حتّى الآن لكن الحزن عليه في الميناء كان كبيرا، اعتبر واحدا من الذين ضحّوا بحياتهم في سبيل الوطن»[1].

إلاّ أنّ الذّات "سعيد" وبعد ذلك الحادث (موت "الرّيس زيدان") يكتشف عمله فينتقل الذّات من الكينونة بمعرفة عمل "الرّيس زيدان" قبل موته إلى الظّهور حيث يكتشف طبيعة عمله بعد وفاته، كما في الملفوظ : «**اعتبروا موت الرّيس زيدان أمرا لا بدّ منه بسبب ما كان يقوم به من أعمال خطيرة أنا لم أعرف ماذا كان يعمل، وإن كنت في ذاتي قد شككت بأنّه يهرّب سلاحا إلى فلسطين، كان يعمل ضدّ الانكليز (..) الرّيس زيدان كان سياسيّا....»**[2].

ومنه يمكن أن نحدّد كينونة عمل "الرّيس زيدان" قبل موته وظهور طبيعة عمله بعد موته عند الذّات "سعيد" واكتشاف الحقيقة التي كانت كامنة ولعلّ معرفة الذّات "سعيد" طبيعة عمل "الرّيس زيدان" زاد ذلك من رفع شأن هذا الأخير في نظر "سعيد" إذ وجد بأنّه كان يعمل مع بطل حقيقي مع رجل مناضل يخاطر بحياته، ويمكن أن نحدّد الظّهور والكينونة في البعد المعرفيّ للذّات "سعيد" كما في المربّع التّصديقي الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 140.

[2]– المصدر نفسه، ص 159.

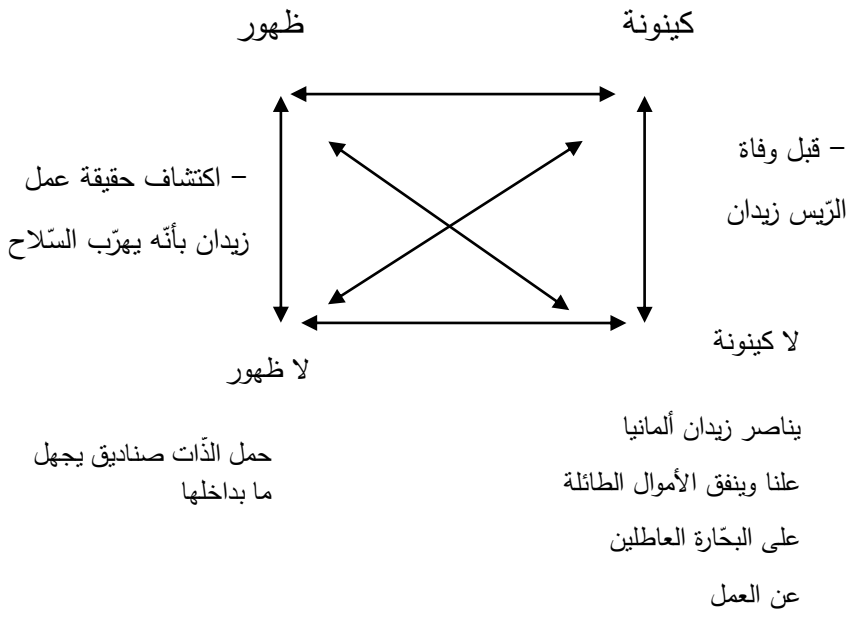

وكما نجد في الجزاء صراعا داخليّا لدى الذّات "سعيد" في البعد المعرفيّ بين (العقل والقلب) فهو يظهر عدم الاهتمام "لكاترين الحلوة " ولكنّه يكذب إزاء ذلك، إذ يجد نفسه يفكّر بها، وهذا ما نجده في قوله: «**كنت كاذبا، التّفكير شيء، والعمل شيء آخر، والدي يقرن التّفكير بالعمل أنا أيضا نويت أن أفعل هذا(..) خاصّة فيما يتعلّق بالبحر، كنت صادقا لم أكذب، إلا فيما يتعلّق بكاترين الحلوة هذه جعلتني أكذب، جعلت نفسي تخدعني (...) أعتزم الخلاص، القطيعة البعد إلى آخر العمر، وفجأة أجد نفسي كاذبا ...**»[1] .

[1]– حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 161.

فبعد أن رفضته "كاترين" وتزوجّت "بالرّيس زيدان" قرّر الابتعاد عنها لكنّه في داخله لا يستطيع ذلك، فهناك إذن للذّات وضعيّة صادقة حين يفكّر بالبحر والعائلة والعمل، ولكن حين يفكّر"بكاترين الحلوة "يكون في وضعيّة كاذبة، فهو يظهر عكس ما يخفيه نحو"كاترين الحلوة "، ويمكن أن نوضّح ذلك كالآتي:

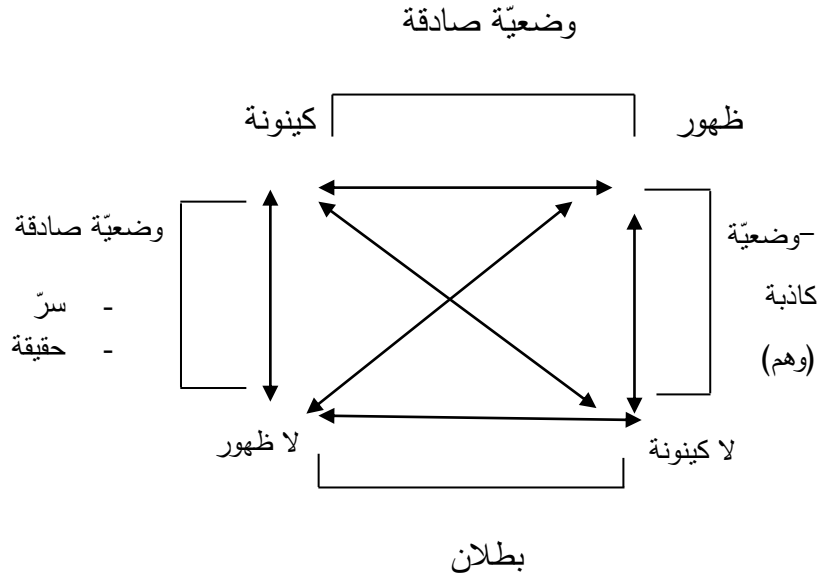

وينتهي الجزاء بموت "الرّيس زيدان" الذي اعتبره "سعيد" بطلا وشهيدا «فالموت هو شيء طبيعيّ، الموت هو موتنا نحن ومع ذلك لا نفكّر فيه إلاّ بوصفه موت الآخرين المهمّ أن نستمر في الإبحار الحرب تواجه الإنسان بالموت وتجبره على الاعتراف به، الموت كالدّافع للتّفكير، الموت عند البدائي فكرة الرّوح والخلود والشّعور بالذّنب لا شعورنا البدائي تفضحه

الحروب»[1]، فنشوب الحرب في البلاد وموت "الرّيس زيدان" وهذه الظّروف المتقلّبة جعلت الذّات "سعيد" في البعد الاستيثاقي يستعيد ثقته بنفسه ويعود إلى العمل وإلى البحث عن والده في البعد المعرفيّ وأمّا في البعد الاستهوائي فهو متردّد بين الابتعاد عن "كاترين" أو العودة إليها بعد رفضها له.

2-2-1- الخطاطة الاستهوائية:

تتمظهر أطوار الخطاطة الاستهوائيّة للذّات الاستهوائيّة "سعيد" للبرنامج الاستهوائي لديها المتمثّل في (الأمل في إيجاد والده) واليأس من عدم إيجاده ونحو موضوع (كاترين الحلوة) بين الأمل في الامتلاك الحصري والعودة إليها وبين الابتعاد عنها واليأس من امتلاكها، يمكن توضيح مراحل تطوّر الخطاطة الاستهوائيّة للذّات كالآتي:

1- الانكشاف الشعوري:

ونلحظ الانكشاف الشّعوري للذّات بعد انقضاء الأزمة وانتقال الذّات الاستهوائيّة "سعيد" من وضعيّة سلبيّة الشّعور بالفشل والحزن واليأس إلى وضعيّة إيجابيّة الشّعور بالثّقة والأمل والحماس وعودة الرّغبة من جديد للذّات نحو السّفر، نحو تحقيق الموضوع في البرنامج الاستهوائي (الأمل في العثور على والده)، لذلك سافر "سعيد" مع "الرّيس زيدان" وفي نفس الوقت

---

[1]- سيجموند فرويد، الحب والحرب والحضارة والموت -دراسة-، تر: عبد المنعم الحفني دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992، ص27.

نجد الذّات الاستهوائيّة تتعذّب بين الحنين والشّوق إلى "كاترين الحلوة" وبين محاولة الابتعاد عنها.

2- الاستعداد:

استعادت الذّات الاستهوائيّة ثقتها في البعد الاستيثاقي كما في النّص: «**نوبة اليأس انقضت الأزمة مرّت استعدت ثقتي بنفسي كبحّار ...**»[1] وبذلك عاد الأمل "لسعيد" من جديد في العمل كبحّار والسّفر مع "الرّيس زيدان"، وبالعودة إلى"كاترين الحلوة"، واليأس من ذلك في آن واحد وهذا ما جعل الذّات الاستهوائيّة تعيش ازدواجيّة الشّعور نحو الموضوع (كاترين الحلوة) بين الحبّ والكراهيّة وتتحدّد هذه الإزدواجيّة عند "فرويد" باعتبارها «الشّعور القويّ بالحبّ والكراهيّة معا لنفس الموضوع والإصطلاح – (Ambivalence of Feeling) إزدواجيّة الشّعور – استخدمه "بلولر" أوّلا (1911) يصف به التّذبذب العاطفي والتّأرجح من الحبّ إلى الكراهيّة لنفس الموضوع وما يزال بعض المحلّلون يصفون الشّخص الذي لم يستقر عاطفيّا بأنّه مزدوج الشّعور أو متذبذب عاطفيّا»[2].

ولعلّ هذا التّذبذب في الشّعور بين الأمل واليأس والحبّ والكراهيّة يتمظهر في قول "سعيد": «**أي شوق إليها مازال يعيش في صدري؟**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 87.

[2]- ينظر: سيجموند فرويد، الحب والحرب والحضارة الموت (دراسة)، تر:عبد المنعم الحفني، ص17.

لقد أحببتها وكرهتها. لكنّني كنت أسيرها. كانت جزءا من حياتي البحريّة...»[1].

3- القطب الاستهوائي:

الرّغبة الشّديدة في السّفر والإبحار لمواصلة بحثه عن والده بالرّغم من وجود أجواء الحرب، وغلق الميناء والبحر، والرّغبة في العودة إلى "كاترين" كان كلّ ذلك هاجس لدى "سعيد" يسيطر عليه.

4- العاطفة:

التّغلّب على عاطفة الخوف من الحرب والسّفر مع "الرّيس زيدان" بكلّ ثقة وعزيمة عدّة مرّات، وتتحوّل العاطفة إلى حدث استهوائي بالحزن الشّديد على "الرّيس زيدان" بعد مقتله.

5- التقويم الأخلاقي:

الحزن الشّديد على "الرّيس زيدان" سواء لدى الذّات الاستهوائيّة "سعيد" أو بحّارة الميناء لكونهم اعتبروا أنّ "زيدان" قد ضحّى بحياته لأجل الوطن «**الحزن عليه في الميناء كان كبيرا، اعتبر واحدا من الذين ضحوا بحياتهم في سبيل الوطن**»[2]. فالذّات الاستهوائيّة "سعيد" لم يكتشف عمل "الرّيس زيدان" إلاّ بعد وفاته إذ كان يقوم بتهريب الأسلحة إلى فلسطين فكان تقييم

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 128.

[2]- المصدر نفسه، ص 140.

الذّات عمل "الرّيس زيدان" بأنّه بطولي ذو قيمة أخلاقيّة في تقديم المساعدة للشّعب الفلسطيني.

2-3- البرنامج السردي المساعد (3): (السفر على باخرة كاسل):

ويجسّد البرنامج السّردي المساعد(3) فعل تحوّل الذّات بعد الحرب العالميّة الثانيّة، ويمكن تحديد ذلك من خلال أطوار فعل التّحوّل كالآتي:

1- التّحريك:

لقد تحسّنت الأوضاع في البلاد بعد نهاية الحرب العالميّة الثّانيّة وبعد خروج فرنسا، ممّا أدّى بالذّات "سعيد" إلى التّفكير من جديد في السّفر وهذه المرّة قد شجّعه بحّار يدعى "عمر الدندي" كان يشتغل على باخرة (كاسل) فكان بذلك العامل المساعد البشريّ نحو السّفر وهذا ما نجده في المقولة السّرديّة: «... **لكن بحّارا أغراني بالسّفر كان أكبر منّي سنّا له تجربة في البحر ويعرف بلاد بره، اسمه عمر الدندي...**»[1]. وهناك عامل آخر بمثابة المحرّك والمرسل الاستهوائي للذّات والمتمثّل في هوى الحبّ. فالذّات الاستهوائيّة "سعيد" متعلّقة بالموضوع (كاترين الحلوة) تحنّ إليها وتفتقدها لرحيلها إلى اليونان بعد زواجها من "الرّيس اليوناني"، حيث نجده يقول: «**أيّ شوق إليها مازال يعيش في صدري؟... كانت جزءا من حياتي البحريّة...**»[2] (..) «**إذا رحلت كاترين الحلوة فسيحدث فراغ رهيب قنوط**

---

[1]- حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 209.

[2]- المصدر نفسه، ص 128.

من عودة الوالد، فقدان فالذّات "سعيد" يعيش حالة نفسيّة متأزّمة بعد زواج "كاترين الحلوة" ورحيلها إلى اليونان.

وبذلك كان العامل النّفسي للذّات الاستهوائيّة مرسلا ومحرّكا نحو عمليّة الانجاز لتحقيق الموضوع (العثور على والده وكاترين الحلوة).

2- الكفاءة:

امتلكت الذّات "سعيد " الخبرة في السّفر والإبحار من خلال تجاربه السّابقة مع "الرّيس عبدوش" و"الرّيس زيدان"، حيث امتلك جهات الفعل المضمرة والمحدّدة للتّأسيس من خلال وجوب الفعل وإرادة الفعل وهذا ما نجده في الحوار الداخلي (المونولوج) للذّات "سعيد" حين يقول: «**فضّلت السّفر على الميناء... كنت بعد الحرب العالميّة وبعد خروج فرنسا.. قادرا أن أبقى في الميناء... لكن بحّارا أغراني بالسّفر كان أكبر منّي سنّا... اسمه عمر الدندي**»[1] (...) «**سافر يا سعيد... سافر... عمر الدندي ليس أفضل منك... سافر في السّفر سبع فوائد وتكفيني واحدة منها أن أعثر على والدي**»[2].

ومن التّأسيس إلى التّأهيل من خلال امتلاك الذّات المعرفة والقدرة على الفعل بالسّفر والإبحار وهذا ما نجده في قوله: «**لا زمت عمر خلال**

---

[1]- حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 209.

[2]- المصدر نفسه، ص 212.

أسـابيع.... اتّفقنـا علـى السّـفر»[1]. ويمكـن أن نحـدّد الجهـات المضـمرة والجهات المحيّنة للفعل نحو تحقيق الموضوع كما في الجدول الآتي:

الكفاءة		**الإنجاز**
الجهات المضمرة	الجهات المحيّنة	الجهات المحقّقة
– إرادة الفعل. – واجب الفعل للبحث عن والده وكاترين.	– معرفة فعل السّفر مع عمر الدندي. – القدرة على السّفر والإبحار من خلال تجاربه.	– تحقيق فعل السّفر والإبحار على باخرة كاسل.

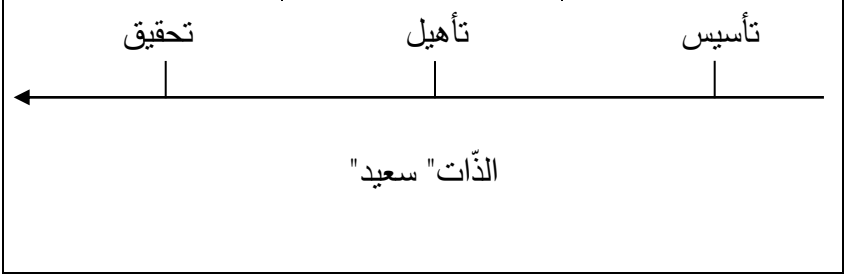

3–الإنجاز:

ويقف أمام عمليّة إنجاز الذّات "سعيد" وجود عامل معارض "الأم" أمام قرار الذّات "سعيد" بالسّفر، وهذا ما نجده في قول الذّات "سعيد": «**أمـي هيّ هيّ، لم يبلغ تقدّم العمر أن يغيّرها، بالعكس زادها خوفا ووسوسة (....)**

[1]– حنا منية، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 212، 213.

صارت عودتي إلى البحر كارثة بالنّسبة إليها..»[1]. ولكن الذّات "سعيد" قاومت العامل المعارض "الأم" وصمّمت على السّفر، «**لكنّني لم أرضخ لضغوطها لم أكترث لتوسلاّتها ودموعها... أفهمتها أنّني سأسافر (..) قلت لها سأسافر...»**[2]، وبالرّغم من وجود العامل المعارض "الأم" التي ترفض سفر الذّات "سعيد"، إلاّ أنّه سافر على الباخرة (كاسل)، فالبرنامج السّرديّ المضاد "الأم" قد فشل في منع "سعيد" من السّفر وهذا يعني نجاح البرنامج السّردي للذّات "سعيد" بالسّفر والإبحار على باخرة (كاسل)، وهذه المرّة لتحقيق موضوع القيمة (1) العثور على والده، وموضوع القيمة (2) العثور على "كاترين الحلوة". ويتجلّى تصميم الذّات على فعل السّفر في الملفوظ السّردي: «**لازمت عمر خلال أسابيع... اتّفقنا على السّفر...»**[3]. (...) «**نحن الآن بحّارة على الباخرة (كاسل) حمولتها 25 ألف طن تعمل بين أوربا وأمريكا، انتهى عهد المراكب أنا الآن بحّار في باخرة وسنبحر إلى مسافات بعيدة إلى مرافئ شهيرة»**[4]. (..) «**وبعد أسبوع كنّا في أثينا»**[5]. ويمكن أن نحدّد البنية العامليّة للعوامل السّرديّة المتضافرة في تشكيل البرنامج السّردي كالأتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 214.

[2]– المصدر نفسه، ص 214، 215.

[3]– المصدر نفسه، ص 212، 213.

[4]– المصدر نفسه، ص 220، 221.

[5]– المصدر نفسه، ص 215.

– العثور على والده وكاترين

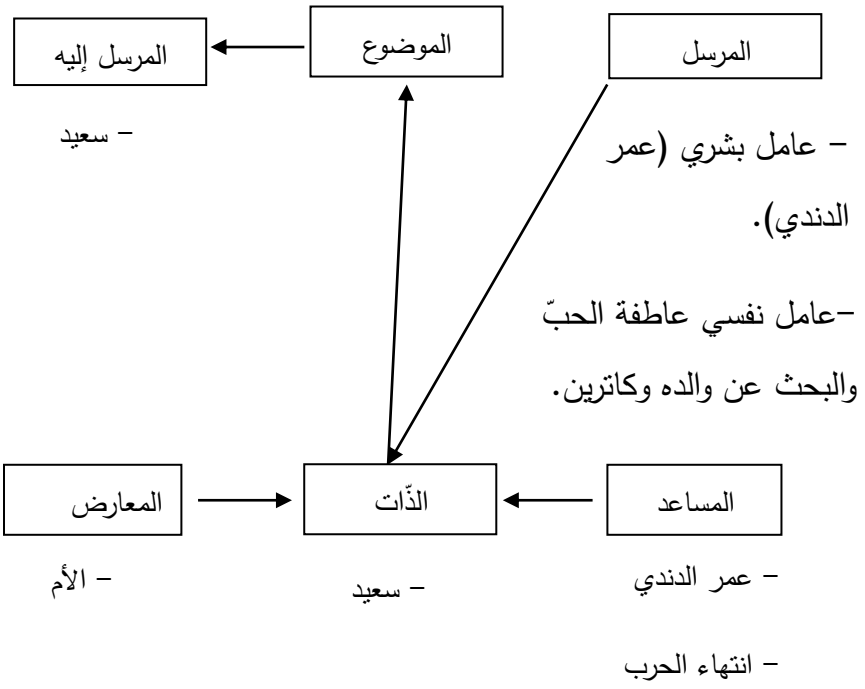

لقد طالت هذه الرّحلة إلى خمس عشرة سنة ولم يعد "سعيد" إلى أرض الوطن وطيلة هذه المدّة وهو يبحث عن والده كما في الملفوظ السّردي: «**خمسة عشر سنة مضت وسعيد يبحث من مرفأ إلى آخر، عمل بعد (كاسل) على الباخرة صوفيا كولوتروني، حمولتها 35 ألف طن، عابرة قارّات انطلقت من رأس الرجاء الصّالح إلى بحر الهند، ورست في سنغافورة مركز تموين السّفن ومنه إلى بومباي...**»[1]. استغرق بحث "سعيد" خمس عشرة سنة من مرفأ إلى آخر، وهو يبحث عن والده (الموضوع القيمة) الأساس

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 339.

و"كاترين الحلوة" التي سبّب له غيّابها أزمة نفسيّة ولكن لم يعثر عليهما في رحلته الطّويلة هذه.

4- الجزاء:

فشل البرنامج الرئيس "لسعيد" في العثور على والده وعلى "كاترين الحلوة" نحو قوله: «**ما عثرت على كاترين الحلوة ولا على زوجها اليوناني وكالحلم تبخّر ذلك الأمل ...**»[1]. ونظرا لفشل "سعيد" في مهمّة بحثه عن والده وعن "كاترين" قرّر العودة إلى الوطن، وحين عودته وجد أنّ أشياء كثيرة قد تغيّرت أثناء غيّابه الطّويل: «**...عاد إلى بيت أسرته في حيّ الكاميليّة وهو يقدر ممّا سمع أنّ أشياء كثيرة تغيّرت في الوطن**»[2].

نجد في الملفوظ السّردي أنّ الذّات انفصلت عن البحر حيث كانت متعلّقة به كثيرا، وبذلك انتقلت من علاقة اتّصال بالبحر إلى علاقة انفصال عنه ويمكن توضيح شكل التّحوّل الانفصالي كما في الصّيغة الآتيّة:

(ذ1 ∩ م البحر) ⟵ (ذ1 ∪ م البحر)

وأمّا عن الأشياء التي تغيّرت في غيّاب "سعيد" هو موت والدته «**سوى الأمّ وهذه في سنوات الإبحار الأخيرة ماتت**»[3]، كانت ثلاثة أشياء جوهريّة في حياة "سعيد" ظلّت كهاجس تسيطر عليه وتشغله وتدفعه إلى التّوتّر النّفسي

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 227.

[2]- المصدر نفسه، ص344.

[3]- المصدر نفسه، ص343.

هـيّ: (والـده، وكـاترين الحلـوة، والبحـر) كمـا فـي الملفـوظ: «**هـذا الثّـالوث الذي شغله وسيظلّ يشغله**»[1].

ونجد الجزاء في البعد الاستهوائي بإصابة الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بأزمة نفسيّة حادّة سببها عدم إيجاد "والده"، وغيّاب "كاترين الحلوة"، وانفصاله عن "البحر" فتطوّرت أزمته بعد تحطيم المركب (المجسّم) في بيته المكتوب عليه اسم "كاترين" معتقدا بذلك أنّه قد قتلها، فيخرج مناديّا لم أقتلها كما في الملفوظ السّردي: «**فتح الباب وراح يركض ويصيح في الشّارع لم أقتلها! لم أقتلها!..**»[2]. وعلى إثر ذلك نقل إلى الدير للعلاج، حيث قال الطّبيب بأنّه أصيب بأزمة نفسيّة، وعلاجها يتمّ بتحقيق أحد الثّلاث: إمّا العودة إلى "البحر"، وإمّا العثور على "والده"، وإمّا العثور على "كاترين الحلوة"، ويمكن توضيح ذلك في المثلّث الاستهوائي للذّات "سعيد" كالآتي:

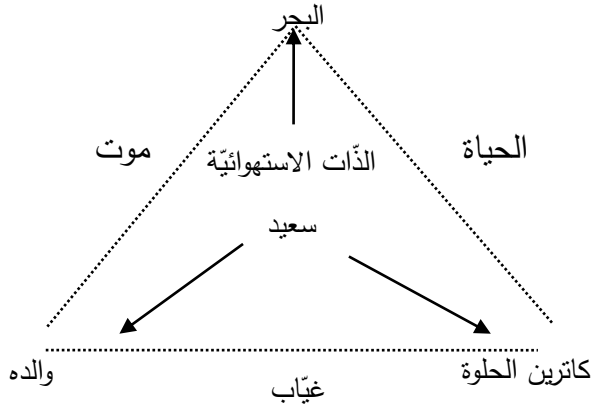

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 349.

[2]– المصدر نفسه، ص 377.

كان "سعيد" يعيش طوال هذه السّنوات التي أفناها من حياته في وهم وأمل وهاجس سيطر عليه وشغله في البعد المعرفي بوجود والده على قيد الحياة في مكان ما إلاّ أنّ الحقيقة هي عكس ذلك، ومنه نقف على تحديد المربّع التّصديقي للكينونة والظهور كالآتي:

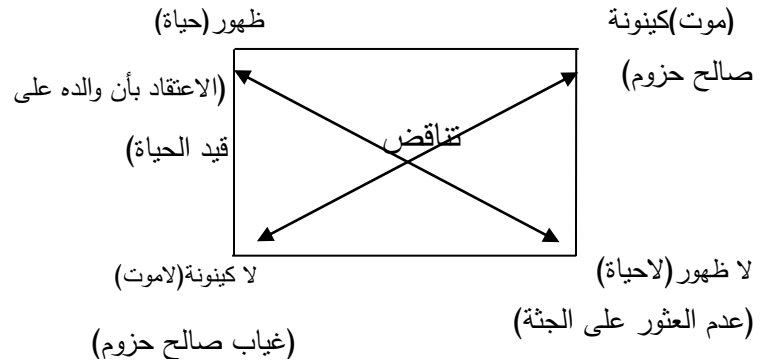

ويمكن أن نفصل في المسار الاستهوائي للذّات الاستهوائية "سعيد" بتتبّع مراحل الخطاطة الاستهوائيّة.

3-1- الخطاطة الاستهوائية:

تحدّد لنا الخطاطة الاستهوائيّة مراحل تطوّر الأزمة النّفسيّة لدى الذّات الاستهوائيّة "سعيد" من المستوى العميق الدّاخلي إلى المستوى السّطحي الخارجي للحالة النّفسيّة، ويمكن أن نحدّد مراحل الخطاطة الاستهوائية كالآتي:

1- الانكشاف الشعوري:

كانت الحالة النّفسيّة لدى "سعيد" تسوء أكثر، إذ أدرك الخسارة في عدم الإنجاب وأدرك ضيّاع السّنوات في مطاردة وهم وسراب والده ممّا زاد ذلك من توتّره كما في الملفوظ: «**الآن أدرك الخسارة في عدم الإنجاب.. لو كان له زوجة، ولد، لو كان والده إلى جانبه، لو لم تمت أمّه... اعتراه عصاب (...) توسوس... كبر وسواسه... (...) ويوما بعد يوم جفاه النّوم وراح يهزل، وتبرق عيناه بقلق غريب....**»[1].

2- الاستعداد:

مرّت الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بحالة نفسية حادّة أكثر من المرّة السّابقة فهذه المرّة مرّ بحالة توازن وثبات لمدّة سنتين ثمّ عاد التّوتر والاضطراب بأكثر شدّة من ذي قبل «**طوال سنتين استطاع الثّبات في العمل... فتح بقاليّة وأقفلها عمل سائق تاكسي وترك العمل... وأخيرا استبدّ به كره للجميع (..) أنّه عليه لا يتكلّم مع أحد**»[2].

3- المحور الاستهوائي:

لم يستطع "سعيد" أن يبقى في حالة توازن وثبات بأن يستقرّ في عمل معيّن لأنّ حالته النّفسيّة مضطربة، ولأنّه لم ينس البحر ووالده، و"كاترين

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 376، 377.

[2]- المصدر نفسه، ص 377.

الحلوة": «**تصوّر الجميع أعداءه، وتصوّر أنّ كاترين عدوّته أيضا وأنّها خانته وفضّلت ذلك اليوناني عليه...**»[1].

4- العاطفة:

بدأت حالته تسوء أكثر وأزمته النّفسيّة تشتدّ فدفعته عاطفة الخوف القويّة إلى حدث استهوائي «**وذات ليلة انقلبت الباخرة إلى امرأة إلى كاترين حقيقة أمامه، فانقضّ عليها، وراح يهوي بقبضته على أخشابها حتّى حطّمها، وعندئذ خيّل إليه أنّه ارتكب جريمة وأنّهم سيقتلونه بسببها وربّما شنقوه... وفقد عقله من الخوف، ففتح الباب وراح يركض في الشّارع ويصيح (لم أقتلها! لم أقتلها!)**»[2].

تمثّل الحدث استهوائي النّاتج عن قوّة الانفعال والتّوتّر الشّديد إلى: أوّلا بتحطيم المجسّم (الباخرة)، وثانيا بهجومه على النّاس في الدير معتقدا أنّهم سيضربونه وسيعتدون عليه، وهو ما سبّب لديه انفجارا عصبيّا حادّا «**نقل سعيد بعد هذا الانفجار النّفسي إلى مستشفى دير الصليب للأمراض العصبيّة تمركزت أزمته حول الخوف، انقلبت الوسواس القهريّ إلى وسواس عدواني صار يهاجم، يضرب، يحاول الاعتداء، حتّى على أقرب النّاس إليه، مدفوعا بشعور مرضي، يخيّل إليه أنّ الآخرين يهاجمونه وسيضربونه ويعتدون**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 377.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

عليه، ويودعونه السّجن »[1] وهذا بفعل التوتّر الذي يقوده إلى تفجير الطّاقة الاستهوائيّة[2].

5- التقويم الأخلاقي:

استمع الطّبيب إلى قصّة "سعيد" من الطّفولة إلى الشّباب وغربته وعودته إلى الوطن وكلّ تفاصيل حياته من أخيه الذي نقله إلى الدّير «**الطّبيب خالد أشرف على علاجه، استمع إلى أخيه الذي حمله على الدير، روى هذا حياة المريض طفولته شبابه، غربته عودته إقامته في البيت العائلي المهجور إخفاقه في الحصول على عمل (...)، رغبته المحبطة في الإبحار ثانيّة عزلته التّامة التي أدّت به إلى الانفجار، محاولته تحطيم الباخرة التي تحمل اسم "كاترين الحلوة" وجود امرأة حقيقيّة بهذا الاسم، كانت له بها علاقة تزوّجت وهاجرت إلى اليونان**»[3]، وكان الطّبيب يسجّل هذه المعلومات لعلّها تساعده في علاج المريض، واكتفى بهذه المعلومات وأجلّ فحص المريض بعد زوال النوبة العصبيّة «**اكتفى بتطمين أخيه بالشفاء مادامت الأزمة انفجرت انفجارا... ولم تأخذ شكلا تدريجيّا، يتم عن فقدان إحدى القوى العقليّة**»[4].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 377.

[2]- ينظر: ألجيرداس .ج.غريماس، وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 16.

[3]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 378.

[4]- المصدر نفسه، ص ن.

كان الطّبيب عاملا مساعدا في علاج "سعيد" من الأزمة فقد قدّم له «**بعض الحبوب المهدّئة وأقراصا منوّمة ووضعه في غرفة انفراديّة، ومنع زيارته إلى أن تبدأ النّوبة بالزّوال تدريجيّا ..**»[1]. وقد نجح الطّبيب في تهدئة الذّات الاستهوائيّة «**بعد أيّام زالت النّوبة... رجع سعيد هادئا، واهنا وخجولا لا يتذكّر ما مرّ معه، ويسأل: (من الذي أتى بي إلى هنا؟)**»[2] (...)، «**يقول الطّبيب: لا تخف... لست مريضا عقليّا... هذه مجرّد أزمة... تحتاج إلى بعض التّحاليل..**»[3].

وبعد الاستجابة الجيّدة والناجحة لدى الذّات الاستهوائيّة للدّواء بدأ الطّبيب بالتّحاليل من خلال الجلسات مع المريض، وكانت نتيجة الفحص إصابة الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بمرض الزّهري: «**إصابته بالزّهري... وقد توقّف الطّبيب عند هذه الإصابة لكن الفحص أثبت أنّ الشّفاء كان تامّا، بقيّت عقدتان: شعور بالذّنب، ترسّب في الأعماق، بسبب خيّانته لوالده مع كاترين الحلوة والمزج التّام بين البحر وكاترين هذه، في صورة واحدة، والبحر وكاترين والباخرة كانت رمز الإثنين: كتب الطّبيب في تقريره ما يلي: (من عوامل الشّفاء اللّقاء بكاترين، أو العودة إلى البحر) وإلى أن يسافر في البحر ثانيّة ضرورة الانتقال من المنزل العائلي المهجور**»[4]، وكانت نصيحة الطّبيب

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 378.

[2]– المصدر نفسه، ص ن.

[3]– المصدر نفسه، ص 379.

[4]– المصدر نفسه، ص380،379.

أثناء خروج "سعيد" هيّ العودة إلى البحر وتنفيذا لها عاد للعمل في البحر من جديد على ظهر باخرة عابرة للقارّات بعد انقطاعه عنه، حيث نجد أنّ الذّات الاستهوائيّة بعد وضعيّة الانفصال عن الموضوع (البحر) يعود إليه فتتحدّد لها بذلك وضعيّة الاتّصال بالموضوع، فالبحر بمثابة حياته والعودة إليه هيّ العودة إلى الحياة من جديد، ويمكن تحديد وضعيّة الذّات في شكل تحوّل اتّصالي للموضوع كما في الصّيغة الآتيّة:

(ذ1 ∪ م البحر) ←——— (ذ1 ∩ م البحر)

ولتخفيف الذّات من ثقل الحياة بدأ بتفريغ همومه ومشاكله وسرد حياته من الطّفولة إلى الشّباب، والكهولة إلى البحر، فانفتحت ذاكرته إلى الماضي بسرد قصّته وسيرته، وهو يسير من على طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة «**وعلى طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة، ضلّ سعيد يسير قرّر أن يفعلها، وفعلها، نام في بانياس ليلة وفي جبلة ليلة، لكنّه صمّم على السّير يقول للبحر كلّ شيء وليسمع منه كلّ شيء**»[1]. ومن الخطاطة الاستهوائيّة يمكن أن نحدّد البنية العامليّة كالآتي:

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 400.

– الخروج من الأزمة النّفسيّة

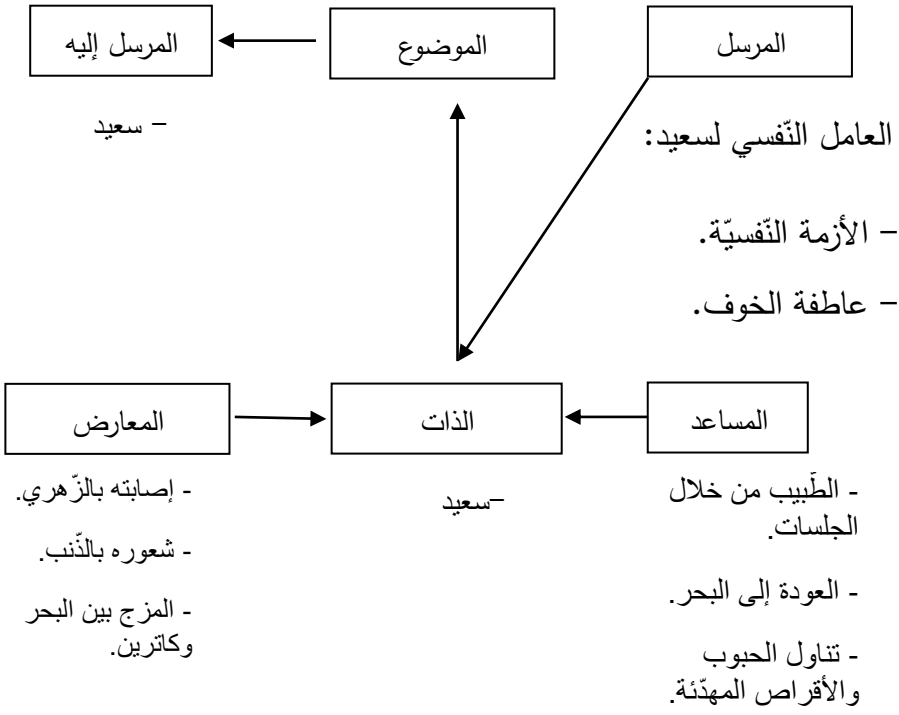

وكان من أسباب علاجه التي ذكرها الطّبيب له هو لقاء "كاترين" وهذه قد جاءت إليه يوما. «**وذات ليلة (...) استيقظ على دقّات قويّة على الباب (...) فتح الباب واندفع إلى الخارج فلم يجد أحدا (...) غير أنّه استطاع في غبش الصّباح أن يرى زوالا يتحرّك باتّجاه الشّاطئ (...) سار وراءه بخطى وئيدة، أوّلا، حتّى لا يشعر به ثمّ أوسع الخطى، حتّى لحق به عند حافّة الماء، وعندئذ صرخ بصوت قويّ: – من أنت!؟**

– ولم يأته جواب، غير أنّ الزّوال توقّف.. ثّم استدار كاشفا وجهه وعندئذ حدثت المفاجئة المروّعة: كاترين الحلوة! كانت هيّ (...) ولمّا أيقنت أنّه

عرفها ندت عنها عبارة واحدة: – وداعا، وإلى الأبد.. ثمّ انزلقت في المّاء غابت في البحر، وراح هو يصرخ وراءها: كاترين! يا كاترين..»[1]. لقد ألقى بنفسه وراءها، وظلّ يسبح محاولا اللّحاق بها لكنّها اختفت لم يعثر عليها، كانت نهاية "كاترين الحلوة" بانتحارها أمامه، فانتهت قصّتها معها، وبذلك قرّر السّفر والإبحار مطاردا وهم والده فهو لا يزال يعتقد بأنّه على قيد الحياة وأنّ من واجبه البحث عنه، فخيال والده يلازمه دائما لم يستطع نسيانه، ولم يستطع التّخلّص من هذا الوهم الذي يعيشه حتّى بعد كبر سنّه كما في المقطع السّردي الآتي: «**وفي اليوم نفسه، أقفل باب القصر... وحمل المفتاح إلى سيّدته قائلا: – انتهت إقامتي.... إنّني مسافر.**

– إلى أين؟

– للبحث عن والدي..

– قال زوجها:

– ولكن والدك مات، مات منذ زمن بعيد.

– وقال سعيد حاسم النّبرات:

– والدي حيّ، وأنا ذاهب للبحث عنه...

– أنت تبحث عن وهم..

– أنا أبحث عن حقيقة...»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 405 ، 406.

[2]– المصدر نفسه، ص 407.

وبذلك غادر "سعيد" نحو رحلة جديدة للبحث عن والده «**ولمّا صار على ظهر الباخرة وقف عند الحاجز وأرسل بصره باتّجاه المدينة، فيما الباخرة تغادر تبتعد، وسؤال كبير عنيد يلّح عليه: (– ترى... يقتلعون الشّجرة من جذورها هذه المرّة ؟)**[1].

لقد كرّس "سعيد" حياته في البحث عن والده كما في المسار السّردي للثّلاثيّة في المرحلة الأولى معتقدا بأنّه ميّت وفي المرحلة الثّانيّة للبحث معتقدا بأنّه لا يزال على قيد الحياة، حيث قاوم "سعيد" العامل المعارض المتمثّل في "الأم" في البرنامج السّردي المضاد أثناء سفره مع "الرّيس عبدوش" وكما قاوم "سعيد" مرّة ثانيّة أثناء سفره مع "الرّيس زيدان" العامل المعارض المتمثّل في الحرب العالميّة الثّانيّة وأجوائها في الميناء والبحر وتجاهل رفض "الأم" للسّفر وخوفها الشديد عليه. وسافر في باخرة (كاسل) وأثناء عودته وجد أشياء كثيرة تغيّرت منها وفاة والدته ثمّ انتهى بأزمة نفسيّة حادّة شفيّ منها بصعوبة، فكانت الثّلاثيّة سيرة ذاتيّة للبحّار "سعيد" يسردها للبحر وهو يسير على طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة.

ومّما سبق فقد حاولنا في هذه الثّلاثيّة الوقوف على التّركيبة السّرديّة والشّبكة العلائقيّة للبرامج السّرديّة في البعد المعرفيّ وتحديدها بمرحلتين: الأولى: عامل الذّات "سعيد" نحو الموضوع (الاعتقاد بموت والده)، والثّانيّة: عامل الذّات "سعيد" نحو الموضوع (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة) والأمل في العثور عليه في البرنامج الاستهوائي وبذلك حاولنا رصد حركة العامل

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 408.

ومراحل تحوّله في البرامج السّرديّة للمسار السّردي في البعد المعرفي بالوقوف على أطوار الخطاطة السرديّة (التّحريك، والكفاءة، والإنجاز، والجزاء) وبرصد النّموذج العملي والمربّع السّيميائي والمربّع التّصديقي، وكما حاولنا الوقوف على المسار الاستهوائي، واستخلاص البرنامج الاستهوائي للذّات الإستهوائيّة ومراحل تطوّر الحالة النّفسيّة لديها في كلّ مرةّ، وكان ذلك بالاستعانة بالخطاطة الاستهوائيّة من المستوى العميق إلى المستوى السّطحي من خلال تتبّع مراحلها وهيّ: (الانكشاف الشّعوريّ، والاستعداد، والقطب الاستهوائي، والعاطفة، والتّقويم الأخلاقي) وتحديد العامل النّفسي والاستهوائي في البنية العمليّة للعوامل السرديّة، ومنه فقد كان التّداخل بين المسار العاملي والمسار الاستهوائي في التّركيبة السّرديّة للبنيّة السّرديّة للثّلاثيّة.

الفصل الثالث:

أدوار "الممثل" وثنائية "التفضية والتزمين"

– دراسة في التركيبة الخطابية لثلاثية "حكاية بحار"–

أولا: الممثل

ثانيا: الصور والمسارات التصويرية

ثالثا: الدور التيماتيكي والباتيمي

رابعا: التفضية والتزمين

وكما استخلصنا المفاهيم الإجرائيّة لسيميائيّة العمل ولسيميائيّة الأهواء في التّركيبة السّرديّة وذلك بتتبّع المسار السّردي والاستهوائي لحركة العامل في البرنامج السّردي، سنحاول الوقوف على الدّراسة التّطبيقيّة للمستوى الخطابي، على ضبط عمليّة تصوّر الفعل المنجز من طرف الممثّل بتحديد أدواره وضبط الصّور والمسارات التّصويريّة، ومن ثمّة دراسة الدّور التّيماتيكي والباتيمي[1] للممثّل وكذا ثنائيّة التّفضيّة والتّزمين وعلاقتهما بالدّور الاستهوائي في التّركيبة الخطابيّة.

أولا: الممثل

1- الأدوار العاملية والاستهوائية للممثل: لقد حدّدت السّيميائيّة السّرديّة بأنّ نقطة التّقاطع بين المستوى السّردي والخطابي متمثّلة في وجود الممثّل الذي له دور عاملي كوضعيّة في البرنامج السّردي ودور تيماتيكي من خلال

---

[1] - باتيمي(Pathèmique): وهو في الأصل مركّب من عنصرين (Path) الدّالة في سياقات متعدّدة على الحالات غير طبيعيّة، و(Tymique) التي تشير إلى الانفعال والمقصود هنا أنّ الانفعالات التي هي في الأصل حاجة إنسانيّة طبيعيّة تتحوّل إلى حالة غير طبيعيّة عندما تتجاوز الحدود أيّ العتبات التي تقيمها كلّ ثقافة استنادا إليها تحكم على الأهواء، ولذلك هناك فصل بين الدّور التّيمي الذي يحتضن ممكنات الفعل عند الذّات وهو دور مسنّن اجتماعيّا (الصيّاد، الفّلاح، الأستاذ)، وبين الدّور الباتيمي الذي يختصّ بكينونة الممثّل في علاقته بالبعد الانفعالي المنظّم في مستوى عميق ويشير إلى تجاوز للحدود التي تسنّها الثّقافة (البخيل، الغيور، الغضوب)، والباتيمات (phathèmes) هي: العناصر الدّالة على الدّور الباتيمي من قبيل العلامات التي تدلّ على غضب الغضوب أو بخل البخيل مثلا، ينظر: الجيرداس جوليان غريماس وجاك فونتيي، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بن كراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص15، 57، 58.

تحديد مجموعة من المسارات الصوريّة في المستوى الخطابي وقد أشار"غريماس" إلى أنّ الدور الباتيمي هو جزء من الدّور العاملي وجزء من الدّور التّيمي حيث «يبدو الدّور الباتيمي في علاقته بالدّور العاملي الذي يخضع تسلسله لتتابع الاختبارات والتكيّفات باعتباره جزءا من مسار عاملي(...) ويكون الدور الباتيمي في علاقته بالأدوار التّيميّة التي يمكن تجميعها في نشر مضامين الدّلالة على خلفيّة مسار تيمي جزئيّة محسّسة داخل المسار التّيمي»[1].

فالدّور الباتيمي هو جزء من الدّور العاملي وجزء من الدّور التيماتيكي وكما وجدنا بأنّ الخطاطة الباتيمية (الاستهوائيّة) يمكن استنباطها من خلال تحديد البرامج السّرديّة في سيميائيّة العمل فإنّ البعد الاستهوائي كامن في المستويات الثّلاثة (السّردي، والخطابي، والمنطقي الدّلالي).

وعلى هذا الأساس يمكن القول مادام هناك سيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء، فالممثّل يعدّ نقطة من نقاط التّقاطع بينهما، ففي سيميائيّة العمل نركّز على تحديد الدّور العاملي والدّور التّيماتيكي، وفي سيميائيّة الأهواء نحدّد للممثّل الدّور الاستهوائي كما في الشّكل الآتي:

---

[1]– ألجيرداس ج، غريماس وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بن كراد، ص 223.

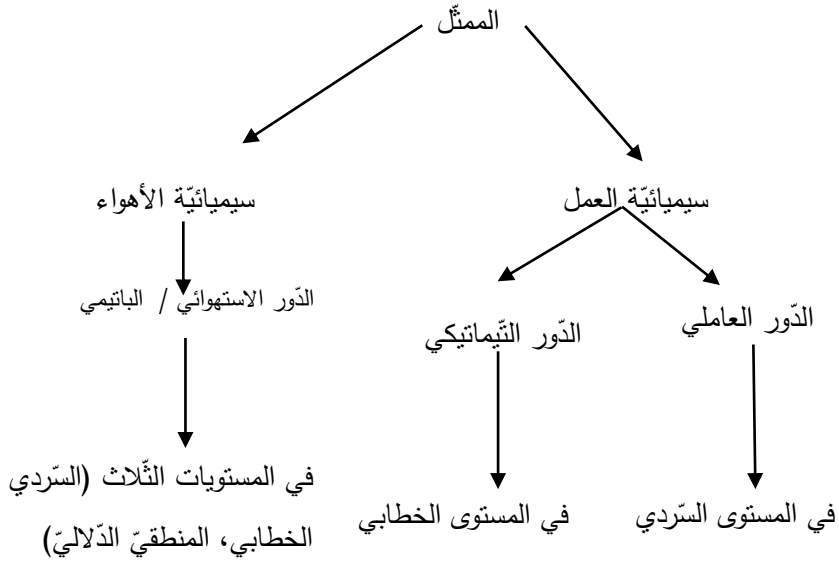

أو يمكن أن نوضّح ذلك في الخطاطة الآتيّة:

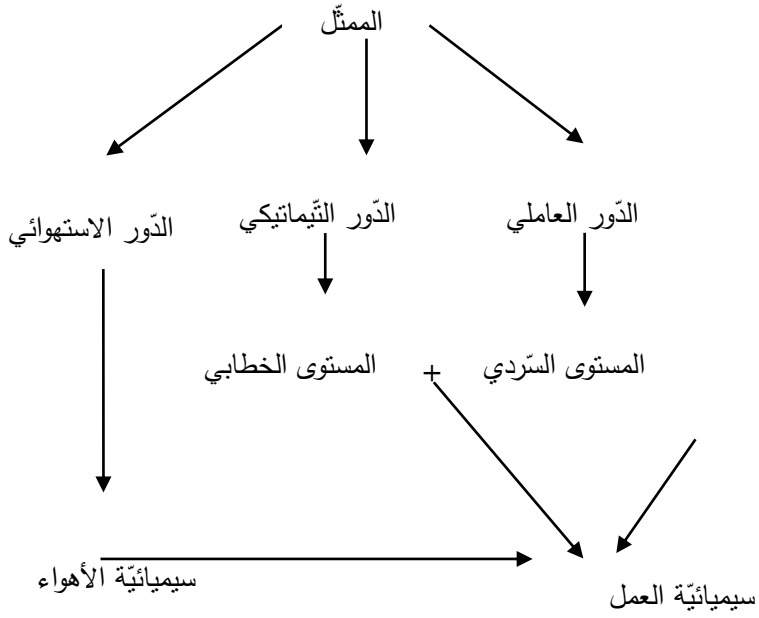

1- 1- ضبط الأدوار العاملية:

لقد أشار "غريماس" في سيميائيّة العمل وخاصّة في المستوى السّردي لوجود علاقة بين الممثّل والعامل حيث «العامل (ع1) يتمظهر في الخطاب عبر الممثّلين (م1 ، م2، م3) والعكس ممكن في حالة (م1) يتفرّع إلى عوامل كثيرة (ع1، ع2، ع3)»[1]. وإذا كان العامل (ع1) يشكّل نواة لاستقطاب الممثّلين فإنّ الممثّل (م1) يمثّل نواة لتوزيع العوامل، والحالتان تتمظهران بتحديد البرنامج السّردي، وهنا لم يشر "غريماس" إذا كان الممثّل يتوزّع على مجموعة من الأدوار التّيماتيكيّة، وأنّ الدّور التّيماتيكي يستقطب مجموعة من الممثّلين وأنّ الممثّل قد يستقطب مجموعة من الأدوار الاستهوائيّة، وأنّ الدّور الاستهوائي قد يتوزّع على مجموعة من الممثّلين ومن خلال تحديد البرامج السّرديّة للثّلاثيّة سنحاول ضبط الأدوار العامليّة للمثّلين كما في الجدول الآتي:

[1]– voir, Algirdas, Julein Greimas, Du sens2 P: 49.

العامل (ع) / الممثّل (م)	الأدوار العامليّة			
	ع1	ع2	ع3	ع3
– سعيد حزّوم	مرسل محرّك	ذات	مرسل مؤوّل	Ø
– البحار بدر	مرسل	مساعد	Ø	Ø
– أحمد المستكفي	مرسل	مساعد	Ø	Ø
– صالح حزّوم	موضوع	Ø	Ø	Ø
– الأم	مرسل محرّك	معارض	مرسل إليه	Ø
– كاترين الحلوة	مرسل محرك	معارض	مساعد	موضوع
– قاسم	معارض	Ø	Ø	Ø
– الرّيس عبدوش	مساعد	معارض	Ø	Ø
– الرّيس زيدان	مساعد	Ø	Ø	Ø
– البحّار العجوز	مرسل محرّك	Ø	Ø	Ø
– عمر الدّندي	مرسل محرّك	مساعد	Ø	Ø
– الطّبيب خالد	مرسل محرّك	مساعد	Ø	Ø
– تلوث سطح الماء	معارض	Ø	Ø	Ø
– التّعب والإعياء	معارض	Ø	Ø	Ø
– اللّوح الخشبي	معارض	Ø	Ø	Ø
– العاصفة	معارض	Ø	Ø	Ø

– الرّعد والمطر والرّياح	معارض	Ø	Ø	Ø
– الحرب ع الثّانيّة	معارض	Ø	Ø	Ø
– المركب	مساعد	Ø	Ø	Ø
– النّجوم	مساعد	Ø	Ø	Ø
– استخراج الجثّة	موضوع	Ø	Ø	Ø
– السّلطات الفرنسيّة	مرسل محرّك	ذات	مرسل مؤوّل	معارض
– البحّارة	مرسل محرّك	مساعد	مرسل مؤوّل	Ø
– السّكين	مساعد	Ø	Ø	Ø
– انتهاء الحرب	مساعد	Ø	Ø	Ø
– الباخرة كاسل	مساعد	Ø	Ø	Ø
– الحبوب والأقراص	مساعد	Ø	Ø	Ø
– البحر	مساعد	Ø	Ø	Ø
–الوشم	مساعد	Ø	Ø	Ø

ومن الجدول نلحظ اختلاف أنواع وجود الممثّل إذ يرد ممثل بشريّ مثل: (سعيد، وكاترين الحلوة، والرّيس زيدان، والأم...)، وممثّل طبيعي مثل: (الرّياح، والمطر والرّعد، وتلوّث سطح الماء، والعاصفة، والنّجوم..)، وممثّل مُشيّأ مثل: (السّكين، والباخرة كاسل، والمركب، والحبوب والأقراص). وكما نجد أنّ من الممثّلين من له دور عاملي واحد، مثل: (العاصفة، والمركب، والسّكين والحبوب والأقراص)، ومن له دوران عامليّان مثل: (عمر الدّندي، والطّبيب خالد، والبحّار بدر، والبحّار أحمد المستكفي). ومن له ثلاثة أدوار عامليّة مثل:

(البحّارة، والأم، وسعيد)، ومن له أربعة أدوار عامليّة مثل: (السّلطات الفرنسيّة وكاترين الحلوة).

وكما أشار "غريماس" إلى إمكانيّة أن يتموضع الممثّل دورا عامليّا أو عدّة أدوار عامليّة، فإنّه يمكن أن يأخذ الدّور العاملي الواحد عدّة ممثّلين ولتوضيح ذلك نأخذ الجدول الآتي:

البرنامج السّردي	العامل (ع1)	الممثّلين			
		م1	م2	م3	م4
– البرنامج السّردي المعرفي لسعيد حزّوم (الاعتقاد بموت والده والبحث عن الجثّة).	المرسل المحرّك	البحّار بدر	البحّار أحمد المستكفي	عاطفة الخوف والحبّ	Ø
	الذّات	سعيد حزّوم	Ø	Ø	Ø
	المعارض	تلوّث سطح الماء	اللّوح الخشبي	التّعب والإعياء	
	المساعد	البحّارة	خبرته	Ø	Ø
	الموضوع	الجثّة	Ø	Ø	Ø
	المرسل إليه المؤوّل	سعيد	البحّارة	الأم	Ø
– البرنامج	المرسل	جثّة	السّلطات	Ø	Ø

السّردي للسّلطات الفرنسيّة	المحرّك	جندي فرنسي	الفرنسيّة		
	الذّات	المحكمة الفرنسيّة	السّلطات الفرنسيّة	Ø	Ø
	المساعد	المحكمة الفرنسيّة	المحقّق	Ø	Ø
	المعارض	المحامي	سعيد	Ø	Ø
	الموضوع	سجن ثلاث سنوات	Ø	Ø	Ø
	المرسل إليه المؤوّل	السّلطات الفرنسيّة	المحكمة الفرنسيّة	Ø	Ø
البرنامج السّردي المضاد للأم	المرسل المحرّك	الأم	الخوف	Ø	Ø
	الذّات	الأم	كاترين الحلوة	Ø	Ø
	الموضوع	منع سعيد من السّفر	Ø	Ø	Ø
	المساعد	كاترين الحلوة	الرّيس عبدوش	Ø	Ø
	المعارض	عناد	Ø	Ø	Ø

		سعيد			
	المرسل إليه المؤوّل	الأم	Ø	Ø	Ø
البرنامج السّردي المعرفي لسعيد (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة والبحث عنه)	المرسل المحرّك	غياب والده	البّحار العجوز	Ø	Ø
	الذات	سعيد	Ø	Ø	Ø
	المساعد	الرّيس عبدوش	الرّيس زيدان	البحّار العجوز	عمر الدّندي
	المعارض	الأم	كاترين الحلوة	الرّيس عبدوش	العاصفة والحرب
	الموضوع	البحث عن والده	Ø	Ø	Ø
	المرسل إليه المؤوّل	سعيد	Ø	Ø	Ø

ومن الجدول نستخلص ما يلي:

1/ تموضع العامل ضمن البرنامج السّردي .

2/ للعامل ممثّل أو أكثر.

3/ قد يكون الممثّل بشريّا أو مشيّأ أو طبيعيّا.

4/ قد يكون الممثّل مفردا مثل: (سعيد، والأم...) أو جماعيّا مثل: (البحّارة السّلطات الفرنسيّة، والعاصفة البحريّة...).

1-2- الاستقرار واللا استقرار العاملي:

هناك بعض العوامل السّرديّة تأخذ وضعيّة واحدة على المسار السّردي للبنية السرديّة للثّلاثيّة، وبعض العوامل السّرديّة الأخرى التي تنزلق من خانة إلى خانة أخرى، ولا تأخذ وضعيّة واحدة في المسار السّردي للبرامج السّرديّة ومن أمثلة الاستقرار العاملي نذكر:

1- عامل الذّات سعيد ← الذي أخذ وضعيّة واحدة من الوضعيّة البدئيّة للمسار السّردي إلى الوضعيّة النّهائيّة للبنية السّرديّة للثلاثيّة.

2- عامل المعارض الأم ← فالأم نجدها قد أخذت وضعيّة واحدة تتمثّل في (العامل المعارض) على طول المسار السّردي.

3- عامل الموضوع صالح حزوم ← الذي أخذ وضعيّة (الموضوع) في المرحلة الأولى وفي المرحلة الثّانيّة للمسّار السّردي.

ومن أمثلة اللاّ استقرار العاملي نجد ذلك في انزلاق بعض العوامل السّرديّة من خانة إلى خانة أخرى، ومن ذلك نستعين بالمثلّثات العامليّة التي اقترحتها آن أوبرسفالد كالآتي:

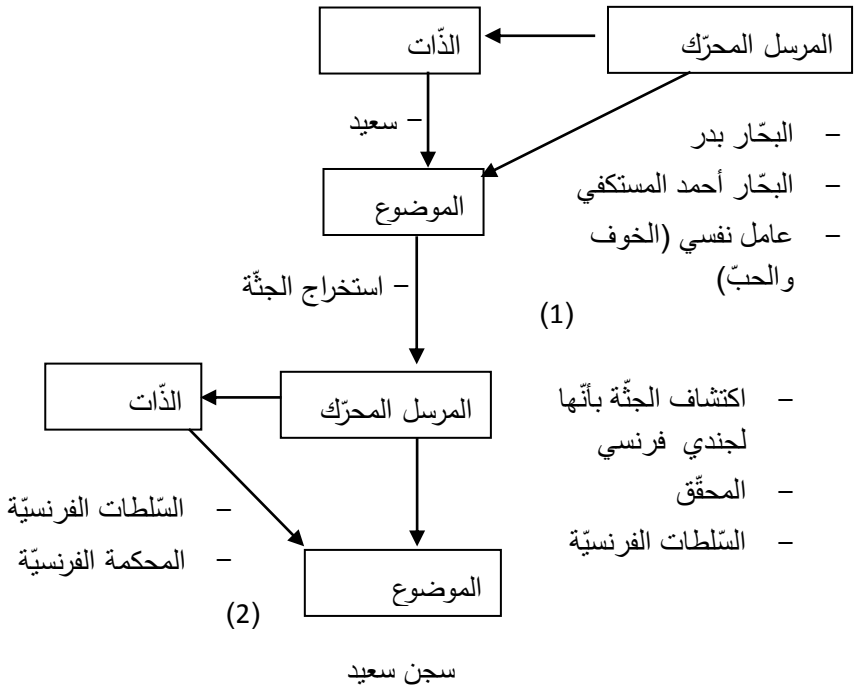

سجن سعيد

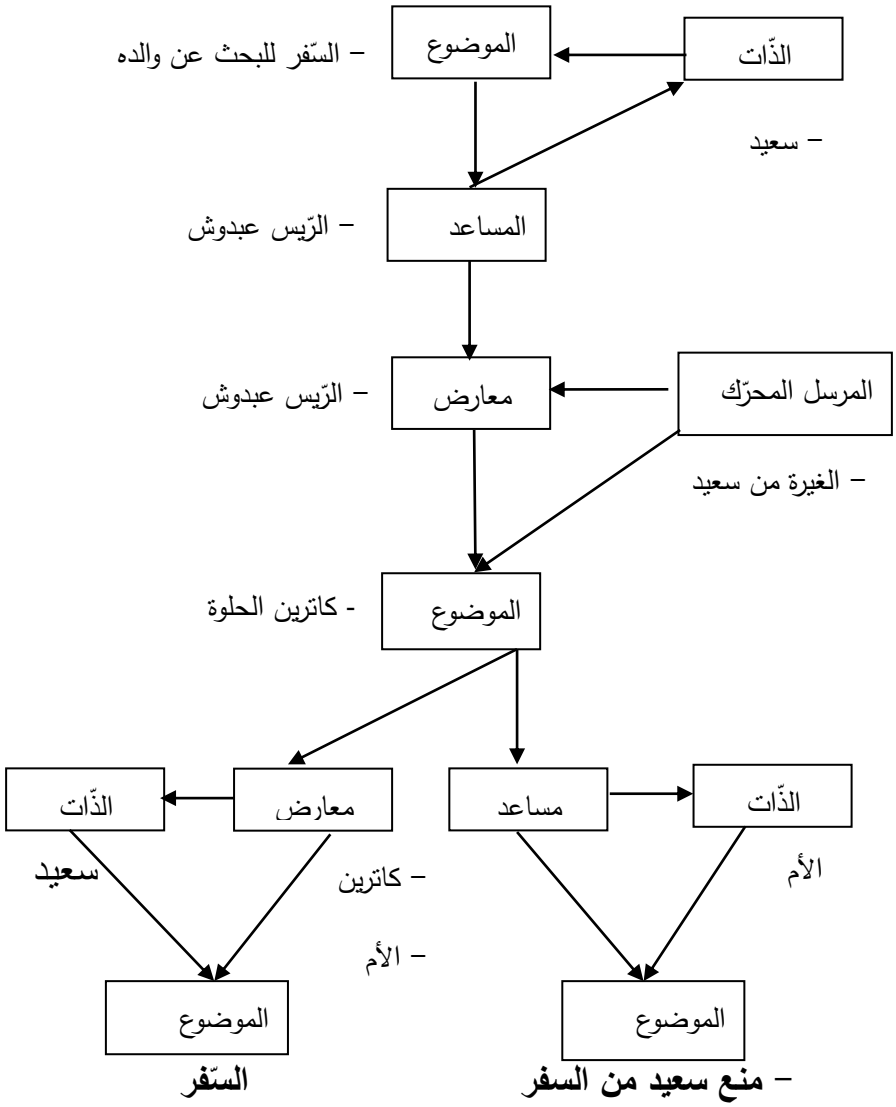

فالجثّة كممثّل تأخذ موضعين: الأوّل عامل (الموضوع) في البرنامج السّردي المعرفي "لسعيد" وذلك بالاعتقاد بأنّها لوالده، والموضع الثّاني تأخذ الجثّة موضع عامل (المرسل المحرّك) "للسّلطات الفرنسيّة" التي تكتشف

بأنّ الجثّة لبحّار"جندي فرنسي" فتقوم باعتقال "سعيد" وسجنه لثلاث سنوات ويمكن أن نوضّح ذلك كما في الشّكل الآتي:

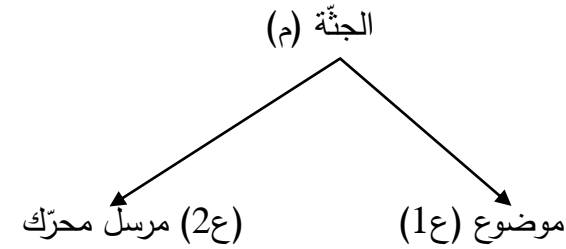

وكذلك نجد الممثّل "الرّيس عبدوش" يأخذ موضع عامل مساعد في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" نحو تحقيق موضوع (السّفر)، لكنّه ينزلق ويأخذ موضع عامل معارض لوجود العامل المرسل الاستهوائي (الغيرة) التي تحرّكه لقطع الحبل على الذّات "سعيد" لقتله وتحقيق الموضوع الفوز "بكاترين الحلوة"، وبذلك يأخذ الممثّل "الرّيس عبدوش" موضعين عامليين هما كالآتي:

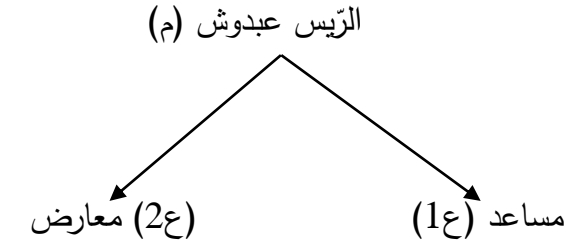

وكذلك نجد الممثّل "كاترين الحلوة" التي اتّخذت موضع عامل (الموضوع) لدى البرنامج السّردي للممثّل "الرّيس عبدوش"، وموضع عامل مساعد في البرنامج السّردي المضاد للأمّ لتحقيق موضوعها (منع "سعيد"

من السّفر)، وكما نجدها تأخذ موضع عامل معارض في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" (السّفر للبحث عن والده)، وبذلك فالممثّل "كاترين الحلوة" تأخذ موضع عوامل سرديّة يمكن توضيحها في الشّكل الآتي:

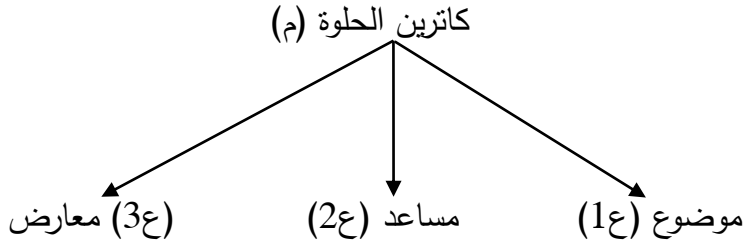

ونلاحظ في المثّلثات العامليّة وجود العامل الذي يستقطب عدّة ممثّلين ومن ذلك في البرنامج السّردي المعرفي "لسعيد" نحو تحقيق الموضوع (الاعتقاد بموت والده والبحث عن الجثّة)، إذ نجد المرسل المحرّك كلّ من (البحّار بدر والبحّار أحمد المستكفي، والعامل النّفسي المتمثّل في عاطفة الخوف والحزن والحبّ)، ويمكن أن نمثّل ذلك في الشّكل الآتي:

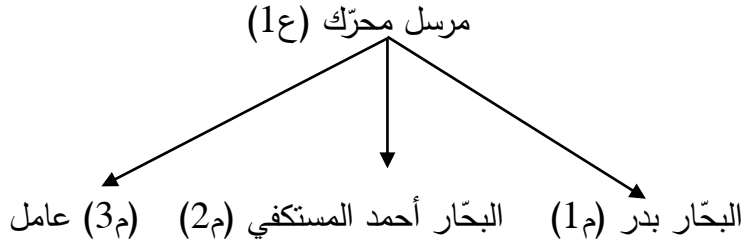

وفي البرنامج السّردي المضاد للممثّل "السّلطات الفرنسيّة" نجد العامل المرسل المحرّك كلّ من (المحقّق، والسّلطات الفرنسيّة)، وكذا عامل الذّات

كـلّ مـن (السّـلطات الفرنسـيّة، والمحكمـة الفرنسـيّة)، ويمكـن أن نوضّـح ذلك في الشّكل الآتي:

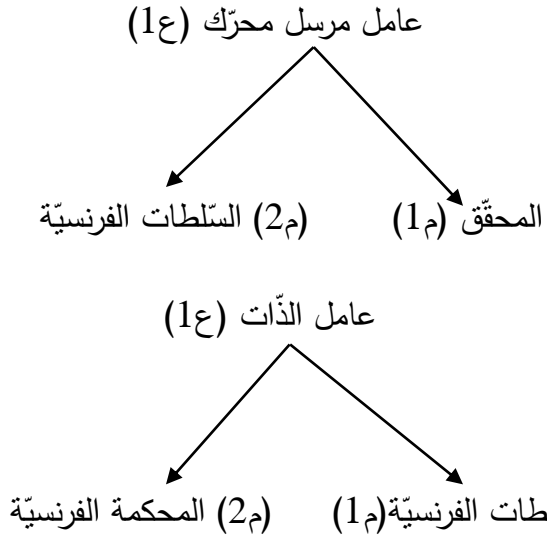

وفـي البرنـامج السّـردي المضـاد للممثّـل "الأم" نجـد العامـل المعـارض فيه يتوزّع على الممثّل (الأم، وكاترين الحلوة)، ويمكن أن نوضّح ذلك كالآتي:

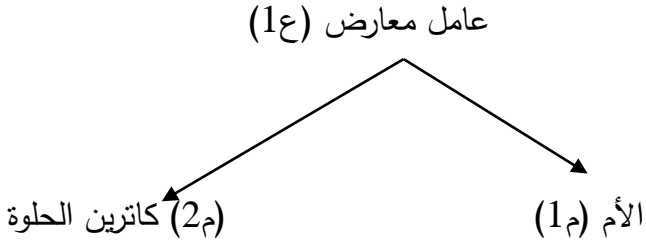

2-الدّور الاستهوائي للممثّل:

وكما حدّدنا الأدوار العامليّة للممثّل، فإنّه يمكن تحديد الأدوار التّوتريّة أو الاستهوائيّة، إذ قد يكون للممثّل دور استهوائي في توتير وتحريك الذّات نحو

تحقيق الموضوع، فغيّاب "صالح حزّوم" مثلا له دور استهوائي قويّ في توتير "سعيد" الذي شعر بهوى (الخوف، والحزن، والحبّ) أمّام تحقيق الموضوع (الاعتقاد بموت والده والبحث عن الجثّة) في المرحلة الأولى من المسار السّردي المساعد متحدّيا العامل الجماعي المعارض (تلوّث سطح الماء، واللّوح الخشبي، والإعياء والتّعب)، وكان "سعيد" في المرحلة الثّانيّة (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة والبحث عنه) مصمّما على السّفر، ومقاوما البرنامج السّردي المضاد (1) "للأم"، والبرنامج السّردي المضاد (2) "للسّلطات الفرنسيّة " وحتّى أجواء الحرب، ويمكن أن نوضّح الدّور الاستهوائي للممثّل "سعيد" أثناء غيّاب "صالح حزوم" كالآتي:

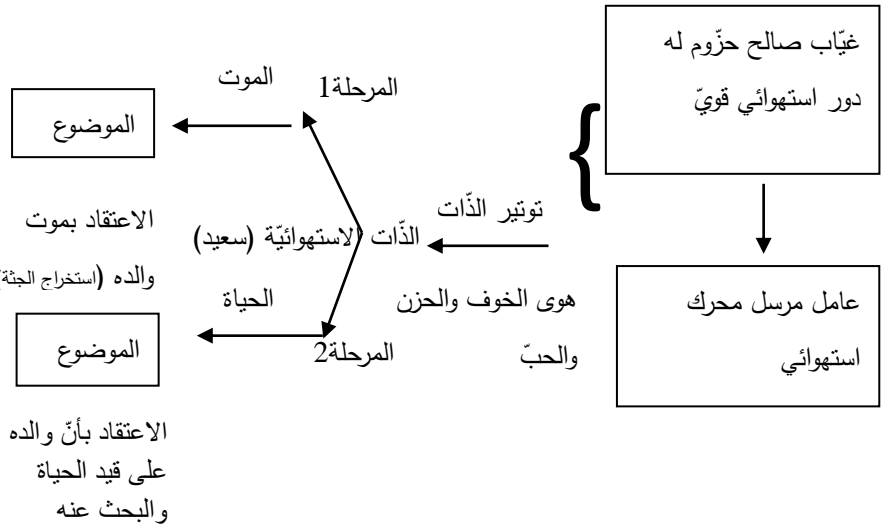

وكما نجد عاطفة الخوف تحرّك الأم نحو تحقيق الموضوع (منع سعيد من السّفر). ويمكن أن نحدّدها كالآتي:

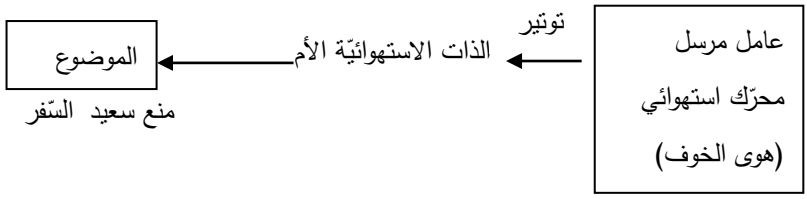

ونجد هوى الغيرة التي تحرّك الذّات "الرّيس عبدوش" نحو تحقيق الموضوع (قطع الحبل لقتل سعيد)، كما في الشّكل الآتي:

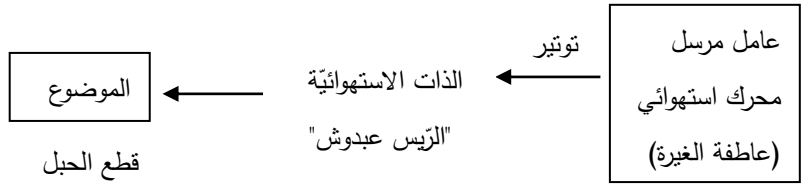

ويمكن أن نستخلص الأدوار الاستهوائية للممثلين كما في الجدول الآتي:

الممثّل	العامل	الدّور الاستهوائي
– البحّار أحمد المستكفي	**مرسل استهوائي**	– محرّك استهوائي في توتير الذّات سعيد.
– البحّار العجوز	**مرسل استهوائي**	– محرّك استهوائي في توتير الذّات وتشجيعه على السّفر.
– عمر الدّندي	**مرسل استهوائي**	– محرّك وله دور استهوائي في تشجيع الذّات سعيد وبثّ الأمل من جديد.
– كاترين الحلوة	**مساعد استهوائي**	– في توتير الذّات سعيد وإصابته بأزمة نفسيّة.

ومن الجدول نجد المرسل المحرّك الاستهوائي يضمّ في كلّ مرّة ممثّلا (البحّـار المسـتكفي، وعمـر الدّنـدي، والبحّـار العجـوز)، ويمكـن أن نوضّـح ذلك كالآتي:

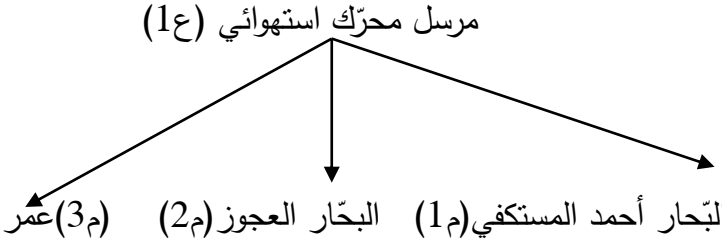

وأمّـا فـي البرنـامج السّـردي المعرفـي "لسـعيد" فـي المرحلـة الأولـى نحو تحقيق الموضوع (الاعتقاد بموت والده والبحث عنه)، فإنّ المرسل المحرّك الاسـتهوائي ينشـطر بـين (هـوى الخـوف، والحـزن، والحـبّ)، ويمكـن أن نمثّـل ذلك كالآتي :

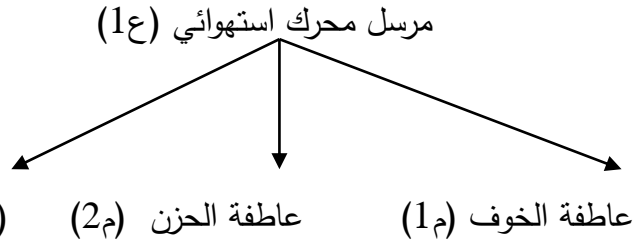

وعليـه فقد حاولنـا الوقـوف علـى الأدوار العامليّـة، والأدوار الاسـتهوائيّة للممثّـل ودراسـتها مـن خـلال البـرامج السـرديّة فـي التّركيبـة السّـرديّة للثلاثيّـة وكما للممثّل دورا عامليّا (وضعيّة في البرنامج السّردي) في المستوى السّردي فإنّ لـه دورا تيماتيكيّا مـن خـلال (تلاحـم المسـارات التّصـويريّة) فـي المسـتوى

الخطابي، ولعلّ الدّور العاملي والدّور التّيماتيكي هما وضعيّتان للممثّل في سيميائيّة العمل، أمّا في سيميائيّة الأهواء، فيأخذ الممثّل الدّور الباتيمي وعليه سنحاول الوقوف على الدّور التّيماتتيكي والدّور الباتيمي للممثّل انطلاقا من تحديد الصوّر اللّكسيميّة والمسارات التّصويريّة للممثّلين في الثّلاثيّة.

ثانيّا: الصّور والمسارات التّصويريّة:

1- الصّور:

تعدّ الصّور تلك الوحدات الحكائيّة المتتابعة[1]؛ حيث «تأخذ الصّور مفاهيم وتصوّرات يوردها المعجم على شكل مفردات لغويّة للتّعبير عن رؤية مشتركة تجسّد النّواة المركزيّة التي تحوم حولها تلك المفاهيم، فالصّور مفردات لغويّة للتّعبير عن رؤية مشتركة، فهي تظهر وكأنّها جملة من المسارات الخطابيّة المحتملة بما أنّها تجسيد يجمع بصفة أكثر أو أقلّ حدثيّة لسيميمات مختلفة تقدّم المفردة المعجميّة وكأنّها نتاج للقصّة أو للاستعمال قبل أن تكون نتاجا للبنية»[2]، فالمفردة المعجميّة (العين) على سبيل المثال تأخذ المفهوم الأوّل بأنّه البصر (عضو) الذي يتيح الكائن الحيّ النّظر إلاّ أنّ المفردة تحمل معاني مختلفة بحسب السّياق الذي ترد فيه فيؤدّي في سيّاق معنى (الجاسوس) وفي آخر معنى (النّفيس) وفي آخر معنى (مصدر الماء)

---

[1]– Voir, Groupe D’Entrevernes, Analyse S’Emiotique Des Textes p: 89.

[2]– ينظر: نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية،ص80.

وإذا أمعنّ النّظر في هذه المفاهيم جميعا لاحظنا أنّها تنتظم حول صوّر جوهريّة مشـتركة جماعهـا دائريّـة الشّـكل والشّـفافيّة والرّؤيـة، ويطلـق "غريمـاس" عليها الصّورة النّواتيّة (Sème Nucléaire) محدّدا إيّاها بقوله: (إنّها الصّورة الأساسيّة المنطويّة على إمكانيّات تعبيريّة ماثلة بالقوّة وميسّرة تحقيق مسارات معانميّة (Parcours Sémémiques) في سيّاق الخطاب ...)[1]، «ويؤكّد "غريمـاس" أنّ اللّفـظ لا يكـاد يسـتعمل فـي صُـوَرِهِ مجتمعـة مطلقـا فـي ملفـوظ ذلك أنّ (كلّ ملفوظ باعتباره بسطا لمحور دلالـي معيّن ليس سوى استغلال جزئـيّ جـدّا لرصـيد الاحتمـالات المسـتكنة فـي الوحـدات اللّغويّـة المسـتعملة والتـي تظلّ مـع ذلك مواصلة وجودها بـالقوّة ومسـتعدّة للانبعـاث بمجرّد القيّام بعمليّة التّذكر...)»[2].

وسنقف على دراسة الصّور اللّكسيميّة، والوحدات التّصويريّة للمسارات التّصويريّة انطلاقا من ضبط الوحدات المعنويّة (السّيم والسّيميم، واللّكسيم).

2- الصورة اللكسيمية:

تتحدّد الوحدات المعنويّة الصّغرى في البنية السّرديّة للثّلاثيّة انطلاقا من وجود مفاهيم يتّخذها المحلّل السّيميائي كأدوات إجرائيّة في الكشف عن الجانب الدّلالي المحايث، ومن هذه المفاهيم (السّيم، والسّيميم، واللّكسيم).

---

[1]- ينظر:عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس ص76.

[2]- المرجع نفسه، ص77.

«فالسّيم هو أصغر وحدة دلاليّة»[1] والسّيميم هو المحتوى السّيمي للّكسيم فبتلاحم جملة من السّمات تشكّل المسار السّيمي للّكسيم أو مجموعة السّمات التي تشكّل مدلول هذا اللّكسيم[2]. «ويعدّ اللّكسيم (Lexème) مجموع الوحدات المعنويّة الصّغرى (المعانم) التي تشكّل مدلول اللّكسيم (مفردة مجرّدة) والتي يمكن ترجمتها بـ "مأْصل" (جذر الكلمة)، ولربّما ترجمتها بعض القواميس اللّسانيّة إلى مفردة (مجرّدة).. ويشرحه كلّ من **برنارد بوتيي** (B.Pottier) و"**غريماس**" (Greimas) بأنّه (إذا كانت المعانم (Sèmes) س1، س2 س3، .. س ن. تؤلّف المحتوى للّكسيم (أ) مأصل فإنّ المفهم (Le Sémème) س لِ (أ) هيّ: س= (س1، س2، س3.. س ن.) هكذا مفهم الكرسي هي: (للجلوس، بأرجل، مع ظهر، دون عضدين ...إلخ) بمعنى المفهم كوحدة مجرّدة للدّلالة تتضمّن عدّة معانم ثابتة (Constant) ومعانم متغيّرة (Variable)»[3].

وقد أشار "غريماس" في كتابه (Sémantique Structurale) إلى التّمظهر السّيمي من خلال المقولة السّيميائيّة، وكان ذلك في جدول يحدّد نتائج أوليّة مجرّدة تكشف عن حيّز الوحدات المبنيّة على ضرورة معرفة الدّلالة

---

[1]– جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، تر: عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 206.

[2]– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص 169.

[3]– عبد الجليل مرتاض،التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010، ص76.

وتعميق فهم حدود دقّة المفاهيم المعرفيّة المؤسّسة كأدوات إجرائيّة (نحو تحديد السّيمي) وهذا الجدول كالآتي[1]:

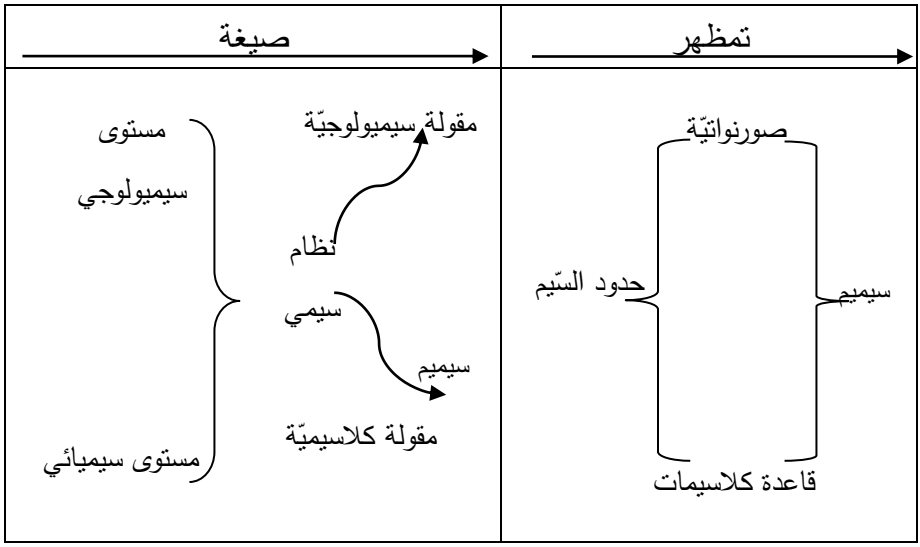

ويمكن ضبط الوحدات المعنويّة الصغرى في الثّلاثيّة باستخلاص الصورة اللّكسيمية انطلاقا من تحديد السّيم* والسّيميم، إذ يمكن أن نعتبر كلّ من "صالح حزّوم" و"سعيد حزوم" لكسيمان لهما سيمات مشتركة، تتمثّل في أن كلا منهما (بحارٌ)، وأنّ كلا منهما يحبّ (البحر وكاترين الحلوة) في حين أنّ هناك سيما مختلفا متمثّل في علاقة الأوّل "صالح حزّوم" بالثّاني "سعيد حزّوم" وهي (الأبوّة) في حين علاقة الثّاني بالأوّل علاقة (بنوة) ومنه يمكن أن نأخذ صورة (البحّار) للممثّل "سعيد" (كلكسيم نواتي) تقوم

---

[1]– voir, ALgirds, Julien Greimas, S'emantique Structurale Rrcherche de M'ethode, p: 54.

* ***ملاحظة:*** تمت دراسة واستخلاص السيم انطلاقا من المعنى الكامن في الملفوظ إذ يصبح السيم كمؤشر مقارب لمعنى السيميم.

علـى مسـار سـيميمي يتمثّـل فـي (المجازفـة، والعنـاد، والتّصـميم، والشّـجاعة والتّحـدي) ويتشـكّل السّـيميم مـن سـيمات متلاحمـة مثـل: سـيميم (المجازفـة) كمـا فـي الملفـوظ «**ألقيـت نفسـي إلـى التّهلكـة، وهـل أنـا الـذي أقـدمت علـى البحـث**»[1] والـذي يحمـل سـيم (مغـامر)، وكـذا سـيميم (العنـاد) كمـا فـي الملفـوظ «**لـيس قبـل أن أعثـر عليـه،...لن أبـرح البـاخرة..**»[2] والـذي يحمـل سـيم (العـزم)، والسّـيميم (التّصـميم) فـي الـنّص «**لـن أتراجـع هـذا قـراري، سأسـافر وأبحـث عنـه، هـذا واجبـي**» [3]، والـذي يحمـل سـيم (الإصـرار)، والسّـيميم (الشّـجاعة) من خـلال السّـياق «**واندفع بعزم، غيـر آبـه بـالمطر والـرّيح...**» [4]، والـذي يحمـل سـيم (منـدفع)، والسّـيميم (التّحـدّي) وذلـك أثنـاء مقاومـة وتحـدّي "سـعيد حـزّوم" لأجـواء الحـرب العالميّـة الثّانيّـة حيث قرّر السّفر على الرّغم من غلق الميناء من خلال النّص «**لماذا أغلـق البحر...سأسافر، سأسافر، سأسافر...**» [5]، الذي يحمل سيم (المقاومة).

فبـتلاحم هـذه السّـيمات تتجسّـد لنـا السّـيميمات (المجازفـة، والعنـاد والتّصـميم، والشّـجاعة، والتّحـدي) التـي تشـكّل صـورة اللّكسـيم النـواتي (البحّـار) ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 305.

[2]– المصدر نفسه، ص 324، 325.

[3]– المصدر نفسه، ص 324.

[4]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 327.

[5]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص59.

اللّكسيم	البّحار				
السّيميم	المجازفة	العناد	التّصميم	الشّجاعة	التّحدي
السّيم	–"ألقيت نفسي إلى التّهلكة". السيم: (*مغامر*). –"وهل أنا الذي أقدمت على البحث". السّيم: (غير مصدق)	–"ليس قبل أن أعثر عليه". السّيم: (*العزم*)	–"لن أتراجع هذا قراري". السّيم (إصرار)	–"واندفع بعزم، غير آبه بالمطر والرّيح". السّيم: (*مندفع*)	– "لماذا أغلق البحر سأسافر سأسافر" (*مقاومة*)

ويمكن أن نحدّد الصورة اللّكسيميّة (الخداع) للممثّل "الرّيس عبدوش" كلكسيم نواتي، حيث تقوم صورة (الخداع) كلكسيم نواتي على تضافر جملة من السّيمات هي: (الاستبداد، الإذلال، المكر)، ويضمّ السّيميم (الاستبداد) كما في الملفوظ: (**كالسّيد مع أجرائه، يوجه لهم أوامره، صرخ بأوامره هو الحاكم..**) والذي يحمل السّيمات (المتسلّط، والآمر، والحاكم)، ويشتمل السّيميم (الإذلال) كما في النّص «**الرّيس لا يعرفه هنا، نسيّ أنّه ابن صالح**

حـزّوم، أو لعلّـه لأجـل ذلـك يرمـي إلـى إذلالـه...» [1] السّيمات (يتجاهل يستصغر، يُذّل). ويضمّ السّيميم (المكر) كما في النّص «**كانت السّكين معه... وشـيء كالنّـار يبـرز مـن عينيـه... قطـع الحبـل..**»[2] جملـة مـن السّيمات هي (متسلّح، حاقد، غدر).

ويمتظهـر السّـيم بتشـكّل السّـيمات لصـورة اللّكسـيم النّـواتي (الخـداع) للممثّل "الرّيس عبدوش"، ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

اللّكسيم	**الخداع**		
السّيميم	الاستبداد	الإذلال	المكر
السّيم	- "كالسّـيد مـع أجرائـه". السـيم: (*متسلط*). - "يوجّه لهم أوامره صـرخ بـأوامره". السيم: (*الآمر*) - "هـو الحـاكم" السيم: (*الحاكم*)	- "الـرّيس لا يعرفـه هنا". السيم: (*التّجاهل*). - نسـيّ أنّـه ابـن "صـالح حـزوم". السّيم: (*الاستصغار*) - "أو لعلّـه لأجـل ذلك يرمي إلى إذلاله السّيم: (*إذلال*)	- "كانت السّكين معـه". السّـيم: (*متسّلح*). - "وشـيء كالنّار يبـرز مـن عينيـه" السيم: (*حاقد*). - "قطـع الحبـل السّيم: (غدر).

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 306.

[2]– المصدر نفسه، ص 333.

3- المسارات التصويرية:

يقوم المسار التّصويري على وجود مجموعة من الوحدات التّصويريّة المتلاحمة في شكل الحقول الدّلاليّة التي اعتمدت عليها الأبحاث في بنية «الحمول الكامنة للصوّر المأصليّة كما هي موصوفة في القاموس مثل: المأصل "عين" المحلّل من طرف "باتريك شارودو" (Patrick charaudeau) أو مستخرجة من نصّ المتجانس مثل: "القلب" في كتاب "جان أوديس" (Jean Eudes) ومنه فإنّ هذه الصّور ليست مغلقة على نفسها لكنّها تمدّ في كلّ لحظة مساراتها المفهميّة ملتقيّة ومرتبطة مع صوّر أخرى تمّت لها بالقرابة مكوّنة معها مجموعات صوريّة لها تنظيمها الخاص مثل: صورة (الشّمس) التي ينتظم حولها حقل صوري يضمّ (أشعّة ضوء، هواء، شفافيّة، عتمة، سحاب..)، وعليه فإذا ما كانت الصّور المأصليّة تتجلّى أساسا في إطار الملفوظات تتجاوز بسهولة هذا الإطار وتقيم شبكة صوريّة علائقيّة تغطى متواليّات كاملة وتشكّل منها تجسيدات خطابيّة..»[1] ومنه نجد "غريماس" يعرّف المسار التّصويري بأنّه: «مجموعة صور متلاحمة يشدّ بعضها بعضا ويحيل بعضها على بعض، فالسّيارة والقطار والحافلة والطّائرة تؤلّف مسارا صوريّا يحمل عنوان (وسائل النّقل)»[2] فالوحدات الصوريّة تجتمع في شبكة علائقيّة مشكّلة مسارا تصويريّا لصورة ما.

---

[1]- أ.ج.غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص 43، 44.

[2]- عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص79، 80.

وعلى هذا الأساس سنحاول الوقوف على دراسة المسار التّصويري للممثّلين في الثلاثيّة كالآتي:

3-1- الممثل "سعيد" والمسار التصويري:

يتحدّد المسار التّصويري للممثّل "سعيد" من خلال سلسلة البرامج السّرديّة للثّلاثيّة من المرحلة الأولى (البرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" والموضوع (الاعتقاد بموت والده)، إلى المرحلة الثّانيّة، والتي كانت حول البرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد" والموضوع (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة) والأمل في العثور عليه في البرنامج الاستهوائي له، ويمكن تحديد المقاطع التي ورد فيها المسار التّصويري للممثّل "سعيد" من المرحلة الأولى كالآتي: «**اتّجهت يمينا نزلت إلى قاع العنبر (...) شعرت بثقل الماء حول أذني أوشك نفسي على النّفاذ تحمّلت الضّغط، زدت من اندفاعي (...) صعدت عموديّا، أنا فوق الماء، وفتحت فمي كسمكة تموت ... وهرع البحّاران لنجدتي**»[1] (...) «**انقضت دقائق قبل أن يهدأ خفقان قلبي ..**»[2] (...) «**صرت أغوص وأخرج إلى السّطح بسهولة..**»[3] (...)،«**انطلقت على سطح الباخرة ... سبحت قليلا على ظهري... وبقفزة واحدة صرت تحت الماء...غصت في خطّ مستقيم**»[4].

---

[1]- ينظر: حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 315.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- المصدر نفسه، ص328.

[4]- المصدر نفسه، ص 334.

فالمقـاطع التّصـويريّة تكشـف لنـا مشـهدا تصـويريّا لعمليّـة الغطـس والغوص والبحث تحت المـاء لاستخراج الجثّة، ولعلّ المسار التّصويري يقوم علـى وجـود تشـكيلة مـن الوحـدات التّصـويريّة تشـكّل مسـارا تصـويريّا لعمليّـة استخراج الجثّة للممثّل "سعيد"، ويمكن أن نوضّح ذلك كما في الجدول الآتي:

المسار التّصويري	استخراج الجثّة
الوسيلة	← الغطس والغوص.
الوحدات التّصويريّة	← اتّجهت يمينا نزلت إلى قاع العنبر انطلقت على ارتفاع خفيف. ← شعرت بثقل الماء حول أذني... ← تحمّلت الضّغط زدت من اندفاعي. ← صعدت عموديّا... أنا فوق الماء وفتحت فمي... ← انقضت دقائق(...) استرحت. ← صرت أغوص وأخرج بسهولة. ← انطلقت على سطح الباخرة. ← سبحت قليلا على ظهري... وبقفزة واحدة صرت تحت الماء. غصت في خطّ مستقيم.

وكقراءة للجدول نلاحظ تضافر الوحدات التّصويريّة لتشكّل لنا صورة لعمليّة الغطس والغوص، وهذه العمليّة تكرّرت مع الذّات "سعيد" مرّات عديدة حيث استغرقت ساعات وأيّام حتّى اكتشفت الذّات الجثّة وقامت باستخراجها.

وأمّا في المرحلة الثّانيّة للمسار السّردي في الثّلاثيّة، نجد فيها الممثّل "سعيد" يقوم بالسّفر والإبحار للبحث عن والده، وتجلّت هذه المهمّة في البرنامج السّردي المعرفي للذّات سعيد والموضوع (الاعتقاد أنّ والده على قيد الحياة) والأمل في العثور عليه في البرنامج الاستهوائي له. ولنجاح ذلك تقوم الذّات بإنجاز برامج سرديّة مساعدة متتاليّة لتحقيق الموضوع (السّفر والبحث عن والده)، ومنه كانت البرامج السرديّة المساعدة كالآتي:

- البرنامج السّردي المساعد(1): السّفر على مركب "الرّيس عبدوش".
- البرنامج السّردي المساعد(2): السّفر على مركب "الرّيس زيدان".
- البرنامج السّردي المساعد(3): السّفر على باخرة (كاسل).

ومنه تتحدّد المسارات التّصويريّة للممثّل "سعيد" من خلال عمليّة الإنجاز في هذه البرامج السّرديّة المساعدة، إذ نجد في البرنامج السّردي المساعد(1) السّفر على مركب "الرّيس عبدوش" تتحدّد الوحدات التّصويريّة للمسار التّصويري للممثّل "سعيد" كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: « **...والدي سيعود ...عليّ أن أبحث عنه ...أنا مسافر مع الرّيس عبدوش ...مركبه جديد وضخم كوني مطمئنّة...**»[1]، «**عليّ أن أبحث عن والدي ...**»[2] (...) «**كانا رجلين يحبّان امرأة واحدة على ظهر مركب واحد أحدهما يتعذّب بالفراق والآخر يتعذّب بالشّك، وكان انطلاق المركب في الثّلث الأوّل من اللّيل فيصلا بين ما قبل وما بعد**»[3] (...) «**في الوهلة الأولى للإبحار كان الرّيس عبدوش**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص273.

[2]– المصدر نفسه، ص278.

[3]– المصدر نفسه، ص304.

على الدّفة ناور لإخراج المركب من الميناء وصرخ بأوامره في توجيه الأشرعة وشدّ الحبال»[1] **(...) «سار المركب في عرض البحر متهاديّا...»**[2] **(...) «صار يقوم بالحراسة وبتسويّة القلوع والرّقابة من أعلى الدّقل»**[3].

ويمكن تحديد الوحدات التّصويريّة للمسار التّصويري من هذه المقاطع السّرديّة كما في الجدول الآتي:

من البرنامج السّردي المساعد(1)	
المسار التّصويري	السّفر والإبحار للبحث عن والده.
الوسيلة	على مركب الرّيس عبدوش.
الوحدات التّصويريّة	← عليّ أن أبحث عنه... ← أنا مسافر مع الرّيس عبدوش... مركبه جديد وضخم. ← عليّ أن أبحث عن والدي... ← وكان انطلاق المركب في الثّلث الأوّل من اللّيل فيصلا بين ما بعد. ← في الوهلة الأولى من الإبحار كان الرّيس عبدوش على الدّفة ناور لإخراج المركب من الميناء. وصرخ بأوامره في توجيه الأشرعة... ← سار المركب في عرض البحر متهاديّا... ← صار يقوم بالحراسة وبتسويّة القلوع والرّقابة من أعلى الدّقل.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص304.

[2]– المصدر نفسه، ص 305.

[3]– المصدر نفسه، ص314.

تتضافر الوحدات التّصويريّة لتشكّل المسار التّصويري للممثّل "سعيد" أثناء إصراره على السّفر مع "الريس عبدوش" كما في الوحدات التّصويريّة **(أنا مسافر مع الرّيس عبدوش، مركبه جديد وضخم).**

وفي البرنامج السّردي المساعد (2) السّفر على مركب "الرّيس زيدان" نجد الممثّل "سعيد" يسافر مرّة ثانيّة لتحقيق الموضوع (البحث عن والده) وذلك بالسّفر مع "الرّيس زيدان" كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**غدا أبحر أجل سأبحر!... سأعمل مع الرّيس زيدان...**»[1] (...)، «**في المدينة صراع في البرّ، صراع في البحر، صراع الشّواطئ غير آمنة... ظهرت الغوّاصات الألمانيّة...**»[2] (...)، «**أخطأت حين فكّرت بعدم السّفر، صار الرّيس زيدان مندفعا الآن يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف يناصر ألمانيا علنا، ينفق الأموال الطّائلة يساعد البحّارة العاطلين عن العمل... وحتّى البضائع التي يشحنها على مركبه لا أعرف إلاّ أنّها صناديق لا أدري ما بداخلها وقد أصبح يسافر كثيرا...**»[3] (...)،«**... ففي إحدى سفراتنا على طول الشّواطئ باتّجاه مصر نسفت غوّاصة مجهولة (وقيل إنّها إنكليزيّة) المركب قتل الرّيس زيدان، وبعض بحّارته... نجوت مع النّاجين...**»[4].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص84.

[2]– المصدر نفسه، ص135.

[3]– المصدر نفسه، ص 138.

[4]– المصدر نفسه، ص 140.

ومن المقاطع السّرديّة نستخلص الوحدات التّصويريّة المشكّلة للمسار التّصويري (سفر سعيد مع الرّيس زيدان) كما في الجدول الآتي:

من البرنامج السّردي المساعد (2)	
المسار التّصويري	السّفر والإبحار للبحث عن والده.
الوسيلة	السّفر على مركب الرّيس زيدان.
الوحدات التّصويريّة	← في المدينة صراع في البرّ، صراع في البحر صراع الشّواطئ غير آمنة... ← ظهرت الغوّاصات الألمانيّة... ← أخطأت حين فكّرت بعدم السّفر... ← الخطأ وقع في السّفر، والصّواب يأتي من السّفر. ← صار زيدان مندفعا الآن، يتكلّم عن ميوله السّياسيّة... دون خوف يناصر ألمانيا علنا... ← وحتّى البضائع التي يشحنها على مركبه لا أعرف إلاّ أنّها صناديق.. ← في إحدى سفراتنا على طول الشّواطئ باتّجاه مصر... ← نسفت غواصة مجهولة المركب...

تتلاحم الوحدات التّصويريّة في الجدول لتشكّل المسار التّصويري، سفر الذّات "سعيد" مع "الرّيس زيدان"، ومن المؤشّرات السّميائيّة الدّالة على ذلك وجود الوحدات التّصويريّة التّاليّة: **(الخطأ وقع في السّفر، والصّواب يأتي من السّفر... وحتّى البضائع التي يشحنها على مركبه لا أعرف**

إلاّ أنّها صناديق، في إحدى سفراتنا...)، وهي دالّة على كثرة سفر "سعيد" مع "الرّيس زيدان" لمرّات عديدة. وفي البرنامج السّردي المساعد (3) السّفر على (باخرة كاسل) نجد الممثّل "سعيد" يتعرّف على "عمر الدّندي" الذي بدوره يشجّعه على السّفر والعمل على الباخرة، فيتشجّع "سعيد" ويسافر معه على الرّغم من رفض والدته سفره ونجد ذلك كما ورد في المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**... قلت لها سأسافر... أعمل وأربح وأبحث عن والدي ...**»[1] (...) «**لا زمت عمر خلال أسابيع... اتفقنا على السّفر...**»[2]، «**نحن الآن بحّارة على الباخرة (كاسل) حمولتها 25 ألف طن تعمل بين أوربا وأمريكا. انتهى عهد المراكب أنا الآن بحّار في باخرة وسنبحر إلى مسافات بعيدة إلى مرافئ شهيرة...**»[3].

وتحمل هذه المقاطع السّرديّة مسارا تصويريّا، يمكن توضيحه في الجدول الآتي:

من البرنامج السّردي المساعد (3)	
المسار التّصويري	السّفر والإبحار للبحث عن والده.
الوسيلة	السّفر مع عمر الدّندي على باخرة كاسل.
الوحدات التّصويريّة	← سأسافر أعمل وأربح، وأبحث عن والدي...

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 214، 215.

[2]– المصدر نفسه، ص 212، 213.

[3]– المصدر نفسه، ص 220، 221.

	← لازمت عمر خلال أسابيع... ← اتّفقنا على السّفر. ← نحن الآن بحّارة على الباخرة كاسل حمولتها 25 ألف طن. ← تعمل بين أوربا وأمريكا. ← سنبحر إلى مسافات بعيدة... ← إلى مرافئ شهيرة...

توضّح الوحدات التّصويريّة تشكيل المسار التّصويري للممثّل "سعيد" (نحو السّفر والإبحار للبحث عن والده)، وذلك انطلاقا من المؤشّرات السّيميائيّة التّاليّة: **(سأسافر أعمل، وأربح وأبحث عن والدي، لازمت عمر، اتّفقنا على السّفر، نحن الآن بحّارة على الباخرة (كاسل) سنبحر إلى مسافات بعيدة)**، وهيّ مؤشّرات دلاليّة للوحدات التّصويريّة تحدّد لنا الصّورة النّواة وهيّ (السّفر للبحث عن والده). وفي دراسة المسار التّصويري ننتقل من الممثّل "سعيد" إلى الممثّل "الأم" وتحديد المسار التّصويري لها في موقفها الرّافض للسّفر والذي يتكرّر مع "سعيد".

3-2- الممثل "الأم" والمسار التّصويري:

يتشكّل المسار التّصويري للممثّل "الأم" من خلال تتبع البرنامج السّردي المضاد نحو تحديد الموضوع (منع سعيد من السّفر)، وكانت "الأم" ترفض فكرة سفر ابنها "سعيد"، إذ تمثّل عاملا معارضا في البرنامج السّردي المعرفي للذّات "سعيد"، وفي البرامج السّرديّة المساعدة كما في المقاطع السّردية الآتيّة:

«– سأسافر يا أمي: فوجئت وقد انقلبت سكينتها إلى توتّر سألت قلقة:

– إلى أين يا سعيد؟.

– سأسافر في البحر مع الرّيس عبدوش (...)

– قالت نائحة: يا ولي... تسافر كما سافر أبوك؟

– أسافر للبحث عنه...»[1] (...) «– علي أن أبحث عن أبي.

– أبوك مات... مات أنت ستلحق به (...) آه يا ربي! قالتها وانفجرت بالبكاء»[2] (...) «أنا أقول لن تسافر... يكفي فجيعتي بواحد (...) لن تسافر (...) انتصبت كأنّ نابضا دفعا إلى الأعلى، تقدّمت منه بوجه مكفهرّ ومن عينيها يتطاير الشّرر. صفعته بقوّة...»[3]. فالمسار التّصويري للممثّل "الأم" يستخلص من عمليّة الإنجاز لمنع الذّات "سعيد" من السّفر وفي ذلك نجد إستعمالها لوسائل مختلفة لتحقيق موضوعها، وعليه كان المسار التّصويري للممثّل "الأم" يتجسّد من خلال تلاحم وتتابع الوحدات الصّوريّة لتشكّل صورة رفضها لسفر ابنها "سعيد"، ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 271.

[2]– المصدر نفسه، ص 273.

[3]– المصدر نفسه، ص 271، 272.

المسار التّصويري	منع سعيد من السّفر
الوسيلة	محاولة الإقناع
الوحدات التّصويريّة	← سأسافر يا أمي. فوجئت تنبّه إحساس الأم إلى خطر مقبل... ← انقلبت سكينتها إلى توتّر... ← إلى أين يا سعيد... ← سأسافر مع الرّيس عبدوش... ← يا ويلي تسافر كما سافر أبوك؟. ← أسافر للبحث عنه... ← هل ترفض رجائي... ← أبوك مات وأنت ستلحق به... ← آه يا ربي قالتها وانفجرت بالبكاء... ← أنا أقول لن تسافر... يكفي فجيعتي بواحد. ← لن تسافر... ← انتصبت كأنّ نابضا دفعها إلى الأعلى تقدّمت منه بوجه مكفهر ومن عينيها يتطاير الشّرر، صفعته بقوّة...

تحدّد الوحدات التّصويريّة صورة المسار التّصويري لوضعيّة "الأم" التي ترفض فكرة السّفر، وذلك من خلال حوارها مع ابنها، ولعلّ من مؤشّرات الرّفض **(أقول لن تسافر، لن تسافر...)**، وتصميمها على الرّفض مستخدمة وسائل مساعدة لذلك التّرجي، ثمّ البكاء، ثمّ باستخدام القوّة، فانتهت في المسار التّصويريّ كما في الوحدات التّصويريّة المعبّرة عن غضبها **(انتصبت**

كـأن نابضـا...عينيها يتطـاير الشّرر...صـفعته بقـوّة...). إلاّ أنّهـا تفشـل فـي ذلـك ونجـدها تسـتخدم وسـيلة أخـرى لتحقيـق الموضـوع (منـع "سـعيد" من السّفر) وذلك بطلب المساعدة من "كاترين الحلوة" كما في المقاطع السّرديّة:

«وكانـت أمّـه مصمّمة أيضـا سـأرى كـاترين الحلـوة مـن كـل بـدّ ربمّـا استطاعت إقنـاع زوجها بـالتّخلي عن سعيد قد تـأتي وتقنعـه بنفسـها ...»[1] **(...) «فـي اليـوم التّـالي حصلت علـى عنـوان "كـاترين" (...) قالـت لكـاترين الحلوة:**

- **لا أريده أن يسافر...**
- **ولا مع الرّيس عبدوش ...**
- **لا مع الرّيس عبدوش ولا سواه (...).**
- **أريد أن تقنعيه...**
- **أقنعه بترك البحر؟.**
- **بترك السّفر فقط...».**[2]

ويمكن استخلاص الوحدات التّصويريّة للمسار التّصويري (منـع "سعيد" من السّفر) للممثّل "الأم" كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 275.

[2]– المصدر نفسه، ص 275،276.

المسار التّصوري	منع سعيد من السّفر.
الوسيلة	كاترين الحلوة.
الوحدات التّصويريّة	← سأرى كاترين الحلوة. ← ربّما استطاعت إقناع زوجها بالتّخلي عن سعيد. ← قد تأتي وتقنعه بنفسها. ← حصلت على عنوان كاترين الحلوة. ← قالت لكاترين الحلوة (لا أريده أن يسافر). ← أريدك أن تقنعيه. ← أقنعه بترك البحر. ← بترك السّفر فقط.

تُشكل الوحدات التّصويريّة المسار التّصويري للممثّل "الأم" حيث يجسّد لنا وضعيّة رفضها لسفر ابنها "سعيد" مرّة ثانيّة. ولكن في هذه المرّة تستعين بعامل مساعد "كاترين الحلوة" حيث اتّخذتها كوسيلة، وذلك بإقناع "كاترين" زوجها "الرّيس عبدوش" بعدم اصطحاب "سعيد" معه.

3-3- الممثل السلطات الفرنسية والمسار التصويري:

بعد أن اكتشفت "السّلطات الفرنسيّة" أنّ الجثّة لبحّار"جندي فرنسي" ومعرفة من قام باستخراجها من الباخرة الغارقة، قام الممثّل الجماعي "السّلطات الفرنسيّة"، باعتقال سعيد وتعذيبه كما في الملفوظ: «**فقد قادوني إلى النّظارة**

وعذّبوني كثيرا كي أخبرهم أين والدي ...»[1]، ثمّ قامت السّلطات بسجنه لمدّة ثلاث سنوات كعقوبة له، وهذا ما أصدرته المحكمة الفرنسيّة، التي كانت عاملا مساعدا للممثّل "السّلطات الفرنسيّة"، ولعلّ السّبب الحقيقي في ذلك، هو تعذيب الابن "سعيد" ومعاقبته بدلا من والده الغائب "صالح حزّوم"، والذي كانت السّلطات تبحث عنه طويلا، حيث اختفى بعد مشاركته في مظاهرة وقتله لبعض الجنود الفرنسيين، وبعد عمليّته في استخراج تكنات الغاز من الباخرة الغارقة لإنقاذ أهل الحيّ من الجوع والفقر الذي سبّبته الأزمة الاقتصاديّة.

وهذا ما نجده في المقاطع السّرديّة الآتية: «**واعتقلوني ثانيّة قلت للمحقّق كل هذا لكنّه لم يقتنع، أمر بسجني، وفي هذه المرّة توسّع معي في التّحقيق وفتح دفتر الجثّة الغريبة واعتبروني مسؤولا عن بحّار فرنسي غريق ...»**[2] (...)، «**ودافع عني أحد المحامين العرب، ودافعت عن نفسي ما استطعت لكن المحكمة كانت فرنسيّة، وكانت فرنسا تستعمر سورية وتريد الانتقام من أبنائها، فحكم عليّ بالسّجن ثلاث سنوات**»[3].

وبذلك سنحاول الوقوف على المسار التصويري للممثل الجماعي "السلطات الفرنسية" من خلال استخلاص الوحدات التصويرية لصورة الاعتقال، وسجن "سعيد" كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 41.

[2]– المصدر نفسه، ص 41، 42.

[3]– المصدر نفسه، ص 42.

المسار التّصويري	دخول سعيد إلى السّجن
الوسيلة	اكتشاف الجثّة بأنّها لبحّار فرنسي
الوحدات التّصويريّة	← قادوني إلى النّظارة وعذّبوني كثيرا كي أخبرهم أين والدي... ← اعتقلوني ثانيّة... ← أمر بسجني... ← توسّع معي في التّحقيق وفتح دفتر تلك الجثّة الغريبّة. ← واعتبرني مسؤولا عن بحّار فرنسي غريق. ← أنت مسئول عنها... ← أحالني إلى المحكمة... ← حكم عليّ بالسّجن ثلاثة سنوات.

تتوالى الوحدات التّصويريّة لتشكل صورة المسار التّصويري لوضعيّة الاعتقال والتّعذيب ثمّ اتّهام "سعيد" بأنّه مسؤولا عن الجثّة وإحالته إلى المحكمة الفرنسيّة التي حكمت عليه لمدّة (ثلاث سنوات) في السّجن، وكما تحدّد لنا الوحدات التّصويريّة وضعيّة التّقابل الدّلالي بين طرفين هما: المهيمن (السّلطات الفرنسيّة) مؤشّرا للقوّة، والمهيمن عليه "سعيد" مؤشّرا للضّعف.

3-4- الممثل "الريس عبدوش" والمسار التصويري:

لقد برز الممثّل "الرّيس عبدوش" الذّات (2) في البرنامج السّردي المساعد (1) للذّات (1) "سعيد"، وكان في البداية يمثّل عاملا مساعدا لسفر

"سعيد"، إلاّ أنّ هوى الغيرة غيّر من طباعه، إذ أصبح أثناء الرّحلة يمثّل عاملا معارضا، للذّات "سعيد"، وكان السّبب في ذلك الصّراع حول الموضوع (كاترين الحلوة)، فزادت الغيرة من غضب واستبداد الذّات (2) "الرّيس عبدوش"، وأثناء غرق المركب كان الذّات (2) "الرّيس عبدوش" يبيت المكيدة للذّات (1) "سعيد" وذلك للتخلّص منه ويمكن ملاحظة ذلك كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: **«في الوهلة الأولى للإبحار كان الرّيس عبدوش على الدّفة ناور لإخراج المركب من الميناء وصرخ بأوامره في توجيه الأشرعة وشدّ الحبال، انقلب من ذلك الهدوء الذي عرف به على البرّ إلى كتلة من أعصاب مستنفرة...»**[1]، (...) **«تعلّق سعيد بحبل السنبوق وألقى بنفسه في الماء (...) لكن الرّيس عبدوش كان واقفا مع المركب الذي يغرق وكانت السّكين معه، وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه رفع يده وانتظر... مدّها وانتظر... وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل وهو يفح كالأفعى: – لنغرق معا يا سعيد أنت في البحر وأنا على ظهر المركب، هكذا تتحقّق العدالة بيننا...»**[2].

ومن المقاطع السّرديّة يمكن ضبط المسار التّصويري للممثّل "الرّيس عبدوش" كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 304.

[2]– المصدر نفسه، ص 332، 333.

المسار التّصويري	المكيدة
الوسيلة	السّكين
الوحدات التّصويريّة	← في الوهلة الأولى للإبحار كان الرّيس عبدوش على الدّفة...صرخ بأوامره.. ← انقلب من ذلك الهدوء الذي عرف به على البرّ إلى كتلة من الأعصاب مستنفرة... ← تعلّق سعيد بحبل السنبوق وألقى نفسه في الماء... ← لكن الرّيس عبدوش كان واقفا على المركب الذي يغرق. ← وكانت السّكين معه. ← وشيء كالنّار يبرز من عينيه. ← والغيرة قد وشحت وجهه كلّه. ← رفع يده وانتظر... ← وحين صار سعيد في منتصف الطرّيق... قطع الحبل.

كان "الرّيس عبدوش" يريد التّخلص من الذّات (1) "سعيد" بقطع حبل النجّاة عليه، لإغراقه في البحر، ولقد شكّلت الوحدات التّصويريّة في تلاحمها صورة (المكيدة) التي كان "الرّيس عبدوش" يبيتها "لسعيد" بقطع الحبل عليه كما في الوحدات التّصويريّة (**رفع يده وانتظر...، وحين صار سعيد في منتصف الطّريق... قطع الحبل**). وكما أنّ هذا المسار التّصويري للممثّل

"الرّيس عبدوش" يحدّد لنا مسار الذّات الاستهوائيّة ضمن الوحدة التّصويريّة **(الغيرة وشحت وجهه كلّه)**.

ثالثا: الدّور التّيماتيكي والباتيمي للممثّل:

وكما حدّدنا الدّور العاملي والدّور الاستهوائي للممثّل في المستوى السّردي فإنّ علينا أن نحدّد الدّور التّيمي والباتيمي للممثّل في المستوى الخطابي. ولعلّ من خلال تحديد المسارات الصّوريّة للممثّل يمكن استخلاص الأدوار التّيماتيكيّة وأمّا الدّور الباتيمي فكما في علاقته بالدّور العاملي فإنّه يتحدّد من خلال الدّور الاستهوائي، ومنه «يبدو الدّور الباتيمي في علاقته بالدّور العاملي الذي يخضع تسلسله لتتابع الاختبارات أو المهام المنجزة والخبرة في ذلك باعتباره جزءا من مسار عاملي. وذلك من خلال التّركيب الكيفي الذي سيحتاج إلى التّلفّظ من أجل بلورة الخطاب لهذه الأجزاء القائمة بشكل مسبق»[1]. بمعنى أنّ هناك تداخلا وعلاقة بين المسار العاملي والمسار الاستهوائي في التّركيبة السّرديّة أثناء عمليّة الإنجاز، وهناك علاقة بين الدّور التّيماتيكي أو التّيمي (الغرضي)، والدّور الباتيمي في التركيبة الخطابيّة من خلال المواصفة والتّلفّظ الخطابي للذّات الاستهوائيّة، ومنه سنقف على ضبط الأدوار التّيميّة والباتيميّة للممثّلين الأساس في الثّلاثيّة كالآتي:

---

[1]– ينظر: ألجيرداس جوليان غريماس وجاك فونتانيبى، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 223.

1- الدور التيماتكي والباتيمي للممثل "سعيد":

يتحدّد الدّور التّيمي للممثّل "سعيد" من خلال تلاحم المسارات التّصويريّة التي استخلصت من الدّور العاملي للممثّل "سعيد" في المسار السّردي، والدّور الباتيمي من خلال عمليّة التّلفّظ للذّات الاستهوائيّة أثناء عمليّة الإنجاز، وكذا البحث عن المواصفة للدّور التّيمي والباتيمي للممثّل، ولعلّ الدّور التّيمي للممثّل "سعيد" يتحدّد من فعل السّفر والإبحار وعشقه للبحر ولوالده (فهو حياته)، وهو دور البحّار «**فالبرّ كان ملعبنا، كان جارنا ورفيقنا كان جزءا من حياتنا، وكثيرا ما تصوّرت نفسي كبيرا، أرتدي ملابس البحر كوالدي**»[1] (...)، «**وكم كنت مفتونا بوالدي، وأريد أن أصبح بحّارا مثله**»[2]. فالملفوظ السّردي يحدّد رغبة "سعيد" في أن يكون بحّارا مثل أبيه، وهذا من خلال قوله: **(أريد أن أصبح بحّارا مثله)** ويتحدّد الدّور التّيماتيكي للممثّل "سعيد" من خلال تلاحم الوحدات التّصويريّة لصورة البحّار وهي كالآتي:

1- المجازفة:

نجد الممثّل "سعيد" قد اندفع إلى الباخرة الغارقة للبحث عن جثّة والده على الرّغم من وجود تلوّث على سطح الماء، كما في الملفوظ: «**أتساءل وقد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث هل أنا الذي أقدمت على البحث عن جثّة والدي في باخرة الشّحن الغارقة تلك؟، وكيف ألقيت نفسي**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 236.

[2]- المصدر نفسه، ص 237.

إلى التّهلكة مدفوعا بعاطفة كبيرة نصفها ناشئ عن شعور البنوة، ونصفها الآخر ناجم عن الإعجاب بذلك البحّار الذي كانه؟»[1].

2- العناد:

ونجد سمة العناد لدى الممثّل "سعيد" أثناء محاولة البحارة منعه من الغطس ليرتاح، إلاّ أنّه كان عنيدا وقرّر المتابعة بالرّغم من تعبه وإرهاقه كما في المقطع السّردي الآتي: «- **وهذا الإرهاق الذي يهدّ قواك؟.**

- **سأتحمّله...**
- **لا تكن عنيدا....أقلع عن المحاولة....**
- **ليس قبل أن أعثر عليه.....**
- **أنت تخاطر بحياتك....»**[2].

3- التصميم:

ويتمظهر التّصميم كصفة لدى الممثّل "سعيد " في المرحلة الأولى أثناء محاولة "سعيد" استخراج الجثّة كما في الملفوظ «**لن أتراجع قبل العثور عليه، وهذا قراري..**»[3]. وأيضا نلاحظ صفة التّصميم لدى الممثّل في المرحلة

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 305.

[2]- المصدر نفسه، ص 324، 325.

[3]- المصدر نفسه، ص 324.

الثّانيّة، وذلك أثناء إصراره وتصميمه على السّفر للبحث عن والده نحو قوله: «**سأسافر، بأيّ شكل وأبحث عنه.... هذا واجبي...**»[1].

4- الشجاعة:

حيث نجد "سعيد" قد اختار لنفسه مهمّة صعبة أثناء حادثة العاصفة التي أغرقت مركب "الرّيس عبدوش"، وذلك بالقيّام بفصل الصّاري عن الدّقل من خلال قطع الحبل، كما في المقطع السّردي: «..**صعد على السّلم الحبلي (...) وضع السّكين** في **فمه واندفع بعزم إلى الأعلى غير آبه بالمطر والرّيح... راح مع تأرجح المركب يتدلّى في الفضاء تارة وبين الأعمدة طورا (...) بقيّ كذلك ساعة كاملة، أدرك أنّ مهمّته ليست باليسر الذي تخيّله....**»[2].

5- التحدي:

ونلحظ ذلك من خلال تحدّيه لأجواء الحرب حيث أغلقت السّلطات الميناء، ومنعت السّفر والإبحار، وهذا لم يقف أمام إصراره وتحدّيه للأجواء الصّعبة وعزمه في مواصلة البحث عن والده كما في الملفوظ الآتي: «**... نحن على أبواب الحرب.**

- أيّة حرب هذه.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 271.

[2]- المصدر نفسه، ص 327.

- الحرب العالميّة الثّانيّة...

-.... لماذا أغلق البحر (...) سأسافر...سأسافر...سأسافر...»[1].

ومنـه فـإنّ الوحـدات التّصـويريّة لمفهـوم تيمـة **(المجازفـة، والعنـاد والتّصـميم، والشّـجاعة، والتّحـدي)** تتضـافر لتشـكّل الصّـورة النّـواة **(البحّـار)** إذ أنّ هذه التّيمـات تشكّل لنـا القّيم التـي يجب أن يتحلّـى بهـا الممثّل "سـعيد " كبحار، وهو الدّور التّيماتيكي له.

1-2- الدور الباتيمي:

إذا كـان للبعد الاسـتهوائي دور فـي حركيّـة عامـل الـذّات أثنـاء عمليّـة الإنجاز، فإنّه قد يتبلور كسمات ووحدات أثناء عمليّة تلفّظ الممثّل فـي المستوى الخطـابي، فالتّلفظ يعبّر عمّـا فـي الذّات من هوى الغضـب أو الحزن أو الفرح مـثلا، والتـي تتحـدّد كونهـا باتيمـات بمختلـف مواقـف الممثّـل "سـعيد" تتعاضـد لتشكّل الـدّور البـاتيمي الأسـاس، وهـو **(هـوى الحـبّ)** الـذي كـان لـه دورا قويّـا في تحريك الممثّل نحو عمليّة الإنجاز، وذلك في إصراره وتصميمه على السّفر للبحـث عـن والـده، إذ كـان والـده هـو حياتـه، ماضـيه، وحاضـره، ومسـتقبله ومنـه سـنحاول رصـد جملـة مـن العواطـف للممثّـل بـاختلاف مواقفـه مـن خـلال الملفوظ الآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 59.

1- عاطفة الخوف: نلحظ هذه العاطفة لدى الممثّل "سعيد" أثناء سماع خبر غرق والده وبأنّه لا يزال في الباخرة الغارقة من طرف البحّار "أحمد المستكفي" كما في الملفوظ: «**صحّت وقد ارتعدت لفكرة غرقه ضربت على رأسي انفجرت باكيّا وشرعت أركض باتجاه الباخرة....**»[1]، وتبدو مؤشرات الخوف من خلال الوحدات (**صحت، وارتعدت، وضربت على رأسي وانفجرت باكيّا، وأركض...**) وهي أفعال لدى الذّات المنجزة، معبرٌ عنها بوحدات في خطاب سردي.

2- عاطفة الحبّ: ونجد عاطفة الحبّ ظاهرة لدى الممثّل من خلال شعوره تّجاه "والده" و"كاترين الحلوة" و"البحر"، حيث سيطرت عاطفة الحبّ على "سعيد" وزادت من تصميمه على البحث عن والده في مختلف الموانئ من المدن، وما زال هاجس إيجاد والده على قيد الحياة في مكان ما يلازمه طوال حياته، إذ نجده يقول: «- **والدي حيّ، وأنا ذاهب للبحث عنه.....**

- **أنت تبحث عن وهم...**

- **أنا أبحث عن حقيقة...**»[2].

3- عاطفة الحقد: وتتمظهر عاطفة الحقد لدى الممثّل "سعيد" أثناء استخراج الجثّة من الباخرة الغارقة، فانفتحت ذاكرته، واستعاد مشاعر الحقد على السّلطة «**استعدت مشاعر الحقد على السّلطة، كنت بحاجة إلى هذه**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 296.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 407.

المشاعر، الحقد على العدوّ وقود داخلي، جسمي بحاجة إلى هذا الوقود لقد قاوم والدي السّلطة بما استطاع مات شهيدا في سبيل الحيّ»[1]. فكانت مشاعر الحقد عاملا مساعدا لدى الذّات "سعيد" في عمليّة الإنجاز، واستخراج الجثّة التي كان يعتقد بأنّها لوالده.

4- عاطفة الأمل: وتتمثّل في شعور الممثّل "سعيد" بعاطفة أمل مرتبطة بجانب إيجابي نحو المجهول، وذلك حين اكتشف بأنّ الجثة ليست لوالده فبثّ فيه ذلك روح الأمل في العثور على والده على قيد الحياة، وبقي هذا الشّعور يلازمه دائما حتّى سيطر عليه، ونجد ذلك في الملفوظ السّردي: «**فيما أن أحدق في الجثّة الغريبة... لم يلبث الأمل أن فاض في الذّات وخدعها كانت ذاتي مستعدّة لأن تخدع ما دام ذلك يعيد إليها الرّجاء....كنت في سريّ أمارس أملا في ألاّ يكون فيها** »[2] (...) «**...لم أعثر على جثة والدي...معنى هذا أن الأمل لن ينقطع....**»[3]. وهو الأمل الذي بقي يخدعه طوال حياته.

5- عاطفة الحزن: وتستبّد بالممثّل "سعيد" عاطفة الحزن والخوف أثناء سماع خبر غرق والده، وبأنّه في الباخرة الغارقة، وأثناء الغوص والغطس لمرّات عديدة يرى زوالا تحت الماء، ثم يجد جثّة، فيعتقد بأنّها لوالده، فينتابه شعور بالحزن الشّديد، كما في قوله: « **...أي شعور ينتاب المرء حين يعرف بأنّ أباه**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 327.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 15، 16.

[3]- المصدر نفسه، ص 20.

قـد مـات !؟....»[1]. ومنـه تجتمـع هـذه الباتيمـات الاسـتهوائيّة مـن عاطفـة **(الخوف، والحبّ، والحقد على فرنسا، والأمل والحزن)** لتشكّل الدّور الباتيمي الأساس للممثّل، وهو حبّ الابن القويّ لوالده الذي جعله يواصل رحلته نحو تحقيق الموضوع (البحث عن والده) متجاهلا وضع والدته وعائلته حيث جعل نصب عينيه الهدف المنشود وهو (البحث عن والده)، متمسكا بأمل كاذب يقوده إلى رحلته نحو الوهم في العثور على والده الغائب، متجاهلا والدته وعائلته وهي الحقيقة الحاضرة أمامه، فكان الاهتمام بموضوع والده المفقود والميّت وعدم الاهتمام بوجود والدته وعائلته، فحبّه كان لوالده الذي سيطر عليه، ومنه فقد كان شعور الذّات الاستهوائيّة "سعيد" بعاطفة حبّ قويّة تدفعها إلى السّفر والبحث متجاهلة كلاّ من حولها .

2- الدور التيماتيكي والباتيمي للممثل "الأم":

2-1- الدور التيماتيكي:

يتحدّد الدّور التّيماتيكي للممثّل "الأم" من خلال تجمّع المسارات التّصويريّة القائمة على الوحدات التّصويريّة، إذ أن للممثّل "الأم" برنامجا سرديّا مضادا نحو تحقيق الموضوع (منع سفر "سعيد")، وكان الدّافع والمحرّك لهذا البرنامج المضاد ذا طابع استهوائي متمثّلا في (عاطفة الخوف) على "سعيد" فكان دور هوى الخوف توتير الذّات الاستهوائيّة الأم لرفض سفر ابنها "سعيد" ويتم هذا الدور الباتيمي من خلال تجلّي الصّور الآتيّة:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 335.

1- الإقنـــاع: وذلـك مـن خـلال محاولـة إقنـاع الأم ابنهـا بعـدم السّـفر كما في المقطع السّردي: «**قالت نائحة: يا ويلي تسافر كما سافر أبوك؟.**

- أسافر للبحث عنـه (...)، والدي لم يغرق...سأسافر وأبحث عنـه... هذا واجبي. - وأنا أقول لن تسافر...يكفي فجيعتي بواحد.....»[1].

2- مساعدة "كـاترين الحلـوة": وبعد فشل "الأم" فـي إقنـاع ابنها بالعدول عـن السّـفر، قـرّرت الـذّهاب إلـى "كـاترين الحلـوة" وطلـب مسـاعدتها فـي ذلـك كما في النّص الآتي: «**كانت كاترين مشفقة كادت تبكي وهي ترى أمامها أمّا تبكـي**»[2]. فطلبـت مـن زوجهـا "الـرّيس عبـدوش" بتأجيـل اصـطحاب "سـعيد" معه إلى السّفرة القادمة.

ومنـه يحـدّد الـدّور التّيمـاتيكي صـورة رفـض "الأم" لسـفر ابنهـا "سـعيد" وذلـك مـن خـلال محاولـة إقناعـه وبمسـاعدة "كـاترين الحلـوة" إذ انتهـى البرنـامج السّردي المضاد "للأم" كما في المستوى السّردي بالنّجاح، وذلك بتأجيل السّفر.

2-2- الدور الباتيمي:

يقـوم الـدّور البـاتيمي (الاسـتهوائي) بتحريـك الممثّـل "الأم" نحـو تحقيـق الموضـوع (منـع سـعيد مـن السّـفر)، ويتشـكّل هـذا الـدّور مـن خـلال تضـافر الباتيمات من عاطفة (**الخوف، والكره، والحزن، والغضب**) وهـي باتيمـات تشكّل

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 271، 272.

[2]- المصدر نفسه، ص 276.

الدّور الاستهوائي الأساس خوف "الأم" من فقدان ابنها "سعيد " مثل أبيه ويمكن تحديد هذه الباتيمات كالآتي:

1- الخــوف: وتظهر مؤشّرات خوف "الأم" على ابنها حين يخبرها عن رغبته في السّفر كما في النّص: «- **سأسافر يا أمي: فوجئت، تنبه إحساس الأم إلى خطر مقبل، انتصبت في جلستها وقد انقلبت سكينتها إلى توتّر...»**[1]، وأيضا نلحظ التّوتر والخوف من خلال حوارها معه: «**قالت نائحة: يا ويلي.... تسافر كما سافر أبوك؟.**

- أسافر للبحث عنه.

- تضيع مثله....»[2].

فشعرت "الأم" بتوتّر مفاجئ وقلق أثناء سماعها لفكرة سفر "سعيد" وهذا سببه خوفها الشّديد على فقدانه مثلما فقدت والده، ممّا دفعها إلى طلب مساعدة "كاترين الحلوة"، ومن مؤشّر خوفها على ابنها ما نجده في حوارها مع "كاترين الحلوة": «- لا **أريده أن يسافر (...)** .

- الولد سرّ أبيه.

- كيف؟ هل أدعه يغرق كأبيه؟ (...).

-....أريد أن تقنعيه....

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 270.

[2]- المصدر نفسه، ص 271.

- أقنعه بترك البحر؟

- بترك السّفر فقط...»[1].

2- الغضب: وذلك من خلال صراخ "الأم "على ابنها، وصفعه لعدم إقناعه بحديثها، ولإصراره على السّفر كما في النّص: «**انتصبت كأنّ نابضا دفعها إلى الأعلى تقدّمت منه بوجه مكفهر، ومن عينيها يتطاير الشّرر صفعته بقوّة دهشت هي نفسها كيف واتتها صاحت:**

- قلت لن تسافر»[2].

3- الكره: نجد كره "الأم" للبحر متجذّرا في وجدانها؛ وذلك لأنّه أخذ منها زوجها "صالح حزّوم"، وهيّ الآن تخشى أن يأخذ منها ابنها أيضا إذ نجدها تقول لابنها "سعيد": «**... أقول لن تسافر...يكفي فجيعتي بواحد.....البحر أخذ نصيبه منّا... فريضته علينا انتهت فماذا يريد أكثر؟ - البحر غدّار، البحر عدوّ...لا تفكّر في السّفر»**[3].

وتحدّد هذه الباتيمات وضعيّة "الأم" التي تزيد من شدة خوفها على "سعيد"، ولعلّ الدّور الباتيمي أو الاستهوائي (عاطفة الخوف) يزيد من توتير وتفعيل الذّات الاستهوائيّة "الأم" نحو إصرارها على موقف رفض السّفر.

---

[1]- حنا مينة الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 275، 276.

[2]- المصدر نفسه، ص 272.

[3]- المصدر نفسه، ص 271، 272.

ومنه نجد أن الدّور التّيماتيكي للممثّل "الأم" في رفض سفر الممثّل "سعيد" من خلال المسار التّصويري محاولة إقناعه، وأيضا بوجود العامل المساعد "كاترين الحلوة"، ولعلّ وجود العامل النّفسي المتمثّل في البعد الاستهوائي من خلال الدّور الباتيمي المتضافر من أهواء باتيمية "للأم" من عاطفة قلق، وتوتّر، وغضب، وكره، وخوف تساعد في توتير الذّات الاستهوائيّة "الأم" نحو تحقيق الموضوع منع "سعيد" من السّفر، وما يساعدها أيضا أنّها صدقت بموت "صالح حزوم" غرقا في البحر وأنّ عاطفة الأمومة وحبّها وخوفها على ابنها تجعلها ترفض فكرة السّفر. فالجانب النّفسي يظلّ في كينونة الذّات الاستهوائيّة "الأم"، ويدفعها إلى الفعل، فيتمظهر في البرنامج السّردي المضاد للممثّل "سعيد"، بمنعه من السّفر. ولعلّ رفض "الأم" نابع من موقفها تّجاه صورة البحر، فهيّ تكرهه لكونه مرتبطا بجانب مؤلم (غرق زوجها "صالح حزّوم")، وعليه فإنّ نظرتها للبحر نظرة سلبيّة، فهو (موضوع سلبي)، أمّا بالنّسبة إلى ابنها "سعيد" فهو يحبّه لكونه كاتم أسراره وأحزانه ومن خلاله يصل إلى والده في أحد المرافئ، فنظرته إليه نظرة إيجابيّة، فالبحر (موضوع إيجابي)، ويمكن توضيح هذا التّقابل في الخطاطة الآتيّة:

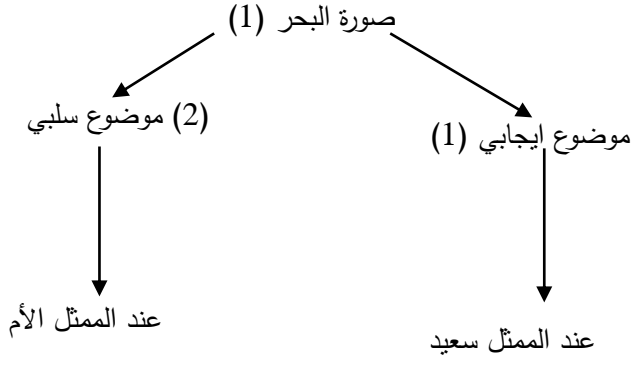

3- الدور التيماتيكي والباتيمي للممثل "الريس عبدوش":

يتحدّد الدّور التّيماتيكي للممثّل "الرّيس عبدوش" من خلال تعاضد المسارات الصوريّة، والتي تتمّ بوجود الوحدات الصوريّة التي تتمظهر للمسار التّصويري لفعل الممثّل، ويمكن تحديد الدّور التّيماتيكي والباتيمي كالآتي:

3-1- الدور التيماتيكي:

يقوم الدّور التّيماتيكي بتلاحم التيمات التي تحدّد صورة للممثّل "الرّيس عبدوش" كالآتي:

1- **الاستبداد:** كان "الرّيس عبدوش" على مركبه في البحر وفي تعامله مع البحّارة كالسيّد مع أجراءه، يوجّه لهم أوامره في إخراج المركب وتوجيه الأشرعة ومن ذلك الملفوظ السّردي: «.. **في الوهلة الأولى للإبحار كان الرّيس عبدوش على الدّفة ناور لإخراج المركب من الميناء، وصرخ بأوامره في توجيه الأشرعة وشدّ الحبال...**»[1].

نجد أيضا مؤشّرا لوجود الاستبداد أثناء تذكر "سعيد" كلمات "قاسم" حين قال له: «**الرّيس ربّ عمل، والبحّارة أجراء، إنّه أجير لا أكثر(...) في الميناء كان عبدا لصاحب الزورق، وهنا عبد لصاحب المركب....**»[2] **(..) «الرّيس كان طيبا على البرّ... البرّ غير البحر...هو الحاكم هنا...»**[3].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 304.

[2]- المصدر نفسه، ص 306.

[3]- المصدر نفسه، ص 309.

2- الإذلال: يسعى "الرّيس عبدوش" إلى إذلال "سعيد" على المركب، حيث تجاهله في البداية، ثمّ كلّفه بمهام معيّنة لإذلاله كبحّار مبتدئ على المركب أمام البحّارة: «...**الرّيس لا يعرفه هنا، نسيّ أنّه ابن صالح حزّوم، أو لعلّه لأجل ذلك يرمي إلى إذلاله (...) شدّ الحبال الثخينة بين سطح المركب والصواري، وبين الصواري ذاتها ورفع القلع إلى الأعلى، أو فتحه أفقيّا عمليّة مضنية**»[1].

3- المكر: ويبرز المكر في خداع "الرّيس عبدوش" أثناء غرق المركب الممثّل "سعيد " إذ أوهمه بحسن النيّة والخير تجاهه وبالبقاء في المركب الغارق لوحده باعتباره الرّيس، إذ أظهر عكس ما يخفيه من شرّ له كما في المقطع الآتي: «**قال الرّيس عبدوش هادئا:**

- **الرّيس عبدوش لا يخاف الموت يا سعيد.... تذكّر هذا قله أيضا لوالدك الذي تبحث عنه. فقال سعيد: - أعرف لكن هناك من ينتظرك..**
- **لينتظر ما شاء.**
- **أهذه كلمتك الأخيرة؟**
- **ليس لديّ سواها....**
- **وداعا إذن...**
- **وداعا....**»[2].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 306.

[2]- المصدر نفسه، ص 332.

غير أنّ "الرّيس عبدوش" كان يبيت "لسعيد" مكيدة؛ حيث كان يحمل السّكين معه، وقام بقطع الحبل لكي يغرق "سعيد" في البحر كما في الملفوظ: **«تعلّق سعيد بحبل السنبوق وألقى بنفسه في الماء كان الذين في الزّورق يشدّون الحبل ليتمكّن سعيد من التّعلق به والوصول إليه لكن الرّيس عبدوش كان واقفا مع المركب الذي يغرق وكانت السّكين معه، وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه صار سعيد في منتصف الطّريق قطع الحبل»**[1]. ومنه تشكّل لنا هذه التّيمات صورة تحدّد الدّور التيماتيكي للممثّل "عبدوش" الذي يقوم على مفهوم الخداع فهو بحّار مستبّد ومخادع، ولعلّ المساعد في إبراز هذا الدّور للممثّل "سعيد" هو وجود الدّور الباتيمي الذي يقوم على أساس الغيرة، وهذه الأخيرة ساعدت في توتير الذّات الاستهوائيّة على محاولة قتل "سعيد"، وذلك بإغراقه في البحر.

3-2- الدور الباتيمي:

يتحدّد الدّور الباتيمي (الغيور) للممثّل "عبدوش" انطلاقا من وجود باتيمات ساهمت في تلاحمها إلى إبراز وإظهار عاطفة الغيرة التي كان لها دورا استهوائيّا في توتير وتفعيل الذّات الاستهوائيّة نحو عمليّة الإنجاز المتمثّلة في قطع الحبل على الممثّل "سعيد" لإغراقه، ومن الباتيمات المساهمة فيها نذكر:

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 333.

1- الشك:

كانت اللّحظة الأولى لشكّ "الرّيس عبدوش" في زوجته أثناء حديثها معه عن "سعيد" وإقناعه للمرة الثّانيّة بعدم اصطحاب "سعيد" معه حيث صدمه طلبها، وبدأ يشكّ فيها «- **أريد أن تبقي سعيد هنا، في الميناء صدمه الطّلب...**

لماذا تريدينه أن يبقى؟

- **رحمة بأمّه...**

- **هم**

- **وقال في نفسه (بأمّه أم بك؟)**

أجاب:

- **قلت سيسافر معي والسّلام لا أريد نقاشا في هذا الموضوع...»**[1].

لقد شكّ "الرّيس عبدوش" في طلب "كاترين الحلوة" مرّة ثانيّة بعدم اصطحاب "سعيد" معه، لذلك أصرّ هو في اصطحابه، ولكن هذا الشّك بقي يزاوله حتّى سيطر عليه فتغيّرت نفسيّته وطباعه تّجاه "سعيد"، إذ عمد إلى تجاهله وإذلاله، وهذا ما وضّحناه من صور في الدّور التّيماتيكي للممثّل.

2- الغضب:

تغيّر الممثّل "عبدوش" من وضعيّة هدوء وثبات إلى وضعيّة غضب وانفعال ولا ثبات على المركب، وذلك لوجود "سعيد" معه حيث عمد "عبدوش"

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 297، 298.

أن يتجاهل وجوده ظاهريّا، إلاّ أنّه في داخله يحمل له حقدا وعداوة، ومن ذلك نجد المقطع السّردي: «...**صرخ بأوامره في توجيه الأشرعة وشدّ الحبال انقلب من ذلك الهدوء الذي عرف به على البرّ إلى كتلة من أعصاب مستنفرة مستبدّة، غاضبة، آمرة بلهجة قاطعة، لا مكان معها لتردّد أو التّأخر في التّنفيذ، غدا ذئبا حقيقيّا في قطيع من خراف تجاهل سعيد كأنّه لا يعرفه**»[1].

3- الغيرة:

سيطرت عاطفة الغيرة على الممثّل "عبدوش" حتّى إنّه عمد إلى إغراق "سعيد" بقطع الحبل عليه، كما في الملفوظ: «... **وكانت السّكين معه... وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه رفع يده وانتظر ...مدّها وانتظر...وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل: - لنغرق معا يا سعيد أنت في البحر وأنا على ظهر المركب، هكذا تتحقّق العدالة بيننا ..**»[2].

ومنه نجد أنّ الباتيمات شكّلت تطوّر الحالة النّفسيّة للممثّل عبر مراحل **(الشّك، الغضب، الغيرة)**، ممّا أدّى إلى انتقاله من وضعيّة الهدوء إلى وضعيّة اللاّهدوء بوجود "سعيد"، وبذلك كان الدّور الباتيمي (الاستهوائي) من خلال عاطفة الغيرة التي سيطرت على توتير الذّات الاستهوائيّة "عبدوش" ودفعه

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني (من حكاية بحار)، ص 304.

[2]- المصدر نفسه، ص 332،333.

إلى الإيقاع "بسعيد"، حيث أظهر هذا الدّور مدى حقد وكره الممثّل "عبدوش" "لسعيد"، كما أظهر مدى غيرته على زوجته "كاترين الحلوة" التي كانت موضوع الصّراع بين الذّات (1) "سعيد"، والذّات (2) "الرّيس عبدوش"، وعليه فالدّور الباتيمي للممثّل "عبدوش" مساعد لإبراز الدّور التّيماتيكي للممثّل باعتباره بحّارا مستبدّا ومخادعا أمام البحّارة وخاصّة "سعيد".

رابعا: التفضية والتزمين:

إنّ فعل الممثّل ينمو ويتحوّل في البنية السّرديّة بوجود ثنائيّة (الزّمان والمكان)، إذ كل حكاية أو قصّة إلاّ لها «زمان ومكان (أو مجموعتي أزمنة وأمكنة) يمثّلان شقّي الإطار الذي يكتنف أعمال المغامرة، وكما أنّ الفعل الإنساني وإن كان تخيّلا محضا لا يتصوّر جاريا في غير زمان فإنّه لا يتصوّر في غير مكان أيضا، بل قد ذهب بعض الدّارسين إلى أن المكان هو أساس القصّة باعتبار أنّ أعمالها محتاجة إليه..»[1] وعليه سنحاول دراسة هذه الثّنائيّة بما يصطلح عليها في المفهوم السّيميائي عند "غريماس" بثنائيّة (التّفضيّة والتّزمين)، وذلك بدراسة عنصر التّفضيّة، ثم دراسة الثّنائيّة بين عمليّة القول السّرديّة والخطاب، ثمّ دراسة التّزمين بين اللا–اندماج الزّمني والزّمن الاستهوائي.

---

[1]– الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 2000 ص56.

1- الفضاء الغريماسي:

إنّ الاهتمام بالفضاء يعود إلى دراسات سابقة فقد جاءت دراسة الفضاء «وإبراز قيمته متفرّعة من أصول فلسفيّة موغّلة في القِدم، تنسب بطبيعتها إلى الفلسفتين اليونانيّة والعربيّة، إلاّ أنّ وضوح نظريّته وتكاملها كان على يد الفيلسوف العربي "ابن سينا" الذي أفاد كثيرا من الاتّجاه الأرسطي قبله في تعريف المكان وتحليل طبيعته، وبما أنّ الفضاء يمثّل عنصرا مهمّا من تلك العناصر التي تتكوّن بها بنية النّص. لذا فإنّ اشتغال المنهج السّيميائي على كلّ أو بعض نماذجه المتعددة لا يتقيّد بالنّظر إليها من حيث كونها (بقعا جغرافيّة ومباني مشيّدة، وصروحا قائمة بل إنّها تصبح علامات سيميائيّة تنطق بخطابات الإنسان ودوافعه وهواجسه الفكريّة)، التي من الممكن الاستدلال عليها من خلال رصد آليّات تقديم الفضاء وانزياح عرضها له عن مقاربات التّصوير المباشر، إذ يتمظهر بها –أي الفضاء– مركبا أو نتاجا مشحونا بجملة من الدّلالات والرمّوز والمعطيات الفنّية»[1].وعليه فقد اهتمّت السّيميائيّة السّرديّة بالفضاء إذ قدّمت له تصوّرا جديدا في الدّراسة السّيميائيّة إذ «التفتت الأنظار نحو الاهتمام بالفواعل وأفعالها دون أن يشيِّد معمار الصّرح الزّماني والفضائي على ركائز صلبة ومتينة ويكفي أن يكون مؤلّف "غريماس" الذي هو عبارة عن دراسة تطبيقيّة لأقصوصة (الصّديقان) "لموباسان" الذي يتبيّن فيه معمار ذلك الصّرح، حينما وظّف وحدات لفظيّة للزّمان مثل:

---

[1]– ينظر: نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، دار الكتب والوثائق القومية، الإسكندرية، مصر، دط، 2012، ص 195.

سابق/لاحق ماضي/حاضر، وبالطّريقة نفسها خصّص للفضاء وحدات لفظيّة من مثل قريب/بعيد، منبسط/مرتفع، طويل/عريض، منفتح/منغلق»[1].

وتتعلّق دراسة الفضاء في السّيميائيّة السّرديّة بالأفعال والفواعل ومن ثمّ بالبرامج السّرديّة، وفي ذلك نجد "غريماس" يقسم الفضاء إلى قسمين*:

– المكان الأصل (الفضاء الخارجي): وهو ما يحدّد نقطة الانطلاق، ونقطة النّهاية لفعل البطل، وهو المكان الذي تجري فيه الأحداث.

– فضاء الفعل: وينقسم بدوره إلى قسمين:

أ. فضاء جانبي: متعلّق باكتساب الذّات الكفاءة.

ب. فضاء وهمي: متعلّق بالإنجاز وفيه نقطة تحوّل الفعل.

ويمكن أن نوضح ذلك في الخطاطة الآتيّة:

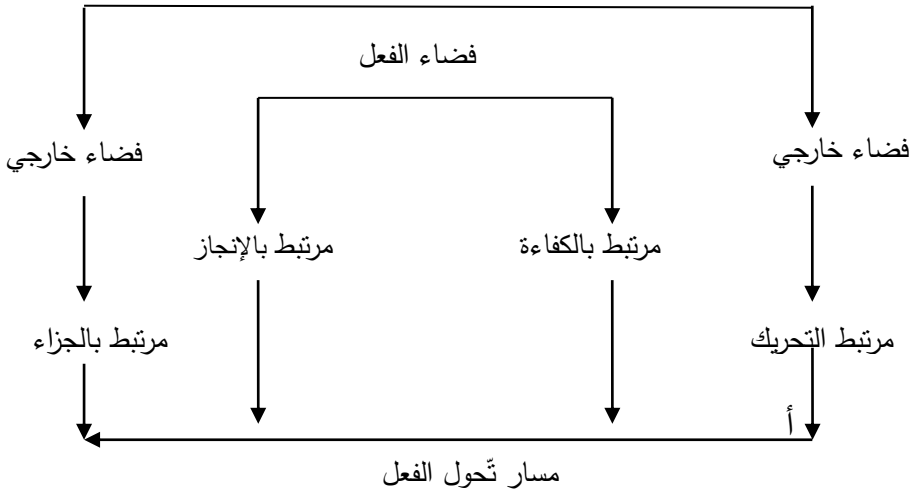

[1]– نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، ص 111.

* ينظر إلى مسألة تقسيم الفضاء في الفصل الأول من البحث.

وبذلك يمكن القول بأنّ فعل تحوّل الذّات من وضعية بدئيّة إلى وضعيّة نهائيّة في الخطاطة السّرديّة مرتبط بالفضاء، فثنائية "التّفضيّة" و"التّزمين" لها دور في بناء وتطوّر الفعل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة لها.

وكما أشرنا سابقا فقد تكلّم "غريماس" عن عنصر الفضاء بالإشارة إلى (هنا، وهناك، وهنالك) في كتابه: (Maupassant la Sémiotique Du texte Exercices Pratiques)، حيث أشار للفضاء الخارجي بـ: (هنالك) والفضاء الجانبي بـ: (هناك)، والفضاء الوهمي بـ: (هنا)[1]، ومادام الفضاء الخارجي متعلّقا بطور التّحريك وبطور الجزاء وفضاء الفعل مرتبطا بالكفاءة والإنجاز فإنّ الفضاء الجانبي مرتبط بالكفاءة والفضاء الوهمي مرتبط بطور الإنجاز كما في الشّكل الآتي: فضاء خارجي

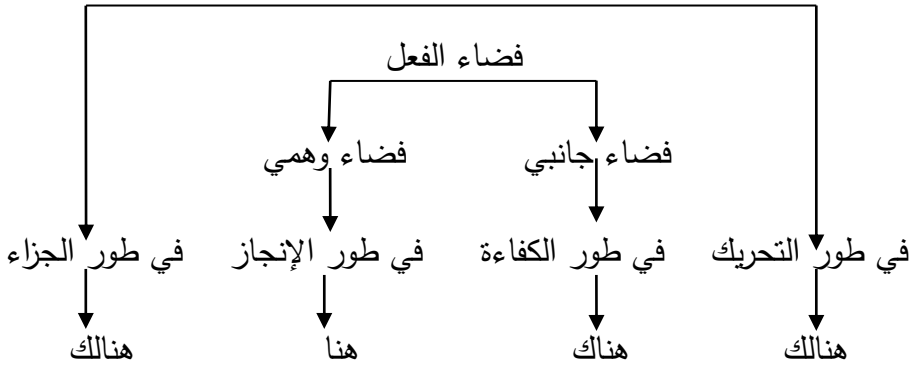

وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن الاعتبار بأنّ الفضاء الخارجي مكمّل لفضاء الفعل مادام الفضاء الخارجي متعلّق بطور التّحريك وبطور الجزاء

(1)– Voir, Algirdas Julien Greimas, Moupassant Sémiotiqu du texte Exercices Pratique, p:100.

فهو بمثابة نقطة البداية ونقطة النهاية لفضاء الفعل، وأيضا ما دام الفضاء الجانبي مرتبط بطور الكفاءة، والفضاء الوهمي مرتبط بطور الإنجاز فإنّ كلّ منهما مكمّل للآخر، ويمكن توضيح ذلك أكثر في الجدول الآتي:

التّحريك	الكفاءة	الإنجاز	الجزاء
فضاء خارجي هنالك	فضاء جانبي هناك	فضاء وهمي هنا	فضاء خارجي هنالك

فالفضاء مرتبط بالبرنامج السّردي للذّات، ولتحديد أنواعه نقف على أطوار الخطاطة السّرديّة، وإذا رمزنا إلى الفضاء الخارجي بـ: (ف خ) والفضاء الجانبي بـ (ف ج) والفضاء الوهمي بـ: (ف و)، وفضاء الفعل بـ: (ف ف) وفضاء البرنامج السّردي بـ: (ف ب س) فإنّه تكون لدينا الصّيغة: (ف ف) = (ف ج + ف و)، وبذلك يمكن تحقيق المعادلة الآتيّة:

ف ب س = (ف خ + ف ج + ف و)؛ أي ف ب س= (ف خ + ف ف).

ولدارسة التّفضيّة في الثّلاثيّة نقف على البرامج السّرديّة لاستخلاص أنواع التّفضيّة، حيث نقف على تحديد التّفضيّة في المرحلة الأولى والثّانيّة وذلك من خلال تتبّع أطوار الخطاطة السّرديّة لفعل التّحوّل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة في البرنامج السّردي للذّات "سعيد" نحو تحقيق الموضوع (السّفر للبحث عن والده)، وفي ذلك يتمّ تحوّل فعل الذّات بالانتقال من مكان إلى مكان آخر، ويبقى الميدان الجوهري للإنجاز هو (البحر)، ولتحديد التّفضيّة

نقف على دراسة الأنواع الآتيّة: (الفضاء الخارجي، والفضاء الجانبي، والفضاء الوهمي) ويتحدد ذلك من الأمكنة الآتيّة:

1- البيت:

لقد كان البيت نقطة انطلاق ونهاية فعل الممثّل "سعيد"؛ إذ منه انطلق في البرنامج السّردي حول الموضوع (استخراج الجنّة)، وإليه عاد بعد عمليّة الغطس والغوص، وذلك لإخبار أهله بما حدث له، إذ كان الممثّل "سعيد" في بيته أثناء قدوم البحّار "بدر"، وإخباره بأنّ البحّارة قد بعثوا به إليه لأمر مهمّ كما في الملفوظ: «**سمعت واليقظة بين النّوم طرقا على الباب (..) لكن الطّرق تعالى وسمعت من ينادي باسمي: – سعيد يا سعيد، افتح يا سعيد!....**»[1]. **(...) من ينادي؟. – أنا بدر... افتح... أريدك في مسألة مستعجلة**»[2] «**كان بدر يقف بعيدا ناداني إليه، وطلب منّي أن أرافقه دون أن يفصح عن المسألة التي جاء يوقظني لأجلها**»[3].

إنّ المقطع السّردي يوضّح وضعيّة "سعيد" في بيته واستيقاظه من النّوم على طرقات الباب، وكان الفضاء الخارجي في خروجه من البيت إذ كانت نقطة الانطلاق بذهابه مع البحّار "بدر". والبيت يعدّ نقطة نهاية الفعل وذلك بعد استخراج الجنّة حيث اكتشف "سعيد" بأنّ الجنّة ليست لوالده

---

[1]– حنا مينة ، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 283.

[2]– المصدر نفسه، ص 284.

[3]– المصدر نفسه، ص 285.

بل "لجندي فرنسي"، فعاد إلى البيت على أمل أن يكون والده على قيد الحياة فوجد أنّ والدته وإخوته وأهل الحيّ كانوا في انتظاره في البيت كما في المقطع السّردي: «**كان بيتنا يقوم على طرف الحيّ من جانب الطّريق العام كان أقرب البيوت إلى الطّريق العام، وكان قنديلنا قد بدأ سهرته، أعدوه جيّدا لهذه السّهرة، رتبوا الأشياء في الداخل الباحّة... وصفوا بعض الكراسي فيها، كانت اللّيلة صيفيّة وحارّة أفرغوا إحدى الغرفتين لوضع الجثمان (...) حين صرت في العتبة ألقيت تحيّة المساء كنت مرتبكا، محتارا لا أعرف كيف أتصرف ولا من أين أبدأ...**»[1]، ومن المقاطع السّردية تزّد مؤشرات وضعيّة الممثّل في البيت الذي يعدّ نقطة البداية ونقطة النهاية لفعل الممثّل "سعيد" نحو الموضوع (استخراج الجثّة).

ويرّد البيت فضاء خارجيّا إذ يمثّل نقطة نهاية فعل الممثّل "سعيد" في البرنامج السّردي المساعد (3) نحو الموضوع (السّفر على باخرة كاسل). وذلك حين قرّر"سعيد" العودة إلى الوطن بعد خمس عشرة سنة مغادرا البحر لأجل العودة إلى أسرته، ومن ذلك المقولة السّرديّة «... **وأخيرا ترك البحر قال له بعد خمسة عشرا عاما: (وداعا) غادر عالم الماء إلى اليابسة، عاد إلى بيت أسرته في حي الكاميلية...**»[2].

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 27.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 344.

ويردّ البيت فضاء جانبيّا في البرنامج السّردي المساعد (1) للممثّل "سعيد" نحو الموضوع (السّفر على مركب "الرّيس عبدوش")، وذلك من خلال حواره مع والدته حول فكرة سفره ورفضها لذلك.

2- الشاطئ:

يمثّل الشّاطئ (فضاء جانبي) للذّات "سعيد" بعد عمليّة الغطس والغوص، إذ يستريح قليلا ثم يعود إلى الغوص، وذلك لتحقيق الموضوع (استخراج الجثة).

3- الميناء:

ويمثّل الميناء (فضاء خارجيّا) بالنّسبة للممثّل "سعيد" في البرنامج السّردي المساعد (2) (السّفر على مركب "الرّيس زيدان")، وذلك بغلقه من طرف السّلطات الفرنسيّة بسبب أجواء الحرب العالميّة الثّانيّة، إلاّ أنّ "سعيد" كباقي البحّارة لم يكترث لذلك، ونجد ذلك في الملفوظ: «**بقينا كذلك حتّى أعلنت الحرب العالميّة الثّانيّة، كان إعلانها بالنّسبة لمن في الميناء، يقابل بغير اكتراث، بعد شهور ذعروا لإقفال البحر، وتوقّف الحركة في الميناء توقّفا كاملا...**»[1].

4- البحر:

يعدّ البحر المكان الجوهريّ والأساس في الثّلاثيّة، وفيه مرّ الممثّل "سعيد" بسلسلة من البرامج السّرديّة نحو تحقيق الموضوع (البحث عن والده) ففي البرنامج السّردي نحو الموضوع (استخراج الجثّة) كان البحر يمثّل فضاء

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 133.

وهميّا لفضاء الفعل وفي ذلك نجد الملفوظ: «**دنت لحظة الحسم الآن، يبدأ البحث جديّا، الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي، إنّني أغامر، البحر هو المغامرة الكبرى...**»[1] (...)، «**لو يكون البحر كيسا معنا ويبقى هادئا كحاله الآن إلى أن نعثر على الجثّة التي أكدّ البحّارة أنّها في عنابر الباخرة..**»[2]، ويمثّل البحر (فضاء وهميّا) لفضاء الفعل للممثّل "سعيد" وذلك في البرنامج السّردي المساعد (1) (السّفر على مركب "الرّيس عبدوش") ونجد ذلك في مقاومة مركب "الرّيس عبدوش" العاصفة، وتعرضها للغرق وأثناء ذلك حاول "الرّيس عبدوش" أن يغرق "سعيد" معه في البحر، ومن ذلك «**لنغرق معا يا سعيد أنت في البحر وأنا على ظهر المركب**»[3]. ويمثّل البحر (فضاء جانبيّا)، وذلك في سفرات "سعيد" المتكرّرة، إذ كان يحبّ السّفر والإبحار «**فظلّت السّفر على الميناء**»[4] (...)، «**أمي هيّ هيّ...صارت عودتي إلى البحر كارثة بالنّسبة إليها**»[5] (...)، «**البحر في أثينا كالبحر في اللاّذقيّة كالبحر في كلّ رحلاتي على المراكب...**»[6]. نجده في البرنامج السّردي المساعد (3) (السّفر على باخرة كاسل).

---

[1]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 202.

[2]– المصدر نفسه، ص 300

[3]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 332، 333.

[4]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 209.

[5]– المصدر نفسه، ص 214.

[6]– المصدر نفسه، ص 227.

5- الباخرة الغارقة:

كانت هناك باخرة غارقة في البحر «**لقد احترقت هذه الباخرة قبل عام في الميناء (...) كانت تحمل محروقات إلى المدينة، تلك الأيّام لم تكن في سورية مرافئ بتروليّة، ولم تكن أنابيب البترول قد مدّت ولا عرفنا الناقلات..**»[1] (...) «**فباخرة الشّحن هذه فرنسيّة. وظلّ الحرق سرّا من أسرار الانتداب الفرنسي....**»[2]. تعدّ هذه الباخرة الغارقة (فضاء وهميّا) لفضاء فعل الممثّل "سعيد" في البرنامج السّردي (استخراج الجثّة). فالممثّل "سعيد" كان يغطس تحت الماء في الباخرة الغارقة في الأعماق للبحث عن جثّة والده «**إنّني مثلكم الآن، أنتم تغطسون على اللّؤلؤ الطّبيعي، وأنا أغطس على اللّؤلؤ البشري ...**»[3] (...)، «**الباخرة شيء آخر علبة الحديد الصّدئة الكبيرة الغارقة..**»[4].

ويمثّل خارج الباخرة الغارقة في سطح الماء (فضاء جانبيّا) الفضاء فعل الممثّل بعد الغطس، حيث كان الممثّل "سعيد" يخرج إلى سطح الماء ليستريح قليلا ثمّ يعود إلى الغطس من جديد فسطح الماء خارج الباخرة الغارقة هو فضاء جانبيّ لعامل الذّات "سعيد" ليستعيد طاقته لمواصلة الغطس

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 273.

[2]- المصدر نفسه، ص ن.

[3]- المصدر نفسه، ص 317.

[4]- المصدر نفسه، ص 302.

وفي ذلك نجده يقول: «**صرت أغوص وأخرج إلى السّطح بسهولة، وتجرأ بعض البحّارة فغاصوا أيضا أصبت قائد فريق دون طلب**»[1].

6- السجن:

يعدّ السّجن نقطة تحوّل بالنّسبة للممثّل "سعيد" من مرحلة الطّفولة والبراءة إلى الشّباب وذلك باحتكاكه بالعالم السّياسي، من خلال تعرّفه على بعض المعتقلين السّياسيّين، إلاّ أنّ السّجن يبقى كقيد وجحيم بالنّسبة إليه: «**غدا السّجن علبة صدئة ما تنفكّ أكثر فأكثر، استشعر فقدان القدرة على المقاومة، كيف أقضي ثلاث سنوات في هذا الجحيم؟..**»[2]. ويمثّل السّجن (فضاء وهميّا) لفضاء فعل السّلطات الفرنسيّة في البرنامج السّردي المضاد (سجن "سعيد") عوضا عن والده المفقود والمطارد من طرف السّلطات وذلك باتّهامه بالجثّة الغارقة: «**قادوني إلى النّظارة، وعذّبوني كثيرا كي أخبرهم أين والدي...**»[3]. كما يعدّ السّجن (فضاء جانبيّا) للممثّل "سعيد"، متعلّقا بالكفاءة؛ حيث تعلّم منه أشياء من المعتقلين السّياسيّين، وتعلّم كيف يكون قويّا وصبورا وعرف فيه معنى الحرّية.

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 328.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 75.

[3]- المصدر نفسه، ص 41.

7- المرافئ الفلسطينية والإسكندرية:

عرف الممثّل "سعيد" هذه المرافئ ،إذ توجّه إليها أثناء رحلته حول البحث عن والده، وتمثّل هذه المرافئ (فضاء خارجيّا) لفضاء فعل الممثّل "سعيد" في بحثه عن والده، وهذا ما نجده في البرنامج السّردي المساعد(1) نحو الموضوع (السّفر على مركب "الرّيس عبدوش")، إذ بعد غرق مركب "الرّيس عبدوش" وغرق "سعيد" في البحر انتشله أحد المراكب، واتّجه به إلى هذه المرافئ. فكانت نقطة نهاية فعل البحث للممثّل "سعيد" في البرنامج السّردي المساعد (1): «**أنقضني مركب مسافر انتشلني وهو في طريقه إلى الجنوب...**»[1]. ونجد أنّ هذه المرافئ تمثّل (فضاء وهميّا) لفضاء فعل الممثّل "سعيد"، وذلك كما في البرنامج السّردي المساعد (2) نحو الموضوع (السّفر على مركب "الرّيس زيدان") أثناء أجواء الحرب. فعلى الرّغم من صعوبة السّفر في أجواء الحرب إلاّ أنّ "سعيد" سافر مع الرّيس زيدان الذي كان ينقل الأسلحة خفية على البحّارة إلى فلسطين «... **نسفت غواصّة مجهولة... المركب..**»[2] (...) «**وإنّ كنت في ذاتي قد شككت بأنّه يهرّب سلاحا إلى فلسطين....**»[3].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 14.

[2]- المصدر نفسه، ص 140.

[3]- المصدر نفسه، ص 159.

8- أثينا:

تمثّل مدينة أثينا (فضاء وهميّا) لفضاء فعل الممثّل "سعيد" إذ قضى سنوات فيها يبحث عن والده، وتمثّل أيضا فضاء خارجيّا كونها نقطة نهاية لفعل سفر "سعيد" في البرنامج السّردي المساعد (3) (السّفر على باخرة كاسل) حيث توجّه "سعيد" مع صديقه "عمر الدّندي" إلى أثينا على (باخرة كاسل) فكانت أثينا فضاء خارجيّا للمثّل "سعيد" «**وبعد أسبوع كنّا في أثينا**»[1] (...) «**نحن الآن بحّارة على الباخرة (كاسل) حمولتها 25 ألف طن تعمل بين أوربا وأمريكا، انتهى عهد المراكب.....**»[2].

ومن خلال هذه الأمكنة الواردة يمكن أن نوضّح أنواع التّفضيّة في الجدول الآتي:

المكان	نوع الفضاء	البرنامج السّردي
- البيت	- فضاء خارجي	- في البرنامج السّردي: (استخراج الجثّة). - وفي البرنامج السّردي المساعد(3): (السّفر على باخرة كاسل).
	- فضاء جانبي	- في البرنامج السّردي المساعد (1): (السّفر على مركب الرّيس

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 215.

[2]- المصدر نفسه، ص 220، 221.

		عبدوش).
– الشّاطئ	– فضاء جانبي	– في البرنامج السّردي: (استخراج الجثّة).
– الميناء	– فضاء خارجي	– في البرنامج السّردي المساعد(2): (السّفر على مركب الرّيس زيدان).
– البحر	– فضاء وهمي – فضاء جانبي	– في البرنامج السّردي: (استخراج الجثّة). – في البرنامج السّردي المساعد(1): (السّفر على مركب الرّيس عبدوش). – وفي البرنامج السّردي المساعد(3): (السّفر على باخرة كاسل).
– الباخرة الغارقة	– فضاء وهمي	– في البرنامج السّردي: (استخراج الجثّة).
– خارج الباخرة سطح الماء	– فضاء جانبي	– في البرنامج السّردي: (استخراج الجثّة).
– السّجن	– فضاء وهمي	– في البرنامج السّردي المضاد: (سجن سعيد).
– المرافئ الفلسطينيّة والإسكندريّة	– فضاء خارجي – فضاء وهمي	– في البرنامج السّردي المساعد(1): (السّفر على مركب الرّيس عبدوش). – في البرنامج السّردي المساعد(2): (السّفر على مركب الرّيس زيدان).
– أثينا	– فضاء وهمي	– وفي البرنامج السّردي المساعد(3): (السّفر على باخرة

	– فضاء خارجي	كاسل). – وفي البرنامج السّردي المساعد(3): (السّفر على باخرة كاسل).

ومن الجدول نلحظ أنّ لبعض الأماكن نوعا واحدا من التّفضيّة إما (خارجي أو جانبي أو وهمي) مثل: (الشّاطئ، الميناء، والباخرة الغارقة وخارج البحر سطح الماء، والسّجن)، وهناك أماكن لها نوعان من التّفضيّة بحسب البرنامج السّردي الذي ترد فيه، ومن هذه الأماكن: (البيت، والبحر والمرافئ الفلسطينيّة والإسكندريّة، وأثينا)، وهذه الأمكنة متعلّقة بالبرامج السّرديّة الواردة في الثّلاثيّة، بمعنى أنّها متعلّقة بسلسلة الحالات وتّحولات فعل الذّات "سعيد"؛ أيّ فعل الممثّل، من الوضعيّة البدائيّة إلى الوضعيّة النّهائيّة.

2– الفضاء الاستهوائي:

يتحدّد الفضاء الاستهوائي انطلاقا من علاقة الذّات المنجزة بفضاء البرنامج السّردي الذي يقوم على الفضاء الخارجي، وفضاء الفعل، وكما يمكن «اعتبار الذّات والموضوع، ضمن فضاء الاستهواء آثارا من درجة ثانيّة (أثر الأصل وأثر الهدف)»[1]. ومن الثّلاثيّة هناك بعض من الأفضيّة لها دور استهوائي في توتير الذّات الاستهوائيّة، فلها بعد استهوائي متعلّق بالذّات ومن الأفضيّة الاستهوائيّة نذكر:

---

[1]– ألجيرداس، ج، غريماس، وجاك فونتيني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 93.

1- **الباخرة الغارقة في البحر:**

والتي كان له دورا استهوائيّا، فبالرّغم من صعوبة الغطس نظرا لتلوّث سطح الماء بالبترول حولها، إلاّ أنّ الممثّل "سعيد" يجازف بحياته لأجل البحث عن جثّة والده، فكان الدّافع إلى الغطس والغوص عاطفة الحبّ لوالده، وعاطفة الخوف عليه من تلوّث المكان.

2- **السجن:**

وكان هذا الفضاء متعلّقا بشعور الممثّل "سعيد" بالقهر وفقدان المقدرة وفقدان الحريّة، فكان الفضاء ضيّقا مختنقا والزّمن ثقيلا «**في اليوم الأول بعد الحكم، ضاقت به الدّنيا، استشعر قهرا مرّا حادّا يفري أحشاءه**»[1] (..) «...**أحسّ بوطأة الزّمن لأوّل مرّة في حياته، خيّل إليه أنّ السّاعة لا تمشي..**»[2].

3- **البحر:**

يعدّ البحر الفضاء الأساس في الثّلاثيّة، فهو مؤشّر إلى «الحالة الانتقاليّة بين الممكنات غير المؤكّدة بعد والحقائق المؤكّدة (...) والحقائق التي يمكن أن تنتهي بالخير أو بالشّر، ومن هنا فإنّ البحر هو في نفس الوقت

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 43.

[2]- المصدر نفسه، ص 44.

صورة للحياة وللموت في آن واحد»[1]. فالبحر هو المكان الواسع، وكاتم أسرار "سعيد" «**وعلى طول الشّاطئ من طرطوس إلى اللاّذقيّة، ضلّ سعيد يسير (...) يقول للبحر كلّ شيء وليسمع منه كلّ شيء....**»[2] فتنفتح ذاكرة "سعيد" على الماضي، فيسرد للبحر سيرته، فالبحر هو فضاء للتنفيس عن آلامه. ولشدّة تعلّق "سعيد" بالبحر أصبح الانفصال عنه يؤدّي إلى معاناته فأثناء علاجه من الأزمة النّفسيّة التي أصيب بها وجد الطّبيب أنّ العودة إلى البحر ضرورة حتميّة لعلاجه «... **عاد سعيد للعمل على ظهر باخرة عابرة للقارّات**»[3]. وذلك لوجود علاقة رغبة كامنة بين الذّات "سعيد" والموضوع البحر.

4- البيت:

حين عودة "سعيد" من غيّابه الطّويل الذي دام (خمس عشرة سنة) في عمله على باخرة عابرة للقارّات، وجد البيت قد أصبح مهجورا، وأنّ أمّه قد توفيّت وإخوته تزوجوا واستقلوا عن البيت العائلي، وفي ذلك نجد المقطع السّردي «**هذا البيت المهجور ميّت، الحياة فارقته منذ زمن بعيد علي أن أبعثها فيه من جديد، غدا أو بعده تترتّب الأمور**

---

[1]- ينظر: شاوش بلس وآخرون، السرديات التطبيقية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009 ص155.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 400.

[3]- المصدر نفسه، ص 399.

سيأتي إخوتي وأخواتي، لزيارتي، لو سمعوا هذه اللّحظة بعودتي لتراكضوا إلي...»[1].

يشير البيت منذ دخول الذّات "سعيد" إليه بجوّ كئيب وحزين وميّت فقد أضحى البيت فضاء استهوائيّا في توتير الذّات الاستهوائيّة نحو تأزّم حالته النّفسيّة «**الآن أدرك الخسارة في عدم الإنجاب...لو كان له زوجة، ولد لو كان والده إلى جانبه، لو لم تمت أمه...اعتراه عصاب، سيطرت فكرة الجنون عليه...توسوس...كبر وسواسه...ضاعف الكبت من حدّته، ضاعف البيت الخرب المهجور من وسواسه....بكى! ويوما بعد يوم جفاه النّوم وراح يهزل، وتبرق عيناه بقلق غريب...**»[2]. وشيئا فشيئا تطوّرت أزمته النّفسيّة ممّا أدّى إلى انفجار نفسي نقل على إثره إلى الدّير الصليب للأمراض العصبيّة.

5- دير الصليب للأمراض العصبية:

وكان الدّير فضاء استهوائيّا بالنّسبة "لسعيد" للتخفيف من حالته النّفسيّة وتهدئته، فهو فضاء للرّاحة النّفسيّة ولعلاجه من أزمته، وفيه بقيّ "سعيد" فترة للعلاج وقد قام الطّبيب "خالد" بجلسات معه، فتوصّل إلى تقرير كما في الملفوظ: «**كتب الطّبيب في تقريره ما يلي: (من عوامل الشّفاء اللّقاء**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 347.

[2]- المصدر نفسه، ص 376، 377.

بكاترين، أو العودة إلى البحر) وإلى أن يسافر في البحر ثانيّة، ضرورة الانتقال من المنزل العائلي المهجور...»[1].

3- التفضية والتزمين بين عملية القول السردية والخطاب:

حدّدت السّيميائيّة السّرديّة وجود علاقة بين (الممثّل) وثنائيّة (التّفضيّة والتّزمين)، فنمو فعل الممثّل مرتبط بثنائيّة التّفضيّة والتّزمين، ويمكن استخلاص مؤشّرات ومعينات لثنائيّة التّفضيّة والتّزمين من عمليّة القول السّرديّة، وذلك وفق تحديد «عوامل التّواصل التي تتأطّر خارج عمليّة القول السّرديّة، وتسهم أوّلا قبل إنجاز فعل معيّن في إنتاج الخطاب السّردي، انطلاقا من وجود عنصرين هما: عاملا التّواصل (السّارد والمسرود له)، ووفق تحديد عوامل السّرد (الذّات والموضوع، والمرسل، والمرسل إليه، والمساعد، والمعارض)، والعلاقة بينهم»[2].

وتتشكّل عمليّة القول بالتّجلي «مقولة الضّمير (الأنا) في علاقته بالفعل، وفي علاقته بالمعيّنات الزّمانيّة والمكانيّة»[3] من خلال علاقة المعينات الآتيّة: (الأنا، والهنا، والآن) «إنّ هذا النّوع من الإحالة داخل الخطاب بالنّسبة للضّمائر، يبرز أهمّية إضافة عناصر أخرى إلى الزّوج: "أنا"، "أنت" عن طريق إجراءين التّفضيّة والتّزمين، وهما إجراءان يندرجان ضمن التّركيب

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص380.

[2]- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 45.

[3]- المرجع نفسه، ص 52.

الخطابي، وتستثمرهما عمليّة القول، وتمثّل هذه العناصر في الإشارات الزّمانيّة والمكانيّة، وتعدّ هذه المعينات في علاقتهما بالضّمير وظيفية على مستوى الخطاب لأنّهما تهدف إلى تجذير وإدماج الأقوال السّرديّة المكوّنة للخطاب في إطار زماني ومكاني انطلاقا من علاقة هذه الأقوال بالوضعيّة الزّمانيّة والمكانية التي يوجد فيها القائل، وهذا يعني ربط الأقوال بعمليّة القول وبزمن عمليّة القول وبمكانها»[1].

وتتمظهر مقولة الضّمير(الأنا) في علاقته بالمعينات التّفضيّة والتّزمين (الهنا والآن) من خلال تطوّر إنجاز فعل الذّات وفي عمليّة القول الخطابي ويمكن أن نحدّد علاقة مقولة الضّمير (الأنا) بالمعينات (الهنا والآن) للممثّل "سعيد" من خلال عمليّة القول ومنها قوله: «**دنت لحظة الحسم الآن يبدأ البحث جديّا، الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي، إنّني أغامر، البحر هو المغامرة الكبرى تضع قدمك فيه (...) تضع الأخرى في ركاب فرس جموح وتستقبل عاما مثيرا بما فيه من مفاجآت من ينزل البحر عليه أن يكون للبحر**»[2].

توضّح عمليّة القول للممثّل "سعيد" من خلال وجود علاقة الضّمير (أنا) المتكلّم بالأفعال من المؤشّرات اللّفظيّة: (**أبدأ رحلة... إنّني أغامر...**) وهنا تتمثّل مقولة الضّمير الشّخصي (الأنا) للممثّل "سعيد"، وهو السّارد بعلاقته

---

[1]– عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي، ص 52.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص302.

بالمسرود لـه والمتمثّل في الضّمير اللاّشخصي المخاطب (أنت) وهو القارئ من خلال الملفوظ: **(تضع قدمك فيه (...) تضع الأخرى في ركاب فرس جموح وتستقبل عاما مثيرا)**. وبذلك تتحدّد العلاقة بين الضّمير الشّخصي (الأنا) للممثّل "سعيد" وهو السّارد والضّمير اللاّشخصي (أنت) أو القارئ وهو المسرود له أو المتلقيّ وكما نجد في عمليّة القول تجليّ ثنائيّة التّقضيّة (هنا)، بالوضعيّة المكانيّة (البحر)، ومؤشر التزمين (الآن) للزمن الحاضر من خلال الملفوظ: **(الآن، يبدأ البحث جديا، الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي...)**.

وأثناء عمليّة استخراج الجثّة نجد الممثّل "سعيد" يقول: «**...أنا شعرت بثقل رصاصي على صدري، رئتاي اتّسعتا، اتسعتا... لم يعد مجال للتّماسك...لا بدّ أن أتنفّس (...) فتحت عيني على مهل...ببطء شديد كانت الشّمس مشرقة... الرّمل على الشّاطئ...ما أجمل الرّمل على الشّاطئ وأنت فوقه تستلقي (...) لم أتكلّم برغم أنّني استرحت، أدركت الآن لماذا أدركت الآن لماذا لا يتكلّم الغطّاسون عقب صعودهم من الماء...**»[1].

ونجد في النّص خروج "سعيد" بعد الغطس ليستريح قليلا على الشّاطئ وبذلك تتلاحم كلّ من المعينات (الأنا والهنا والآن) في تشكيل المقولة السّرديّة إذ مؤشّر الضّمير الشّخصي (الأنا) للممثّل "سعيد" من خلال الوحدات **(أنا شعرت...صدري...رئتاي...أن أتنفس...فتحت عيني...لم أتكلّم...أنّني استرحت...أدركت...)**، وهي معينات تشير إلى مقولة الضّمير

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص316.

(الأنا) في علاقته بالمعين المكاني (الهنا)، وهو الشّاطئ والمعين الزّمني (الآن) زمن الحاضر من الفعل (أدركت الآن)، وتبقى مقولة الضّمير الشّخصي (الأنا) الممثّل "سعيد" (السّارد) في علاقته بعامل التّواصل (المسرود له) من خلال مقولة الضّمير اللا شخصي (أنت) القارئ أو المتلقي، والمعين على الضّمير اللا شخصي (أنت) الوحدات: **(ما أجمل الرّمل على الشّاطئ وأنت فوقه... تستلقي...)**.

ولتحديد العلاقة بين المعينات (الأنا والهنا والآن) نقف على مثال آخر متمثّل في المقطع السّردي الآتي: «**البحر أمامي واسع، معتكّر قليلا، وطيور تحوم في السّماء، والمدينة تنأى، تبتعد (...) إنّنا نبحر (...) وداعا يا أثينا (...) وداعا لكلّ الأشياء التي عرفتها على اليابسة...**»[1]. يمثّل المقطع السّردي عمليّة القول للممثّل "سعيد" أثناء مغادرته لمدينة أثينا، ومنه نجد أنّ المتكلّم "سعيد" (السّارد) في علاقة تواصل بالمسرود له **(أثينا)**، كما أنّ مؤشّر الضّمير الشّخصي (الأنا) من المعين اللّفظي: **(أمامي)** وتحدّد علاقة القائل بعمليّة القول في إطار مكاني وخطّ زماني ومن مؤشّرات التّفضيّة في عمليّة القول المعين اللّفظي: **(البحر، المدينة، أثينا، اليابسة)** إلاّ أنّ عمليّة القول كانت في البحر على متن الباخرة المبحرة في الزّمن الحاضر (الآن) من المعين الزّمني **(إنّنا نبحر)** وهو زمن عمليّة القول. وكما نجد عمليّة القول في مثال آخر للممثّل "سعيد" في السّجن حيث يقول: «**إيه أيّها السّجن!**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 233.

لقد خلعتك من يدي وقدمي ونفسي...

أسقطتك عن جسدي كالرّمل منذ دخلت مياه البحر...

..طرحتك من ذاتي التي رأت فيك بؤرة للشّقاء، فارتفعت عليها، دون أن تستطيع، وأسفاه، ردمها....أيهّا السّجن!

ثلاث سنوات من العمر من الشّباب انطوت بين جدرانك الأربعة لم أقل متى، على لهفتي أن تكون، تلك اللّحظة من الانعتاق، حين أتخطّى عتبتك ولا قيد، ولا حارس ولا شعور بالحجز، إذ هو إحساس يرافق السّجين في صحوته ومنامه...»[1]. ومن عمليّة القول نجد خطابا بين عامل التّواصل (السّارد) "سعيد" من خلال مؤشّر الضّمير الشّخصي (الأنا) من الوحدات **(يـــــدي،... قدمي،...نفســـــي،...جســـــدي...،دخلـــــت،...ذاتي لـم أقـل...لهفتي،.....أتخطى)**، وعامل التّواصل (المسرود لـه) من خلال الضّمير اللاّشخصي (أنت) والمتمثّل في (السّجن) وذلك من المعين **(أيّها السّـجن!...لقـد خلعتك...أسـقطتك... طرحتـك...رأت فيـك...انطوت بـين جدرانك..)** وقد تمّ خطاب الممثّل في فضاء (الهنا) وهو (السّجن)، وفي خطّ زمني حاضر (الآن) من المعين الزّمني (دخلت)، واللاّ اندماج زمني مؤشّر للزّمن الماضي من المعين **(ثلاث سنوات من العمر من الشّباب انطوت...)**.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 88.

4- الانفصال الزماني والمكاني:

الانفصال الزّماني والمكاني متعلّق بالممثّل، وذلك أثناء تنقّله من مكان إلى آخر، وكما يرد في كتاب (البناء والدّلالة في الرّواية) "لعبد اللّطيف محفوظ" أنّ «...الانفصال المكاني مدعم بانفصالات زمنيّة وأخلاقيّة وقيميّة تقوم بمواكبة تنقّل الذّات من فضائها المألوف الذي ينبثق منه البرنامج في شكله الاحتمالي إلى فضاء خارجي (أو فضاء آخر) الذي ستنجز فيه الذّات برنامجها (...) وهو انفصال يطال، إلى جانب الانفصال المكاني، انفصالات زمنيّة وقيميّة وأخلاقيّة وعقائديّة أيضا، ويتمظهر الانفصالان المكاني والزّماني في الإرجاع النّصي...»[1].

ويرد الانفصال الزّماني والمكاني في الثّلاثيّة أثناء دخول "سعيد" إلى السّجن في حلب، حيث انفصل عن البحر وكان الانفصال المكاني إلى جانب الانفصال الزّماني الذي دام ثلاث سنوات، ويمكن أن نوضّح ذلك كما في الصّيغة الآتية:

(ذ ∩ م "البحر") ⟵ تحوّل (ذ ∪ م "البحر")

ويشير التّحوّل الانفصال إلى انفصال الممثّل عن الفضاء (البحر) الملازم للانفصال الزّماني عنه لمدّة ثلاث سنوات، ثمّ يتحوّل الفضاء الانفصالي إلى فضاء اتّصالي بالنّسبة للممثّل: «**إيه أيها السّجن! (..) ثلاث**

---

[1]- عبد الطيف محفوظ، البناء و الدلالة في الرواية مقاربة من منظور سيميائية السرد الدار العربية ناشرون الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص134.

سنوات من العمر، من الشّباب، انطوت بين جدرانك الأربعة...»[1]، حيث بعد خروج "سعيد" من السّجن قرّر العودة إلى البحر للسّفر والبحث عن والده وبذلك يتشكّل تحوّل اتّصالي كما في الصّيغة الآتيّة:

(ذ ∪ م "البحر") ⟵ تحول (ذ ∩ م "البحر")

وكما نجد انفصالا مكانيّا أثناء انقطاع "سعيد" عن الأهل وحيِّه في اللاّذقيّة لمدّة خمس عشرة سنة، فكان انفصال مكاني وزماني في آن واحد الدّافع إليه السّفر على باخرة عابرة للقارّات للبحث عن والده «**خمس عشرة سنة مضت وسعيد يبحث من مرفأ إلى آخر عمل بعد (كاسل) على الباخرة صوفيا كولوتروني، حمولتها 35 ألف طن، عابرة قارّات**»[2].

وبذلك تكون (اللاّذقيّة) فضاء انفصاليّا بالنّسبة للممثّل "سعيد"، ويمكن أن نوضّح ذلك في الصّيغة الآتيّة:

(ذ ∩ م "اللاذقية") ⟵ تحوّل (ذ ∪ م "اللاذقية")

والانفصال المكاني يلازم الانفصال الزّماني في آن واحد، حيث دام الانفصال الزّماني خمس عشرة سنة، وينتقل الممثّل "سعيد" من وضعيّة الانفصال إلى وضعيّة الاتّصال باللاّذقيّة، وذلك أثناء عودته من الغيّاب الطّويل، حيث وجد أنّ أشياء كثيرة قد تغيّرت منها وفاة والدته، وتغيّر البيت

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص88.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 339.

العائلي الذي أضحى بيتا مهجورا «**أخيرا ترك البحر قال له بعد خمسة عشر عاما: (وداعا) غادر عالم الماء إلى اليابسة، عاد إلى بيت أسرته في حيّ الكاميليّة وهو يقدّر ممّا سمع أنّ أشياء كثيرة تغيّرت في الوطن (...) سوى الأمّ وهذه في سنوات الإبحار الأخيرة ماتت...**»[1].

ويمكن أن نحدّد التّحوّل الاتصالي كما في الصّيغة الآتيّة:

(ذ ∪ م "اللاّذقيّة") ⟵ تحوّل (ذ ∩ م "اللاذقيّة ")

وعلى هذا الأساس فإنّ التّحول الاتصالي أو الانفصالي للمكان أو للزّمان متعلّق بانتقال الممثّل من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، فتحوّل وضعيّة الممثّل ونموّ فعله مرتبط بثنائيّة الزّمان والمكان.

5- اللا_اندماج الزمني:

يتّخذ الزّمن معنى له من خلال أبعاد ثلاثة تحدّد أطرافه وهيّ: الماضي (الماقبل)، والحاضر(هذه الأثناء)، والمستقبل (المابعد)، يشكّل الماضي السّابق في تقابله مع المستقبل اللاّحق والآتي، بينما يستتب الحاضر في عدم الإمساك باللّحظات الزّمانيّة لأنّها تتّسم بالآنيّة فهو ينفلت ويتملّص من أيدينا مثل لحظات الكلام، لذلك يمثّل زمانه (أي زمن الحاضر) بدرجة الصّفر التي تتوسّط لحظات الوجود السّابقة واللاّحقة[1].

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص343، 344.

[2]- ينظر: نادية بوشفرة، معالم السيميائية في مضمون الخطاب السردي، ص 104،105.

وفـي أبعـاد الـزّمن (الماضـي، والحاضـر، والمسـتقبل) المتشـكّلة في الخطاب السّردي نجد اللاّ_اندماج الزّمني (Débrayage) الذي يعدّ عمليّة تعتمد عليها عمليّة القول لإبعاد خارج القول (...)، ويتحدّد اللا_اندماج الزّمني بصفته إجراء إسقاط أثناء عمليّة الفعل اللّغوي، خارج تعيين عمليّة القول لعنصر: لا_ الآن، وهذا الإسقاط تكون له نتيجة تأسيس عن طريق الاقتضاء المتبادل، من عملية القول: (الآن)[1].

ويشير النّص إلى أنّ اللاّ_اندماج الزّمني هو إسقاط الزّمن الحاضر (الآن)، والبحث عن الزّمن الماضي المشير له بـ: (اللاّ_الآن)، وبذلك نكون أمام زمن عمليّة القول وهو (الآن) وزمن القول أو الخطاب وهو (اللاّ_ الآن) ومنه فإنّنا نكون أمام المقولة الزّمانيّة (الآن، واللاّ_الآن). وعليه فإنّ إغفال زمن الحاضر (الآن) في الخطاب واعتماد مؤشّرات الزّمن الماضي (لا_الآن) هو ما يعرف باللاّ_اندماج الزّمني في عمليّة القول، حيث يمكن إدراك اللاّ_اندماج الزّمني بمثابة إجراء لإسقاط لحظة العمل اللّغويّ[2] ومن مؤشّرات الزّمن الحاضر (الآن) لعمليّة قول "سعيد" نذكر المقاطع الآتيّة: «**دنت لحظة الحسم الآن يبدأ البحث جديّا، الآن أبدأ رحلة المجهول نحو والدي إنّني أغامر، البحر هو المغامرة الكبرى**»[3]، بدأت رحلة الممثّل "سعيد"

---

[1]– ينظر: عبد المجيد نوسي (التحليل السيميائي للخطاب الروائي)، ص 57.

[2]– Voir, A, J, Greimas, J, Courtés, Sémiotique, dictionnaire raisonné de la théorie du Longage, p: 81.

[3]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص202.

عن والده من المرحلة الأولى في الاعتقاد بموته ومحاولة استخراج جثّته من البحر: «...**لم أجده حتّى الآن، ما همّ الشّمس حين تغيب في البحر لا تظهر ليلا، تختفي...**»[1] (...)، «**أحسست باليتم إحساسا مضنيّا (..) الآن أنا والحقيقة، أنا والجثّة...**»[2]. تشير المقاطع إلى عمليّة بحث "سعيد" عن والده ومحاولة استخراج الجثّة، ونجد من المعينات الزّمنيّة للزّمن الحاضر (الآن) في عمليّة القول للممثّل "سعيد" المؤشّرات الآتيّة: (**الآن يبدأ البحث... الآن أبدأ رحلة المجهول...لم أجده حتى الآن...الآن أنا والحقيقة أنا والجثّة...**).

وكما أشرنا أنّ للخطاطة مقولة ثنائيّة للزّمن (الآن واللا _الآن) فإنّ (الآن) زمن الحاضر و(اللاّ_الآن) مؤشّر للزّمن الماضي بمعنى اللاّ_اندماج زمني، إذ نجد الممثّل "سعيد" يستعيد الماضي حيث تنفتح ذاكرته على الماضي لاستعادة الذّكريات، إذ يتذكّر زمن الطّفولة حيث نجده يقول: «...**في هذا الحيّ البحريّ، الفقير، البارز أضلاعه، كهندي مدقع... ولد سعيد حزّوم كان الأكبر بين إخوته وكان والده صالح حزّوم، قد هاجر من اللاّذقيّة إلى مرسين...**»[3]. ومعين الزّمن الماضي (لا_الآن) المؤشّر اللّفظي (ولد سعيد حزّوم، كان الأكبر بين إخوته...) كما نجد مؤشّر للزّمن الماضي أثناء تذكّر "سعيد" والده «**والدي كان لؤلؤة، وضاعت خبّأها البحر في صدفته**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 13.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص353.

[3]– المصدر نفسه، ص 148.

الكبيرة..»[1]. وأثناء تذكّر حادث الباخرة الغارقة «**...قد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث ...»**[2] (...) «**كانت صفائح *الكاز* تعوم فوق الماء...»**[3].

ومن مؤشّرات الزّمن الماضي (لا_الآن) في عمليّات القول الوحدات الآتيّة: **(والدي كان لؤلؤة، وضاعت...كان والدي يقول...قد مضت أعوام كثيرة... كانت صفائح الغاز... كان البحّاران... كان البحّارة...)** وهذه الوحدات اللّفظيّة هي معينات للزّمن الماضي (لا_ الآن)، وكذا نجد حنين "سعيد" إلى عمله كبحّار في الماضي كما في المقطع السّردي: «**هو لم يعد بحّارا، مضى زمن البحر، ترك المهنة ومعها مسرات قلبه، ويتخيّل إليه أحيانا أنه نسيّها، أو أنّه أصبح قادرا على نسيانها، فإذا عاد إلى البحر، عاوده عشقه له، وتقمّص من جديد صورة البحّار الذي كانّه...»**[4]. ومن معينات الزّمن الماضي (لا_ الآن) نذكر: **(مضى زمن البحر...صورة البحّار الذي كانه..)**.

وكما يتذكّر وضعيّة البلاد التي كانت على وقع الاستعمار وتذكّره لفرنسا حين كانت تبحث عن والده «**فرنسا كانت تلاحقه، لو وقع في يدها لحكمت عليه بالإعدام، كان يتمنّى، عندئذ، لو نفذ الإعدام بيده، أن يموت في المعركة خير من أن يموت على المشنقة...»**[5] (...)

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 317.

[2]– المصدر نفسه، ص 350.

[3]– المصدر نفسه، ص 308.

[4]– المصدر نفسه، ص 18.

[5]– المصدر نفسه، ص 336.

«**هذه هيّ الحياة...وما نفعها إذا كانت بغير نضال؟...**»[1]. ومن مؤشّرات الزّمن الماضي الوحدات: **(كانت تلاحقه...لحكمت عليه...كان يتمنّى.... كانت بغير نضال...)**.

ومنه فالزّمن الحاضر (الآن) والزّمن الماضي (لا_الآن) متعلّق بالخطاب، ويمكن تحديد الثّنائيّة المقوليّة (الآن / لا_الآن) للمقاطع السّرديّة السّابقة من خلال المعينات الزّمنيّة كما في الجدول الآتي:

الآن **(زمن عمليّة القول)**	**لا _ الآن** **(الزّمن _ اللاّ _ مندمج)**
– الآن يبدأ البحث.. – الآن أبدأ رحلة المجهول.. – لم أجد حتّى الآن... الآن أنا والحقيقة أنا والجثّة..	– ولد سعيد حزّوم كان الأكبر بين إخوته... – والدي كان لؤلؤة وضاعت.. – قد مضت أعوام كثيرة – كانت صفائح الغاز... – مضى زمن البحر.. – صورة البحّار الذي كانه... – كانت تلاحقه...لحكمت عليه.. – كان يتمنّى....كان بغير نضال..

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 78.

ومنه فإنّ زمن الحاضر (الآن) والمعينات الزّمنيّة الدّالة عليه هو مؤشّر لزمن عمليّة القول أو الخطاب، وزمن الماضي (لا_ الآن) لا اندماج الزّمني والمعينات الزّمنيّة الدّالة عليه هو مؤشّر لزمن الحكاية.

6- الزّمن الاستهوائي:

يعتبر «الزّمن السّيكولوجي زمن نسبي داخلي يقدّر بقيّم متغيّرة باستمرار عكس الزّمن الخارجي الذي يقاس بمعايير ثابتة، فاليوم له قيمة زمنيّة عند الطّفل، تختلف قيمته عند الرّجل الشّيخ، فالطّفل إذ يتطلّع إلى الأمام يكون اليوم جزءا من الزّمن بالغ الصّغر، أمّا عند الشّيخ فيشكّل شريحة كبيرة من الزّمن الباقي له...»[1]. فالزّمن متعلّق هنا بالجانب النّفسي للشّخص «وفي علم النّفس "البرغسوني" تمّ تصوير جوهر النّفس مع سيلان الزّمن على أساس أنّها ذات علاقة متواصلة معه، وأنّ توقفها معناه الانقطاع عن الوجود، ولم تعد الفلسفة النّفسيّة سوى فلسفة زمنيّة قائمة على ثنائيّة تنعت الزّمان بأنّه حيّ وتنعت الحياة بأنّها زمانيّة؛ بذلك نستطيع أن نفهم قانون الزّمن في ضوء فكرة التّواصل على أنّه دائما مقترن بعامل التّعاقب المتنوّع الذي يلجّ في شتّى مجالات الحياة (فكر، وثقافة، وفنّ، وتاريخ، وسياسّة...)، وتواصله مكتنه عبر تغايره على الدّوام، فهو المسبّب للدّورة الانقلابيّة التي تتعرّض

---

[1]- ينظر: أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الاردن، ط1، 2004، ص26.

لها الموجودات كلّها، إذ ما تبرح أن تثبت على حالة حتّى تنقلب إلى غيرها لتحوّل دون ثباتها واستقرارها»[1]، فالزّمن متعلّق بالحياة في مختلف مجالاتها.

ويذهب بعض الفلاسفة مثل "لايبنيتز" (Leibniz) (1716-1946) و"كانط" (Kant) (1804-1924)، إلى أنّ الزّمان موجود في الذّهن فقط ويذهب آخرون إلى أنّ الزّمان ذو وجه آخر غير كمّي وغير قابل للقيّاس أيّ الزّمان الذّاتي أو الوجداني وهو زمان يستمدّ من انفعال الإنسان وتجربته (كزمان الانتظار، وزمان الأمل...)، وقد تعدّدت الاتّجاهات في تأمّل هذا الموضوع مع فلاسفة كثر مثل الألماني "هيسرل" (Husser) (1859-1938)، والفرنسي "برغسون" (Bergson)، والانجليزي المعاصر "روسّل" (Russel)[2].

وليس الزّمن الذّاتي إطار يكتنف الأحداث ولا هو محطّة من محطّات المغامرة، وإنّما هو الزّمن في مستوى إحساس الشّخصيّة به على نحو مخصوص، وهذا الإحساس متّسم عادة بالتعقّد، وقابل للتّنوّع بسبب اختلاف المستويات التي يمكن أن يتّصل بها في ذات الشّخصيّة، وسبب تباين الطّرائق في التّفاعل معه، فقد يكون الزّمن (الموضوعي أصلا) مدار تدبّر ذاتي متجلّ في تحليل الماضي ورسم المستقبل في إطار سيرورة محددة أو خطّة معيّنة وهذا النّوع من ممارسة الزّمن متّسم عادة بمعطيات ذات طبيعة فكريّة منطقيّة لكن الحاصل منه لا يكون محدّدا (بين شخصيّتين فأكثر) باعتبار أنّ تحليل

---

[1]- نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية، ص 118.

[2]- ينظر: الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 38.

شخصـيّات مختلفـة لمـاضٍ واحـد يفتـرض التّبـاين لتبـاين الزّوايـا والمواقـع والأحاسيس[1] (...) «قد تبتعد الشّخصيّة عن زمن النّاس المشترك المعيش مرتحلة في زمن خاص قد تقتصر فتكون مجرّد ومضة ورائيّة عابرة، وقد تطول فتكون جملة حقب أو أزمنة متباينة المواقع في الأصل (...) لكن الشّخصيّة تسترجع منها لمحات في لحظة معيّنة وفق نسق ما، وتعيشها بألوان من الإحساس مختلفة (...) وفي مثل هذا التّعامل الذّاتي مع الزّمن تنتفي وحدات قيّاس الزّمن المشتركة وتغيب أبعاد الزّمن الموضوعي والمنطق الذي يحكمها وتقوم مقام هذا كلّه "علامات" أو إشارات ذاتيّة وألوان نفسيّة خاصّة يصير الزّمن معها زمنا خاصّا أو إحساسا ذاتيّا، وتكون الأهواء والانفعالات –وحدها– علّة استحضار هذا الزّمن ومحدّد منطقه وأساس تفاعل الشّخصيّة معه، ووفق هذا كلّه تتحدّد للزّمن أبعاد ذاتيّة جديدة و"مقاس" خاص كثيرا ما يكون متقلّبا زئبقيّا، فتمطّط اللّحظة القصيرة لتصير حيّزا شاسعا وقد تتقلّص الحقبة الطّويلة فتصير لحظات وجيزة»[2] على النّحو الذي نجد فيه البحّار "سعيد حزّوم" حينما يسترجع ماضيه الطّويل من بطولة والده ورحلة البحث عنه وهو يسير من طرطوس إلى اللاّذقيّة وهو يحكي سيرته للبحر.

ويتعلّق الزّمن بالحالة النّفسيّة للذّات وما تنتظره في المستقبل أو ما تعيشه في الحاضر أو ما تستذكره من الماضي المعيش، وقد قال "غاستون باشلار" في كتابه: (جدليّة الزّمن) في حديثه عن الزّمن الماضي

---

[1]– الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، ص 50.

[2]– المرجع نفسه، ص 50،51.

والحاضر والمستقبل «...لا يكون الآن الحاضر سوى ظاهرة الماضي وعلى هذا المنوال في علم النّفس "البرغسوني"، يفسح الزّمان الممتلئ، العميق المتواصل، الغني مكانا للجوهر الرّوحي، وفي أي من الظّروف لا تستطيع النّفس أن تنفصل عن الزّمان..»[1]. وفي الثّلاثيّة نجد الممثّل "سعيد" يربط الزّمن الحاضر بالحالة النّفسيّة الكامنة في داخله لوجود الفضاء (البحر) كما في الملفوظ: «**لقد بدّل البحر من حالتي النّفسيّة، استعدت لياقتي اندمجت بما حولي، انتفى قلقي بكلمة: وجدت نفسي حيث يجب أن أكون...**»[2]. فمؤشّرات الزّمن الحاضر **(حالتي النّفسيّة، استعدت لياقتي واندمجت، وجدت نفسي..)** فشعور الذّات بالرّاحة وتحسن الحالة النّفسيّة في الزّمن الحاضر الذي يعيشه في اتّصاله بالفضاء (البحر).

ويشير "غاستون باشلار" للزّمن الماضي وعلاقته بحالة شعوريّة حاضرة لدى الذّات، حيث يقول: «فلا يمكن إحياء الماضي إلاّ بتقيده بموضوعة شعوريّة حاضرة بالضّرورة، بكلام آخر، حتّى نشعر أنّنا عشنا زمنا _ وهو شعور غامض دائما بشكل خاص_ لا بدّ لنا من معاودة وضع ذكرياتنا شيمة الأحداث الفعليّة، في وسط من الأمل أو القلق، في تماوج جدلي فلا ذكريات بدون هذا الزّلزال الزّمني، بدون هذا الشّعور الحيوي حتّى في هذا الماضي الذي نعتده ممتلئا، فإنّ التّذكّر، والسّرد يعيد وضع الفراغ

---

[1]– غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2010، ص14.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص131.

في الأزمنة غير الفاعلة، إنّنا حين نتذكّر، بلا انقطاع، إنّما نخلط الزّمان غير المجدي وغير الفعّال بالزّمان الذي أفاد وأعطى، ولا تكون جدليّة السّعادة والتّعاسة مستحوذة إلى هذا الحدّ إلاّ عندما تكون متوافقة مع الجدليّة الزّمنيّة...»[1].

فتنفتح ذاكرة الممثّل "سعيد" على الماضي فيسرد حكاية بحثه عن والده كما يسرد شجاعة والده حين كان بحّارا، ومطاردة فرنسا له وبحثها عنه، كما يسرد حادثة الباخرة، ومجازفة والده بالغطس فيها واستخراج تكنات الغاز لأجل إنقاذ أهل الحيّ من الجوع، كان حلم "سعيد" العثور إيجاد والده على قيد الحياة في مكان ما، حيث يقول: «**والدي كان لؤلؤة وضاعت، خبّأها البحر في صدفته الكبيرة..**»[2]، **وفي** تذكر حادث الباخرة يقول: «**وقد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث..**»[3]. فالذّات "سعيد " يستحضر الماضي في ومضة شعورية حاضرة؛ أي في الزّمن الحاضر (الآن) وفي حالة شعوريّة حزينة يعيش على أمل كذوب في العثور على والده يستحضر الماضي ويحنّ إلى والده كما يحنّ إلى "البحر"، و"كاترين الحلوة".

وممّا سبق فقد شملت الدّراسة في التّركيبة الخطابيّة عنصر "الممثّل" الذي يشكّل نقطة التقاء وهمزة وصل بين المستوى السّردي والمستوى الخطابي وذلك بدراسة الأدوار العامليّة والاستهوائيّة، وكذا المسارات التّصويريّة والدّور

---

[1]– ينظر: غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، ص47.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (من حكاية بحار)، ص 317.

[3]– المصدر نفسه، ص 305.

التّيماتيكي والباتيمي للممثّل، إذ يقع الاستثمار الدّلالي عن طريق الانتقاء المنجز من طرف الأدوار الممثّل التي من أجل تحقيق إمكانيّاتها تستغل الصّعيد المأصلي للكلام وتتجلّى تحت شكل صوّر، ومنه تظهر التّركيبة الخطابيّة في البنية السّطحيّة كاستعمال نظمي تنبثّ فيه الصّور المتعدّدة الدّلالة، ويكون الممثّل ميدان لقاء واتّصال بين التّركيبة السّرديّة والتّركيبة الخطابيّة[1]، وكما حاولنا دراسة ثنائيّة "التّفضيّة" و"التّزمين" في السّيميائيّة السّرديّة للبنية السّرديّة للثّلاثيّة، فنمو فعل الممثّل وتطوّره متعلّق بوجود خطّ زمني وإطار مكاني، فكان رصد الفضاء الغريماسي ودراسة الثّنائيّة بين عمليّة القول السّرديّة والخطاب ثمّ دراسة اللاّ–اندماج الزّمني، والزّمن الاستهوائي وذلك بربط الزّمن بالجانب السّيكولوجي والذّاتي للممثّل ولاستخلاص البعد الاستهوائي له.

[1]– ينظر: أ،ج، غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص 55.

الفصل الرابع:

"البنية والوحدات الدلالية"

– دراسة في التركيبة المنطقية الدلالية لثلاثية حكاية بحار–

أولا: الوحدات المعنوية الصغرى في الدلالة.

ثانيا: الوحدات الدلالية والباتيمية.

ثالثا: البنية والقيم الدلالية المنطقية.

تتحدّد الدّراسة في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة بتتبّع المسار السّيمي والباتيمي في البنية العميقة، وذلك باستخلاص المفاهيم السّيميائيّة المحايثة من البنية السّرديّة للثّلاثيّة، وكما درسنا المسار العاملي والاستهوائي في التّركيبة السّرديّة، وأدوار الممثّل وثنائيّة (التّقضيّة والتّزمين) في التّركيبة الخطابيّة فإنّه يمكن تحديد البنية والوحدات الدّلاليّة في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة.

فإذا كانت البنية السّطحية متعلّقة بدراسة مفاهيم المكوّن السّردي والمكوّن الخطابي، فإنّ البنية العميقة متعلّقة برصد الوحدات المعنويّة الصّغرى في الدّلالة، وكذا المربّعين السّيميائي والباتيمي، والوحدات الدّلاليّة والباتيميّة وبذلك يمكن أنّ نعتبر البنية الأوليّة الدّلاليّة كنموذج تأسيسي، وذلك بصفة مزدوجة: كنموذج تنظيم للدّلالة (إنّه منحاها المورفولوجي)، وكنموذج إنتاج الدّلالة في منحاها التّركيبي هذا بوصفها بنية عميقة تؤسّس مستوى التّركيب الأساسي[1].

وكما بادر "جوزيف كورتيس" إلى وضع المستويات السّيميائيّة من (البنية السّطحيّة والبنية العميقة للنّص السّردي) ممفصّلا إيّاها إلى تعبير ومحتوى كما في التّرسيمة الآتيّة[2]:

---

[1]– ينظر: أ.ج، غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية، (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008، ص 11.

[2]– جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، ص 71.

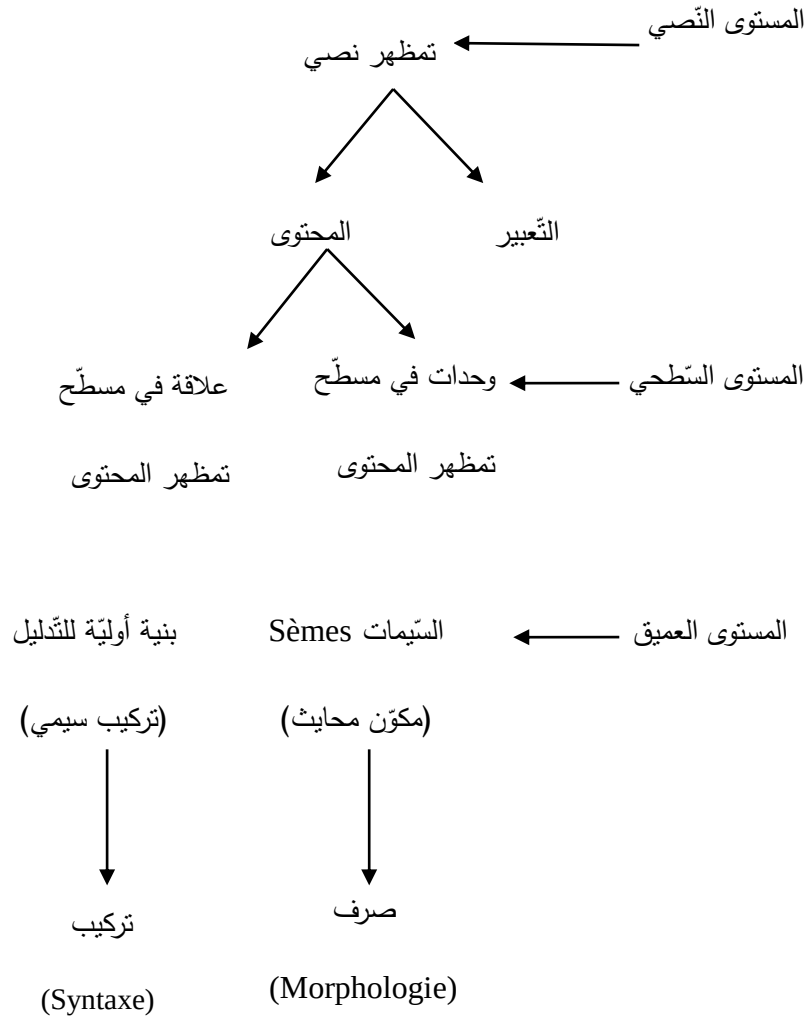

ومن التّرسيمة نلاحظ أنّ النّص السّردي يتمفصل إلى تعبير ومحتوى وإذا كان التّعبير يضمّ (سلسلة صوتيّة، ونظاما لسانيّا)، فإنّ المحتوى يضمّ (الدّلالة والنّحو)، وكما لا يمكن الفصل بين الدّال والمدلول، كذلك لا يمكن الفصل بين التّعبير والمحتوى للنّص باعتبار العلاقة الجدليّة الواردة بينهما وأيضا لا يمكن الفصل بين جوهر وشكل المحتوى؛ أي بين الجانب الدّلالي

والجانب النّحوي، ولا يمكن الفصل بين المستويات؛ لكونها تتلاحم فيما بينها في الدّراسة السّيميائيّة لتحليل النّص السّردي.

وفي هذه المسّألة نجد في كتاب (Analyse sémiotique des texes) تحديدا للعلاقة المتداخلة والمتكاملة بين المستويات السّيميائيّة في دراسة النّص، حيث نلحظ شبكة علائقيّة من المفاهيم الإجرائيّة بين البنية العميقة والبنية السّطحيّة كما في الشّكل الآتي[1]:

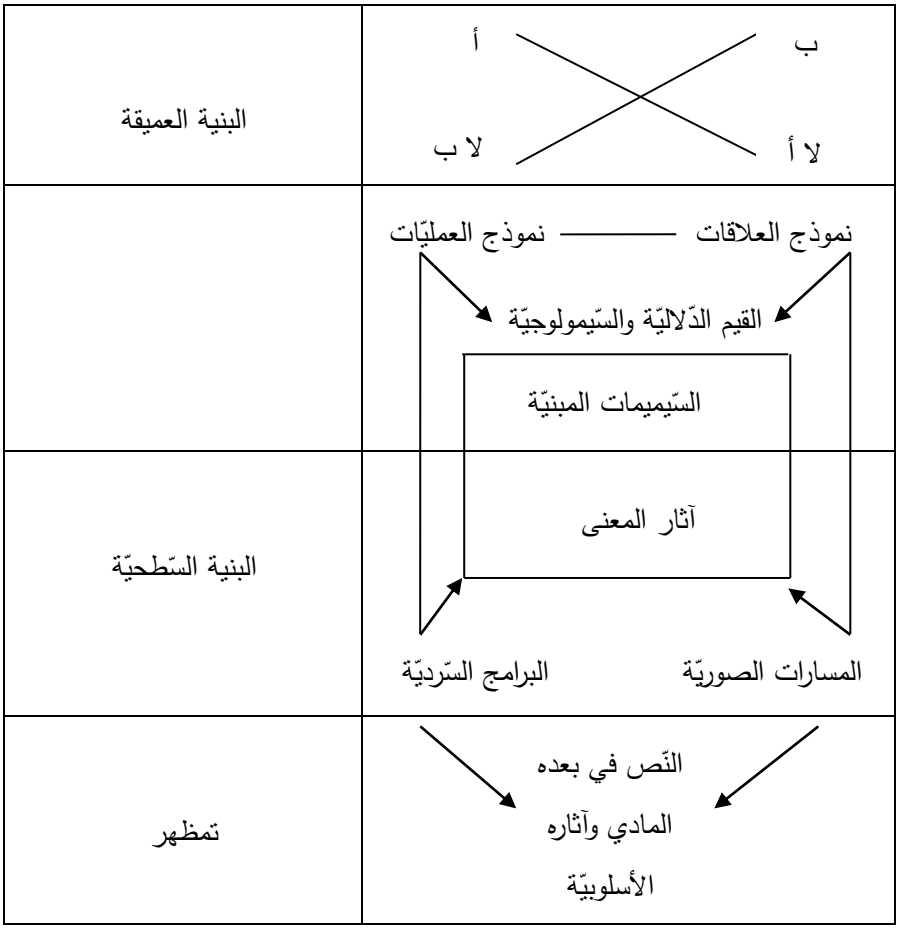

(1)– Groupe D Éntrevernes, Analyse sémiotique des texes, p:144.

تمثّل هذه الخطاطة المسار التّوليدي للدّلالة الذي ينطلق من البنية العميقة في وحداتها المعنويّة الصغرى ليتحرّك وفق ديناميكيّة عامليّة وخطابيّة وينتهي بالتّجلي عبر اللّغة أو المادّة المشكّلة للدّلالة مثل: (لوحة زيتيّة، شريط مرسوم، صورة...).

وبما أنّنا أمام مدوّنة سرديّة فإنّنا سنحاول الوقوف في البنية العميقة على دراسة التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة للثّلاثيّة بدراسة الوحدات المعنويّة الصّغرى في الدّلالة، ثمّ دراسة الوحدات الدّلاليّة والباتيميّة من خلال ثنائيّة (التّشاكل والتّباين) ثمّ استخلاص المربعين السّيميائي والباتيمي، وأخيرا البحث عن القيّم الدّلاليّة والمنطقيّة في البنية السّرديّة.

أولا: الوحدات المعنوية الصغرى في الدلالة:

إنّ الفحص الدّلالي لمفردة ما يوضّح لنا بأنّها تتمتّع بنواة مستقرّة نسبيّا ذات صورة نواتيّة انطلاقا منها تنمو بعض الاحتمالات الدّلاليّة، وبعض المسارات المفهميّة (Sémémiques) تسمح بوضعها في السّياق؛ أي بتحقيقها الجزئي في الخطاب، وبناء عليه فإنّ المأصل (Lexème) هو نظام معنمي (Sémique) احتمالي لم يتحقّق أبدا كما هوّ إلاّ مع وجود بعض الاستثناءات القليلة. عندما يكون مفهما مصغّرا (Mono-Sémémique) في الخطاب المتجلّي. فكّل خطاب منذ أن يطرح تشاكله الدّلالي (Isotopie Sémantique) الخاص به يعدّ استغلال جزئي جدّا للاحتمالات المعتبرة التي توفّرها مجموعة من المآصل (...) التي تستمرّ لتعيش وجودها الاحتمالي

على أتمّ الاستعداد لتنبعث من جديد بمجرد أقلّ جهد للذّاكرة[1]؛ بمعنى أنّ الوحدة الدّلاليّة حين تعود إلى أصلها الجذري تشكّل نواة تنمو بجوارها بعض من الاحتمالات لمسارات مفهميّة أو سيميمات أو معانم* متكوّنة من وحدات صغرى، وقد تكون هذه الوحدات بعيدة في مفهومها عن النّواة، لكن حين تعود إلى أصلها ومعناها في الذّاكرة تجد نفسها تقارب مفهوم النّواة، وبذلك فإنّها تشكّل فيما بينها تشاكلا دلاليّا، وتأسيسا عليه فإنّنا سنقوم بدراسة المعانم أو الوحدات الدّلاليّة الصّغرى ثمّ سنقف على دراسة التّشاكل.

1- السيمات (المعانم):

انطلق "غريماس" في دراسة البنية العميقة من التّقطيع إلى وحدات دلاليّة صغرى أطلق عليها تسميّة (المعانم) أو السّيمات[2] وليس للمعنم دلالة في حدِّ ذاته إنّما يكتسب دلالته من العلاقة القائمة بينه وبين وحدات معنميّة أخرى. فالدّراسة الدّلاليّة تقتضي في هذا المستوى تفكيك الوحدات المعانميّة إلى مكوّناتها الصّغرى المميّزة ووصولا إلى استخلاص حزمات من السّمات الدّلاليّة الأساسيّة[3] «وإذا قمنا بهذه العمليّة بالنّسبة إلى وحدات معجميّة تنتمي

---

[1]- ينظر: أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص 43.

* المعنم (السيم): وهو أدنى وحدة للدّلالة والتي لا يمكن أن تتحقّق خارج إطار وحدة للدّلالة أكبر منها إنّها المفهم (السيميم) في تحليل المدلول أيّ مستوى المحتوى أو ماهيّة المحتوى ينظر: عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، ص 76.

[2]- ينظر: عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص87.

[3]- المرجع نفسه، ص 88.

إلى حقل دلالي واحد لاحظنا أنّ بعض المعانم المكوّنة لها يلتقي مع بعض وبعضها يختلف عن بعض أو يقابله مثل: الصّورتين التّاليتين (الأمل) و(اليأس) نلاحظ أنّهما تتّفقان في معنميين أوّلهما الإحالة على إحساس داخلي وثانيهما الاختصاص بالمستقبل مع وجود معنم يفرّق بينهما ويخصّ القيمة المضمّنة في كلتيهما حيث إنّ إحداهما تتضمّن قيمة إيجابيّة فيما تقيم الثّانيّة سلبا. وإن نحن تقدّمنا في التّحليل يتّضح أنّ السّمة الدّلاليّة المشتركة الأولى وهيّ الإحساس الدّاخلي تفرّق كلتيهما عن الوحدة اللّفظيّة (عمل) بناء على انتفاء السّمة الدّلاليّة المميّزة المعنيّة منها تفرّق السّمة الدّلاليّة الثّانيّة بينهما وبين لفظ (تذكّر) لخلوّه من السّمة المذكورة»[1].

وكما أشرنا في التّركيبة الخطابيّة فإنّ "غريماس" يُسمِّي النّواة الدّلاليّة (Noyau Sémique) المعانم الثّابتة، والمعانم السّياقيّة بالمعانم المتغيّرة القابلة للتّغيّر[2]. ويمكن توضيح هذه المعانم السّيمات كالآتي:

2- السيم النواتي والسيم السياقي (الكلاسيم):

يحتوي السّيميم على سيمات ثابتة وسيمات متغيّرة يطلق "غريماس" اسم النّواة السّيميّة على السّيمات الثّابتة، والسّيمات السّياقيّة على السّيمات المتغيّرة[3]، وينقسم السّيم إلى نوعين هما: السّيم النّواتي (Sème nucléaire)

---

[1]- عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص 88،89.

[2] - عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 2010، ص76.

[3]- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، ص 170.

والسّيم السّياقي (Sème contextuel) ولاستخلاص هذه السّيمات من الثّلاثيّة نقف على تحديدها كالآتي:

2-1- السّيم النّواتي:

يمكن ضبط السّيم النّواتي من خلال تلاحم مجموعةٍ من السّيمات التي تشكّل صور الصّورة الأساس وهيّ السّيمة النّواتيّة، حيث «يحتوي السّيميم على سيم نواتي وسيم سياقي، وفي محاولة معرفة البحث عن النّواة التي تضمّ السّيم النّواتي، فإنّ هذا يحدّد صورا نواتيّة تتوقّف على مدى إحصاء الكلمات من التّركيبة في تأسيس السّيميم»[1]، ومن الثّلاثيّة نقف على تحديد ثلاثة سيمات جوهريّة بالنّسبة للممثّل "سعيد حزوم" وهيّ: ("البحر"، و"كاترين الحلوة" و"صالح حزّوم")، ويمكن أن نأخذ هذه السّيمات كوحدات جوهريّة نواتيّة عند الممثّل "سعيد حزّوم" نقف على ضبط السّيم النّواتي لصورة (البحر) كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**والبحر الأزرق تتراكض موجاته بتكاسل وتتلاشى على الشّاطئ، وسحر ليلة صيف ينتشر في الجوّ، تحرّكت في أعماق نوازع شوق إلى مصالحة الأشياء قبل السّفر...**»[2] .(...) «**كانت المدرسة قرب البحر هل مصادفة كانت المدرسة مبتلّة بالماء، فنحن لا نفارق الشّاطئ (...) في الصّباح حين نأتي المدرسة نمشي على السّاحل كأنّما نملأ من مرآه رئاتنا بعزم يعيننا على الدّراسة والحفظ وهكذا تقدّمت**

---

[1]– Voir, Algirads, Julie Greimas, Sémantique Structurale Recherche de Méthode, p: 50.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (حكاية بحار)، ص 267.

في صفوفي، وعمري وحبّي للبحر، كبرت وكبر معي، وحين أخذت الشّهادة الابتدائيّة كان كلّ شيء معدّا لأن أعمل في الميناء، لأن أصبح مستخدما في أحد المخازن البحريّة، أو أصبح بحّارا كوالدي، وأسافر مثله على متن أحد المراكب..»[1]. ويمكن ضبط السّيم النّواتي لصورة (البحر) كما في الجدول الآتي:

السّيم النّواتي	(البحر)
السّيمات النّواتيّة لصورة البحر.	- والبحر الأزرق. - تتراكض موجاته. - تتلاشى على الشّاطئ. - تحرّكت في أعماق. - الحروف التي تعلّمتها مبتلة بالماء. - لا نفارق الشّاطئ. - نمشي على السّاحل. - نملأ من مرآه رئاتنا. - لأن أعمل في الميناء. - مستخدما في أحد المخازن البحريّة. - أصبح بحّارا.

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 254، 255.

وتأخذ السّيمات (الأزرق، موجاته، الشّاطئ، أعماقه، الماء، السّاحل الميناء) في تشكيلها في مقاربة معنى السّيم النّواتي المتمثّل في (البحر) وهو سيم ثابت.

وكما يمكن تحديد صورة (كاترين الحلوة) كسيم نواتي بتتبّع السّيمات كما في المقطع السّردي الذي يجسّد حوار "البحّار العجوز" مع "سعيد حزّوم" حيث يقول له: «- **من يدري...أنت لا تعرف ماذا تدبّر كاترين الحلوة هذه امرأة داهيّة...**»[1]. وكما نجد "سعيد حزّوم" يقول في نفسه عن "كاترين الحلوة ": «**أي شوق إليها ما زال يعيش في صدري؟ لقد أحببتها، وكرهتها لكنّني كنت أسيرها، كانت جزءا من حياتي البحريّة في تلك السّنوات الرهيبة،...**»[2] (...)، «**إذا رحلت كاترين فسيحدث فراغ رهيب قنوط من عودة الوالد، فقدان المرأة الحبيبة..**»[3] (..)، «**المزج التّام بين البحر وكاترين هذه، في صورة واحدة، البحر هو كاترين...**»[4]، ويتّضح الضّبط السّيمي النّواتي لصورة (كاترين الحلوة) في الجدول الآتي:

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 50.

[2]- المصدر نفسه، ص 123.

[3]- المصدر نفسه، ص 146.

[4]- المصدر نفسه، ص 379، 380.

السّيم النّواتي	(كاترين الحلوة)
السّيمات النّواتيّة لصورة كاترين الحلوة.	- امرأة داهيّة. - أحببتها. - كرهتها. - كنت أسيرها. - جزءا من حياتي البحريّة. - فقدان المرأة الحبيبة. - البحر هو كاترين.

وتشكّل السّيمات (امرأة، داهيّة، أحببتها، كرهتها، أسيرها، حياتي الحبيبة، البحر) في مقاربة السّيم النواتي لصورة (كاترين الحلوة)، وهو سيم ثابت لمدى تعلّق "سعيد حزّوم" بها.

وتتّحد صورة "صالح حزّوم" كسيم نواتي من خلال تلاحم جملة من السّيمات النّواتيّة من خلال المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**والدي غائب مفقود ضائع في البحر، لكنّه ليس بغريق ولا ميّت...**»[1] (..)، «**... لقد حمل السّلاح دون أن يعرف أنّ هناك في كلّ أنحاء البلاد، كثيرين يحملونه، أدّى واجبه...**»[2]. ونجد البحّار "أحمد المستكفي" يقول "لسعيد": «**صالح ضحّى بحياته لأجلنا، لن ننسى هذا أبدا، الحيّ لا ينسى...افتدانا بروحه، ذهب**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 20.

[2]– المصدر نفسه، ص 50.

شـــهيدا يـــا بنـــي...»[1]. كـان"صـالح حـزّوم" صـاحب فكـرة البـاخرة وكان هو من يقوم بعمليّة الغطس بمفرده، حيث نجد البحّار "أحمد المستكفي" يقول "لسعيد" عن والده: «**... وشرح والدك فكرتـه: (أنـا أغطـس إلـى القـاع إلـى عنـابر البـاخرة، وأعـوم الصّـفائح، فـإذا طفـت علـى السّـطح خـذوها إلـى الشّـاطئ، وهنـاك نفكّـر بكيفيّـة تصـريفها...»**[2]، ويمكن تحديد السّيمات النّواتيّة لصورة (صالح حزّوم) كما في الجدول الآتي:

السّيم النّواتي	(صالح حزوم)
السّيمات النّواتيّة لصورة صالح حزّوم.	- والدي غائب مفقود...ضائع في البحر. - ليس بغريق لا ميّت. - حمل السّلاح. - أدّى واجبه. - ضحّى بحياته لأجلنا. - افتدانا بروحه. - ذهب شهيدا. - أنا أغطس. - أعوم الصّفائح.

ومـن الجـدول تشّـكل السّـيمات (والـدي، غائـب، مفقـود، ضـائع، لـيس بغريـق، ولا ميّـت، حمـل السّـلاح، أدّى واجبـه، ضـحّى بحياتـه، افتـدانا، شـهيدا

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 294.

[2]– المصدر نفسه، ص 292، 293.

أغطس، أعوم) السّيم النّواتي (لصالح حزّوم) والد "سعيد حزّوم"، حيث تبرز هذه السّيمات مدى تضحيّة هذا البحّار القدير لأجل أهله وبلاده، ومنه يعدّ السّيم النّواتي لصورة (صالح حزّوم) سيما ثابتا في شخصيّته وبطولته ومدى تعلّق "سعيد" به.

2-2- السيم السياقي (الكلاسيم):

ويُعدّ السّيم السّياقي النّوع الثّاني من السّيمات التي أشار إليها "غريماس" حيث «يتعلّق بسيمات لا تنتهي إلى الصّورة النّووية أي إلى النّواة اللاّ متغيّرة المعتبرة في ذاتها: إنّها محدّدة بالسّياق، فالكلاسيم هو سيم سيّاقي..»[1] والسّيم السّياقي هو سيم متغيّر بحسب السّياق يختلف عن نواة السّيمية التي تقوم على سيمات ثابتة، وفي تحديد ذلك نقف على المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**والدي...احتجب في مكان ما في البحر**»[2] (..)، «**البحر كالقدر كثيرا ما يدور بالإنسان...**»[3] (...) «**البحر ضحك عليّ، خدعني..**»[4] (...)، «**دخلت ميّاه البحر**»[5] (..) «**تكلّم البحر وغنّى الموج**»[6] (..)، «**لقد أصبح البحر في صدري في رئتي**

---

[1]- ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 79.

[2]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 13.

[3]- المصدر نفسه، ص 14.

[4]- المصدر نفسه، ص ن.

[5]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 88.

[6]- المصدر نفسه، ص 100.

في دمي»[1] (...)، **«البحّار يكتب على الماء، البحر كتاب وقصص النّاس صفحاته ولو وجد من يقرأ صفحات الماء، فأية حكاية كان يستخرج؟...»**[2] (...)، **«مدرسة البحر على رؤوس الصّواري...»**[3] (...) **«سحب اليأس من البحر عند الإقلاع»**[4] (....) **«أنا أحترم البحر»**[5].

فالنّواة السّيميّة في هذه المقاطع السّرديّة هي لكسيم (البحر) فهو غير متغيّر، ولكن التّغير وقع في الحالات السّياقيّة التي ورد فيها «فإنّ تغيّرات المعنى منتجة من قبل هذا اللّكسيم لا يمكنها أن تتولّد إلا عن السّياق الذي يجب أن يحتوي على المتغيّرات السّيميّة التي هي وحدها القادرة على إبراز تغيّرات آثار المعنى التي يمكن أن نضبطها لنعتبر أنّ هذه المتغيّرات السّيميّة سيمات سيّاقيّة»[6]، وهذه السّيمات السّياقية يمكن تحديدها كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 116.

[2]– المصدر نفسه، ص 176.

[3]– المصدر نفسه، ص 190.

[4]– المصدر نفسه، ص 307.

[5]– المصدر نفسه، ص 309.

[6]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 79.

النّواة السّيميّة	لكسيم (البحر)
السّيمات السّياقيّة المتغيّرة.	- مكان في البحر... - البحر كالقدر... - البحر ضحك عليّ.. - ميّاه البحر.. - تكلّم البحر... - البحر في صدري.. - البحر كتاب... - مدرسة البحر.. - سحب الياطر من البحر... - أحترم البحر....

وتشترك هذه السّيمات السّياقيّة المتغيّرة لمؤشّر سيميائي واحد يندرج ضمن مفهوم (البحر)، ذلك الأزرق بأمواجه وشاطئه، إلاّ أنّه ينتج لنا من هذه السّيمات السّياقيّة تباينا في أثر المعنى حيث ورد في المقاطع السّابقة ثلاثة أصناف: (حسي، ومعنوي، وبشري). فالبحر حسي كونه يشكّل (مكانا، كتابا، مدرسة)، والبحر معنويّ من خلال المعين: (كالقدر في صدري)، ويأخذ البحر في الصّنف الثّالث صورة إنسان من خلال المؤشّرات السّيميائيّة: (ضحك عليّ، تكلمّ، أحترم...). فالمعنى العميق في السّيمات السّياقيّة المتغيّرة للكسيم (البحر) في اتّساعه وهدوئه، ومنه الخير فهو مصدر رزق البحّار.

3- اللّكسيم الباتيمي:

تمثّل البنية الدّلاليّة الأوليّة الشّروط الضّروريّة لتصّور الدّلالة وامتداداتها، فلا يكون الاستهواء إلاّ بفضل إمكانات وجوده فيما هو أوسع من كليّته؛ أيّ من خلال الانشطارات الممكنة التي تتجاوز الواحد لتنفجر في المتعدّد[1]، ويمكن أن نحدّد اللّكسيم الاستهوائي من خلال المسار السّيميمي للسّيمات الباتيميّة.

ومنه يمكن ضبط اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) كحالة نفسيّة نتيجة مثير خارجي كما ورد لدى الممثّل "سعيد حزّوم" أثناء سماعه بغرق والده ونلاحظ في ذلك تشكيل المسار السّيمي الباتيمي الذي يتكوّن من خلال ظهور الباتيمات: (الخوف، والحبّ، والحقد، والأمل، والحزن)، حيث يضمّ سيميم (الخوف) سيمات كما في الملفوظ: «**صحّت وقد ارتعدت لفكرة غرقه ضربت على رئسي انفجرت باكيّا وشرعت أركض باتّجاه الباخرة...**»[2].(...) «**كان شعوران يتناوبانني: الخوف، والمبالغة في تقدير الخطر لتبرير الخوف...**»[3]. وسيميم (الحبّ) كما في قول "سعيد": «**أركض باتّجاه الباخرة معتزما البحث عنه بنفسي، ولو كلّفني ذلك حياتي**»[4] (..)، «**أتساءل وقد مضت أعوام كثيرة على ذلك الحادث هل حقّا أنا الذي أقدمت على البحث**

---

[1]– ألجيرداس،ج، غريماس، جاك فونتني، سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 39.

[2]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص296.

[3]– المصدر نفسه، ص 306.

[4]– المصدر نفسه، ص 293.

عن جثّة والدي في باخرة الشّحن الغارقة تلك؟، وكيف ألقيت نفسي إلى التّهلكة مدفوعا بعاطفة كبيرة، نصفها ناشئ عن شعور البنوة، ونصفها الآخر ناجم عن الإعجاب بذلك البحّار الذي كانه؟ الحبّ الكبير يصنع معجزاته دائما...»[1].

وسيميم (الحقد) من خلال قوله: «**استعدت مشاعر الحقد على السّلطة، كنت بحاجة إلى هذه المشاعر، الحقد على العدو، وقود داخلي..**»[2]. وسيميم (الأمل) كما في المقاطع السّرديّة: «**وفي أمل كذوب يداعب النّفس الملهوفة، رحت أتخيّل والدي سليما... ورجوت دون أي سند من قناعة أن تكون لوالدي قدرة على التّنفّس وهو تحت الماء وأن تقع معجزة كهذه**[3]. (...)، «**يسرّني ألاّ تكون الجثّة فيها، وأن يظلّ أملي بحياة والدي قائما... لكنّني سأغوص فيها أيضا لكي أعزّز هذا الأمل أجعله يقينا...**»[4].

وسيميم (الحزن) نحو قوله: «**أيّ شعور ينتاب المرء حين يعرف أنّ أباه قد مات!؟ (...) لقد مات صالح حزّوم... مات زينة الرّجال !...**»[5].

وحين تتضافر السّيمات تشكّل لنا المسار السّيميمي الباتيمي لصورة اللّكسيم الباتيمي (الانفعال)، ويمكن أن نلخّص ذلك في الجدول الآتي

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 305.

[2]– المصدر نفسه، ص 327.

[3]– المصدر نفسه، ص 300.

[4]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 25.

[5]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 335.

اللّكسيم الباتيمي	الانفعال				
المسار السّيميم	الخوف	الحبّ	الحقد	الأمل	الحزن
السّـــيم الباتيمي	– صحت. –ارتعدت. – ضربت رأسي. – انفجرت باكيّا. – شرعت. – أركض. – الخوف. – تقدير الخطر.	– لو كلّفني ذلك حياتي. – كيف ألقيت نفسي إلى التّهلكة. – مدفوعا بعاطفة كبيرة. – شعور البنوة. – الإعجاب – الحب الكبير.	– مشاعر الحقد على العدوّ.	– أمل كذوب – لوالدي قدرة على التّنفس. – أن تقع معجزة. – أن يظلّ أملي بحياة والدي قائما. – أعزّز هذا الأمل.	– أباه قد مات. – مات صالح حزّوم. – مات زينة الرّجال.

وتشكّل السّيمات الاستهوائيّة في المسار السّيميمي الباتيمي لصورة اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) من خلال سيمات توضّح مدى قوة هذا الشّعور الدّاخلي الذي لازم "سعيد" والذي دفعه للبحث عن والده.

ويمكن أن نحدّد اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) للممثّل "الأمّ"، من خلال موقفها الرّافض لفكرة سفر ابنها "سعيد حزّوم"، ويتمثّل ذلك من خلال ظهور السّيميمات (الخوف، والكره، والغضب)، إذ نجد سيميم (الخوف) يتشكّل من سيمات كما في المقطع السّردي «**سأسافر يا أمي: فوجئت (...) انتصبت في جلستها وقد انقلبت سكينتها إلى التّوتّر (...) _ قالت نائحة: ياولي... تسافر كما سافر أبوك..**»[1]. وسيميم (الكره) المتمثّل في كره الأم للبحر كما في الملفوظ السّردي: «... **البحر غدّار، البحر عدوّ، لا تفكّر في السّفر...**»[2].

وسيميم (الغضب) من خلال حوارها مع ابنها «...**تقدّمت منه بوجه مكفهر، ومن عينيها يتطاير الشّرر صفعته بقوّة دهشت هي نفسها كيف واتتها صاحت: _ قلت لن تسافر..**»[3]، ولتوضيح اللّكسيم الباتيمي (الانفعال) المتمثّل في ردّ فعل الأم من خلال ظهور حالات تتحدّد في المسار السّيميمي للسّيمات كما في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 270، 271.

[2]– المصدر نفسه، ص 271، 272.

[3]– المصدر نفسه، ص 272.

اللّكسيم الباتيمي	(الانفعال)		
المسار السّيميمي الباتيمي	الخوف	الكره	الغضب
السّيم	- انتصبت في جلستها. - انقلبت سكينتها. - نائحة. - يا ويلي.	- البحر أخذ نصيبه منّا. - البحر غدّار. - البحر عدو.	- وجه مكفهر. - من عينيها يتطاير الشّرر. - صفعته بقوّة. - صاحت: قلت لن تسافر.

ويمكن تحديد اللّكسيم الباتيمي (الغيور) للممثّل "الرّيس عبدوش" من خلال تجمّع المسار السّيميمي الباتيمي المتكوّن من سيمات باتيميّة (الشّك الغضب، الغيرة)، حيث نجد سيم (الشّك) الذي يقوم على سيمات دالّة على شكّ "الرّيس عبدوش" في كلام "كاترين الحلوة" التي طلبت منه عدم اصطحاب "سعيد حزّوم" معه كما في الملفوظ: «**قالت: - أريد أن تبقي سعيد هنا، في الميناء.**

صدمه الطّلب...

لماذا تريدينه أن يبقى؟.

رحمة بأمّه...

هم....

وقال في نفسه (بأمّه أم بك؟)..»[1].

ويتحدّد سيميم (الغضب) من تلاحم السّيمات الدّالة على غضب "الرّيس عبدوش" وانفعاله لوجود "سعيد حزّوم" كبّحار معه على المركب «**كان الرّيس عبدوش على الدّفة، ناور لإخراج المركب من الميناء، وصرخ بأوامره...انقلب من ذلك الهدوء... إلى كتلة من أعصاب مستنفرة، مستبدّة غاضبة، آمرة...**»[2].

ويتشكّل سيميم (الغيرة) من خلال تضافر السّيمات كما في المقطع السّردي: «...**وشيء كالنّار يبرز من عينيه والغيرة قد وشحت وجهه كلّه رفع يده وانتظر...مدّها وانتظر...وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل...**»[3]. وتجسّد المقاطع السرديّة المسارات السّيميميّة لسيميم (الغيرة) للممثّل "الرّيس عبدوش" والتي نوضّحها في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 297، 298.

[2]– المصدر نفسه، ص 304.

[3]– المصدر نفسه، ص 332، 333.

اللكسيم الباتيمي	(الغيور)		
المسار السّيميمي الباتيمي	الشّك	الغضب	الغيرة
السّيم	– (صدمه الطّلب) السّيم: عدم توقع. – (لماذا تريدينه أن يبقى؟) السّيم: التّساؤل، الحيرة. – (هم.. بأمّه أم بك؟) السّيم: عدم التّصديق.	– (صرخ بأوامره) السّيم: الصّراخ. – (كتلة من الأعصاب) السّيم: شدّة العصبيّة . – (مستنفرة) السّيم: النفور/الكره. – (مستبدّة) السّيم: الاستبداد. – (غاضبة) السّيم: الغضب. – (آمرة) السّيم: آمر.	– (وشيء كالنّار يبرز من عينيه) السّيم: شدّة الغضب. – (والغيرة قد وشحت وجهه) السّيم: التغيّر. – (قطع الحبل) السّيم: الخداع/الانتقام.

ومن الجدول نجد السّيمات توضّح لنا المسار السّيميمي والباتيمي لكلّ من (الشّك، الغضب، الغيرة) للّكسيم الباتيمي (الغيور). ولعلّ (هوى الغيرة وهوى الخوف، وهوى الحبّ) هيّ من اللّكسيمات الباتيمية فكلّ من هوى الخوف وهوى الحبّ متعلّق بالممثّل "سعيد حزّوم" نحو والده "صالح حزّوم". وأمّا هوى الغيرة فهو متعلّق "بالرّيس عبدوش" نحو الممثّل "سعيد" حول الموضوع "كاترين الحلوة".

ثانيا: الوحدات الدلالية والباتيمية:

يقوم النّص السّردي على جملة من الوحدات الدّلاليّة التي تشكّل في علاقتها وفي تلاحمها معنى النّص، ويمكن استخلاص المعنى من البنية العميقة بدراسة مفاهيم التّركيبة الدّلاليّة في النّص السّردي، فمادام السّيم يشكّل وحدة الدّلالة القاعديّة فإنّه ليس له إلاّ وظيفة تمايزيّة، وبفعل هذه الخاصيّة فإنّه لا يلتقط إلاّ داخل مجموعة عضويّة أي في إطار بنية[1]، تشكّل حزمة من السّيمات التي من خلالها يتمظهر اللّكسيم، فإنّ هذه التّشكيلة من الوحدات المعنويّة الصّغرى متضمّنة وكامنة في الوحدات الدّلاليّة الأكثر تمظهرا كالتّشاكل والتّباين. ومنه سنحاول دراسة الوحدات الدّلاليّة والباتيميّة لثنائيّة (التّشاكل والتّباين) بين المسار السّيمي والباتيمي ثمّ دراسة المربّعين السّيميائي والباتيمي.

---

[1]– ينظر: جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري ص 73، 74.

1- التشاكل والتباين بين السيمي والباتيمي:

يُعدّ التّشاكل والتّباين آليّة إجرائيّة سيميائيّة تحدّد العلاقة الكامنة بين الوحدات الدّلاليّة في سيّاق النّص السّردي، وتضمّ هذه الآليّة الوحدات المعنويّة الصّغرى، ومادام السّيم يتمفصل إلى سيم نواتي وسيم سيّاقي فإنّه يمكن أن نتكلّم عن نوعين من التّشاكل هما: (التّشاكل السّيمي والتّشاكل الباتيمي)، وهذا ما تتطلّبه الدّراسة السّيميائيّة دون الإشارة إلى الأنواع الأخرى كالتّشاكل والتّباين الصّوتي والتّركيبي، «إنّ التّشاكل هو مفهوم يخرج النّظام من سيّاقه الخارجي العام ولا يتعامل معه إلاّ بوصفه مجموعة من الوحدات تتماثل دلاليّا مع الاشتراك في التّراكيب السّيميّة»[1]. ويهدف تحليل التّشاكل الدّلالي إلى توضيح انسجام واتّساق الخطاب. فالتّشاكل الدّلالي في الخطاب يحقّق الانسجام والاتّساق ويلغي كلّ إمكانيّات الإبهام الدّلالي. ويتحقّق الانسجام نتيجة مختلف التّشاكلات الدّلاليّة التي تميّز الخطاب والتي يتمّ تحقيقها بفعل التّوارد المتكرّر لمجموعة من المقومات السّياقيّة، ويمكن تحديد التّشاكل من خلال إبراز نمو الخطاب الرّوائي وتوالده ذلك أنّ الخطاب حينما يحدّد إطارا متشاكلا فإنّ مقاطعه الأخرى تنمو وتتمطّط اعتمادا على هذا الإطار الأوّل حيث يتميّز الخطاب بتراكم قسري لمجموعة من الوحدات المعجميّة التي تندرج ضمن نفس الإطار الأوّل لكنّها تنتظم داخل مسارات تصويريّة هي التي تؤدي إلى تصوير البرامج السّرديّة والمسارات السّرديّة لعوامل السّرد، وتعمل

---

[1]– ينظر: قوتال فضيلة، التشاكل والفعل الاستعاري في النصوص الأدبية (سيميائيات) مجلة دورية محكمة تصدر عن مخبر السيميائية وتحليل الخطابات، منشورات دار الأديب جامعة وهران، الجزائر، ع2، 2006، ص 92.

هذه الوحدات المعجميّة في انتظامها داخل المسارات على توليد مقوّمات سياقيّة متشابهة، ممّا يحقّق على مستوى الخطاب مجموعة من التّشاكلات[1].

ويتأسّس التّشاكل على مستوى الخطاب بفعل التّوارد المتكرّر لمجموعة من "المقولات الدّلاليّة"، والتي يعني بها المقوّمات السّياقيّة (Classèmes) والمقوّم السّياقي بصفته مفهوما يندرج ضمن علم الدّلالة المصغّر (Micro sémantique) حسب تحديد "راستي" أو التّحليل بالمقوّمات عند المدرسة الأمريكيّة (كاتزوفودور) أو التّحليل المقوماتي عند المدرسة الفرنسيّة "غريماس" (L'analyse Sémique) ويهتمّ هذا الاتّجاه بتنظيم الوقائع اللّغويّة على المستوى الدّلالي بتأسيس تمايزات اعتمادا على السّمات المميّزة التي صاغتها السّيميائيّة السّرديّة بمفهوم (Sème) الذي يعدّ أصغر وحدة دلاليّة [2]. فيتحقّق التّشاكل بوجود وحدات دلاليّة متقاربة المعنى في مستوى الخطاب، «إذ يتوسّع عدد الوحدات التي تسهم في تحقيق التّشاكل بحيث يشمل تراكم المقوّمات السّياقيّة (المحدّدة عن طريق السّياق) والوحدات اللّغويّة (مستوى العبارة) وما يصطلح عليه "راستي" بالمقوّمات الخاصّة (Sèmes Spécifiques) التي ترادف "المقوّمات النّوويّة" (Sèmes mucléaires) عند "غريماس": كما أنّ المقوّمات السّياقيّة لا تنحصر في تكرار نفس المقوّمات السّياقيّة بل تشمل أيضا المقوّمات السّياقيّة المنتميّة لنفس المقولات السّياقيّة هذا التّوسّع الذي يقترحه "راستي" لمفهوم

---

[1]– ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب – الدلالة)، ص 91،92.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص94،95.

التّشاكل بإدماج مجموعة من الوحدات المتراكمة يستند عليه لتحديد مستوى التّحليل الذي يؤطّر ضمنه التّشاكل، إنّ تحقيق التّشاكل اعتمادا على تراكم الوحدات اللّغويّة والمقوّمات السّياقيّة ثمّ المقوّمات الخاصّة يعدّ مؤشّرا أساسيّا على كون التّشاكل يتحدّد على المستوى المركبي (الأفقي)، لأنّ مبدأ التّراكم الذي يخصّص نموّ الخطاب وتوالده واتّساقه لا يمكن أن يتحدّد إلاّ داخل هذا المستوى»[1].

وبذلك يتحدّد التّشاكل من خلال علاقة الوحدات الدّلاليّة المتراكمة في سيّاق الخطاب، ويمكن دراسة هذه الآليّة السّيميائيّة في الثّلاثيّة بين التّحليل السّيمائي (الدّلالي) والتّحليل الاستهوائي من التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة وبذلك نكون أمام دراسة هذه الآليّة بين المسار السّيمي والمسار الباتيمي.

1-1- التشاكل والتباين السيمي:

نحدّد ثنائيّة (التّشاكل والتّباين) السّيمي من خلال العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة الواردة في النّص السّردي، وفي الثّلاثيّة نقف على بعض الأمثلة ومن ذلك نأخذ المقطع السّردي لحوار"سعيد" مع والدته كالآتي: «- **سأسافر يا أمي:**

- سأسافر في البحر مع الرّيس عبدوش...»[2] .

---

[1]- ينظر: عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية التركيب - الدلالة)، ص 101،100.

[2]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص270.

ونلاحظ في المقطع السّردي التّركيز على فكرة (السّفر)، ومنه يمكن أن نأخذ فكرة (السّفر) كسيم يتضمّن سيما آخر هو (الحركة) في الفضاء الإبحار في البحر، وفي إطار الفضاء يجب مقابلة (الثّبات) بمنع السّفر – موقف الأم– بقولها: «**لن تسافر..**»[1(2)] . ممّا يحدّد ذلك تباينا سيميّا بين (الحركة ≠ الثّبات). وتشاكل سيمي بين (السّفر=حركة)، وبين (رفض السّفر=ثبات).

ونجد التّشاكل والتّباين السّيمي في المقطع السّردي: «**والدي غائب مفقود، ضائع في البحر...**»[(2)]. ومن الملفوظ نلحظ وجود السّيم (مفقود) الذي يتضمّن سيما آخر هو (الغيّاب)، حيث يتمظهر التّشاكل السّيمي بين (مفقود=غيّاب)، ويقابل سيم (الحضور) سيم (الغيّاب) فيتشكّل بذلك تباين سيمي بين (غيّاب≠ حضور).

ونجد أيضا سيم (الغدر) لدى الممثّل "عبدوش"، وذلك أثناء قطع الحبل على "سعيد" لإغراقه في البحر كما في الملفوظ السّردي «**رفع يده وانتظر...مدّها وانتظر...وحين صار سعيد في منتصف الطّريق، قطع الحبل...**»[(3)] .

فنستخلص مفهوم (الغدر) من فعل "الريس عبدوش"، إذ يشكّل لنا (الغدر) سيما يتضمّن سيما آخر متمثّلا في (الشّر) يقابله سيم متمثّل

[(1)]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص272.

[(2)]– المصدر نفسه، ص20.

[(3)]– المصدر نفسه، ص 332، 333.

فـي (الخيـر)، فيحـدّد لنـا السّـيم (الغـدر) وجـود تشـاكل سـيمي قيمـي بـين (الغدر=الشّر)، ووجود تباين سيمي بين (الشّر≠ الخيّر).

ويحدّد التّشاكل السّيمي وجود وحدات تصويريّة تشّكل مسارا تصويريّا يتضاد أو يتماثل مع مسار تصويري آخر، ومن ذلك الملفوظ السّردي: «**صار الهمّ أكبر، وصار الشّقاء أكبر وصغر الأمل صغر حتّى انقطع...**»[1] حيث نجد تشاكلا سيميّا بين الوحدات التّصويريّة (صار الهمّ أكبر= وصار الشّقاء أكبر)، وهنا يرد تشاكل سيمي في حجم المشكلة والألم، ويردّ تباين بين الوحدات التّصويريّة (صار الهمّ أكبر وصار الشّقاء أكبر≠ وصغر الأمل حتّى انقطع). وذلك بين مفهوم حجم المشّكلة والألم الكبير وصغر الأمل حتّى انقطعت خيوطه، إلاّ أنّ كبر الألم وصغر الأمل هما مؤشّران لباتيم مشترك يتمثّل في اليأس والحزن.

ومن التّشاكل والتّباين السّيمي، المقطع السّردي: «– **حسبتك كنت مع والدي في الجبل.**

– **كنت على اتّصال معه وهو في الجبل.**

– **هل حدثّك عن نزوله إلى البحر؟...**»[2].

ففضاء (الجبل) كسيم يضمّ سيمات (ارتفاع، في البرّ، صعود....) أمّا فضاء (البحر) كسيم فإنّه يضّم (نزول، ماء..)، ومنه فالصّعود يحيل

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار، ص 118.

[2]– المصدر نفسه، ص 203.

إلى الحركة والنّزول أيضا يشير إلى الحركة ومنه فهناك تشاكل سيمي بين (الصّعود) و(النّزول) لوجود المشترك السّيمي (الحركة)، إلاّ أنّ هناك تباينا سيميّا في الملفوظ السّردي بين (صعود≠ نزول)، وبين فضائيين (الجبل≠ البحر)، فالأوّل مؤشّر لليابسة (البرّ)، والثّاني مؤشّر (للماء).

1-2- التشاكل والتباين الباتيمي:

ومن التّشاكل والتّباين السّيمي الذي يحدّد الوحدات الدّلالية في علاقتها المتمظهرة فيما بينها بين التّماثل والتّضاد، فإنّه يمكن أن نستخلص هذه العلاقات أيضا بين السّيمات الباتيميّة، حيث يهدف التّحليل السّيمي إلى ردّ المعاني والمدلولات إلى الحدود السّيميّة يعني إلى الشّبكات المنظّمة للحدود الابتدائيّة مثل: اللّكسمين الباتيمين (الأمل) و(الخوف)[1]، فصورة (الأمل) كمفردة معجميّة بمعنى إحساس نتصوّر من خلاله شيئا مناسبا لرغبتنا[2]، وتتمظهر صورة اللّكسيم الباتيمي (الأمل) في الثّلاثيّة في أمل "سعيد" في إيجاد والده كما في الملفوظ: «**والدي غائب مفقود، ضائع في البحر لكنّه ليس بغريق ولا ميّت.. يمكن أن نقول أيّ شيء إلاّ تلك الكلمة الرّهيبة: مات، سأقول لأمي: لم أعثر عليه... معنى هذا أنّ الأمل لم ينقطع قد لا يكون أملا حقيقيّا ولا أملا كاملا، لكنّه أمل على كلّ حال...**»[3] .

---

[1]– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي إنجليزي، فرنسي). دار الحكمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2000، ص 167.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص ن.

[3]– ينظر: حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 20.

ومن المقطع السّردي نلحظ السيّمات (لم أعثر عليه، الأمل لم ينقطع أمل على كلّ حال...)، وهي مؤشّرات دالّة على أمل "سعيد" في العثور على والده، في مقابل ذلك نجد اللّكسيم الباتيمي (الخوف) «وهو إحساس نتصورّ من خلاله شيئا خطيرا وغير مناسب لرغبتنا..»[1]، ويرد (الخوف) لدى الممثّل "الأم" التي ترفض فكرة سفره، وذلك لخوفها من فقدان ابنها كما في الملفوظ: «– **وأنا أقول لن تسافر يكفي فجيعتي بواحد...**»[2].

فاللّكسيم الباتيمي (الأمل) واللّكسيم الباتيمي (الخوف) لهما سيم مشترك هو (الإحساس) وسيم (رؤية المستقبل)، فاللّكسيم الباتيمي (الأمل) إحساس إيجابي لرؤية المستقبل بتفاؤل، وأمّا اللّكسيم الباتيمي (الخوف) إحساس سلبي لرؤية المستقبل بتشاؤم.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ الباتيم (الأمل) يتضمّن سيما باتيميّا (تفاؤل)، في المقابل نجد الباتيمين (الأمل=التّفاؤل)، وبين (الخوف=التّشاؤم) وتباين باتيمي بين الباتيمين (الأمل ≠ الخوف)، وبين الباتيمين (التّفاؤل ≠ التّشاؤم).

ومن أمثلة التّشاكل والتّباين الباتيمي في الثّلاثيّة، الملفوظ السّردي: «**فيما أن أحدّق في الجثّة الغريبة، وفي داخلي شعوران من حزن وفرح من خيبة وأمل ولم يلبث الأمل أن فاض في الذّات وخدعها كانت ذاتي**

---

[1]– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي إنجليزي، فرنسي)، ص 167.

[2]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (حكاية بحار)، ص271.

مستعدّة لأن تخدع ما دام ذلك يعيد إليها الرّجاء....»[1]، ومنه فالاختلاف بين السّيمات الباتيميّة يؤدّي إلى إحداث اختلاف في آثار المعنى، وينبغي أن نحدّد السّيمات بالنّظر إلى علاقة بعضها ببعض، وتنتج الدّلالة انطلاقا من شبكة هذه الاختلافات[2].

2- المربع السيميائي والباتيمي:

حدّدت السّيميائيّة السّرديّة وجود مفاهيم وأدوات إجرائيّة في البنية العميقة، وما يُعرف في الدّراسة السّيميائيّة «هو أنّ للمكوّنات الأوّليّة للبنيات العميقة وضع منطقي قابل للتّحديد»[3] ويمكن أن نعتبر علم الدّلالة المنطقي كيفيّة أو أسلوبا للتّعامل مع بعض القضايا اللّغويّة التي نواجهها بالفعل وقد يتناول بمعنى التّضمّن أو الدّلالة الضّمنيّة[4]. ولعلّ من بين البنيات السّيميائيّة السّرديّة «يميّز "غريماس" البنيات السّيميائيّة السّرديّة التّركيبيّة (التّركيب السّردي الأساسي والتّركيب السّردي السّطحي)، والبنيات السّيميائيّة السّرديّة الدّلاليّة (الدّلالة الأساسيّة والدّلالة السّرديّة)، ومن المناسب النّظر إلى نظريّة المربع السّيميائي التي يقترحها "غريماس" كنموذج لشبكة علاقات

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (حكاية بحار)، ص 15.

[2]- ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي إنجليزي، فرنسي)، ص 169.

[3]- ينظر: غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص59.

[4]- بلمر (plamer)، علم الدلالة، تر: أحمد طاهر حافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، ط1، 2012، ص308.

الدّلاليّات الأساسيّة، وتبيين كيف أنّ المربّع السّيميائي قابل للتّماثل مع بعض أوجه التّركيب السّردي»[1].

فالدّلالة الأساسيّة قائمة على وجود المربّع السّيميائي الذي يعدّ بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة (...)، فالمربّع السّيميائي قابل للتّماثل مع التّركيب السّردي السّطحي الذي يعدّ بنية انبثاق للدّلالة فهو نموذج تقسيمي يسمح بتمثيل نسق القيّم الذي ينظّم العالم الدّلالي الأدنى والذي هو مسرد في المستوى المؤنسن تبعا لضرورات التّركيب السّردي، (...) ولقد استخدم "غريماس" المرّبع من أجل تقديم تداخل العلاقات ما بين الحالات السّرديّة (مربّع الحالات) الذي يجسّد انتقال الذّات من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة لها في التّركيبة السّرديّة أو ما بين الأماكن أين يمكن أن تتموقع موضوعات القيمة (المربّع الموضعي للانتقالات)[2].

فالمربّع هو تمثيل للعلاقة بين الوحدات الدّلاليّة أو القيّم المنطقيّة الكامنة في عمق النّص السّردي؛ حيث «تستخلص الدّلالة من وجود علاقات الاختلاف والتّقابل القائمة بين حزمة من الوحدات الدّالة»[3] فكما لا يستقيم مفهوم الحياة إلا بمقابلته بالموت في الثّلاثيّة إذ تعدّ هذه الثّنائيّة البنية

---

[1]– أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، ص 150،151.

[2]– المرجع نفسه ص 151، 152.

[3]– ينظر: عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس، ص 93.

الأساسيّة للدّلالة. وعلى هذا الأساس فالمربّع السّيميائي عند "غريماس" هو «التّمثيل البصري لعلاقات منطقيّة في المقولة السّيميائيّة لأيّ بنية...»[1] ويحدّده أيضا بأنّه «بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف يتمّ إنتاج الدّلالة عن طريق سلسلة من العمليّات الإبداعيّة لمواقع متباينة»[2].

فالمربّع السّيميائي يحدّد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة في النّص فهو كما يقول "رشيد بن مالك": «التّمثيل المرئي للتّمفصل المنطقي لأيّة مقولة دلاليّة»[3]. ومنه فالمربع السّيميائي هو آليّة إجرائيّة لضبط العلاقة بين الوحدات السّيمية الكامنة في ثنايا النّص أو حتّى الوحدات الباتيميّة باستخلاص المربّع الباتيمي.

ولعلّ الاستعانة بالمقوّمات السّيميّة والسّياقيّة، وتباين الصّور المعجميّة من خلال رصد مختلف التّشاكلات السّيميائيّة والاحتكام إلى المربّع السّيميائي لمعرفة طرائق توليد الدّلالة المنطقيّة، وذلك عن طريق تشغيل قيّم (التّضاد والتّقابل، والتّناقض، والتّضمّن)؛ لأنّ المعنى في السّيميائيّات لا يتولّد في الحقيقة إلاّ عبر الاختلاف، ويعنى هذا ربط المستوى الخطابي بالمستوى

---

(1)– Voir, A,J Greimas, J.courtés, Sémantique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, p: 29.

(2)– ينظر: أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، ص151.

(3)– ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي انجليزي، فرنسي)، ص23.

المنطقي الدّلالي[1]. وكما استخلصنا المربّع السّيميائي في دراستنا للمسار العاملي والاستهوائي في التّركيبة السّرديّة، فإنّه يمكن ضبط ذلك في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة من خلال تحديد العلاقة بين الوحدات السّيميّة، والوحدات الباتيميّة وبذلك نكون أمام ضبط المربّع السّيميائي والمربّع الباتيمي ويمكن استخلاصهما من الثّلاثيّة كالآتي:

2-1- المربع السيميائي:

يتمّ استخلاص المربّع السّيميائي بتحديد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة الكامنة في البنية السّرديّة للثّلاثيّة، ومن ذلك نجد الوحدة الدّلاليّة (السّفر) كسيم يتضمّن أو يحتوي على سيم آخر هو (الحركة)، و(رفض السّفر) من قبل "الأم" بمعنى طلب (الاستقرار) لابنها "سعيد"، و(الاستقرار) كوحدة دلاليّة يتضمّن سيم (الثّبات) ومنه يمكن تحديد المربّع السيميائي كالآتي:

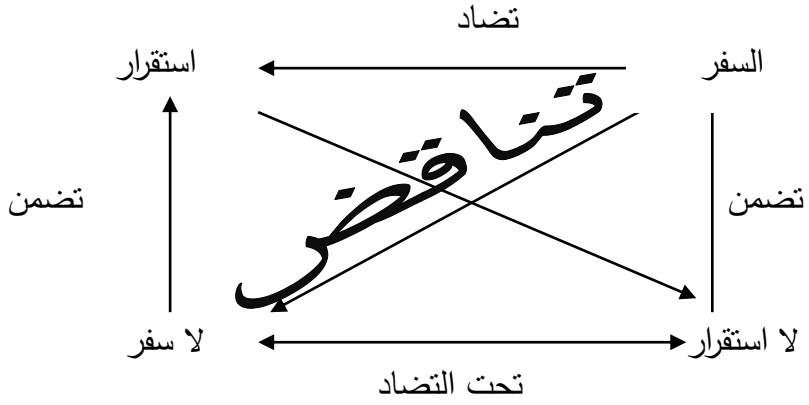

[1]- ينظر: جميل حمداوي، العامل والممثل، من الموقع http :Langhtiri,1965jeiran. com.

ومـن هـذه الوحـدات الدّلاليّـة (السّـفر، والاسـتقرار) حيـث تكشـف هذه الثّنائيّة التّناقض بين فكرة سفر "سعيد" وإصراره على إيجاد والده في مكان ما فيتنقل من بلد إلى آخر ومن مرفأ إلى آخر في حالة لا استقرار على أمل أن يجده قيد الحياة، وتتقابل فكرة السّفر وتتضاد بوجود فكرة الاستقرار "فالأم" تـرفض سـفر ابنهـا وتفضّـل اسـتقراره والعمـل فـي المينـاء والاكتفـاء بـذلك فهي في حالة رفض للسّفر لأنّها على يقين بأنّ والده توفيّ منذ زمن ولا جدوى من السّفر والبحث عنه، ويمكن استنباط مربّع سيميائي آخر من الثّنائيّة السّيميّة المتضـمّنة وهـيّ (الحركـة، والثّبـات) وتتحـدّد العلاقـة بـين هـذه الثّنائيّـة السّـيميّة كالآتي:

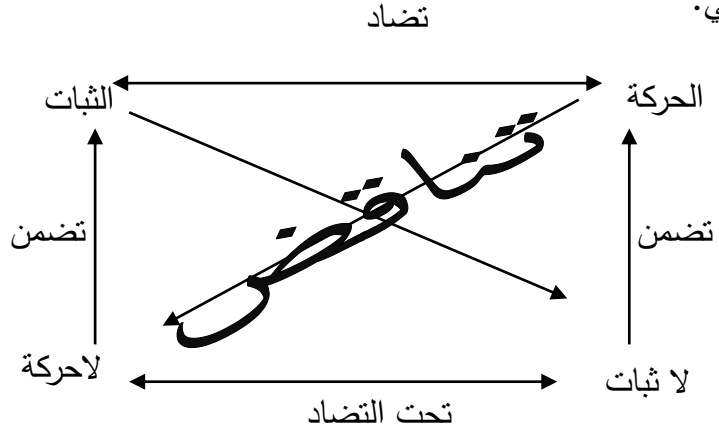

ففـي سـفر "سـعيد" وتنقّلـه مـن مكـان إلـى آخـر يكـون فـي حالـة حركـة أيّ لا ثبات، وفيما تفكّر فيه والدّته بطلب الاستقرار وعدم السّفر يكون "سعيد" فـي حالـة ثبـات؛ أيّ لا حركـة. وفـي البعد المعرفي نجد الممثّل "سعيد" ينتقل في البرنامج السّردي المعرفي من المرحلة الأولى في البحث عن والده (الاعتقاد بموته) إلى المرحلة الثّانية في البحث عن والده (الاعتقاد بأنّه على قيد الحياة) والأمل في العثور عليه، ومنه فإنّه يمكن استخلاص المرّبع السّيميائي من البعد

المعرفـي للممثّـل "سـعيد" فـي مسـيرة بحثـه عـن والـده مـن الاعتقـاد بموتـه إلـى الاعتقاد بأنّـه علـى قيد الحيـاة، وذلك من خـلال التّقابل السّيمي فـي ثنائيّة (الموت والحياة) للممثّل "صالح حزّوم" في البعد المعرفي "سعيد"، ويمكن ضبط ذلك كما في المرّبع السّيميائي كالآتي:

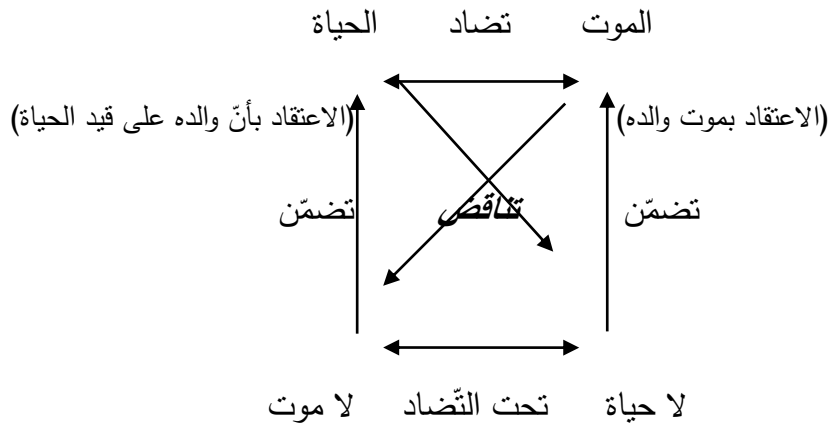

(اليأس في العثور عليه) (اكتشاف الجثّة بأنّها لبحّار فرنسي)

فـالمربّع السّـيميائي يمثّـل لنـا ثنائيّـة (المـوت والحيـاة) التـي تعـدّ البنيـة الأساسيّة للدّلالـة فـي عمق الثّلاثيّـة، وذلك فـي البعد المعرفـي للبرامج السّرديّة للممثّل "سعيد" فـي بحثـه عن والده من المرحلـة الأولـى (الاعتقاد بموت والده) إلى المرحلة الثّانيّة (الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة).

وكـان تجسـيد المرّبـع هنـا بحسـب اعتقـاد الممثّـل "سـعيد" (فـي البعـد المعرفي) لوضعيّة والده، إلاّ أنّ الممثّل "صالح حزّوم" في حقيقة أمره قد انتقل من وضعيّة (الحياة) قبل عمليّات الغطس والغوص المتكرّرة في الباخرة الغارقة إلـى وضـعيّة (المـوت) بسـبب ذلـك، ومنـه فـإنّ تحـوّل وضـعيّة "صـالح حـزّوم"

من حالة (الحياة) إلى حالة مضادّة لها هيّ (الموت)، ومنه يمكن تمثيل مربّع الحالات لوضعيّة "صالح حزّوم" كالآتي:

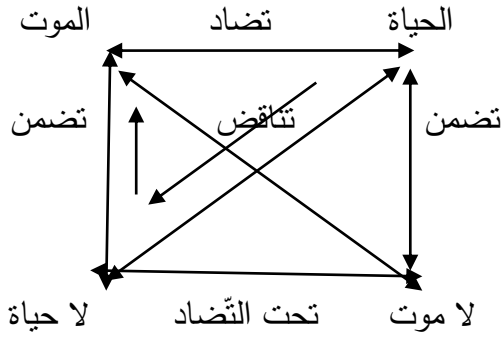

وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن من السّيم (وحدة معنويّة صغرى) أنّ نستخلص ما يقابله وما يتضمّنه من سيمات تشكّل بدورها شبكة عقائديّة من الوحدات الدّلاليّة التي تتوزّع في علاقتها الدّاخليّة الكامنة في النّص السّردي ويعدّ المرّبع التّمثيل البصري للعلاقة بين الوحدات الدّلاليّة الكامنة في ثنايا وأغوار النّص السّردي.

2-2- المربع الباتيمي:

ويتمّ ضبط المربّع الباتيمي باعتباره يُحدّد العلاقة الباتيميّة بين الوحدات الاستهوائيّة في الثّلاثيّة، ومن ذلك نجد في البرنامج الاستهوائي للممثّل "سعيد" تجسيدا لصورة (الأمل) في المرحلة الأولى والمرحلة الثّانيّة (الأمل في إيجاد والده على قيد الحياة)، فكانت البرامج السّرديّة المساعدة للممثّل "سعيد" لتحقيق البرنامج السّردي المعرفي الأساس (البحث عن والده والأمل في العثور عليه)

فالأمـل هنـا كلكسـيم بـاتيمي يتضـمّن (التّفـاؤل) الـذي يقابلـه لكسـيم (اليـأس) من عدم العثور عليه، ويمكن ضبط ذلك في المربّع الباتيمي كالآتي:

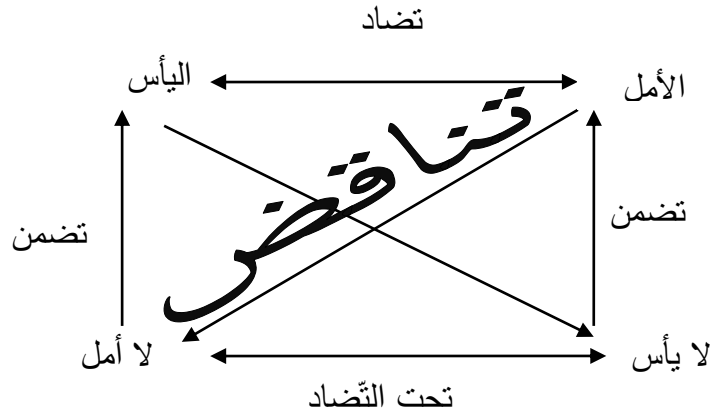

ومنـه فإنّ من الوحدات الباتيميّة والاستهوائيّة في البرنـامج الاستهوائي للممثّل "سعيد" ثنائيّة: (الأمل، واليأس) التي تشكّل البنية الأساسيّة الاستهوائيّة في الثّلاثيّة، ومن هذه الثّنائيّة يمكن استنباط مربّع باتيمي آخر يجسّد ثنائيّة باتيميّـة متضـمّنة وهـيّ: (التّفـاؤل، والتّشـاؤم)، ويمكـن تحديـد العلاقـة بـين هذه الثّنائيّة كالآتي:

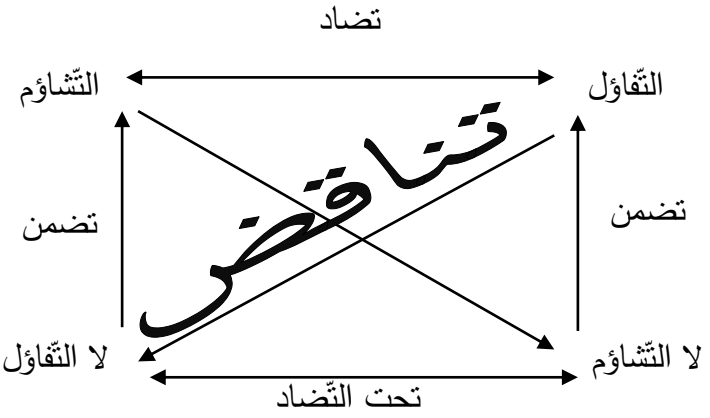

ومن خلال الشّعور الدّاخلي للممثّل "سعيد" بالتّشاؤم والحزن أثناء استخراجه للجثّة التي اعتقد بأنّها لوالده في البداية ثمّ يتغيّر الشّعور إلى التّفاؤل والفرح أثناء اكتشاف الجثّة بأنّها لبحّار (جندي فرنسي) كما في الملفوظ السّردي: «**فيما أنا أحدّق في الجثّة الغريبة، وفي داخلي شعوران من حزن وفرح...**»[1]. وبذلك يمكن استخلاص المربّع الباتيمي من السّيمات الباتيميّة (الحزن، الفرح) من علاقة تناقض وتداخل في آن واحد للحالة النّفسيّة للذّات الاستهوائيّة للممثّل "سعيد" كالآتي:

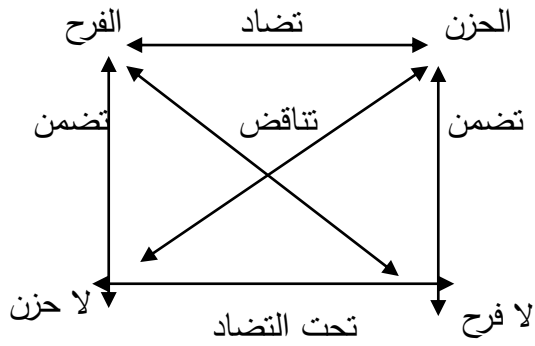

وفي الثّلاثيّة نجد تعلُّق "سعيد حزّوم" (بوالده، وكاترين، والبحر) ومن ذلك المقاطع السّرديّة: «**والده، كاترين والبحر هذا هو الثّالوث الذي شغله وسيظلّ يشغله...**»[2](..) «**حين أفكّر بكاترين الحلوة يسيطر القلب...**»[3] «**البحر هو كاترين: والباخرة كانت رمز للاثنين: كتب الطّبيب في تقريره**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 15.

[2]– المصدر نفسه، ص 349.

[3]– المصدر نفسه، ص 380.

ما يلي (من عوامل الشّفاء اللّقاء بكاترين أو العودة إلى البحر)»[1] **(..) «وانفتحت يوما بعد يوم شهيّته للكلام للحديث عن والده، وكاترين والبحر والسّفر الطّويل...»**[2] ومن المقاطع السردية يمكن استخلاص اللّكسيم الباتيمي (الحبّ) من خلال شعور "سعيد" الدّاخلي نحو (والده، وكاترين والبحر).

فإذا عزّزنا شعور الحبّ كلكسيم باتيمي لدى الممثّل "سعيد" فإنّنا ننفي بالضّرورة اللّكسيم الباتيمي (الكره)، ونعزّز بذلك وجود الودّ والميل الشّديد الذي يتمظهر من خلال علاقة الرّغبة بين الذّات الاستهوائيّة والموضوع القيمي ويمكن تحديد العلاقة بين اللّكسيمين (الحبّ) و(الكره) كما في المربّع الباتيمي الآتي:

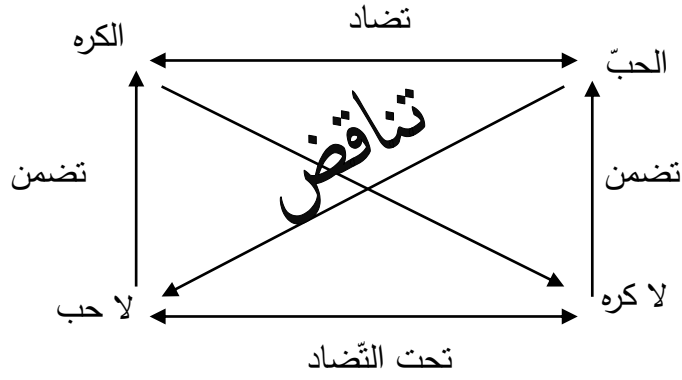

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص380.

[2]– المصدر نفسه، ص388.

وعلى هذا الأساس فإنّه يمكن القول ما دام المربّع السّيميائي يحدّد العلاقة بين ثنائيّة دلاليّة فإنّ المربّع الباتيمي يحدّد العلاقة بين ثنائيّة باتيميّة وعليه فإنّنا نجد الباتيمات مكملة للسّيمات في تحديد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة في الملفوظ السّردي، وتظلّ ثنائيّة (الموت والحياة) الجوهريّة في البنية الأساسيّة السّرديّة والدّلاليّة، وثنائيّة (الأمل واليأس) الجوهريّة في البنية الأساسيّة الاستهوائيّة.

ثالثا: البنية والقيم الدلالية والمنطقية:

تتحدّد الدّلالة بوجود العلاقة الكامنة بين الوحدات الدّلاليّة في البنية السّرديّة، «فالدّلالة لا تكترث للمادّة الحاملة لها وهذا معناه أيضا أنّ البنية في جميع الحالات هي شبكة من العلاقات الحاضنة لمجمل الرّوابط الممكنة بين الحدود التي تكوّنها (التّشابه والتّقابل)، إنّها تشير بذلك فيما هو أبعد من ظاهرها إلى ما يمكن أن يساعدنا على وضع اليد على الأشكال التّنظيميّة الأولى للدّلالة من جهة وما يقودنا إلى الكشف عن (الشّروط الأوليّة لإنتاج الدّلالة والإمساك بها) من جهة ثانيّة، وفي الانتقال من الحالة الأولى إلى الحالة الثّانيّة تتحدّد المعالم الأساسيّة (المسار التّوليدي) الذي يلخصّ مجمل التّحوّلات التي تلحق هذه البنية، ويشير في الوقت ذاته إلى قدرته على استيعاب هذه التّحوّلات ضمن نسق يحدّ من امتداداتها وانتشارها الفوضوي (التّناظر)..»[1]. فالبنية السّرديّة تحمل في ثناياها قيّما دلاليّة كامنة، ويتمّ

[1]– ألجيرداس، ج، غريماس، جاك فونتني، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، ص 22.

الكشف عنها انطلاقا من فهم النّص وضبط العلاقة بين وحداته الدّلاليّة في التّركيبة السّردية، ويمكن أن ننظر إلى البنية «باعتبارها سننا (**code**) يكثّف داخلها مجموع التّحقّقات الممكنة للظّاهرة الواحدة فهي من هذه الزّاوية سيرورة لأنّه يستولي على السّلوك في فرديّته ويحوّله إلى إطار عام يفسّر كلّ الأنواع السّلوكيّة المشابهة، وهيّ من زاوية ثانيّة نتاج لهذه السّيرورة لأنّ وجودها مرتبط أصلا بوجود النّسخ المتحقّق في أيّ سلوك..»[1]. ويتمّ تفكيك شفرات البنية السّرديّة للبحث عن الدّلالة الكامنة والمتخفيّة في حيثياتها والحامل للقيّم والكثير من المعاني والمفاهيم ذات أثر إمّا إيديولوجي، أو سيّاسي أو سوسيّو ثقافي أو نفسي، ومن القيّم الدّلاليّة الكامنة في البنية السّرديّة نذكر:

1- الأثر الأيديولوجي والإكسيولوجي:

لقد ميّز "غريماس" بين هذين المكوّنين "الأيديولوجيا" و"الأكسيولوجيا" في دراسته للقيّم الكامنة في النّص السّردي وعليه، فقبل تحديد القيّم الدّالة على الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي فإنّه يجدر بنا أوّلا أنّ نضبط مصطلح (الأيديولوجيا)، فالمصطلح يتشكّل لغويّا من كلمتين لاتينيتين هما: (**Idéo**) بمعنى فكر و(**Logie**) بمعنى علم، وتعني حسب التّرجمة العربيّة (علم الأفكار)، ويعود نحت هذا المصطلح أو التّركيب إلى المفكر الفرنسي "دستوت دي تراسي" (Destutt de tracy) سنة (1817)، وما زالت الأيديولوجيا في مرحلة البحث عن الأسس والخصائص والمميّزات التي تجعلها علما قائما

---

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، مطبعة فضالة، دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص 07.

بذاته، بل هي فضلة (Résidu) من فضلات العلوم الإنسانيّة على حدّ تعبير المفكّر الفرنسي "ف.دومون" (F.Dumont)[1].

وإذا انطلقنا من وجود علاقة تأثير وتأثّر بين الأيديولوجيا والعمل الرّوائي، فإنّ من حوامل الأيديولوجيا في العمل الروائي كما أشار إليها "إبراهيم عباس" هي: (الزمان، والمكان، والحبكة، والشّخصيّات، والحوار، والسّرد والرّمز..) فكلهّا حوامل للأيديولوجيا ومظهر لها، يمكن من خلالها أن يبدي الرّوائي ما يريد وأن يخفي ما يريد، والأديب المبدع لا يكتب نصّه وهو خال من أيّ توجّه أيديولوجي، فهو ليس بريئا تمام البراءة ،لأن توجّهه يشكّل جزءا من شخصيّته وثقافته، وفكره، وأدواته اللّغويّة[2]، ولعلّ ما يميّز العمل الرّوائي هو وجود أثر للبعد الإيديولوجي، وعليه فإنّ كل عمل روائي ما هو إلا إنتاج أيديولوجي له لفته خاصة وعلاماته ورموزه التي يتحكم فيها الفضاء والزّمن أو ما يطلق عليه الألسنيون السّياق اللّغوي الذي يفسح المجال من جانب آخر على اللّحظة التّاريخيّة[3].

ولعلّ طريقة تنظيم المعنى في السّياق اللّغوي للعمل الرّوائي يحدّد الطّبيعة الأيديولوجيّة للمعنى، ومنه فإنّ «الأيديولوجيا كما يوضّح ذلك "إليزيو فيرون" (Eliseo veron): ((ليست سجّلا لمضامين (الإدارة، والمواقف

---

(1)– ينظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر الجزائر، دط، 2001، ص 27، 28.

(2)– ينظر: إبراهيم عباس، الرواية المغربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد، للكتاب، الجزائر، ط1، 2005، ص 57.

(3)– ينظر: أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، ص 41.

أو حتّى التّمثيليّات) بل هي قواعد (grammaire) لتوليد المعنى؛ أي استثمار للمعنى في مواد دالّة ولا يمكن تبعا لذلك تحديدها من خلال المضامين))، وإنّ طريقة التّوليد هاته تفرض أصلا أو مادّة تشكّل منطلق بناء النّص...»[1]. وتعرّف الأيديولوجيا في المفهوم السّيميولوجي بأنّها القيّم في وقائع خاصّة وإعادة تعريفها بمعنى حذف لخصائص أو إضافتها إلى ما يشكّل المدخل الرّئيس لتعريف الظّاهرة من خلال استحضار تجربة محسوسة تعدّ اغتناء للأصل المولد وتنويعا له[2]. ومنه «فإنّ إنتاج أثر دلالي ما (أيديولوجي) لا يعود إلى المدلول ككيان مكتف بذاته بل يعود إلى الصيّاغة التي تُقّدم له، وبعبارة أخرى فإنّ الملفوظ لا يستنفذ كامل إمكاناته الدلاليّة إلاّ من خلال الآثار التي تتركها الذّات المتلفظّة لحظة إنتاجها لهذا الملفوظ»[3].

وكما أشرنا إلى مفهوم (الأيديولوجيا) من جهة، فإنّ مفهوم (الأكسيولوجيا) من جهة ثانيّة يحدّده "غريماس" بقوله: «(نعني بالأكسيولوجيا عامّة نظريّة، أو وصف أنساق القيّم سواء كانت أخلاقيّة أو منطقيّة أو جماليّة)»[4]، وكلّ منها؛ أي الأيديولوجيا والأكسيولوجيا مقولة تشير إلى نمط

---

[1]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الجزائر، 2003، ص 159.

[2]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 08.

[3]– المرجع نفسه، ص 27.

[4]– المرجع نفسه، ص 45.

معيّن لتنظيم القيّم رغم انتماء المقولتين معا إلى كون واحد[1]. وذلك لكونهما «يغطّيان نفس المادّة المضمونيّة ويتعلّق الأمر بالحالة التي يطلق عليها (الأكسيولوجيا) فهي نشاط يقوم بتنظيم أو وصف القيّم في مستوى تجريدي عام وهذا المستوى يتميّز بانفصاله التّام عن أيّ سيّاق، إنّ الأكسيولوجيّا تبعا لهذا التّحديد عمليّة يتمّ فيها الإمساك بالكون الدّلالي عبر حدود تنظيميّة تلتقط الوجود الإنساني عبر مفاصله المضمونيّة الكبرى وتشكّل الأيديولوجيا في المقابل الوجه المشخّص لهذه القيّم، أو التّجسيد الفعلي للمادّة المضمونيّة داخل حدود زمنيّة وفضائيّة تمنح القيّم لونا وطعما وخصوصيّة، إنّ التّشخيص هنا هو إدراج القيّم المجردة ضمن سيّاقات خاصّة فالفعل الخاص يحتاج إلى سيّاق خاص يميّزه ويستمدّ منه فرادته»[2].

ويمكن الاعتبار بأنّ الأكسيولوجيا هي البحث عن القيّم المجرّدة والمعنويّة الكامنة في حيثيّات النّص، وفي المقابل الأيديولوجيا تبحث في القيّم الحسيّة داخل السّياق، ومنه «إنّ القيّم التي تعود إلى الأكسيولوجيا هيّ قيّم محتملة وتعدّ نتاجا للتّمفصل السّيميائي للكون الدّلالي الجماعي وبهذا فإنّ وجودها يتحدّد داخل البنيات السّيميائيّة العميقة إنّها تشير إلى نمط الوجود الاستبدالي (Paradigmatique) للقيّم، ويمكن القول أنّ كلّ مقولة ممثّلة في المربّع السّيميائي (حياة، وموت) مثلا قابلة لأن تأخذ طابعا

---

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 37.

[2]– سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 157.

أكسيولوجيا بفضل استثمار الحدود الإيجابيّة والسّلبيّة المحدّدة للحالة الوجدانيّة المتمحورة حول (قبول، رفض)»[1].

وباعتبار الأكسيولوجيا تبحث في القيّم المجرّدة والذّهنيّة والمعنويّة فإن لها السّبق في تنظيمها الأوّلي للعناصر التي تعطي للحياة بعدها الإنساني (..) في حين يرتبط الفعل الخاص بالسّياقات المميّزة للتّجربة الفرديّة وهذه السّياقات الخاصّة هيّ ما يشكّل عند "غريماس" الوضع المحسوس والملموس للقيّم، وهذا الوضع يدرك من خلال فعل ما، وهذا ما يشكّل للأيديولوجيا ويمكن أن نمثلها كالآتي[2]:

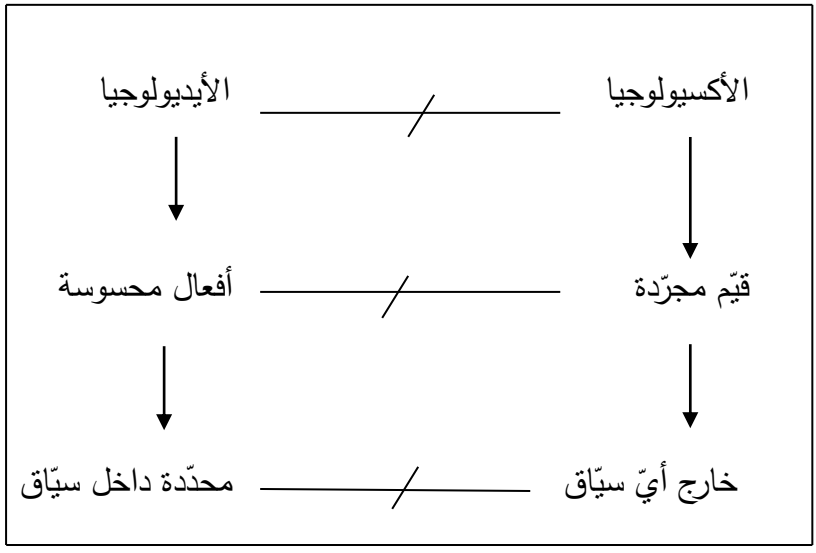

فالأكسيولوجيا تختلف عن الأيديولوجيا وذلك لأنّها تقوم على وجود قيّم مجرّدة تكون خارج أيّ سيّاق أمّا الأيديولوجيا فتقوم على وجود أفعال محسوسة

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 37.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

تكـون محـدّدة ومنظّمـة داخـل السّـياق، ومنـه سـنحاول ضـبط قـيّم المكـوّنين (الأكسيولوجيا والأيديولوجيا) من البنية السّرديّة للثّلاثيّة من خلال تجلٍ صريح لها أو من خلال وحدات دلاليّة حاملة للقيّم، ومن ذلك نأخذ المقاطع السّرديّة: **«أيّها البحر! أنت كنت شاهدا هنا. كما ستكون شاهدا في فلسطين، فرنسا في سورية، وبريطانيا في فلسطين، زحف الأتراك على اللّواء، وزحف اليهود على فلسطين... المقص يعمل في خريطة سوريّة، قطعة من الشّمال، قطعة من الجنوب...ونحن؟ أين العرب؟ أين الحكومة؟ أين دمشق؟ أين عصبة الأمم؟»**[1] **(...) «وعندما حدثت نكبة فلسطين نسو نكبتنا بل نسيناها نحن أنفسنا...»**[2]. ونجد "قاسم" يقول "لسعيد": **«...القصة طويلة يا سعيد...المؤامرة كانت مبيتة منذ العشرينات، ففي عام 1923، عندما عقدت فرنسا اتفاقيّاتها مع تركيا، ألحق بها ذيل سرّي يتضمّن وعدا بتسليم اللّواء إلى تركيا في ظروف دولية مؤاتيّة...»**[3].

يبدو الأثر الأيديولوجي واضحا وصريحا في المقاطع السّرديّة بوصف وتصوير الحقائق التّاريخيّة للواقع في سورية أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة وقد استخدم الرّوائي الشّخصيّات كبوق يتكلّم من خلاله عن أفكاره الأيديولوجيّة فنجد الممثّل "سعيد" لا يحمل بعد أيديولوجيّا فهو يجهل الأمور والقضايا السيّاسيّة، في المقابل الممثّل "قاسم" يحمل فكرة أيديولوجيّة كونه يزرع الوعي السّياسي لدى الشّباب وإذ به يلتقي "سعيد" ونجد هذا الأخير يقول:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 114.

[2]– المصدر نفسه، ص118.

[3]– المصدر نفسه، ص 205.

«كانت مفاجأة قاسم ذو الرقاقة اللّحميّة بين الإصبعين، خفق قلبي للقائه هذا من الماضي، من الرّجال الذين وثق بهم والدي، من الذين نذرو أنفسهم لنشر الوعي في النّاس...أهلا أهلا..»[1]، إلاّ أنّ "قاسم" كان مطاردا من قبل السّلطات الفرنسيّة حتّى انتهت المطاردة بمقتله: **«وقع ما هو أسوأ، وقع ذلك الشّيء الذي كنت أخشاه مات قاسما غرقا! الأصح أنّهم قتلوه ورموه في البحر وبعد أيّام ظهرت جثّته على الشّاطئ، وفي جسمه طعنات الخناجر (...) النّاس يتجمعون حول الجثّة، الحكومة حضرت، والتّحقيق بدأ وفي الأمر جريمة...»**[2] **(...) «...للجريمة علاقة بنشاط قاسم السّياسي الجريمة سيّاسيّة تماما..»**[3].

ومن المقاطع السّرديّة نجد تنظيما للقيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة في نسق لغويّ صريح ومباشر يحمل أثرا أيديولوجيّا من خلال وجود الوحدات الدّلاليّة للملفوظ السّردي، وتشير هذه الوحدات إلى ومضة تاريخيّة سياسيّة للواقع السّوري أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة ويمكن استخلاص الطّبيعة الأيديولوجيّة للقيّم داخل وحدات السّياق في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 52.

[2]– المصدر نفسه، ص 197.

[3]– المصدر نفسه، ص 199.

الأثر الأيديولوجي		
السّياق	داخل وحدات السّياق	القيّم الحسّية
– فرنسا في سوريا وبريطانيا في فلسطين. – زحف الأتراك على اللّواء وزحف اليهود عل فلسطين. – المقص يعمل في خريطة سورية قطعة من الشّمال وقطعة من الجنوب... – وعندما حدثت نكبة فلسطين نسوا نكباتنا بل نسيناها نحن أنفسنا.. – فرنسا بحجة الحرب باقية في سورية . – في عام 1923 عندما عقدت فرنسا اتفاقيّتها في تركيا ألحق بها ذيل سريّ	– في سوريا...في فلسطين. – زحف الأتراك.. وزحف اليهود عل فلسطين.. – .. يعمل في خريطة سورية.. – حدثت نكبة فلسطين – بحجّة الحرب – عقدت فرنسا اتفاقيتها	– الاستعمار – الاحتلال – تقسيم سورية القضية الفلسطينية – الحرب – اتفاقيّة – الثورة/ فشل المقاومة

يتضمّن وعدا بتسليم اللّواء إلى تركيا... – الثّـــورة السّـــوريّة انطفأت باكرا. – تقسيم سورية إلى دويلات إداريّة.	– الثّورة السّوريّة... – تقسيم سورية..	– تقسيم الدّولة السّورية.

وتشير القيّم إلى وحدات دلاليّة «تحيل في مجملها على الكون الدّلالي الذي تحيل عليه الأيديولوجيا»[1] في البنية السّرديّة مثل: (الاستعمار الاحتلال، تقسيم سورية، الحرب، الثورة...)، وكما يشير التّحديد الزّمني والمكاني، في السيّاق إلى حقبة تاريخية عرفتها الدّولة السّوريّة، ومن التّحديد الزّمني المعينات الآتيّة: (وعندما حدثت نكبة فلسطين، في عام 1923 عندما عقدت فرنسا اتفاقيّتها) ومن المؤشر المكاني (في سورية...في فلسطين في تركيا).

وتحيل كلّ من المؤشّرات الزّمانيّة والمكانيّة إلى مواقف سياسيّة وأيديولوجيا ومنه فإنّ «الأيديولوجيا تتمفصل داخل النّص السّردي وفق نمطين مختلفين في الوجود وكلّ تمفصل يؤدّي إلى تجلّي خاص يفرض قواعد بنائه وصيّغه وأدواته فهو: إمّا تجلّي صريح لأيديولوجيا معيّنة وإما تحقيق لبنية دلاليّة صغرى لا تملك (ظاهريّا على الأقل)؛ أيّ مضمون أيديولوجي سابق

[1]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، دار جدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص 81.

على تحققها في السّياق...»[1]. ومن المقاطع السّابقة يمكن استخلاص الأثر الأكسيولوجي كما في الجدول الآتي:

الأثر الأكسيولوجي.		
السّياق	**خارج السّياق**	**القيّم المجرّدة**
– أفادت فرنسا من صمود الثّورة. – الجريمة علاقة بنشاط قاسم السّياسي، الجريمة سياسيّة تماما.	– فشل المقاومة أمام قوّة فرنسا. – قتل قاسم.	ثنائيّة(الحرية والعبودية) ثنائيّة (القوّة والضّعف) ثنائيّة (الحياة والموت)

وتشكيل القيّم المجرّدة للأثر الأكسيولوجي الدّلالي الذي يتجلّى لنا في المستوى العميق خارج سيّاق النّص السّردي، ومنه «فالمقولات الدّلاليّة التي لم تكن من قبل سوى قيّم لسانيّة ستتحوّل إلى قيّم أكسيولوجيّة (Valeur axiologiques) مودّعة في موضوعات تركيبية»[2].

ويتحدّد الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من خلال دور الشّخصيّة في البنية السّرديّة «فإذا لم تكن البنية السّرديّة باعتبارها الوعاء الذي ستصبّ فيه هذه الأيديولوجيا في منأى عن هذه الإرغامات فإنّ بناء الشّخصيّات – المحافل التي ستأخذ على عاتقها تحيين هذا الجهاز – ستبنى بطريقة تحافظ

---

[1]– سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات للإيديولوجيا، ص 56.

[2]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة) ص 83.

على نقاء وصفاء هذه الأيديولوجيا، وتبعا لذلك سنكون من جهة أمام إخراج سرديّ لمقولة أيديولوجيّة ومن جهة ثانيّة أمام تعريف أيديولوجي للشّخصيّات»[1].

فالشّخصيّة يتّخذها الرّوائي كحامل أيديولوجي، وفي الثّلاثيّة يمكن استخلاص الأثر الأيديولوجي من سلوك وفعل الشّخصيّة البطولي ومن ذلك الممثّل: ("صالح حزّوم"، و"الرّيس زيدان")، ويمكن استخلاص الأثر الأيديولوجي من القول المتلفّظ في الحوار أيّ الملفوظ، إذ نلحظ من خلاله الوعي الفكريّ والسّياسي والأيديولوجي للشّخصيّة، ومن الممثّلين: ("قاسم" "سيد"، "وليد") فهؤلاء الثّلاثة حاولوا إيصال الوعي السّياسي للممثّل "سعيد" لكن دون جدوى، فهو يجهل الأمور السّياسيّة، فالأوّل "قاسم" في حواره مع "سعيد" في اللاّذقيّة، والثّاني "سيد" من خلال حواره مع "سعيد" على متن باخرة كاسل، والثّالث "وليد" الذي كان حواره مع "سعيد" أثناء علاجه في دير الصليب للأمراض العصبيّة.

ومنه يمكن ضبط الدّراسة في قطبين: – الأوّل: حول الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لفعل الممثّل وهنا كلّ من: "صالح حزّوم"، و"الرّيس زيدان" والقطب الثّاني حول الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من ملفوظ الممثّل.

---

[1]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة) ص 112.

1-1- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لفعل الممثل:

ونقف على استخلاص الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "صالح حزّوم"، والممثّل "الرّيس زيدان" كالآتي:

- **صالح حزّوم:** يتجسّد لنا الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من خلال فعل ووظيفة الممثّل "صالح حزّوم" كما في المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**صالح حزّوم العامل والبحّار وتلمس روح النّضال فيه، روح الواقع..**»[1] **(..) «..واستعاد الوالد بطبيعته الثّائرة كلّ سمات القائد الشّعبي الذي كانه في مرسين، هناك الأتراك وهنا الفرنسيون، الذّل واحد والعبوديّة واحدة، وجاء الجوع فطفح الكيل، ودفع الجميع إلى التّمرد إلى الاستهانة بالموت إلى الاستجابة لكلّ نداء يدعو إلى الثّورة إلى الخروج عن القانون وتحطيم حقّ الملكيّة المقدّس**»[2].

شارك "صالح حزّوم" في مظاهرة، إذ نلحظ تصويرا لحادثة مؤلمة شارك فيها مع المتظاهرين الذين طالبو بالعمل والخبز، ولكن المظاهرة انتهت بمجزرة، ومن ذلك المقاطع السّرديّة: «**خرج الحيّ ليهاجم السّراي كان المحرّضون في المقدّمة كانوا شجعانا، لا يبالون بالموت ويستهينون بالخطر كأنّما نذروا أنفسهم لأعمال كهذه ومشى الوالد معهم (...) ومشيت وراءه محمولا على أمواج الغضب الذي عصف الجميع (...) وراح قادة المظاهرة يطلقون الهتافات، ورفعوا يافطة كتبوا عليها (العمل والخبز) ومضوا**

---

[1]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 57.

[2]- حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 164.

بنا عبر الشّوارع إلى مقر المستشار (...) هناك كان جنود سود يحيطون بالسّراي وفي أيديهم البنادق وما أن اقتربنا حتّى أسندوها إلى صدورهم في وضع الاستعداد لإطلاق النّار، وتقدّم قادة المظاهرة يريدون دخول السّراي لتقديم عريضة، لكن الضّابط الفرنسي منعهم، أمر الجنود بإرجاعهم إلى الوراء، فلمّا رفضوا أمر بإطلاق النّار (...) اضطرب الحشد الكبير وتعالى دويّ الرّصاص مختلطا بصيحات المهاجمين وتساقط القتلى والجرحى... ذلك اليوم عرفت ما يعني الاحتلال وما تعني مقاومة الاحتلال وصار العدوّ واضحا لنا وصار السّلاح ضروريّا أكثر من الخبز لنا....»[1].

كانت هذه المظاهرة أوّل عمل شارك فيه "صالح حزّوم" ضدّ فرنسا ثمّ حمل السّلاح بعد ذلك، يقول عنه "سعيد": «**لمحت في يده مسدّسا، أخفاه في الحديقة...**»[2] (..) «**كنت أتصوّر كلّ صباح أنّ والدي يمكن أن يكون معلّقا في باحة السّراي الفرنسيّون طغاة، يقبلون كلّ شيء إلاّ حمل السّلاح ضدّهم، وها أنا فجأة اكتشفت أنّ والدي يحمل سلاحا...**»[3] (...) «**يتزعّم جماعة، ويخرج ليلا....**»[4].

وبدأ "صالح حزّوم" يشارك في مقاومة الاحتلال، حيث نجد "سعيد" يقول: «**وصدقت ظنوني، قتل حارس في السّكة الحديدية، قتل خفيران في الميناء**

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 265، 266.

[2]– المصدر نفسه، ص 270.

[3]– المصدر نفسه، ص ن.

[4]– المصدر نفسه، ص 271.

وسمعت ذات صباح أنّ ضابطا فرنسيّا لقيّ مصرعه، وقيل أنّ جثمانه أرسل إلى فرنسا، ونهب بعد ذلك مخزن للحبوب (...) وتأكّدت أنّ ثمّة عصابات لا عصابة واحدة، وأنّ والدي بدأ والآخرون تبعوه، وأنّ الموت نفسه لن يوقفهم عن انتزاع لقمة أطفالهم من أشداقه...»[1]. لقد انتقم "صالح حزّوم" لضحايا المجزرة بقتل بعض الفرنسيّين ونهب مخزن الحبوب وقد اضطربت السّلطات الفرنسيّة وأمرت بإطلاق النّار فورا على المتمرّدين وفي أثناء ذلك اختفى والد "سعيد" نهائيّا «**جنّ جنون المستشار الفرنسي، ربط بين ما يجري في المدينة والحركات الثّوريّة في المدن الأخرى، أنزل الجنود سير دوريّات مسلّحة قام البوليس بغارات على الأحياء، وبخاصّة على حينا اعتقل بعضهم، قتل آخرون، واختفى الوالد نهائيّا...»**[2]. وكان آخر عمل "لصالح حزّوم" هو الغوص في الباخرة الغارقة التي تحمل تكنات الغاز لإنقاذ المدينة من الجوع فقد ضحّى بحياته في سبيل وطنه. ومن المقاطع السّرديّة نستخلص الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "صالح حزّوم" في الجدول الآتي:

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((صالح حزّوم العامل والبحّار وتلمس روحه النّضال	– عامل وبحار. – مناضل.	– الرّوح الوطنيّة.

[1]– حنا مينة، الكتاب الأول (حكاية بحار)، ص 271.

[2]– المصدر نفسه، ص 272.

فيه، وروح الواقع...)).	– واقعي.	
((استعاد...كلّ سمات القائد الشّعبي...الذّل واحد والعبوديّة واحدة...الاستجابة لكلّ نداء يدعوا إلى الثّورة إلى الخروج عن القانون...)).	– قائد شعبي. – الثّورة. – الخـــــــــروج عن القانون.	– المقاومة.
((وراح قادة المظاهرة يطلقون الهتافات، ورفعوا يافطة كتبوا عليها (العمل والخبز)... لكن الضّابط الفرنسي منعهم...أمر بإطلاق النّار...)).	– المظاهرة. – يافطة كتبوا عليها (العمل والخبز). – إطلاق النّار.	– الحقّ في الحياة. – الموت.
((اكتشفت أنّ والدي يحمل سلاحا...)).	– الكفاح. – حمل السّلاح.	– الحريّة.
((وجاء من أبلغنا أنه في الجبل))	أصبح من الثوار (مجاهد)	–البحث عن الحرية

قام "صالح حزّوم" بدور قويّ يتمثّل في مقاومة السّلطات الفرنسيّة وهو دور البطل المقاوم والمكافح لأجل وطنه، فالممثّل "صالح حزّوم" هو مؤشّر سيميائي للأثر الأيديولوجي والسّياسي في مقاومة ومكافحة الشّعب السّوري ضدّ الاحتلال والعبوديّة ومنه يمكن استخلاص المربّع السّيميائي لثنائيّة (العبوديّة والحريّة) كما في الشّكل الآتي:

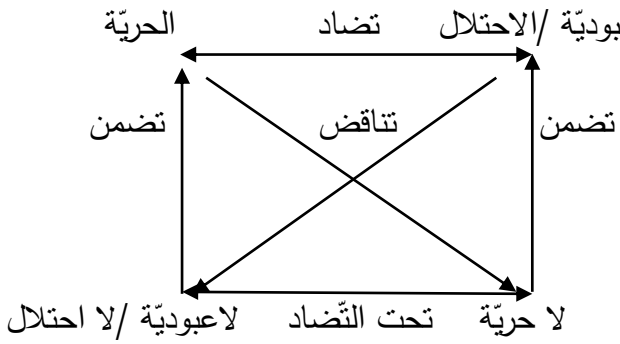

– **الـرّيس زيـدان:** يعد الممثّل "الرّيس زيدان" حاملا لبعد أيديولوجي سياسيّ، من منظور آخر، حيث كان يهرّب السّلاح من سورية إلى فلسطين ودليل ذلك المقاطع السّرديّة الآتيّة: «**صار الرّيس زيدان مندفعا الآن، يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف، يناصر ألمانيا علنا...**»[1] (...)، «**جاء حساب الرّيس زيدان ومركبه...ففي إحدى سفراتنا على طول الشّواطئ باتّجاه مصر نسفت غوّاصة مجهولة (وقيل إنّها إنجليزيّة) المركب، قتل الرّيس زيدان وبعض بحّارته...**»[2] (...)، «**اعتبروا موت الرّيس زيدان أمرا لا بدّ منه، بسبب ما كان يقوم به من أعمال خطيرة، أنا لم أعرف ماذا كان يعمل وإن كنت في ذاتي قد شككت بأنّه يهرّب سلاحا إلى فلسطين، كان يعمل ضدّ الإنكليز (...) الرّيس زيدان كان سياسيّا أكثر منه تاجرا أو قرصانا..**»[3].

ويمكن تحديد كلّ من الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "الرّيس زيدان" في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 138.

[2]– المصدر نفسه، ص 140.

[3]– المصدر نفسه، ص 159.

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((يتكلّم عن ميوله السّياسيّة دون خوف...)).	النّشاط السّياسي.	التّوعيّة.
((يهرب سلاحا إلى فلسطين كان يعمل ضدّ الإنكليز)).	مساعدة فلسطين.	لأجل الحرية.
((يناصر ألمانيا علنا)).	مناصر لألمانيا.	شجاعة.
((جاء حساب الرّيس زيدان ومركبه)).	حساب الرّيس زيدان (قتله).	الموت.

وتبرز شخصيّة "الرّيس زيدان" باعتباره ثوري، إذ يقوم بتهريب السّلاح ومناصرة ألمانيا، وللممثّل دور وأثر أيديولوجي عميق فهو مؤشّر سيميائي حول مساعدة الشّعب السّوري أو الدّولة السّوريّة للقضيّة الفلسطينيّة.

1-2- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لملفوظ الممثل:

وفي هذا القطب نجد ثلاثة ممثّلين كان لهم الدّور في محاولة توعيّة "سعيد حزّوم" سياسيّا وأيديولوجيّا، والممثّلون هم: ("قاسم"، و"سيّد"، و"وليد") ويمكن تحديدهم كالآتي:

– **قاسم:** يحمل الممثّل "قاسم" الأثر الأيديولوجي من خلال حديثه وكلامه عن الأمور السّياسيّة مع "سعيد"، إذ يقول عنه "سعيد": «**مسكين قاسم...راح ضحيّة نشاطه السّياسي والنّقابي! »**[1]. (...) «**والدي...فضّل عليه طريقة أخرى للخروج بالسّلاح على القانون، وقاسم اتّبع طريقا آخر: العمل الحزبي توعيّة العمّال، تأليف النّقابات...»**[2]. ومن خلال حوار "قاسم" مع "سعيد" نجد الملفوظ السّردي: «**...كلّ صوت احتاج، كلّ كلمة مقاومة كلّ فعل ضدّ المحتل، يؤدّي مستقبلا إلى نتيجة...»**[3] (..) «**في سورية ولبنان سنخوض الانتخابات... – سألته مندهشا:**

– من أنتم؟

– **حزب العمّال والفلاّحين...»**،[4] ويقول "سعيد" عن "قاسم": «**أعطاني في آخر لقاء بيننا منشورا قال إنّه الميثاق الوطني لحزبه، كان عنوان الميثاق (وطن حرّ وشعب سعيد)..»**.[5] ومن الملفوظ السّردي لهذه المقاطع نحدد القيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة للممثّل "قاسم" في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 187.

[2]– المصدر نفسه، ص 193.

[3]– المصدر نفسه، ص 143.

[4]– المصدر نفسه، ص 144،145.

[5]– المصدر نفسه، ص 154.

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((راح ضحيّة...نشـــاطه السّياسي والنّقابي)).	– النّشاط السّياسي.	– التّوعيّة.
((العمـل الحزبـي توعيّـة العمال، تأليف نقابات)).	– الحزب السّياسي.	– التّوعيّة.
((كلّ فعل ضدّ المحتل يـؤدّي مسـتقبلا إلـى نتيجة)).	– فعل ضدّ المحتل. – مقاومة.	– لأجل الحريّة.
((فـي سـورية ولبنـان سنخوض الانتخابات)).	– الانتخابات. – ديمقراطيّة.	– الحريّة. – العدل.
((حـزب العمـال والفلاّحين)).	– نشـاط العمّـال والفلاّحين.	– التّوعيّة.
((الميثاق الوطني لحزبه كان عنوان الميثاق (وطن حرّ وشعب سعيد)...)).	– الميثـاق الـوطني (وطـن حـرّ وشـعب سعيد).	– الحريّة والسّعادة.

ومن خلال المقاطع السّرديّة يبرز لنا الممثّل "قاسم" ميوله السّياسيّة فهو كمؤشّر سيميائي لحزب العمّال وحركته ونشاطه في الدّولة السّوريّة ضدّ الاحتلال.

– **البحّار سيّد:** تعرّف الممثّل "سعيد" على متن باخرة (كاسل) على بحّار يدعى "سيّد"، ومن خلال حوار "سعيد" مع البحّار "سيّد" نلحظ الأثر الأيديولوجي والسّياسي للشّخصيّة كالآتي: «**غدا ترحل بريطانيا عن مصر وينتهي الأمر...– يا ليت...المشكلة أعقد يا سعيد....لدينا الآن إسرائيل...وماذا يهم؟ دولة صغيرة في قلب عالم عربي كبير.. ابتسم سيّد: – المشكلة ليست فيها ذاتها بل في أمريكا التي تحميها وفي بريطانيا التي سلّمتها فلسطين...**»[1] (...) «**الذي أعرفه أنّ سيّد اشتراكي، قال: هو كذلك، وكان مؤمنا بالاشتراكيّة طوال حياته...**»[2].

وتتحدّد القيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة من خلال الملفوظ السّردي في الجدول الآتي:

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسّية	القيّم المجرّدة
((المشكلة أعقد يا سعيد....لدينا الآن إسرائيل)).	– العدوان الإسرائيلي. – الحرب.	– العبوديّة والاحتلال.
((أمريكا التي تحميها وفي بريطانيا التي	– العدوان الثّلاثي. – الحرب.	– العبوديّة والاحتلال.

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 270.

[2]– المصدر نفسه، ص 363.

سلمتها فلسطين)).		
((الـذي أعرفـه أنّ سـيّد اشتراكي)).	– اشتراكي.	– شيوعي.

ومن الملفوظ السّردي للمقاطع تتحدّد القيّم الأيديولوجيّة والأكسيولوجيّة المسار الذي يتبعه البحّار "سيّد" إذ يحمل مؤشرا سيميائيّا للاشتراكيّة، والتّفكير الشّيوعي المتسرّب في أذهان البحّارة.

– **وليـد:** يحمل الممثّل "وليد" الأثر الأيديولوجي من خلال الملفوظ السّردي الذي يتجلى لنا أثناء حواره مع "سعيد" في دير الصّليب للأمراض العصبيّة ودليل ذلك المقاطع السّرديّة: «**إذا قويت حركة التّحرّر العربيّة ازداد التّقدم الاجتماعي...**»[1]، ويقول "وليد" "لسعيد": «**...النّجاح الكامل يتوقّف على تطوّر حركة التّحرر الوطني العربيّة، وتطوّر هذه الحركة مرتبطة بتطوّر البروليتاريا العربيّة التي هي مثل حركة التّحرّر في طور التّكون...**»[2] ويقول أيضا: «**قبل جلاء فرنسا من جهة ثانيّة...وكانت الحركة العماليّة أساس هذا الصّراع، كان لها مصلحة في جلاء المستعمر...صراع التّحرّر الوطني صراع طبقي أيضا....**»[3]. ويمكن ضبط القيّم الحسيّة والقيّم المجرّدة للأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "وليد" في الجدول الآتي:

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 385.

[2]– المصدر نفسه، ص 392.

[3]– المصدر نفسه، ص 393.

السّياق	الأثر الأيديولوجي	الأثر الأكسيولوجي
	القيّم الحسيّة	القيّم المجرّدة
((إذا قويت حركة التّحرّر العربيّة ازداد التّقدّم الاجتماعي)).	– حركة التّحرّر العربيّة. – التّقدّم الاجتماعي.	– الحريّة. – التّنميّة.
((النّجاح الكامل يتوقّف على تطوّر حركة التّحرّر الوطني العربيّة، وتطوّر هذه الحركة مرتبطة بتطوّر البروليتاريا العربيّة)).	– تطوّر حركة التّحرّر الوطني العربيّة...	– الحريّة – التّوعيّة.
((قبل جلاء فرنسا كان الصّراع بين العمّال والإقطاع والبرجوازيّة من جهة، وبين فرنسا من جهة ثانيّة...وكانت الحركة العماليّة أساس هذا الصّراع... صراع التّحرّر الوطني صراع طبقي)).	– الحركة العماليّة.	– الحريّة.

ومن الجدول تحدّدت القيّم الحسيّة (التّحرر، التّقدم الاجتماعي، حركة التّحرر الوطني، الحركة العماليّة) والقيّم المجرّدة (الحريّة، التنميّة، التّوعيّة) الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي للممثّل "وليد" من خلال الملفوظ السّردي ولعلّ اضطراب وتوتّر "وليد" ووجوده في الدّير للعلاج هو مؤشّر سيميائي في المستوى العميق لوجود حركة التّحرر الوطني والصّراع الطبقي والبحث عن الحلول لذلك في الدّولة السّوريّة.

وعلى هذا الأساس عبر الممثّلون عن الفكر الأيديولوجي للرّوائي «إذ تقوم الملفوظات السّرديّة بتشخيص القيّم المنتقاة داخل الملفوظات الوصفيّة والتّشخيص هنا معناه الانتقال بالقيّم من وضعها المقولي المجرّد وطرحها كسلوك صادر عن ممثّل أو مجموعة ممثّلين، ولعلّ هذا يفسّر كون عمليّة التّمييز الأولى تمّت من خلال الفعل الوصفي في حين تمّ التّمييز الثّاني من خلال الفعل السّردي»[1]؛ أيّ تمّ استخلاص القيّم المجرّدة للأكسيولوجيا والقيّم الحسيّة الأيديولوجيّا للممثّلين من خلال الفعل أو الوظيفة كما في الممثّلين: ("صالح حزّوم"، و"الرّيس زيدان") أو من خلال الفعل السّردي أو الملفوظ، كما في الممثّل ("قاسم"، و"البحّار سيّد"، و"وليد").

وفي دراسة الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي من البنية السّرديّة نلحظ أنّ الرّوائي استعان بالوقائع والأحداث التّاريخيّة التي عرفتها سورية أثناء وبعد

---

[1]– سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، ص 144.

الحرب العالميّة الثّانيّة إذ نلمس التّداخل الفنّي والتّاريخي السّياسي لبعض المقاطع السّرديّة من الثّلاثيّة.

2- الأثر السوسيوثقافي:

ومن الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي نقف على دراسة الأثر السوسيوثقافي من الثّلاثيّة، وذلك من خلال القيّم التي نستخلصها من وجود الوحدات الدّلاليّة الواردة في السّياق ومن فعل الممثّل أو من ثنائيّة الزّمان والمكان أو الرّموز أو أيّ مؤشّر للسّلوك الإنساني «(فالسّلوك الإنساني هو سلوك رمزي في جوهره ولا يمكن للسّلوك الرّمزي أن يكون سوى سلوك إنساني)، وبهذا المعنى فإنّ الثّقافة ذاتها ليست سوى نسيج مركّب من الأنظمة الرّمزيّة على حدّ تعبير "كلود ليفي ستروس"»[1].

ويتوجّب على الفرد «أن يتمثل في سلوكه لمقتضيات أخلاق مجتمعه وألاّ يتجاوزها أو يخرقها أو يسيء إليها من الصّور التي تحيل على الكون (الامتثاليّة الاجتماعيّة)»[2]؛ أيّ الحفاظ على العادات والتّقاليد والموروث الثّقافي، فالشّخصيّة «ليست وليدة التّجلّي، كما أنّ إدراكها ليس مرتبطا بالمستوى السّطحي المحايث على شكل قيّم ومواصفات ولا يقوم المستوى السّطحي إلاّ بتخصيصها عبر صبّها داخل السّياق الخاص الذي يحدّده النّص الثّقافي، وبعبارة أخرى، فإنّ القيّم الخالقة للشّخصيّات تنفجر في بنية تصويريّة

---

[1]- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 178.

[2]- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، ص81.

على شكل مجموعة من العناصر هيّ ما يشكّل خصائص الشّخصيّة ضمن وضعيّة إنسانيّة تتميّز بعملها المحلّي أيّ سيّاقها الثّقافي الخاص»[1]. ومنه يمكن ضبط الأثر السوسيوثقافي إمّا على مستوى الدّال أو على مستوى المدلول للشّخصيّة أو المستويين معا[2]، وفي الثّلاثيّة نقف على الممثّلين: (البحّار ("سيّد"، والأستاذ "وليد"، والطّبيب "خالد") لاستخلاص الأثر السوسيوثقافي كالآتي:

- **البحّار سيّد:** يعدّ الممثّل "البحّار سيّد" -بالإضافة إلى كونه اشتراكيّا- هو صاحب حكايات بحريّة، فهو (حكاواتي) بمفهوم الثّقافة الشّعبيّة للمجتمع السّوري، حيث يسرد الحكايات البحريّة ومغامرات البحّارة لقبطان باخرة كاسل والبحّارة، فهو كموسوعة لعالم المحيطات والبحر، كما وصفه "سعيد حزّوم" أثناء سماعه لوصف الكائنات البحريّة في أعماق البحر، وفي الآن نفسه نجده اشتراكيّا ويريد توعيّة "سعيد" ثقافيّا وسياسيّا، ونجد "سعيد" كما في الملفوظ: «**كان سيّد في الظاهر صاحب حكايات بحريّة كان يحفظ منها الكثير، ويرويه ويستمتع بحفظه وروايته، وعن هذا السّبيل يتقرب إلى الآخرين، يدخل قلوبهم ... يقول لهم: انظروا...هكذا عاش أجدادنا البحارة..**»[3].

---

[1]- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية (رواية الشراع والعاصفة لحنا مينة نموذجا)، ص 101، 102.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 102.

[3]- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 253.

ومن النّص نلحظ أنّ الممثّل "سيّد" يمتلك مخزونا فكريّا، وثقافيّا أدبيّا في قدرته على حفظ وروي الحكايات البحريّة، وذلك من خلال الوحدات الدّلاليّة: **(صاحب حكايات بحريّة، يحفظ منها الكثير، يرويه، يستمتع بحفظه وروايته)** وهو مؤشّر لاهتمام البحّارة خاصّة الشّباب منهم بالحكايات البحريّة القديمة للامتثال بها والأخذ بالعبرة والحكمة منها، فاستغلّ واستثمر البحّار "سيّد" هذه المقدرة التي يمتلكها للتقرّب من البحّارة من جهة ولحثّهم على الاشتراكيّة ونشرها من جهة ثانيّة.

– **الأستاذ وليد:** يعدّ الممثّل "وليد" أستاذا وباحثا اجتماعيّا اضطربت حالته النّفسيّة فدخل دير الصّليب للأمراض العصبيّة يقول عنه سعيد: «**وليد...كباحث اجتماعي يرى الأمور السّياسيّة واضحة كالأمور الاجتماعيّة ...**»[1] نجده يتكلّم مع "سعيد" عن الواقع الاجتماعي، وعن حركة التّحرّر العربيّة فيقول: «**إذا قويّت حركة التّحرر العربيّة ازداد التّقدّم الاجتماعي....**»[2] (..)، «**قبل جلاء فرنسا، كان الصّراع بين العمّال والإقطاع والبرجوازيّة من جهة، وبين فرنسا من جهة ثانيّة....وكانت الحركة العماليّة أساس هذا الصّراع...**»[3].

فالممثّل "وليد" باعتباره أستاذ وباحث اجتماعي فهوّ مهتمّ بالجانب السوسيولوجي في سورية، ومن القيّم الدّالة على الأثر السوسيولوجي في السّياق

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 397.

[2]– المصدر نفسه، ص 385.

[3]– المصدر نفسه، ص 393.

نـذكر: (باحـث اجتمـاعي، الأمـور الاجتماعيّـة، التّقـدم الاجتمـاعي، العمّـال الإقطـاع، البرجوازيّـة، الحركـة العمّاليّـة..) ويبقـى وليد كمؤشّـر سيميائي لوجود الصّراع الطّبقي وحركة التّحرّر.

– **الطّبيـب خالـد:** للطّبيـب "خالـد" دور اجتمـاعي فعّـال فـي تغلّـب "سـعيد" على أزمته النّفسيّة، حيث «**نقل سعيد بعد هذا الانفجار النّفسي إلى مستشفى دير الصّليب للأمراض العصبيّة، تمركزت أزمته حول الخوف...**»[1] (...) «**الطّبيـب خالـد أشـرف علـى علاجـه، اسـتمع إلـى أخيـه الـذي حملـه إلـى الـدّير...**»[2]، وللممثّل خالد دور سوسيولوجي من خلال مهنته كطبيب في دير الصّليب للأمراض العصبيّة.

ويمكن استخلاص القيّم السوسيولوجيّة من الوحدات الدّلاليّة من خلال انفتاح ذاكرة "سعيد" على الماضي، وتذكر حال مدينة اللاّذقيّة «**ثـمّ جـاءت الكريـزة. والبطالـة ومعهـا الفقـر والجـوع...**»[3] (...)، «**كانـت حالـت العمّـال بائسة، وقد ازدادت زمن الحرب بؤسا، عمت البطالة وبدأت أزمة الكاز والسّكر والأرز وباختصـار بتنـا نعـيش ظـروف الحـرب دون أن نراهـا...**»[4]. وأثنـاء خروج "سعيد" من السّجن قدّم البحّارة والجيران للسّهر عنده فسمع أخبار الحيّ

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 377.

[2]– المصدر نفسه، ص 378.

[3]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 204.

[4]– حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد (من حكاية بحار)، ص 138.

والمدينة نجده يقول: «**سمعت حكايات كثيرة عن الحيّ وأهله والميناء والبحر والشّغل والأزقّة، عن أيّام الجوع والبطالة، والتّشرّد...**»[1].

ومن المقاطع السّردية نلحظ الأثر السوسيولوجي من خلال الوحدات الدّلاليّة (**الكريزة، البطالة، الفقر، الجوع، حالة العمال بائسة، عمّت البطالة بدأت أزمة الكاز والسّكر والأرز، التّشرّد**)، وتشكّل هذه الوحدات الدّلاليّة القيّم للأثر السوسيولوجي وتصوير وضعيّة البلاد أثناء الحرب العالميّة الثّانيّة بالانتقال من حالة إيجابيّة إلى حالة سلبيّة مزرية للواقع المعيش، ممّا أدّى بالهجرة، فكانت هذه الأخيرة الانتقال من وضعيّة الاستقرار إلى وضعيّة اللاستقرار كما في الملفوظ السّردي: «**في اللاّذقيّة لم نعثر على بيت هناك بيوت كثيرة، لكنّها لمهاجرين أمثالنا خرجنا من اللّواء في هجرة عامّة على متن سفينة شحن عتيقة حملت الآلاف من الرّجال والنّساء والأطفال دفعة واحدة، وألقت بهم مع المتاع الذي يحملونه على شاطئ اللاّذقيّة هنا في سورية، وهناك في اسكندرونة..لم يهتم الفرنسيّون بنا...**»[2].
فكانت الهجرة تمثّل الهروب من الواقع المعيش والبحث عن الأمن والاستقرار والعدالة الاجتماعيّة، ومنه فالثّلاثيّة كما حملت قيّما أيديولوجيّة وأكسيولوجيّة تعبر عن الوعي الفكري فإنّها تحمل قيّما سوسيوثقافيّة، وعليه كانت بنية بعض المقاطع السّرديّة تصويرا للكفاح والمقاومة وكذا الواقع المعيش والبحث عن العدالة الاجتماعيّة في المجتمع السّوري أثناء وبعد الحرب العالميّة الثانيّة.

---

[1]– حنا مينة، الكتاب الثاني الدقل (من حكاية بحار)، ص 113.

[2]– المصدر نفسه، ص 117.

وعلى هذا الأساس كانت الدّراسة في التّركيبة المنطقيّة الدّلاليّة في ضبط الوحدات الدّلاليّة المعنويّة الصّغرى من السّيم النّواتي، والسّيم السّياقي وكذا اللّكسيم الباتيمي، ثم تحديد العلاقة بين الوحدات الدّلاليّة والباتيميّة انطلاقا من وجود ثنائيّة (التّشاكل والتّباين)، ومن خلال العلاقة بين الوحدات يمكن استخلاص المربّع السّيميائي والمربّع الباتيمي، ثمّ حدّدنا البنية في المستوى العميق من خلال ضبط قيّم الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي والسوسيوثقافي من تنظيم الوحدات الدّلاليّة في النّسق السّياقي للمقاطع السّرديّة وكذا فعل وملفوظ القول للممثّل، وربط ذلك بالأثر السّيميائي.

فكانت الثّلاثيّة سيرة ذاتيّة لحكاية البحّار "سعيد" في رحلة بحثه عن والده "صالح حزّوم"، تتضمّنها الكثير من المشاهد الواقعيّة والأحداث السّياسيّة والتّاريخيّة للشّعب السّوري أثناء وبعد الحرب العالميّة الثّانيّة، من خلال انفتاح الذّاكرة على الماضي نحو الصّراع الطّبقي، وحالة أهل اللاّذقيّة وحالة البحّارة في الميناء والأزمة والفقر والهجرة إلى تصوير الكفاح والمقاومة والوعي الاشتراكي في اللاّذقيّة في البحر والمرفأ البعيد لليونان وبذلك كانت الثّلاثيّة تعكس تجارب من ماضي حياة وكفاح وسيرة لحكاية بحّار.

خاتمة:

تقوم خاتمة البحث على أهمّ العناصر التي توصّلنا إليها في دراسة السّيميائيّة السّرديّة تشكّل بدورها إجابة عن الأسئلة الإشكاليّة التي تمّ طرحها في استهلال البحث حول إمكانيّة دراسة سيميائيّة الأهواء كمرحلة ثانيّة في تطوّر نظريّة "غريماس" في ظلّ وجود سيميائيّة العمل وهيّ المرحلة الأساس لها، فهل يمكن دراسة سيميائيّة الأهواء في المستويات الثّلاثة للنّظريّة وهل هناك مفاهيم استهوائيّة في سيميائية الأهواء تقابل سيميائيّة العمل وهل للممثّل دور استهوائي؟. وبذلك حاولنا الاجابة عن الاشكاليّة بتتبّع مفاهيم نظريّة "غريماس" بين سيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء في ثلاثيّة "حكاية بحّار" لحنّا مينة، وذلك من خلال دراسة المستويات الثّلاثة: (المستوى السّردي، المستوى الخطابي، والمستوى المنطقي الدّلالي)، فكان الانتقال من رصد حركة العامل في الفعل المنجز إلى حالات النّفس والوقوف على المسار الاستهوائي. إذ تمّ استخلاص سيميائيّة الأهواء من دراسة سيميائيّة العمل، ووجدنا بأنّ هناك مفاهيم في سيميائيّة الأهواء تقابل سيميائيّة العمل كوجود الذّات الاستهوائيّة والخطاطة الاستهوائيّة، كما وجدنا أنّ للممثّل دور استهوائي، حيث يعدّ حلقة وصل بين سيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء، وهذا ما نجده في الدّور العاملي والتّيماتيكي للممثّل بين المركبة السّرديّة كوضعيّة في البرنامج السّردي، والمركبة الخطابيّة بتلاؤم المسارات التّصويريّة في سيميائيّة العمل من جهة، وبين تحديد الدّور الاستهوائي للممثّل في سيميائيّة الأهواء من جهة ثانيّة. وبذلك كان

للممثّل في السّيميائيّة السّرديّة ثلاثة أدوار هيّ: (الدّور العاملي، والدّور التّيماتيكي، والدّور الاستهوائي).

وكما وجدنا أنّ الذّات في المستوى السّردي في علاقتها بالموضوع أثناء فعل الإنجاز والشّروع بالفعل متأثرة بالبعد الاستهوائي الذي له دور في تحركها وتفعيلها ودفعها للإنجاز، ومنه تنتقل الذّات من ذات عاملة إلى ذات حالة واستهوائيّة في آن واحد. وكذلك وجدنا أنّ الانتقال من علاقة الذّات بالموضوع في سيميائيّة العمل إلى علاقة الذّات بالعالم الخارجي والمثير الذي يدفع إلى وجود ردود أفعال في سيميائيّة الأهواء.

ووجدنا أنّ نموّ فعل الممثّل مرتبط بثنائيّة "التّفضيّة" و"التّزمين"، ويتحدّد المسار الاستهوائي بمدى علاقة تأثير ثنائيّة الاتّصال والانفصال الزّماني والمكاني على الممثّل.

وكما يمكن استخلاص الخطاطة الاستهوائيّة في البرنامج الاستهوائي من خلال وجود أطوار الفعل في الخطاطة السّرديّة التي تحدّد انتقال الذّات من وضعيّة إلى وضعيّة مضادّة، وفي أثناء التّحوّل يتمّ التدرّج في البعد الاستهوائي من المستوى العميق الدّاخلي والكامن في الذّات الاستهوائيّة إلى المستوى السّطحي الخارجي للذّات والذي يتمظهر من خلال ردود أفعال كالغضب والبكاء لدى الممثّل "الأم" مثلا.

ووجدنا أنّ البنية السّرديّة للثّلاثيّة في المسار الاستهوائي تقوم على ثنائيّة (الأمل واليأس)، فالأمل في إيجاد "سعيد" والده في مكان ما واليأس

في عدم العثور عليه. كما أنّ البرامج السّرديّة للممثّل "سعيد" تقوم على فكرة الاعتقاد بأنّ والده على قيد الحياة في البعد الذّهني والإدراكي لديه، حيث تمّ استخلاص البرامج السّرديّة بتقسيمها إلى مرحلتين: المرحلة الأولى: متعلّقة باعتقاد "سعيد" بموت والده، والمرحلة الثّانيّة: حول اعتقاد "سعيد" بأنّ والده على قيد الحياة والأمل في العثور عليه. وكما يمكن الكشف عن العلاقة بين البرامج السّرديّة من خلال الانزلاقات العامليّة.

كما يمكن استخلاص الوحدات المعنويّة الصغرى والباتيميّة، حيث نجد المسار الدّلالي بجانب المسار الاستهوائي من خلال ضبط الوحدات الدّلاليّة والباتيمية. ووجدنا أنّ المركبة الدّلاليّة المنطقيّة تقوم على وجود قيّم ذهنيّة أكسيولوجيّة متعلّقة بالبنية العميقة، وذلك من خلال الأثر الأيديولوجي والسوسيوثقافي للقيّم في البنية السّرديّة.

ووجدنا أنّه يمكن دراسة سيميائيّة الأهواء في المستويات الثّلاثة: (المستوى السّردي، والخطابي، والمنطقي الدّلالي)، وبذلك سمحت لنا هذه الدّراسة بالولوج إلى عالم السّيميائيّة السّرديّة ومعرفة المفاهيم المتعلّقة بسيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء، فازدادت معرفتنا لهذا الحقل المعرفي للنظريّة السّيميائيّة. ولقد كانت الدّراسة علميّة صعبة وشيّقة في آن واحد، وقد أثيرت لدينا جملة من الاشكاليّات التي تظّل مطروحة لدينا منها:

– كيف يمكن دراسة مبدأ المآل في السّيميائيّة الأهواء وهل يختّص بالمستوى السّردي فقط وماذا عن بقية المستويات؟

– هل يمكن دراسة سيميائيّة الأهواء في علاقتها بالسّيميوزيس؟

– هل يمكن تطبيق مفاهيم سيميائيّة العمل وسيميائيّة الأهواء على الخطاب الإشهاري؟.

مسرد المصطلحات

في اللغة العربية	في اللغة الفرنسية
عامل.	Actant.
الممثل.	Acteur.
المحور الاستبدالي.	Axe paradigmatique.
المحور التركيبي.	Axe syntagmatique.
المربع السيميائي.	Carré sémiontique.
القدرة.	Compétence.
السلوك.	Comportementarite.
القدرة الخطابية.	Compétence discursive.
القدرة السيميائية السردية.	Compétencsémio-narrative.
مفهوم.	Concept.
شفرة.	Code.
التجمع الخطابي.	Configuration discurisive.
الحكاية.	Conte.
تضاد.	Contrariété.
الوصل.	Conjonction.
الاتصال.	Continu.
الاختلاف.	Différence.
الانفصال.	Discontinu.
الاستعداد/التأهب.	Disposition.
المرسل.	Destinateur.
المرسل إليه.	Destinataire.

Disjonction.	الفصل.
Effet de sens.	الأصداء الدلالية.
Ecpaceutopique.	الفضاء الوهمي.
Enonciation narrative.	تلفظ سردي.
Épreuve glorifante.	الاختبار الممجد.
Épreuve principale ou decisive.	الاختبار الحاسم أو الرئيس.
Épreuve qualifiante.	الاختبار الترشيحي.
Espace hétérotopique.	الفضاء الخارجي.
Espace paratopique	الفضاء الجانبي.
Espace topique.	فضاء الفعل.
Être.	الكينونة.
Expression.	التعبير.
Faire.	الفعل.
Glossématique.	كلوسيماتيكية.
Image acoustique.	صورة سمعية.
Indice.	مؤشر.
Intersubjectivité.	التذاوتية.
Kinésique.	الحركات الجسدية.
Langue.	اللغة.
L'émotion.	العاطفة.
l'éveil affectif.	الانكشاف الشعوري.
Manipulation.	التحريك.

Mensonge.	كذب.
Méfait.	الإساءة.
Mythe.	الأسطورة.
Modèle actanctiel.	نموذج عاملي.
Morphologie.	صورة سمعية.
Micro-univers.	كون صغير.
Non- Être.	لا- كائن.
Non- Paraître.	لا- ظاهر.
Opposition.	تعارض.
Paraître.	ظاهر.
Parcours sémémique.	مسارات معانمية سيميمية.
Parole.	الكلام.
Perfomansce.	الإنجاز.
Pouvoir faire.	قدرة الفعل.
Pragmatique.	التداولية.
Programme narratife de base.	البرنامج السردي القاعدي.
Programme narratife (PN).	البرنامج السردي.
Programme narratife d'usage.	البرنامج السردي الاستعمالي.
Pahtème.	الباتيم.
Phénoménologie.	الظاهرتية.
Pivot passionnel.	القطب الاستهوائي.

Savoir –faire.	معرفة الفعل.
Sanction.	الجزاء.
Schéma.	الخطاطة .
Schéma narrative.	الخطاطة السردية.
Sèmes.	سيمات.
Sémèmes.	سيميم.
Sémique.	سيمية.
Sémiosis.	الانتاج الدلالي.
Sémiotique.	السيميائية.
Sème contextual.	السيم السياقي.
Sème nuclé	السيم النواتي.
Sèmes Nucléaire.	الصور النواتية.
Sphère.	دائرة.
Structure.	البناء.
Structuralisme.	البنيوية.
Structure superficielle.	البنية السطحية.
Structure profaned.	البنية العميقة.
Secret.	سر.
Signe.	علامة.
Symptomatologie	أعراض الأمراض.
Syntaxe.	التركيب.
Thème.	الموضوع.
Trématique	التيماتيكي.

Traits de la classification.	السيمات التصنيفية.
Usage.	الاستعمال.
Universalité	الكونية.
Unesminimales de la signification.	الوحدات المعنوية الصغرى.
Valeur.	القيمة.
Valeur descriptive.	القيمة الوصفية.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

01- أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004.

02- أحمد حمدي، جذور الخطاب الإيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر الجزائر، دط، 2001.

03- أحمد طالب، المنهج السيميائي من النظرية إلى التطبيق، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، وهران، الجزائر، 2005.

04- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة القاهرة، ط6، 2006.

05- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة منشورات الاختلاف، الجزائر/ الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1 2005.

06- أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي، جبر العلامات الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان/ منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.

07- السيد إبراهيم، نظرية الرواية، دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1998.

08- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي دراسة سيميائية "غدا يوم جديد لابن هدوقة عينة"، منشورات الاختلاف، ط1، 2000.

09- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة ،دار الجنوب للنشر، تونس، دط 2000.

10- أزراج عمر، أحاديث في الفكر والأدب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دط، 2007.
11- أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتب أرسطو طاليس في الجدل، تحقيق وتعليق: محمد سليم سالم الهيئة المصرية العامة للكتاب جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتاب، 1980.
12- إبراهيم عباس، الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005.
13- أبي محمد علي بن حزم الأندلسي (ت 456هـ)، طوق الحمامة في الألف والآلاف، دار الأريب، لبنان، ط1، 2010.
14- أبي منصور الثعالبي: (ت430هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: فائز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1999.
15- أنس شكشك، علم النفس العام، القوى النفسية والمعرفية والقوى النفسية المحركة للسلوك، دار النهج للدراسات والنشر والتوزيع، حلب، سوريا ط1، 2008.
16- بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2002.
17- تمام حسان، اللغة ونظام الأنظمة، ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص الدار التونسية، للنشر، ط1، جوان، 1984.
18- حنا مينة، الكتاب الأول، حكاية بحار، دار الآداب، بيروت، ط1 1981.
19- حنا مينة، الكتاب الثاني الدّقل من حكاية بحار، دار الآداب، بيروت ط1، 1982.
20- حنا مينة، الكتاب الثالث المرفأ البعيد من حكاية بحار، دار الآداب بيروت، ط4، 1997.

21- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان ط3، 2000.
22- خالد حسين، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، دمشق، ط1 2008.
23- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر الجزائر، دط، 2002.
24- جيرار موسى وآخرون، معجم متقن الطلاب مزدوج (عربي فرنسي/عربي، فرنسي)، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط1 2005.
25- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي انجليزي، فرنسي)، دار الحكمة للطباعة والنشر، الجزائر، دط، 2000.
26- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر الجزائر، دط، 2000.
27- رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، دط 2006.
28- سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مطبعة النجاح الجديدة دار البيضاء، المغرب منشورات الزمن، دط، 2003.
29- سعيد بنكراد: النص السردي نحو سيميائيات للأيديولوجيا، مطبعة فضالة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996.
30- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية "الشراع وللعاصفة" لحنا مينة نموذجا)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2003.

31- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2، 2003.
32- سليمة لوكام، تلقي السرديات في النقد المغاربي، دار سحر للنشر، تونس دط، 2009.
33- سمير المرزوقي وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقات، الدار التونسية للنشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دت.
34- سهيل أدريس، المنهل القريب قاموس(فرنسي، عربي)، دار الآداب بيروت، ط1، 1975، /ط9، 2004.
35- عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية مقاربة من منظور سيميائية السرد، الدار العربية ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2010.
36- عبد اللطيف محفوظ، آليات إنتاج النص الروائي نحو تصور سيميائي منشورات الاختلاف، الجزائر/ الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008.
37- عبد اللطيف محفوظ، المعنى وفرضيات الانتاج مقاربة سيميائية في روايات نجيب محفوظ، الدر العربية للعلوم ناشرون، بيروت/ منشوات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
38- عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنية إلى التشريحية قراءة نقية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998.
39- عبيدة صبطي ونجيب بخوش، مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
40- عبد الجليل مرتاض، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتّوزيع، الجزائر، دط، 2010.

41- عبد العالي أبو طيب، مستويات تحليل النص السردي -مقاربة نظرية- مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، دط، 1999.
42- عبد المجيد نوسي، التحليل السيميائي للخطاب الروائي (البنيات الخطابية، التركيب، الدلالة)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، دم، دط، 2002.
43- عبد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية غريماس (Greimas)، الدار العربية للكتاب تونس، دط، 1993.
44- عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2002.
45- عليمة قادري، نظام الرحلة ودلالتها، السندباد البحري "عينة"، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، دط، 2009.
46- فاطمة الطوبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط2، 1993.
47- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
48- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، انجليزي، فرنسي) مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
49- مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998.
50- ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا معاصرا المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

51-محمد أبو علي، المسهل البسيط قاموس (فرنسي، عربي)، دار البرهان القاهرة، دط، 2005.
52-نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008.
53-نادية بوشفرة، معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردي، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع المدينة الجديدة، تيزي وزو، الجزائر، دط 2011.
54-نفلة حسن أحمد، التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات، دار الكتب والوثائق القومية، الاسكندرية، مصر، دط 2012.
55-نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، دط، دت.
56-نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث الأزاريطة، الاسكندرية، دط، 2006.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

57-Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique Introduction à la sémiotique générale, presses Unieversitaires de Franse, paris, 1979.

58- A. J. Greimas, J. Courtés, Sémantique dictionnaire raisonné de la Théorie du longage paris,1979.

59-Algirds, Julien Greimas, Sémantique Structurale Recherche de Méthode presses Universitaire de France,1986.

60-Algirds Julien Greimas, Jacques Fontanille, Sémiotique de passion (Des états de choses aux états dâme), Éditions du Seuil paris, 1991.

61-Algirds Julien Greimas, Du sens II Essais sémiotique, Éditions du Seuil, paris, 1983.

62-Algirds Julien Greimas, Maupassant la sémantique du texte exercices pratiques, Éditions du Seuil, paris, 1976.

63-christophe Carlier, Nathalie Griton, «Des mythes aux mythologi» paris, 1999.

64-Ferdinand de Saussure, coure de linguistique générale, Talantikit Béjaia, 2002.

65-Jaques Fontanille, Sémiotique et littérature Essais de méthode presses Universitaires de France,1999.

66-Jean Michel Adam, Le récit, paris,1984.

67-Johanns Fehr, Saussure entre linguistique et Sémiologie, Presses Universitaire de France,2000.

68-Group dÉntrevernes, Analyse Sémiotique de textes, Introduction théorie pratique, press Universitaires, de lyon, 1979.

69-Nicole Eveart Desmedt, Sémiotique du Récit, Unieversité, Bruxelles, 2000.

70-Oswalde Ducrot /TZ,Vetan Todrov, Dictionnaire en cyclopédique des sciences du langage © seuil paris, 1972.

71-Umberto Eco, Le Signe, Édition Labor, paris 1998.

72-Yves Reuter, introdiction à Lánalyse du Roman E'dition Nathan paris, 2000.

قائمة المصادر والمراجع المترجمة:

73- أ.ج. غريماس وآخرون، النظرية السيميائية السردية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، درا السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2008.

74- ألجيرداس، ج. غريماس وجاك فونتنيي، سيميائيات الأهواء من حالات النفس إلى حالات الأشياء، تر: سعيد بنكراد، درا الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

75- أريك فروم، أزمة التحليل النفسي، تر: طلال عتريسي، مجد للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1988.

76- بلمر (plamer)، علم الدلالة، تر: أحمد طاهر حافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، ط1، 2012.

77- بييرمونتيبيلو، نيشته وإرادة القوة، تر: جمال مفرج، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1 2010.

78- جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، تر: عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1 2003.
79- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2007.
80- دليلة مرسي وآخرون، مدخل إلى السيميولوجيا (نص صورة)، تر: عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1995.
81- سيجموند فرويد، الحب والحرب والحضارة والموت، تر: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، المكتبة الشعبية، القاهرة، دط، دت.
82- سيجموند فرويد، ووليم تشيكل، الكبت تحليل نفسي، تر: علي السيّد حضارة المكتبة الشعبية، القاهرة، دط، دت.
83- سيجموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، تر: سامي محمود على وعبد السلام القفاش مكتبة الأسرة، دم، دط، 2000.
84- شاوش بلس وآخرون، السرديات التطبيقية (الكشف عن المعنى في النص السردي)، تر: عبد الحميد بورايو، دار السبيل للنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2009.
85 - فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة: تر: إبراهيم الخطيب، نشر الشركة المغربية للناشرين المتحدين، ط2، دت.
86 - غاستون باشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2010.
87 - ميشال آريفيه وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية دط، الجزائر، 2002.

88 – ميلكا إفيتش، إتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد المجلس الأعلى للثقافة، دم، ط2، 2000.

قائمة المجلات والدوريات:

89- أحمد منور، العلاقة بين التصويري والموضوعاتي في الفصل الثالث من كتاب التحليل السيميائي للخطاب لجوزيف كورتيس، مجلة (بحوث سيميائية)، مخبر العادات وأشكال التعبير الشعبي بالجزائر، طبع دار هومة، ع2، 2006.

90- أحمد يوسف، السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب مجلة (عالم الفكر السينيائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، المجلد 35، ع3، مارس2007.

91- الزاوي بغورة، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، مجلة (عالم الفكر السيميائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، المجلد35، ع3، مارس2007.

92- ابن مسعود العربي، الدلاليات المنطقيّة، مجلة (السيميائيات وتحليل الخطاب)، منشورات الأديب جامعة وهران، الجزائر، ع2، 2006.

93- المصطفى الشادلي: في سيميائيات التلقي، مجلة (عالم الفكر السيميائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت مجلد 35، ع3، 2007.

94- قوتال فضيلة، التشاكل والفعل الاستعاري في النصوص الأدبية، مجلة (السيميائيات)، تصدر عن مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب منشورات دار الأديب، جامعة وهران، الجزائر، ع2، 2006.

95- سعيد بنكراد، السيميائيات النشأة والموضوع، مجلة (عالم الفكر السيميائيات)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، مجلد 35، ع3، 2007.

96- محمد الداهي، سيميائية الأهواء، مجلة (عالم الفكر السيميائيات) إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد 35 ع3، مارس2007.
97- محمد الداهي، سيميائية العمل تطبيقاتها وتقاطعاتها، مجلة (السيميائيات وتحليل الخطاب) جامعة وهران، الجزائر، منشورات الأديب، ع2، 2006.
98- محمد الساري، نظرية السرد الحديثة، مجلة (السرديات)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ع1، جانفي 2004.
99- محمد الناصر العجيمي، موقع السيميائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة (السيميائيات وتحليل الخطاب)، وهران، الجزائر، ع2 2006.
100- محمد بادي، السيميائيات مدرسة باريس المكاسب والمشاريع (مقاربة ابستيمولوجية)، مجلة (عالم الفكر السيميائيات)، الكويت، المجلد 35 ع3، مارس 2007.
101- محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة (عالم الفكر السيميائيات)، الكويت، مجلد 35، ع3، مارس 2007.
102- فؤاد المرعي، نظرية الشعر في اليونان القديمة، مجلة (عالم الفكر في الأدب والنقد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت مجلد 25، ع3، 1997.

المواقع الالكترونية:

103- http://www.atida.org.
104- http://www.awu dam.org.
105- thaquafat.ar side.
106- http://la ghtiri,1965jeiran ,com.

فهرس الموضوعات:

مقدمة

الفصل الأول: روافد السيميائية السردية بحث في مفاهيم.

أولا: الروافد المرجعية لنظرية غريماس. 11

1- الرافد الفلسفي: 11

1-1- "أفلاطون". 14

1-2- "أرسطو". 14

1-3- "نيتشه". 24

1-4- الفلسفة الذرائعية. 29

1-5- الفلسفة الظاهراتية . 30

1-6- التأصيل الفلسفي لسيميائية الأهواء. 31

2- الرافد اللساني: 36

2-1- تصور "دو سوسير". 37

2-2- تصور "لويس هيلمسليف". 44

2-3- تصور "تشومسكي". 51

2-4- مدرسة براغ "رومان جاكبسون". 55

3- **الرافد المعرفي:** 60

3-1- تصور "بروب" (Propp). 61

3-2- تصور "كلود ليفي ستروس" (C.Levy,Strauss) 68

3-3- "جورج دوميزيل" (George Dumézil) 72

3-4- "إ. سوريو" (E. Sourieau) 73

3-5-"ل. تنيير"(L, Tesnier) 76

ثانيا: نحو تحديد مفاهيم السيميائية السردية: 80
1- مرحلة المكاسب وسيميائية العمل. 85
1-1- المركبة الخطابية. 90
1-2- المركبة السردية. 108
1-3- المركبة المنطقية الدلالية. 128
2- مرحلة المشاريع وسيميائية الأهواء. 142
2-1- البعد الاستهوائي. 142
2-2- مفهوم الأهواء بين علم النفس والسيميائية. 147
2-3- البعد الدلالي والتداولي. 157
الفصل الثاني: "المسار العاملي والاستهوائي"- دراسة في التركيبة السردية لثلاثية "حكاية بحار"-
أولا: المرحلة الأولى: البرنامج السردي المعرفي للذات "سعيد" والموضوع (الاعتقاد بموت والده) والبرنامج الاستهوائي له (الأمل في العثور عليه): 166
1- البرنامج السردي المساعد (استخراج الجثة). 166
1-1- الخطاطة السردية. 166
1-2- الخطاطة الاستهوائية. 199
ثانيا: المرحلة الثانية: البرنامج السردي المعرفي للذات "سعيد" والموضوع (الاعتقاد بأن والده على قيد الحياة والسعي للبحث عنه)، والبرنامج الاستهوائي له (الأمل في العثور عليه): 203
1- البرنامج السردي المساعد(1): (السفر على مركب "الريس عبدوش"). 204
1-2- الخطاطة الاستهوائية. 243

2- البرنـامج السـردي المسـاعد(2): (السـفر علـى مركـب "الريس زيدان"). 254
2-1- الخطاطة الاستهوائية. 265
3- البرنامج السردي المساعد (3): (السفر على باخرة "كاسل"). 268
3-1- الخطاطة الاستهوائية. 275

الفصل الثالث: أدوار الممثل وثنائية "التفضية" و"التزمين" – دراسة في التركيبة الخطابية لثلاثية "حكاية بحار"-

أولا: الممثل: 287
1- الأدوار العاملية والاستهوائية للممثل. 287
1-1- ضبط الأدوار العاملية. 290
1-2- الاستقرار واللا استقرار العاملي. 296
2- الدور الاستهوائي. 301
ثانيا: الصور والمسارات التصويرية: 305
1- الصور. 305
2- الصور اللكسيمية. 306
3- المسارات التصويرية. 312
ثالثا: الدور التيماتيكي والباتيمي: 329
1- الدور التيماتيكي والباتيمي للممثل "سعيد". 330
2- الدور التيماتيكي والباتيمي للممثل "الأم". 336
3- الدور التيماتيكي والباتيمي للممثل "الريس عبدوش". 341
رابعا: التفضية والتزمين: 346
1- الفضاء الغريماسي. 347

2- الفضاء الاستهوائي. 360
3- التفضية والتزمين بين عملية القول السردية والخطاب. 364
4- الانفصال المكاني والزماني. 369
5- اللا-اندماج الزمني. 371
6- الزمن الاستهوائي. 376

الفصل الرابع: البنية والوحدات الدلالية -دراسة في التركيبة المنطقية الدلالية لثلاثية "حكاية بحار"-

أولا: الوحدات المعنوية الصغرى في الدلالة: 388
1- السيمات (المعانم). 389
2- السيم النواتي والسيم السياقي (الكلاسيم). 390
2-1 السيم النواتي. 391
2-2 السيم السياقي (الكلاسيم). 396
3- اللكسيم الباتيمي. 399
ثانيا: الوحدات الدلالية والباتيمية: 406
1- التشاكل والتباين بين السيمي والباتيمي. 407
1-1 التشاكل والتباين السيمي . 409
1-2 التشاكل والتباين الباتيمي. 412
2- المربع السيميائي والمربع الباتيمي. 414
2-1 المربع السيميائي. 417
2-2 المربع الباتيمي. 420
ثالثا: البنية والقيم الدلالية المنطقية. 424
1- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي. 425
1-1- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لفعل الممثل. 436

1-2- الأثر الأيديولوجي والأكسيولوجي لملفوظ الممثل. 441
2- الأثر السوسيوثقافي. 448
- **خاتمة.** 455
- **مسرد المصطلحات.** 461
- **قائمة المصادر والمراجع.** 467
- **فهرس الموضوعات.** 479